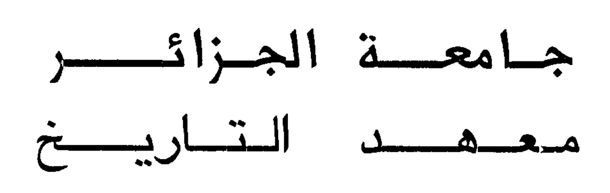
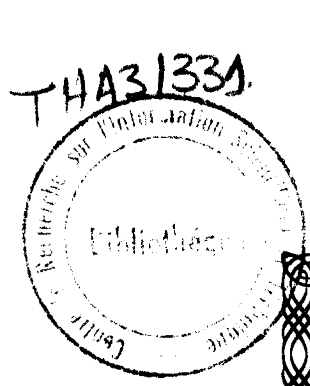


جامعة الجزائر

معهد التاريخ



نظام العزابة

ودوره في الحياة الاجتماعية و الثقافية بوادي ميزاب



رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الاسلامي

تقدم بها الطالب :

اسماوي صالح بن عمر

تحت إشراف الدكتور :

موسى لقبال

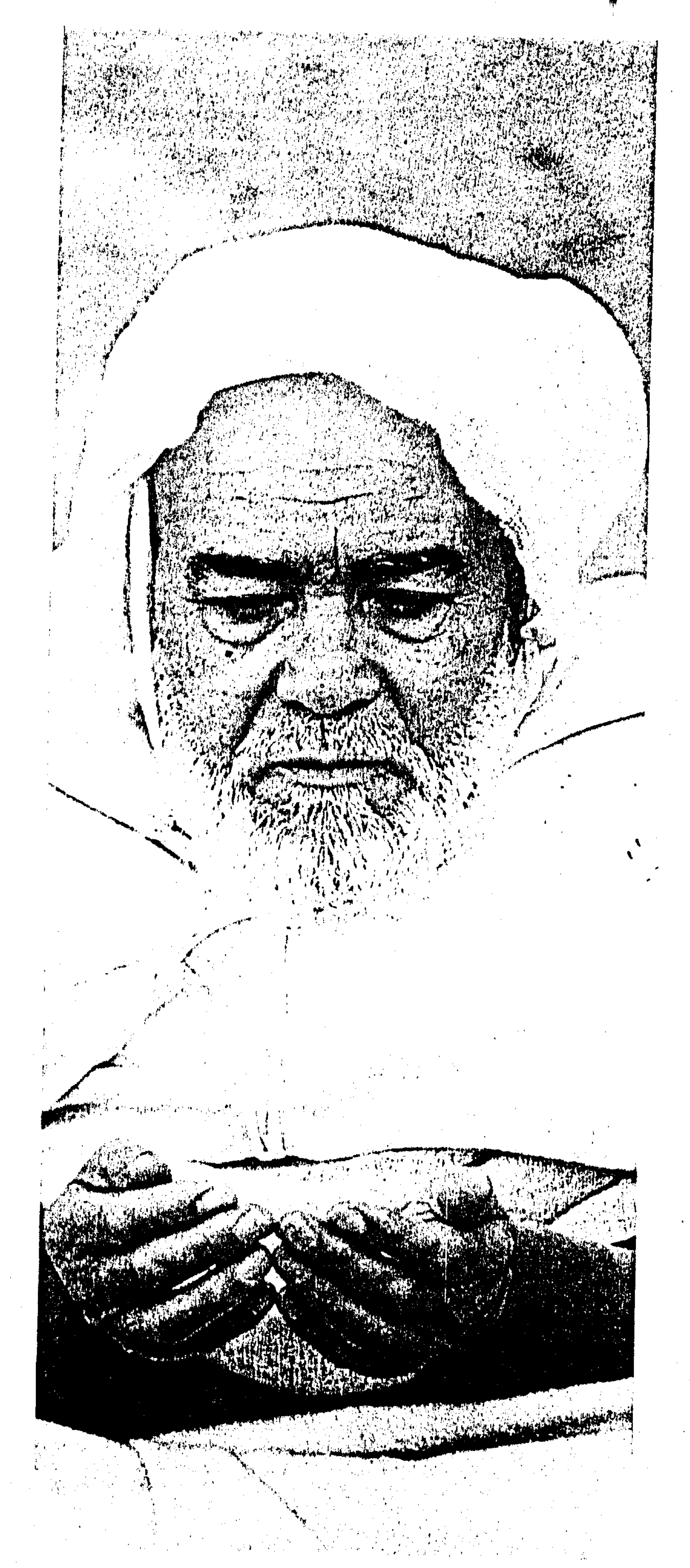
السنة الجامعية : 1406 - 1407 هـ / 1986 - 1987 م

بسم الله الرحمن الرحيم

" ... في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال .

رجال لا تلهيهم تجارة ، ولا بيع عن ذكر الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ."

سورة النور ، الآية 38 .



الامام الشيخ بيوض ابراهيم بن عمر (رحمه الله)
رئيس "مجلس عمي سعيد" منذ الاستقلال 1962م الى وفاته 1981م، وهو يدعو.

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى أولا على توفيقه أياي للموضوع ، وأشكره على آلائه في انجاز ما أمكن منه ، كما أشكر وأقدر جهود أستاذي المشرف : الدكتور موسى لقبال الذي شجعني على المضي في الموضوع بالبحث والكتابة فيه ، وعلى ما قدمه لي من توجيهات سديدة ، وارشادات قيمة .

وأشكر كل من سهلوا لي الصعاب ، وقدموا لي يد المساعدة ، وأفادوني بالمعلومات في الموضوع ، أو أحالوني عليها ، فأنا مدين للجميع بالفضل .

جزاهم الله جميعا بالثواب والأجر الأوفى ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

المقـدمـــة

الحمد لله مالك الملك " تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير كلــه انك على كل شيء قدير[1]. يؤتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي خير كثيرا ، وما يذكر الا أولوا الالباب .[2]

وبعد :

فقد صنفت بحثي هذا ورتبته كما يلي :

1ــ المقـدمـة .

2ــ تمـهـيـد .

3ــ خمسة فصول .

4ــ الخاتمـة .

المقدمة : يتضمن تقديم اشارات عامة مقتضبة عن أوضاع القرن الرابع والخامس الهجري (العاشر والحادى عشر الميلادى) غداة سقوط الامامة الرستمية (160 ــ 296هـ / 777ــ 909م) بيد الفاطميين ، واضطراب أحوال المغرب الى أن ظهر نظام " العزابة" . فقد طرحت استفسارات ، وتضمنتـــي تساؤلات تحتاج كلها الى البحث ، واستقصاء الحقائق ، وهي تتطلب الاجابات المقـنـعـة .

ازدادت خبرة شيوخ الاباضية بعد الهزات العنيفة اثر اخفاق محاولاتهم منذ القرن الثالث الهجرى ، وفشل ثوراتهم ففكروا في مصيرهم ، ومستقبل مذهبهم وأجيالهم فاعتدوا بمسالك مذهبهم الى الدخول في مرحلة الكتمان[+] ، فكانت مشكلة البحث تتلخص في الاشارة الى هذه الأوضاع في المغرب الاسلامي عموما والتـي كانت بعضها من أسباب ظهور نظام " العزابة " الذى يعتبر كحل بديل للامامــة في مرحلة الظهور ، فصار تحديد مشكلة البحث التي تتطلب الدراسة ــ بشكل أعمق ــ في العنوان التالي " نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادى مزاب " وتتمحور مشكلة البحث في دراسة كيفية تأسيس هذا النظام وشخصية المؤسس ودور النظام في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادى ميزاب ، وهذا يتطلب التعرف على المنطقة التي تأسس فيها هذا النظام ، وبالتالي بقاؤه عشرة قرون ، ولكني أقوم بتقويمه بعد هذه الحقبة التاريخية التي قل أن يعيشها نظام في العالــم وهذا يتطلب جهدا ليس من السهولة تغطيته ، اذن فما هو سر بقائه طيلة هذه المــدة ؟

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : 26 .

(2) سورة البقرة ، الآية : 269 .

(+) سيأتي بيانه .

وما هي بصماته على هذا المجتمع الذى ما زال محافظا عليه ،أوعلى أصوله رغم المحن والظروف ، والى أى مدى نجح في المحافظة على المجتمع الاباضي في ميزاب ؟ وصموده رغم ما اعتراه من فترات ضعف ؟ وماهي الهيئات المرتبطة به والتي تدعمه ؟ وماذا حقق من نتائج ؟ ومدى مساهمته في الحضارة العربية الاسلامية التي ساهمت فيها الجزائر بنصيب فعال منها " نظام العزابة " فيحق لها أن تفتخر باعتزاز ، وتعمل على تدعيمه .

تعتبر هذه المحاولة المتواضعة مساهمة مني للمشاركة في وضع لبنة في صرح حضارتنا العربية الاسلامية ، واثارة مناقشات بناءة في موضوع لاستجلاء الغامض فتنبهني الى مدى قصورى وتقصيرى فيه ، فعلى أبناء المسلمين عامة وأبناء المغرب العربي خاصة ولاسيما الجزائريين ، والميزابيين بصفة أخص أن يطلعوا عليه ويبحثوا فيه بنزاهة ، وتقديم ملاحظاتهم عنه واثرائه ، فهل هم أولى بذلك أم غيرهم من المستشرقين الذين قدموا بحوثا مختلفة عنه تحتاج الى فحص وتمحيص واستنتاجات .

يتناول هذا الموضوع حقبة من أهم الحقب التاريخية في المغرب الاوسط خاصة ، والمغرب العربي عامة بل الاسلامي أكثر لفعاليته ، ولما له من تأثير في أوساطه ومجريات أحداثه .

فدراسة موضوع " العزابة " يكشف بدوره كثيرا من اللبس، ويصحح كثيرا من الاخطاء لأنني أعرضه على حقيقته حسب اجتهادى ومعرفتي ، والله من وراء القصد لتبليغ الأمانة .

لهذا الموضوع أهمية في اثراء الحياة الثقافية والاجتماعية ، والاقتصادية ،والفكرية بمفاهيم تتماشى مع كل الحقب التي عاشها حسب امكانياته لحد الآن لهذا ارتأيت أن أستقصي قدر الامكان دور هذا النظام في تلك الميادين التي أثر فيها تأثيرا فعالا لأنه حسب ما توصلت اليه يستمد أصوله وقواعده وأحكامه وأساليبه من الدين الاسلامي ، ويراعي تطبيق القواعد الأصولية للمذهب الاباضي ، وأساليب معاملته لأتباعه وخصومه معتمدا على قاعدة " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " وأسلوب الدعوة الى الله بالتي هي أحسن " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين "(1) وموقفه أزاء العصاة من اعلان " البراءة " وأمام المخالفين للأعراف ، والجماعة هو اعلان " الخطة " (+)

انتهجت في هذا البحث المنهج التحليلي الثقافي والاجتماعي ، واعتمدت على دراسة ميدانية في عين المكان ولو أنها تتطلب وقتا وجهودا وامكانيات كبيرة ، وقد راعيت شروطها الموضوعية قدر الامكان .

ان كانت بعض البحوث تطل على المنطقة لدراستها من خارجها أومن البعد بواسطة المصادر والمراجع فان ميزة هذه الدراسة نابعة من داخلها فقد عشت ظواهرها

---

(1) سورة النحل ، الاية : 125 .

(+) سيأتي معنى " البراءة " ومعنى " الخطة " ويتلخص في مقاطعة العنصر من قبل أفراد المجتمع ، أى هجرانه .

وآثارها منذ صباى ، كما تمتاز لكونها في ربوع الوطن الجزائرى وبتكاملها مع كل أجهزتها وتفاعلها معها .

اتبعت قدر الاستطاعة المنهج التحليلي للتاريخ فرصدت بعض الاحداث التاريخية ، والاوضاع الاجتماعية ، وحللتها تحليلا موضوعيا لمعرفة أسبابها ، وحاولت تحديد نتائجها ، واستخلاص العبر منها ، كما حاولت قدر الاستطاعة دعم تنظيمات العزابة وقراراتهم على سند من القرآن والسنة لأنها نابعة منهما . وناقشت كل ما رأيته يستحق ذلك ليتضح جليا ، وحاولت اجراء المقارنات كلما تطلب ذلك ، ثم الوصول الى الاستنتاجات الملائمة ، كما استفدت من النتائج التي حققها الباحثون قبلي .

هناك جوانب كثيرة أعرضت عنها مع أهميتها خشية الاطالة ، كما تمنيت أن أزيد استجلاء كثير من الجوانب الغامضة ، ولكن لم أوفق لظروف العمل الوظيفي كما تمنيت أن أجرى مقارنات مع نظام العزابة في المناطق التي كان فيها سابقا ولكن دون ذلك صعوبات ومشاكل التنقلات رغم ذلك قمت بزيارة الى جزيرة " جربة " التقيت فيها بعالمها الشيخ سالم بن يعقوب ، والدكتور فرحات الجعبيرى ، والأستاذ الصادق ابن مرزوق ، وذلك في شهر أوت 1981م استفدت منهم ما أمكن في سويعات قليلة نظرا للظروف ، فتبين لي منهم ومن مشاهداتي وزيارتي للمساجد أن نظام العزابة في جربة قد انقرض وذلك لأسباب كثيرة أهمها فضائح (" درغوث " الذى تتلمذ كثيرا معظمهم من العلماء (1)) وقبلها عانى العزابة وسكان الجزيرة من جراء تعديهم لهجمات الاسبان ، ثم أكمل الاستعمار الفرنسي ما تبقى في عهد الحماية وما صحبه من غزو ثقافي . وتبين لي حسب ما يبدو أن لعنصر دور الجزيرة المبعثرة وبعدها عن المسجد أثر في انقراض نظام العزابة ، وعكس ذلك تشابك دور قرى ميزاب ، وتوسط المسجد فيها أثر في بقاء نظام العزابة .

لم أتمكن من القيام برحلة الى " ليبيا " وبالذات منطقة " جبل نفوسة " لاجراء دراسة ميدانية عن " نظام العزابة ... " نظرا للظروف عائقا ! وهو ... بدوره قد انقرض .

تمنيت اجراء مقارنة بين نظام العزابة وما لدى " الطرقية " من نظام في مساجدنا ، وأوضاع زطلبتها الخ . ولكن خشيت الاستطراد ، وهذا بدوره يتطلب شروطا موضوعية .

ومع كل هذا فانني أعترف بالتقصير عموما وفي الفصل الخامس خصوصا لأهميته وحيويته اذ بني هذا النظام اساسا على الحياة العلمية والثقافية ، وتطوير الحلقات فتبين لي أنه أقل حظا من فصل " دور العزابة في الحياة الاجتماعية " أتمنى أن تتاح لي فرصة دراسته في المستقبل ان شاء الله ، فلولا سبق وضعه في تحديد مشكلة البحث لما تناولته فهو غني كل الغنى في فترة بداية النظام ، وبعد القرن التاسع الهجرى عهد مجيء الشيخ عمي سعيد الى " وادي ميزاب " ثم عصر النهضة الحديثة في القرن الثاني عشر الهجرى بعد أن سبقتها فترة من الجمود .

---

(1) علي يحي معمر (ت 1980م) الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة (في تونس) ص 3.. ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ، سالم بن يعقوب : حديث شخصي .

حاولت الوقوف على المجهودات والتيارات التي لها دورها الفعال في الحياة الاجتماعية والثقافية ، فمن خلال مضامين البحث نتعرف على اتجاه الموضوع وعدالته ، وتسلسله ، فتتم بذلك الصورة الواضحة عنه .

والهدف من كل ذلك هو معرفة هذا النظام وأجهزته وهيئاته والتي ترتبط بها ، واظهاره كتجربة رائدة حققت وجودها في الميدان بفضل دقة التنظيم واخلاص رجالها وتضحياتهم .

أسباب اختيار الموضوع :

استرعى انتباهي منذ صباي وجود هذا النظام دون معرفة تامة لقوانينه فتحرك في نفسي حب معرفة ذلك ، وكشف أصوله ومناهجه ، وهذا من متطلبات من يهتم بالنظم الاجتماعية والدراسات الاسلامية ، والوقوف على مدى تطبيق أحكام الشرع الحنيف وتجاوبها مع الفطرة الانسانية ، وبالتالي مدى فعالية الدين الاسلامي في تغذية الفطرة ، والمحافظة على تماسك المجتمع الاباضي المتكافل .

البحث عن سر استمرار نظام العزابة في "وادي ميزاب" عشرة قرون كاملة رغم ما جابهه من تحديات وصعوبات ، في حين اندثر في كثير من المناطق التي قام فيها . ولا يغطي هذا البحث تلك الفترة كلها وانما يرتكز على المرحلة الأولى .

محاولة التعرف على شخصية واضع نظام العزابة الذي عرف كيف يضع قوانينه ليعيش المدى الطويل .

ان ندرة البحث المنهجي في موضوع العزابة كان من أهم أسباب اختياري له ، فحاولت البحث فيه بطريقة منهجية علمية حسب الاستطاعة ما دمت قد حظيت بأستاذي المشرف الدكتور موسى لقبال الذي ما انفك يقدم لي النصائح والتوجيهات السديدة ، ويحرص على أن يخرج هذا البحث على ما يجب أن يكون عليه من اكتشاف ما تفتخر به الجزائر الفتية في مجال الدراسات التاريخية ، والبحوث العلمية ، لما يحويه تاريخها من مجاهدين أبطال ، وجنود مخلصين مجهولين ساهموا باخلاصهم وتفانيهم في انجاح هذا النظام دون مقابل الا الجزاء الأوفى عند الله ، فشاركوا في بناء الحضارة العربية الاسلامية وانعاشها ، فبات من الضروري على الاجيال الحاضرة الاهتمام بذلك وكشفه ، والوقوف على أسراره والاقتناع التام به ، وفهمه ، والا انطمست المعالم ، وعم الجهل ، وبالتالي محاربة القيم لأن الانسان عدو لما جهل .

بات من الضروري التطلع الى ما يكتبه أعداء المسلمين عن الاسلام ونظمه وأوضاعه ، وخاصة ما كتبوه عن "نظام العزابة" وكشف غثه من سمينه ، أو ما هو من الطعن والتضليل والمغالطات ، وما هو موضوعي وعلمي نزيه للاستفادة وزيادة المعرفة والرد على ما يستحق الرد بالحجة . وفي نفس الوقت لفت انتباهي ما تقوم به المدرسة البولونية[1] ، وما قام به روادها للاستفادة من بحوثهم وما توصلوا اليه من النتائج لتمييز الحق من الباطل وكشفه ، فقد كتب رجالها المقالات والبحوث والرسائل ،

---

(1) أنظر : اسماوي صالح : المدرسة البولونية وأثرها في الدراسات الاباضية ورقة 17 ـ 18 ، (حجم 21 × 31) ، الاوراق 128 ، سنة 1978 م .

ونشروا نتائجهم في مقالات بدائرة المعارف الاسلامية ، والدوريات ، وأصدروا النشرات ، وعالجوا موضوعات الاباضية ورجالاتها وحلقة نظام العزابة الخ . . . أساسها : النصوص التاريخية المغربية المتمثلة في الوثائق ، والمخطوطات والمؤلفات حتى أضحت " كل كتابة لا تعتمد على النصوص التاريخية المغربية ، أو ما كتبه المغاربة أنفسهم تعد لغوا وهراء " (1) عندهم ، فلا نستغني عما جمعته هذه المدرسة البولونيـــة وتحاليلها، فهي مادة خصبة تعين الباحث في هذا الميدان ويستفيد من أشهر كتابها " موتيلانسكي ، سيجيسموند سموجورزيفسكي ، طادوزلويكي " أما المدرسة الفرنسيـــة بفروعها المختلفة فقد قامت بجمع المعلومات وترجمة بعض الكتب الخاصة بالسلف مثل : " ماسكراي " * الذى كتب حول سير أبي زكريا فأضحى من أهم الرواد في هذا المجال ، ولكن ترجمته لم تبلغ مستوى راقيا ، بل هي رديئة جدا كما يصفها " ... " (2)

ان مما استرعى انتباهي تلك المحاولات التي قام بها كتاب ومؤلفون اباضيون في المغرب الاسلامي ، وخاصة المحدثون منهم فجمعوا ما أمكن جمعه، وقيدوا بعض المعلومات ودونوا ما استطاعوا تدوينه ، ومنهم من يلقي المحاضرات ، ويتصدر الندوات، ولاسيما في المناسبات ، فكان منهم من صار مرجعا في التاريخ الاباضي عامة والميزابي منه خاصة ، فأضحى مقصد كل زائر أو باحث ، أو معد للدراسات الجامعية في مختلف المستويات سواء في داخل الوطن أو خارجه، فصار ما يدونه يعتبر مادة أساسية في الدراسات والاطروحات، ومن أشهر هؤلاء في الفترة الاخيرة : أطفيش (ابو اسحاق) ، بيوض ابراهيم بن عمر ، متياز ابراهيم ، بكلي عبد الرحمن ، ابن يوسف سليمان ، دبوز محمد علي ، الحاج أيوب ابراهيم ((القرادى) ، طلاى ابراهيم وغيرهم كثير . هذا فضلا عمن ترك كتبا مطبوعة مثل : علي ... معمر ، دبوز محمد علي ، عيسى ... محمد . فمنهجية هؤلاء هي الدراسة الميدانية . أما من حيث المنهجية العلمية الحديثة فهي غير بعيدة عموما ولكن تنقصها الهوامش والاحالات ، وهؤلاء بدورهم يحرضون الطلاب على اجراء دراسات منهجية علمية لأنهم عصاميون وجدت نفسي لأنني معني بهذا مع الرغبة الملحة ، فحاولت اقتحام هذا الميدان لأكسب فيه تجربة بحيث لا آلو جهدا للاستفادة ، فمن لا يعمل لا يظهر خطؤه ، ومن يعمل يخطئ .

الصعوبات التي واجهتني :

ا ... كثيرة في مقدمتها : عدم تمكني من التفرغ للبحث نظرا لظروف مهنـــة التدريس، وعدم التمتع بجو ملائم لكتابة البحث ، قلة المصادر الرئيسية لموضوع البحث

---

(1) فتنار ابراهيم (معاصر) : البولونيون وتاريخ المغرب الوسيط ، بحث نشر بمجلة " الأصالة" عدد 14 ـ 15 ، ص 45 ، السنة الثالثة (1393 هـ / 1973 م) .

(+) ولد سنة 1843 م ومات 1894 م ، فرنسي الأصل ، عاش في الجزائر ، اختص بالبحث في تاريخ شمالي افريقية حسب ما يبدو من بحوثه ، ونشراته وكتبه ، أصبح مدير مدرسة الآداب العليا بالجزائر ، فقد تحولت فيما بعد الى كلية الآداب سنة 1881 م . من آثاره ترجمة كتاب بني ميزاب في جزائر الجنوب (الجزائر سنة 1878 م) التقاليد الشعبية (الجزائر 1879 م) نشر عدة دراسات عن لهجات البربر والطوارق . . . أنظر : العقيقي نجيب (معاصر) المستشرقون ج 1 ، ص 205 ، ط 3 ، دار المعارف ، مصر ، 1964 .

2 _ REVUE DES ETUDES ISLAMIQUE 1934. P,P: 59 -74 .

وانحصار الرئيسية منها في كتب نادرة وقديمة جدا ، لولا طبع كتاب الطبقات ، وسير الأئمة لتعذر علي الحصول عليهما ، كما تعذر نسير الوسياني ، والرسالة الشافية ، وتعذر علي الحصول على الجواهر ، والسير للشماخي ، أما سير الوسياني فبصعوبة ، وبعد وقت طويل حصلت على جزء واحد ، وفي المدة الأخيرة حصلت على الجزء الآخر ، كما أصبت بخيبة الأمل عند من كنت أظن أنه يجيب على أسئلتي تلقيت رسالتي اعتذار ، وتمكنت من مواصلة المراسلة مع الشيخ بكلي عبد الرحمن ، والشيخ الحاج أيوب ، وجوابا من الحاج حمو سعيد ، وبعض رسائل اعتذار ...

وجدت صعوبة في الحصول على المصادر الأصلية من المكتبة الوطنية ، والجامعية ، وتمكنت من تصوير بعض المواضيع من دائرة المعارف الاسلامية من مكتبة الجامعة المركزية بالعاصمة مثل: "الحلقة" الاباضية " "غرداية" وغيرها .

واصطدمت بصعوبة اقتناء الوثائق الخاصة بموضوع البحث ، فضلا عن صعوبة البحث عنها كالمراسلات والأسفار ، أضناني البحث عن الوثائق الخاصة بالعزابة وقراراتهم في أي موضوع يمس الجوانب الاجتماعية والثقافية ، عثرت في الصدف لدى وكيل المسجد العتيق على كراسين سجل فيهما أوقافه ، كما عثرت على بعض الوثائق لدى شيخ مجلس أبي سالم بالعطف ، وتمكنت من العثور على بعض الوثائق لدى شيخ مجلس عزابة القرارة ، ولكن معظمها أو كلها قريبة العهد تمت بصلة الى القرنين الأخيرين ، كما عثرت على وثائق محدودة من مدينة مليكة ، ولكنها أيضا قريبة العهد ، لم أعثر على الوثائق القديمة للعصر الوسيط ، وأقدمها ما وجدته في كتاب: L.MILLIOT ترجع الى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) (807هـ/ 1405م) " اتفاق مجلس أبي عبد الرحمن الكرثي " (+).

ان المشكلة العويصة بصفة عامة في هذه الوثائق هي، وجود أغلاط نحوية وصرفية مع رداءة الخط خصوصا المصورة منها (++) ، ودقته المتناهية في الصور في كتاب (L.MILLIOT) لكنها نظيفة وواضحة ، ولكن قراءتها من المصور صعبة جدا ، فكم من وقت ضيعته لكشف حروفها وتصحيحها ، وأخيرا عدلت عن معظمها ، يمكن أن تكون بحثا خاصا وأحيانا أجد وثيقة بعد قطع المسافات الطويلة ولكن يتعذر علي استعارتها، أو تصويرها .

صعوبة الاطلاع على سجلات (" عمي سعيد " في محكمة غرداية بقسم التوثيق، فرغم الشروط القانونية والايفاء بها سنة 1983— 84 ، فان ذلك لم يجد نفعا، اذ طلب مني رئيس قسم التوثيق بضرورة الحصول على رخصة من وزارة العدل ، فأتيته بها فاعتذر بأن العمال غير متوفرين للقيام بعملية تنظيم الوثائق، وتبرعت

(+) الشيخ عبد الرحمن الكرثي من علماء ميزاب ، عاصر الشيخ أبا عمار عبد الكافي له مراسلات معه أورد ما الدرجيني : أنظر طبقات ... 2/ 488— 9 .
وهما من الطبقة الثانية عشرة ، الخمسين الثانية من القرن السادس (550— 600هـ) يجتمع شيوخ عزابة قرى ميزاب في روضته .

(++) قمت بتصوير وثائق كتاب (L.MILLIOT) في مكتبة الجامعة المركزية بالعاصمة لحظر الاستعارة الخارجية ، ولما أنهيت البحث عثرت عليه في مكتبة النهضة بالعطف ، أما الوثائق التي عثرت عليها في القرارة فقد صورها لي الشيخ ابن الشيخ محمد ابن بابة لدى أحد المحسنين جزاهم الله خيرا .

لتنظيمها فأبى ، وطلبت سجلا واحدا من بين أحد عشر سجلا ، فامتنع ، فعرفت أن وراء ذلك قصدا ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فذهبت كل مجهوداتي وأوقاتي أدراج الرياح فاحتسبت أجرها عند الله تعالى .

يبدو أن معظم الوثائق التي عثرت عليها تنحصر في فترات ضعف نظام "العزابة" بميزاب ، أو فترات انتشار الجهل مما يدل واقعها على ذلك ، أو أن الذين كتبوها ليسوا بعلماء ، وقد ناقشت هذا الموضوع مع الشيخ عبد الرحمان فعلل ذلك لعدم التمكن الشديد في النحو والصرف في المستوى المطلوب لأن اللغة العربية لم تكن منتشرة انتشارها اليوم ، وأن التمكن في البربرية أقوى وأعم ، وكان الاعتناء والاهتمام بالفقه ومعرفة الحلال والحرام ، وعقيدة التوحيد أكثر . ويعتبرون أخذ نصيب من اللغة العربية كافيا لقراءة كتبها ثم التبحر فيها لمن يريد .

صعوبة أخرى تتمثل في نقصان بعض الأوراق من كتب أخرى (+) ولا سيما في المظان التي أبحث عنها ، أو التي تمس موضوع البحث في الصميم .

صعوبة التحقق من أسماء الأعلام التي ترد أحيانا في الوثائق فهي بالنسبة الينا غير معلومة ، ولكنها معروفة في عهدها ، وحتى التي تقرب الى عهدنا الآن ، ونفس الشئ بالنسبة الى تراجم العلماء في كتب السير ، فالبعض منها أغمط حقها في عدم التعريف بها ، وكأن تعريفها هو مجرد ذكرها ، وهذا غير كاف ، ويعتبر نقصا من جهة أخرى .

ان الدراسة المنهجية الوحيدة في نظام العزابة من قبل اباضي وهبي هو كتاب " نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة "لفرحات الجعبيري ، فلما علمت بالكتاب قبل أن أراه قررت التخلي عن الكتابة في موضوع العزابة مادام قد ظهر ، ولكن أستاذي المشرف الدكتور موسى لقبال شجعني بالمضي في العمل رغم وجود كتاب الجعبيري فبدد يأسي ، وأقنعني أن ذلك لا يتعارض لأنه في جربة وهذا في الجزائر مع الاختلاف في العناوين شعرت رغم ذلك أن واضع النظام واحد ، وأسسه واحدة اذ ربما يكون هناك تكرار فبدد تخوفاتي ، وشجعني على المضي في البحث قدما ، واليه الفضل والشكر في انجاز الموضوع ، وكذلك تشجيعات الشيخ بيوض وبكلي والحاج أيوب . . .

مضامين البحث :

حاولت الدخول الى الموضوع بالتمهيد له بالتعريف عن موقع أو منطقة شبكة وادي " ميزاب " وتسميتها ب " بادية بني مصعب " وأشرت الى المذهب الاباضي وبعض أئمته ، وفترة ظهوره في المغرب بايجاز كبير ، وما دام موضوع العزابة له ارتباط بأحد مسالك الدين أشرت اليه ليتضح تطور الكتمان الى ظهور نظام العزابة ، اشتمل البحث على خمسة فصول .

(+) كتاب : LE M'ZAB ET LES M'ZABITES .A MAT CHARLES, CHALLAMEL PARIS 1888
فهي ظاهرة وجدتها في بعض كتب المكتبة الوطنية والجامعية المركزية بعاصمة الجزائر التي تتناول مواضيع الاباضية .

الفصـــل الأول :

شمل استعراضا وجيزا للوضع العام في المغرب الاسلامي خلال القرن الرابع والخامس الهجريين لمعرفة المناخ الذى ظهر فيه " نظام العزابة "، وناقشب مدلول معنى " العزابة " لغة واصطلاحا . وكذا " الحلقة "، وشرحت مفهوم " السير" التي لها ارتباط بالعزابة ، وارتباط تنظيم التعليم بالعزابة . وشمل الفصل محورا ثانيا وهو دراسة شخصية أبي عبد الله محمد بن بكر واضع نظام العزابة، وأسباب وطريقة وضعه له ، ومكان ذلك ، وأسباب ارتياده " بادية بني مصعب "، ونشر نظامه فيها .

الفصل الـــثــــاني :

يشمل " التركيب الهيكلي لهيئة العزابة " في المجتمع الاباضي بالنسبة لتنظيمات أبي عبد الله . ناقشت فيه معنى " الطلبة " وأصنافهم و" العوام " وأصنافهم ، وقارنت بين الصنفين ، وبالتالي مسألة السياسة والحكم، أو العلاقة بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، وتطورها في أروبا والعالم الاسلامي ، وشمل محور العزابة كيفية اختيار العضو ، والشروط الموضوعة لذلك ، وواجبات العضو ، وعلى رأس الهيكل الهرمي لهيئة العزابة " الشيخ "، أشرت الى شروط اختياره وكيفية تنصيبه ، ومهامه ومسؤولياته ، ثم عناصر أخرى في التركيب الهيكلي ، وشروط اختيارها، ومهام كل عضو، وما وضعه أبو عبد الله من شروط للباس العزابي ، وأخيرا مقر العزابة .

الفصل الثالث :

شمل " الهيئات ذات الارتباط بنظام العزابة في وادى ميزاب "، أولها هيئة " إِرْوَانْ "، ناقشت مدلول الكلمة وهم " طلبة فنون العلم والأدب " وبينت الشروط والمؤهلات التي تخول للعضو اللحاق بهذا الصنف الذى يصعد من هيئة المحاضر، ومنزلة كل منهما، ومهام " اروان "، وهذان الصنفان يشملهما برنامج خاص للتربية والتعليم ، وشمل البرنامج " القصر " أو المتخلفين بحيث لا يهملون ، وناقشت في هذا الفصل " هيئة امصوردان " بعد مناقشة مدلول التسمية ، ناقشت تاريخ ظهورها ، وشروط العضوية ، ونوعية ارتباط الهيئة بالعزابة ومهامها ، رابعا " الغاسلات " التي هي عبارة عن هيئة العزابات، فنظام أبي عبد الله لم يهمل العنصر النسوى ولهن شروط معينة، ومهام خاصة ، وبينت نوع العلاقة بينها والعزابة ، وبعض مواقفهن. بين الفصل أن هناك جهازا أعلى يشمل كل هيئات عزابة القصور ينعت بـ " مجلس العزابة الأعلى "، يختص بمهام عامة، ينتخب له شيخ تشترط فيه شروط معينة ومؤهلات، وحددت بعض مهامه ، فهو يستحق افراد بحث خاص، وهو ينعقد في روضة الشيخ أبي عبد الرحمن الكرثي ، أو " أبي مهدى عيسى بن اسماعيل " أو " عمي سعيد " . وبينت مهامه وأعماله ، وما تعرض له في عهد الاستعمار ليضع له نهاية ، فقد ظهر من جديد غداة استقلال الجزائر ، وهي حقب بعيدة عن فترة ظهوره، ولكن اقتضت ضرورة البحث مجرد الاشارة اليها، فقط لأنه موضوع يستحق الافراد .

شمل الفصل محورا ثانيا وهم العوام وعلى رأسهم : العشيرة،ناقشت مدلول التسمية وما تشمله العشيرة ، والسهام التي تقوم بها ، وما كان عليه التجمعات المعبر عنها بالصفوف ، وما تقوم به ، وجهود العلماء والعزابة للحد من تصرفاتها . وبينت تركيب " مجلس العوام " ومهامه ، وعلاقته بالعزابة ،ثم التطورات التي آل اليه صنف العوام بظهور الاستعمار، وتعيين منصب القائد وما يقوم به لمعارضة نفوذ العزابة ،أما الهيئة الرابعة في هذا المحور فهم " المكاريس " ، بينت مدلول الكلمة ، ونظم المكاريس ومهامهم ، ونوع ارتباطهم بالعزابة والأمناء ، ودورهم في المجتمع .

الفصل الرابع :

يشمل المهام التي ينجزها العزابة وما يقومون به من دور في الحياة الاجتماعية ، وهي ذات جوانب كثيرة ، أو هي الميدان العملي لمهام العزابة حيث يظهر دورهم التطبيقي وأثر نظامهم في الحياة الاجتماعية ، وخاصة مراعاتهم للمرأة لأنها مربية الأجيال ، فراعوا حقوقها الشرعية وصيانتها حتى يصلح المجتمع ، بينت رعاية العزابة واشرافهم على الأعراس وتنظيمها ، وكذا الأتراح أو تجهيز الميت ، وتنظيم " الزيارة " بعد أن بينت مدلولها . ورعاية " الاختتان ، والذبائح ، وتنظيم قطائع رعي المواشي للمدينة ، وتنظيمهم للسوق ، واستغلال مياه الأمطار والسيول، ورعاية قوانينها وقوانين بناء السدود ، ورعاية السواقي ؛ وبينت أن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم قواعدهم ، وكذلك اشهار سلاح البراءة لردع العصاة صيانة للمجتمع ، بعد أن بينت معناها مع الولاية لغة واصطلاحا وأدلتهما .

الفصل الخامس:

شمل دور العزابة في الحياة الثقافية ، بينت مدلول كلمة الثقافة وما تشمله ، وتنظيم التعليم ، وتثقيف الطائفة حتى تكون واعية لدينها ودنياها ، فكان الاهتمام بالتأليف ، وابتكار التأليف الجماعي وهي طريقة " الموسوعات العلمية " ، وأشرت الى بعضها ، وما واظب عليه العزابة من الأدعية ، والأوراد ، وخاصة ما يعبرون عنه بدعاء " السلام " وسندهم فيه ، والغاية منه . ا

نقد المصادر:

يعتمد هذا الموضوع أساسا على الدراسة الميدانية ، واللقاءات مع شيوخ العزابة بوادي ميزاب خاصة ، وعلى الوثائق والمخطوطات الخاصة به ، وعلى بعض المصادر والمراجع . بحثت عن محاضر جلسات العزابة ، ونشاطاتهم ، وخاصة فترة العصور الوسطى فلم أعثر عليها اطلاقا ، فكانت أكثرية الأجوبة من طرف المشايخ واحدة تقريبا ، وهي أن العزابة لا يسجلون المحاضر وقتها ، بل يستوعبون ما يقولون فيعملون ، وأن الحياة كانت بسيطة ، أما المحاضر المضبوطة فهي محاضر جلسات مجلس " عمي سعيد " أو قبله مجلس " أبي مهدي " و " مجلس أبي عبد الرحمن الكرثي " ، لأن معظمها في الأحكام ، أو القضايا العلمية ، أو الاجماع على رأي ، أو اصدار فتوى ، أو اتخاذ قرارات الخ ...

لتوضيح مدى أهمية المصادر والمراجع والوثائق التي استنطقتها في اثراء هذا البحث وحل مشكلاته أرتأيت تصنيفها الى مصادر اباضية مع الملاحظة أنها

هي الأصل مع المراجع والوثائق الخاصة للاباضية التي وجدت فيها الضالة المنشودة ، ومادة الموضوع مع ندرتها ، أما غيرها فلا تتحدث عنها الا نادرا أو عرضا باستثناء المدرسة البولونية التي أولت لها أهتماما خاصا اذ أوجدت لها كرسيا في جامعة " كراكونيا ".(+) واهتم بها بعض الكتاب الفرنسيين ، وحتى ابن خلدون نفسه لا يشير اليها .

ذيلت البحث بخاتمة استعرضت فيها حصيلة الفصول الخمسة وما توصلت اليه من الاستنتاجات تعتبر خلاصة البحث . وما استفدته من الجهد المبذول فتبين لي أن واضع نظام العزابة ومن طبقوه بعده لا يطمحون الى السلطة ولا معارضة السياسات القائمة ، وانما هم عون لكل من ينشد النظام ويحارب الآفات الاجتماعية واعتمدوا على نشر العلم وتثقيف أبناء الطائفة ومن يجاورونهم واعتمدوا كذلك على تطبيق مبدأ الولاية والبراءة فكان من أهم أسباب التكافل الاجتماعي والقضاء على الآفات الاجتماعية والانحرافات .(**)

المصادر الاباضيـــة :

يعتبر كتاب " شرائع الدين " لمؤلفه لواب بن سلام بن عمر بن نمطنين اللواتي من أقدم الكتب الاباضية المخطوطة تأليفا بالنسبة الى ما بقي من الكتب ، كان جده عمر عاملا للامام عبد الوهاب الرستمي على سرت سنة (171 ــ 211 هـ) وعاش ابن سلام في آخر القرن الثالث الهجري (1) ، هو من " توزر " بجنوب تونس حيث يمضي فيه وقته ، وقد التقى مع " أبي صالح " قبل سنة (240 هـ / 854 ــ 55 م) (2) كما التقى بالشيخ "سليمان بن زرقون" (3) . قال عنه الشماخي (4) : امام وداعية الى معالم الاسلام المنبه على مشاعر الحلال والحرام ، لواب بن سلام أوتي الحكمة صغيرا فدام على منهاجها الى أن صار كبيرا . . . تعلم العلم من أبي كبة من أهل تنكنيس . . . وهو أحد الأئمة العشرة أورده أبو يعقوب في كتابه " الدليل لأهل العقول . . . " ان مصادر " لواب " شفوية حسب ما يذكر ، وهذا في معظمها ، ولم يذكر المصادر التي اعتمدها ولا المؤلفين الذين استفاد منهم ، والكتاب ثمين ومفيد وغني بأسماء العلماء والولاة ، والشخصيات ، فهو كتاب عقائد ، وفقه ، قال عنه الشماخي (5)

(*) بالجنوب الشرقي من " بولونيا " وتجاورها مدينة " بافلوف " في غرب الاتحاد السوفياتي من حدودها ، توجد فيهما وثائق الاباضية .

(1) مرموري ناصر (معاصر) حديث شخصي . لواب بن سلام : (ت ق 3هـ/ ق9م) شرائع الدين " مخ " ورقة 1 ، حجم كراس عادي (5، 16 X21) ورقة 51 . تقييدات في آخر المخطوط نسخة مرموري ناصر من نسخة للشيخ سالم بن يعقوب عالم جربة حاليا ، والكتاب طبع لأول مرة من طرف مستشرق الماني سنة 1985 ، أشرك سالم بن يعقوب في اصدار الكتاب الذي استعاره منه ولكن بدون اذن منه .

LEWICKI TADEUZ : ETUDES IBADITES

(3) لواب بن سلام : شرائع . . . ورقة 46 .

(4) كتاب السير ، ص ص 244 ــ 45 .

(5) السير ، ص 142 .

(**) هذه الفقرة من " ذيلت البحث . . . حتى " والقضاء على الآفات الاجتماعية والانحرافات مقحمة هنا ، ومكانها بعد الفصل الخامس " من الصفحة السابقة .

" ... يقدم أخبارا مدققة حول أصول الاسلام في جبل نفوسة "، يورد تراجم الشخصيات وتاريخ الاباضية، ويورد مسالك الدين، والمؤلفات، استفدت منه في مواضع أصول الدين، ومسالك الدين، فهو كتاب نفيس فيما يحويه من معلومات قيمة، ومصدر مهم للمؤرخين، والفقهاء، والكتاب ألفه ابن سلام قبل ظهور نظام العزابة، ولذلك كانت استفادتي منه محدودة جدا.

اعتمدت "كتاب سير الأئمة وأخبارهم" لمؤلفه أبي زكريا يحي بن أبي بكر الوارجلاني الذى توفي سنة (471هـ/ 1078م) وهو أقرب عهـد لمؤسس نظام العزابة، فكانت معلوماته أساسية في الموضوع، رغم أنها غير كاملة ولا مفصلة حول نظام العزابة، لكنها متجاوبة مع عنوان الكتاب حيث استفدت منه كثيرا حول شخصية الامام أبي عبد الله، وشيوخه، وتعلمه، والتقاء النخبة به، وحوارها معه، وقعوده للحلقة، وتنقلاته، وجوانب من شخصيته وكراماته الخ ... واستفدت من الكتاب معلومات حول الأوضاع السائدة لتأسيس النظام، فالكتاب عمدة لمن جاء بعده، اعتمد عليه الوسياني والدرجيني والبرادى والشماخي. يستفيد المطلع على كتاب أبي زكريا عن تاريخ الاباضية. أساس رواياته استمدها من مصادر شفوية من أهمها أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المعاصر لأبي زكريا [1]، وقد توفيا معا في نفس السنة (471هـ/ 1078م) [+]. بقي كتاب أبي زكريا مخطوطا الى سنة 1878م لما ترجمه "ماسكراى" (Masqueray) الى الفرنسية بعنوان "تاريخ أبي زكريا" لكنها رديئة [2]. حسب ما قاله اسماعيل العربي الذى حقق المخطوط ووضع له هوامش كثيرة. كما ترجم قسطا منه "روجر لوتورنو" في المجلة الافريقية [++] سنة 1961م. وترجم قسطا منه الى الفرنسية الاستاذ تزقضين حسب ما أخبرني به الشيخ الحاج أيوب ابراهيم (الفرادى).

أما أبو الربيع سليمان بن علي بن يخلف المزاتي جد أبي العباس [3]، وتلميذ أبي عبد الله محمد بن بكر [4]. فقد ترك تآليف [5]، وكتاب "السير فـي العقائد، ولم يشر الى نظام العزابة، وهو ضمن مجموعة كتب اباضية [+++].

---

(1) أنظر: الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت بعد 650هـ/ 1252م): كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ج 1، ص427، 449، تحقيق طلاى ابراهيم، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، بدون تاريخ.

(+) صنفهما الدرجيني ضمن الطبقة العاشرة من الخمسين الثانية (450- 500هـ)، طبقات ... 2/ 425، 448.

(2) العربي اسماعيل (معاصر) مقدمة كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحي بن أبي بكر ص 16، مطبعة زبانة، (1399هـ/ 1979م) الجزائر.

(++) عدد 105 سنة 1961.

(3) باجية صالح: (معاصر) الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى، ص202، ط 1، (1396هـ/ 1976م) دار بوسلامة، تونس.

(4) الدرجيني: طبقات ... 2/ 428.-(استنتجت ذلك من حوار بينه وبين يزيد ابن يخلف الزواغي، أنظر: علي معمر الاباضية ... 3/ 135.-

(5) البرادى أبو القاسم ابراهيم الدمرى (ت بعد 792هـ/ 1390م): الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، ط: الأزهار البارونية، القاهرة 1302هـ.

(+++) منها: رد القطب على الانكليزى الطاعن في الاسلام. وأجوبة الشيخ أبي مهدى =

واستفدت من كتاب السير لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني (+) المعروف ب" سير الوسياني " في جزئين تناول شخصية أبي عبد الله ، وذكر لمحا من سير العزابة والتراجم والعقائد وآراء فقهية،فهو ثروة لا تنبض لتلك الحقب ، وكثيرا ما يذكر رواياته، قال فيه الدرجيني (1) " أحد شيوخ الحلق الكبار ، الحافظ للسير والآثار،المروى عنه التواريخ والأخبار، لم تفته سيرة لأهل الدعوة في كل الأعصار. . . " اعتمد عليه "لويكي " مما اعتمده في " تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم بجانب اعتماده على الشماخي . وترجم الوسياني للنساء الاباضيات ، محتوى عناوينه شيقة وجذابة ، يذكر أسماء المشايخ الذين يروى عنهم، فكان منهم خاصة أبو زكريا ، وماكسن بن الخير ، أبو افلح ومعبد ابن افلح(2)، بقي الكتاب مخطوطا وحقق اسماعيل العربي الجزء الأول اطلعت عليه أخيرا تنقصه عناوين كثيرة ، من المصادر الأساسية لشخصية أبي عبد الله، ونظام حلقته وتراجم العلماء والمشايخ كتاب : طبقات المشايخ بالمغرب لمؤلفه أبي العباس أحمد ابـــن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف (توفي بعد 650هـ / 1252م) الدرجينـــي عالم اباضي ، أديب وشاعر ، ومؤرخ ، أصل عائلته من "تمجار" " بجبل نفوسة" اشتهرت بالعلم ، والتجارة ، وورثت علوم الأديان ، وفنون الآداب (3) . وجده علي بن يخلف ورع ، تقي استطاع ادخال ملك مالي الوثني الى الاسلام سنة (575هـ / 1179م) فنشره (4) ، بين قومه . دخل الدرجيني حلقة (وارجلان) عند أول بلوغه ، وذلك سنة (616 ـ 7هـ / 1219 ـ 20م) (5) فرجع بعد سنتين ، واستقر ب "توزر " سنة 633هـ / 1235م) (6)، ثم مكث مدة في جربة مبجلا بين العزابة فألف كتابه " طبقات المشايخ بالمغرب " (7) يذكر " الدرجيني " في مقدمة كتابه سبب تأليفه للطبقات أنه استجابة لمن وجبت عليه طاعته أن يجمع من سير الأسلاف ما أمكنه في تصنيف بين ، ومستخلص نقي من سير الأئمة لأبي زكريا . فصرح أنه هذب الكتاب ، وأضاف اليه ما يتطلبه ، وأتى بمصطلحات الاصحاب في البداية فشرحها ليزيل الاضطراب (8)

= عيسى بن اسماعيل، وديوان القطب ،مطبعة حجرية ،تونس، 1321هـ .

(+) صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة من الخمسين الثانية للقرن السادس الهجرى .

(1) طبقات . . . 2/ 513 .

(2) أنظر : أبا الربيع سليمان الوسياني (ت ق 6هـ / 12م) : سير الوسياني "فح "

م 2 ،ورقة 2 ،حجم (كراس عادى) 173 ورقة ،نسخة الحاج اسعيد محمد بن باحمد شيخ عزابة مسجد أبي سالم بالعطف ،ولاية غرداية ،مصورت النسخة .

(3) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 513 . ـ باجية صالح : الاباضية . . . ص 06 . ـ بكلي عبد الرحمن (ت 1406هـ/1986م) مقدمة على كتاب طبقات للدرجيني ، ج 1 ، ص / ك .

(4) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 517 ـ 18 ـ أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 10 ، هامش رقم 2 .

(5) البرادي : الجواهر . . . ص 207 .

Lewicki(Tadeuz) Encyclopédie De L'islam"HALKA"Nouvelle Edition T:3 P:99.

(6) باجية : الاباضية . . . ص 207 .

(7) باجية : الاباضية . . . ص 207 .

(8) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 3 . ـ أنظر تفاصيل أكثر تدقيق في : البرادى : الجواهر . . . ص 11 .

وأورد أسماء المشايخ ، وصنفهم الى طبقات حسب كل نصف قرن ، فأبلغها اثنتي عشرة طبقة ، أنهاها على رأس ستمائة هجرية ، فسد بذلك ثلمة مجهولة ، وأتى بأخبارهم وحوارهم ، ومسائل في العقيدة والفقه والأدب والتاريخ ، فكان الجزء الأول من الطبقات هو نقلا لأخبار سير أبي زكريا واخراجها في قالب أدبي ، أبدع في الجزء الثاني .

يروى الدرجيني روايات أحيانا لا يسندها إلى ذويها ، فيكرر عبارة "حدثني" حدثنا ، بلغني ، بلغنا ، ذكر شيخ من أصحابنا . وذكر المشايخ ، روي ، وذكروا ، قيل ، مما يحكى ، وأحيانا يسندها الى ذويها ، ويكثر الروايات عن أبي الربيع سليمان الوسياني ، وأبي عمار ، وأبيه ، وأبي عبد الله بن بهلول النفطي . ومن أهم المؤلفات التي اعتمدها الدرجيني سير أبي سفيان محبوب بن الرحيل العبدي[1] وغيرها . كتاب الطبقات عمدة هذا البحث ومحاوره ، وفصوله ، وشخصية أبي عبد الله ، وتراجم الشخصيات ، وبيان عهودها ، كتاب الطبقات غني لا يستغنى عنه ، أصبح مصدرا لكثير من الباحثين ولا سيما بعد أن حققه ابراهيم طلاي (+) الا أن تحقيقاته دون المستوى المطلوب فقد اقتصر على وضع عناوين جانبية تفيد القارئ ، وفهارس الموضوعات والأعلام ، والأماكن تحتاج الى تدقيق أكثر ، وتمنى أن يقوم المختصون بدراسة الكتاب دراسة علمية ومنهجية واجراء تحقيقات تاريخية . ومهما يكن فقد قدم خدمة لا تنكر في اخراج الكتاب الى النور مشكورا فضله .

اعتمدت كتاب " الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات للبرادى أبي القاسم محمد بن ابراهيم (ت بعد 792هـ / 1390م) فقد أورد ما قاله الدرجيني خاصة للاباضية مع بعض التعاليق المفيدة . كما أورد " السيرة المشهورة " كاملة يفصح عن سبب اقدامه على تأليف الجواهر ما غفل عنه الدرجيني في طبقاته أو تركه قصدا ، فأقدم البرادى ليكمله ، اعتمد على آثار الاباضية وغيرهم ، فهو كتاب تاريخ وتراجم ، وأخبار ، وسير ، وفقه ، وأدب ، وشعر ، وحكمة ، ولغة ، وفتوى ، وموعظة ، استفدت منه في موضوع " العزابة " تحت عنوان " ذكر لمع من سير الحلقة " .

اعتمدت كذلك على " كتاب السير " لأبي العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد ابن عبد الواحد الشماخي (2) (ت 928هـ / 1521 - 22م) (3) . ولد بجبل نفوسة (4) فهو ينحدر من أسرة مشهورة بالعلم (5) . نبغ منهم علماء كثيرون ، اعتمد الشماخي على مصادر اباضية وغيرها منهم : الربيع بن حبيب . والبغطوري ، وابن سلام ،

---

(1) الدرجيني : طبقات ... 2/ 278 - 79 . وأنظر : هامش رقم 01 .

(+) طبعه بمطبعة البعث ، قسنطينة . الجزائر ، بدون تاريخ مؤرخ لمقدمته له ب20 رمضان 1394هـ / 7 أكتوبر 1974 ، قدم له الشيخ بكلي عبد الرحمن بن عمر مقدمة في مستوى الكتاب ذات أربعة عشر صفحة .

2_ Lewicki: Etudes ... P:8 .

(3) الشماخي : السير ص 577 - أبو اليقظان ابراهيم بن عيسى (ت 1393هـ / 1973م) بيانات عن الاباضية ووادى ميزاب من الوجهة الدينية والاجتماعية والسياسية "مخ" ورقة 11 ، كراس عادى 44 ورقة ، (1370هـ / 1951م) القرارة .

(4) المنجد في اللغة والاعلام ص 391 ، ط 12 ، بيروت .

(5) علي معمر : الاباضية ... 2/ 125 .

وأبو الربيع سليمان بن يخلف ، وأبو زكريا ، والدرجيني ، وغيرهم ، ومن غير الاباضية، ابن الصغير ، المسعودى ، الرقيق القيرواني ، والبكرى ، وغيرهم . فهو أحيانا ينقل نص أبي زكريا والدرجيني بعينه ، ذكر كثيرا من العلماء والمشايخ ولكن تراجمه عنهم محدودة الا أنه سد نقصا كبيرا ، لولا هذه التراجم التي أوردها هو وأبو زكريـــا والدرجيني ومن اعتمدوا عليهم لضاع تراث نفيس عن الاباضية خاصة ، وعن الاسلام عامة ، اتخذت كتاب الشماخي مرجعي في التحقيق ، فقد ترجم للامام أبي عبد الله وشيوخه وتلامذته وأبنائه ممن أثريت بهم بحثي هذا ، وتذكر هذه المؤلفات كثيرا من الكرامات يصفها من لا يفهمها أنها أساطير وخرافات ، ولكن يجب أن نصطحب ما يعج به عصرهم وهو ما لا يهضم في هذا العصر لدى البعض نتيجة المبالغة في بعضها حسب ما يبدو ، وهو وضع لا ينفرد به الاباضية وحدهم .

أورد محمد الباروني نسب العلم ممن أخذ عنهم منذ قدومه " جبل بني مصعب " سنة احدى وستين وتسعمائة فلازم الشيخ أبا مهدى عيسى بن اسماعيل فتعلم منه " علم التوحيد وغيره ...." (1)

اعتمدت من بين المخطوطات القديمة ، والتي لها اعتبارها وأهميتها " فهرست كتاب تاريخ مشايخ وارجلان ، وأريغ ، والجريد " للبرادى أبي الفضل قاسم بن ابراهيم . تناول تراجم وسير مشايخ الاباضية ، وكراماتهم ، وجهادهم وصبرهم في نشر العلم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما تعرضوا له من اضطهاد ، استفدت منه ما يمس الموضوع ، وجهود وتنقلات أبي عبد الله محمد بن بكر ، والمسائل التي أفتى فيهـا ، استفدت من مخطوط معنون بـ" نظام حلقة العزابة من وضع الامام أبي عبد الله محمد بن بكر متنا ، ووضع الشيخ أبو عمار عبد الكافي شرحا" نسخه الشيخ أبو اليقظان في صفر (1381هـ / جويلية 1961م) دون أن يظهر المتن من الشرح ، يبدأ الحديث فيه عن العزابة من الورقة الثالثة الى نهايته ، وهو يشمل أربع عشرة صفحة ، قابلت النسخة بأخرى عنوانها " سير حلقة العزابة حسبما حكاه تلاميذ الشيخ أبي عمار" ، حقق النسخة مع أربع أخرى ، أبو القاسم عبد الحميد (+) ، بعد حذف المقدمة وذلك سنة (1399هـ/ 1978م) وكتبها على الآلة الراقنة ، وأنكر أن يكون النص للشيخ أبي عمار عبد الكافي نظرا لرداءة الخط ، وكثرة الأغلاط ، وهو أمر لا يليق للشيخ ، وانما ما جمعه ولخصه بعض البسطاء من تلاميذه ، استفدت من النسختين بالمقارنة بينهما ، واعتمدتهما اعتمادا أساسيا لأنهما تتناولان الموضوع في معظم نقاطه . وان وجد بعض جوانب النقص والاخلال مثل ما يتصل بلباس العزابة فهي مفيدة جدا . أما وثيقة " سير أهل غرداية " " مخ " فلم تعرف معنى العزابي ، ولا الحلقة لكن يتبين ذلك من شروط القبول في الحلقة ، ففيها تنبيهات وتحريضات لمناصرة المذهب الاباضي فبقاؤه رهين بتطبيق الدين ونصوصه ، وترتيبات الحلقة والا أندثرا معا ، ونصت على عقوبات لكل مخالفة حتى تصان الحلقة ويدوم استمرارها .

---

(1) الشماخي : سير ... ص 581 .- (الباروني محمد : ملحق لكتاب سير الشماخي) .
(+) معاصر وهو ناظر أوقاف الاباضية رسميا ، وعضو بارز في " مجلس عمي سعيد " .

أما " لائحة سير أهل غرداية " المثبته في الملاحق فهي مجموعة قوانيـــن داخلية من وضع الشيخ أبي القاسم بن يحي . "(انعقد عليها الاجماع تنص فصولها النظام الداخلي لترتيب الحلقة) ، استمدها من قوانين الحلقات السابقة ، اعتمدتهـا واستفدت منها في الاحالات لكل فصل لأهميتها فلا يستغني عنها الباحث .

اعتمدت مخطوطا (للقطب) : " الرسالة الشافية" حول الاباضية الوهبية وغير الوهبية ، والمذاهب الأخرى وعن رجال الوهبية وأئمتهم ، ونسب الدين ، قلد طريقة الدرجيني بأن جعل لكل قرن رجال الخمسين الأولى والثانية حتى المائة التاسعة، ذكر أنساب الأسر والعشائر لاباضية "ميزاب" ، استفدت منه خاصة عن واضع نظام العزابة أبي عبد الله ، وتلامذته ب "ميزاب" يروى كثيرا عن أحمد بن قاسم دون أن يعرفه ، وعن عبد الله بن يحي النفوسي ، تربه . وعن البكرى " وآخرين لم يذكرهم ، ترجم " الرسالة الشافية " Pierre cyperlyi Aperçus Sur L'istoire De L'ibadismeAu M'zab 1973 وضع لها تعاليق وأورد تحقيقات مهمة تنم عن تضلعه ، وتحريه ، وقدرته ، استفدت منها .

أفادني كراس " المزارات " لمؤلف مجهول في معرفة أسماء العلماء والمشايخ والعزابة والأولياء ومستجابي الدعاء ومقاماتهم التي تزار للدعاء مع بعض سيرهم وتفانيهم في الدعوة الى الله ، والأوقاف والصدقات التي توزع في مناسبات معينة فيها مع ما يقرأ في بعضها من حصص القرآن ، فضلا عن أسماء القرى ، استفدت بما يتصل بموضوع البحث حول المجاهدين من حلقة العزابة ، ولا سيما الامام أبي عبد الله محمد بن بكر . وأبي عمار ، وأبي عبد الرحمن الكرثي ، وعمي سعيد الجربي ، وابراهيم بن مناد وغيرهم الا أن المخطوط يفتقر الى بعض التوضيحات ، والمعلومات رغم استيعابه للأماكن التي تزار في وقت " الزيارة " للدعاء والصدقات ، وقراءة القرآن ، وأنواع الأدعية .

استفدت من مخطوطين حول نظام العزابة ، مؤلفهما مجهول ، تبين لي أنهما متشابهان ، وضعت للنسخة التي استعارها لي الشيخ بابانو من مكتبة بني يسجن عنوان " مسائل تتعلق بالعزابة "والأخرى " رسالة العزابة " أمضيت بعزابة مساجد " المحافظين " بقرى ميزاب استعرتها من مكتبة الحاج محمد محمد بن عمر بالعطف. وقد صورت النسختين .

بعد أن أنهيت بحثي عثرت على نسخة في " العزابة " استعرتها من الحاج اسعيد شيخ مسجد أبي سالم تشبههما الأخريان الى حد كبير فقال لي " انها سيرة الشيخ أبي عبد الله حول العزابة نسخها الشيخ ابراهيم متياز ، ولكن لم يظهر منها الأول من الثاني لاندماجهما .

قد أثرى بحثي هذا ما كتبه أبو اليقظان منها " خلاصة تاريخ الاباضية " لم يتعرض فيه الى أصل سكان ميزاب ، وانما عرف الشخصيات العلمية التي انتقلت اليه والتي ظهرت في ربوعه فصنفها الى طبقات ، يبدو أنه انتهج طريقة الدرجيني لإيصال ماكان بعد الدرجيني الى التي أوردها في طبقاته ، وسجل أخيرا الى نسب الدين بايجاز ابتداء من نفسه فشيوخه ، فأكمل بذلك نسب الدين والعلم بالنسبة للمذهب الاباضي عموما واباضية ميزاب خصوصا ، ثم صنف أمهات كتب المذهب الاباضي في مختلف العلوم ، وأورد استطرادات تاريخية مهمة حجمه من الكراس العادى ، عشرون ورقة يوجد

في مكتبة أبنائه بالقرارة (1381هـ / 1961م) وقد صورته .

ولأبي اليقظان أيضا مخطوط بعنوان" بيانات وجيزة عن الاباضية ووادى ميزاب من الوجهة الدينية والاجتماعية والسياسية"، وتناول التاريخية . استفدت منها جميعا ولا سيما عن الاباضية بميزاب ، وما مهد له جغرافيا فبينت كيف نشر أبو عبد الله نظام العزابة بميزاب ، وكيف ركز على الدعوة الاباضية للمعتزلة ، ودور المجالس الدينيـــة ، وعرقلة الاستعمار لها ، ومقاومة العزابة المستميتة ، وجهودهم وقراراتهم ، أشار المخطوط الى اتفاقات وادى ميزاب المعنونة بـ" الموانع العامة " وأشار الى نوع علاقة ميزاب بحكومة الجزائر في عصر الدايات ثم بفرنسا ، حوى ذلك في 32 ورقة ، ووضع ملحقـــا تاريخيا مهما لـ" دورونغهام ايميل ، عربه أبو الحسن تحت عنوان " الذكرى المأوية لتأسيس غرداية" نشرته جريدة النجاح في عدد : " 4181 " الصادر يوم 13 مارس 1954م فـي احدى عشرة صفحة فقد عالج أبو اليقظان عناوين مهمة الا أنه اختصرها كثيرا حسب ما دل عليه عنوان مخطوطه ، فهي مع ذلك وجيزة جدا ، تحتاج الى شرح وتعليق ، ومهما يكن فقد استفدت بما هو ضرورى منها لاثراء البحث ، استفدت من بعض ما أورده أبو اليقظان في مخطوطه " تاريخ شمال افريقيا " مما اقتبسه الجعبيرى في كتابه " نظام العزابة " لعدم امتلاكي نسخة منه بعد اطلاعي عليه ، قبل كتابة البحث .

استفدت من منشور كتبه الشيخ بيوض ابراهيم تحت عنوان " نداء وبيان الى الشعب الميزابي النبيل " ، حرره يوم 24 أفريل سنة 1946م ، ذيله بمطالب لصالح ميزاب بحقوقه المهضومة ، وصيانة نظام العزابة، ولا سيما جانب القضاء ، وبين اشراف الهيئة على مختلف جوانب الحياة في المجتمع ، وأن لشيخ العزابة رسم خاتم يوقع به المراسيم، وللشيخ بيوض مخطوط عنوانه " ملخص تاريخ ميزاب " في حجم كراس عادى ، يحوى 15 ورقة نسخه أبو اليقظان فهو ضمن مخطوطه " خلاصة تاريخ الاباضية" استفدت من حقائق ذكرها عن جغرافية ميزاب ، وقراه وكيفية نشوئها ، وعن أصل سكانها ، ومذهبهم الاباضي ، ولا سيما عن شخصية أبي عبد الله محمد بن بكر ووضعه لنظام العزابة ، ر وهياكله ، والنظام الداخلي للعشيرة ، ولكن أورد ذلك كله بايجاز كبير ، لو توسع فيه لأفادنا بمعلومات قيمة . وبعد الانتهاء من البحث عثرت على مخطوط قيم بتاريخ الجمعة 19 جمادى الثانية (1366هـ/ 10 ماى 1947م) ممضى نيابة عن اباضية ميزاب : بيوض ابراهيم بن عمر بن بابه ، الحاج امحمد عمر بن عيسى بن ابراهيم الكاتب العام ؛ باسعيد عدون بن بكير بن عدون . في تسع صفحات حجم كراس عادى . يستعرض المخطوط الحالة العامة للاباضية بميزاب ، ويقدم مطالب هامة للسلطة الفرنسية الحاكمة فهو مفيد جدا في معرفة محاربة فرنسا سلطة المسجد والضغط المستمر على نفوذ العزابة في عقبات البراءة للعصاة والمنحرفين ، وتدخلها في القضاء الشرعي ، ونظام المحاكم وأمور أخرى ادارية وسياسية ، ومواضيع أخرى كلها مهمة ومجموع أوراقه ثمانون ورقة .

من أهم ما غذى هذا البحث مخطوط نفيس ألفه " الحاج أيوب ابراهيم بن يحي " القرادى " (معاصر) لم يضع له عنوانا، فاقتبست جزءا من الفهرس وهو " الرسالة" وأضفته الى " عن العزابة " طلبت منه أن يضع له عنوانا فلم يتفرغ لذلك فألححت عليه بعد انتهائي من كتابة البحث فسماه " عادات وتقاليد في ميـــزاب " شملت مواضيع دينية واجتماعية واقتصادية فضلا عن النواحي التاريخية ولا سيما نظام العزابة ، ومهامهم

والهيئات المرتبطة بها ومهامها وأدوارها ودور المسجد ، ودور العوام وصلاحياتهم ، وحلل كثيرا من العادات والتقاليد والحياة العامة بوادي ميزاب ، مصادره شفوية من المشايخ والعزابة والمسنين بل قام بدراسة ميدانية في البيئة التي يعيش فيها ويحتك بها ، فهو اجتماعي بالطبع ، وله اطلاع واسع ودراية بكثير من الأمور ويتمتع بذاكرة قوية ، فهو أديب ومؤرخ وشاعر ، تمتاز كتاباته بالدقة والتحري والاستنتاجات ، فهو مصدري ومرجعي كتابة وشفويا أيضا جزاه الله ، قمت بدراسة ميدانية في عين المكان ، معظمها في مدينة " العطف " مسقط رأسي حيث الاحتكاك بواقعه الملموس لكن ركزت البحث عن فترة دور التأسيس في حدود العصر الوسيط الا ماأمكن الاشارة اليه حاليا اذا كان يشابهه عموما ، أو كنتيجة ملموسة .

وراسلت كذلك المشايخ والعلماء ولا سيما من في حلقة العزابة ، منهم من أجاب وأجاد وأفاد ، ومنهم من صد وسكت ، فكانت مراسلتي منتظمة مع الشيخ بكلي عبد الرحمن والشيخ الحاج أيوب ، ومنهم من أجاب مرة واحدة مثل امام مسجد غرداية الحاج حمو واسعيد ، والشيخ مرموري ناصر ، والمؤرخ أبو العلا عيسى بن عبد الله ، ومنهم من لم يجب اطلاقا .

ان أهم ما أفادني في معالجة مشاكل البحث هو اللقاءات والاتصالات ، والتحاور في كثير من مواضيع ونقاط البحث فكان لقائي طويلا مع الشيخ بيوض والشيخ بكلي عبد الرحمن والشيخ الحاج أيوب ، ولقاءات أخرى ولكنها أقل مع المشايخ الآخرين مثل : ابن يوسف سليمان بن الحاج داود ، الشريفي عدون بن بلحاج .— مرموري الناصر .— ابن الشيخ محمد بن بابة . أبو القاسم عبد الحميد . مطهري محمد ، علواني يحي ، ألجون يحي ، وغيرهم . وفي "جربة" مع الشيخ سالم بن يعقوب . وفرحات الجعبيري ، والصادق بن المرزوق . لما زار " لويكي " ميزاب في صيف سنة 1985م القى محاضرة حول الاباضية أتبعت بمناقشة مهمة اجتمعت به في لحظات وقدمت له أسئلة مكتوبة ، ولكن انقطعت عني أخباره دون أن يجيب عن أسئلتي .

اهتمت بعض الدراسات الاباضية الحديثة باشارات مختلفة الى نظام العزابة أفادت هذا البحث بنصيب ، وأكثر منها التي اعتمدت المنهجية .

تناول دبوز في كتابه : " نهضة الجزائر ... ج 1 " نظام العزابة لكن دون تحديد تام لاطاره الزمني بحيث أشار الى فترة ظهور نظام العزابة في عهد مؤسسه أبي عبد الله محمد بن بكر ، ولم يوف له بترجمة مناسبة ، اكتفى في أغلبها مع قلتها بالعموميات ، وبأقل بكثير ممن ترجم له في نفس الكتاب ، كما أنه لم يشر الى أبي عمار عبد الكافي ، وسيرته ، فانتقل الى الفترة المعاصرة ، فقد أفادنا دبوز بمعلوماته القيمة غير أنه نادرا ما يسندها الى مصادرها ، وبطرق غير وافية ، كما استفدت من تناوله لنظام العشائر ، ووضعية المرأة الميزابية ، ومجلس "عمي سعيد" والولاية والبراءة ، فهو يذكر معلومات عن جوانب نظام العزابة في مؤلفاته الأخرى كتاريخ المغرب الكبير ، وزعماء الاصلاح في الجزائر . يبدو أن علي معمر في سلسلة كتابه " الاباضية في موكب التاريخ " ولا سيما الحلقة الأولى والرابعة أكثر دقة وتركيزا وتحليلا في موضوع العزابة ، ومع هذا فقل ما يسند معلوماته الى مصادرها وبطرق غير تامة فيصعب الرجوع اليها .

يبدو أنه اعتمد كثيرا على الدرجيني والشماخي والبرادي كما يذكر كثيرا

أبا اليقظان ، وغيره ، دراسته ميدانية أيضا ، وخصص دراسات عن المشايخ ، وترجم لهم كانت مؤلفات علي معمر أهم معتمداتي عن الاباضية والعزابة ، واستفدت من محاضرة عمرو النامي بملتقى الفكر الاسلامي بوارجلان المعنونة بـ" ملامح عن الحركة العلمية في وارجلان وضواحيها ... " غذى بالخصوص الفصل الخامس فعرف بالعلماء والمؤلفين ، والتآليف الخ ... في دراسات مركزة لكنها قليلة ومقتضبة لو وسعها لألف بها كتابا خاصا. أما الجعبيري في كتابه " نظام العزابة " في جربة فقد أضاء الطريق أمامي بتجربته الموفقة في الموضوع استفدت منها وخاصة على بعض ما اعتمد عليه من مخطوطات لم أحظ بها " كتحف في الأصول " ولائحة عزابة غرداية " لم اعتمد عليه كلية خشية الانسياق معه نظرا لتشابه الموضوع من حيث ميلاده كنظام ، وشخصية المؤسس ، ولكن يبدو أنه لم يوفق في بعض الاحالات وترك أخرى بدون ذكر رقم الصفحات ، كما أن جانبا مهما لم يتناوله وهو " نقد المصادر " ولم يشر الى دور النظام في الحياة الاجتماعية والثقافية، مع أنه تناول الناحية العلمية وحركة التأليف. وما أورده " النوري حمو محمد عيسى " في كتابه " نبذة عن حياة الميزابيين " (الدينية والسياسية والعلمية من 1505هـ 1962م ج 1 ،يعتبر غير كامل ولا سيما عن شخصية المؤسس لنظام العزابة ، كما أن معلوماته تحتاج الى تقييم ، واحالات الى مضانها ، ومهما يكن وضعها فقد أمدتني ببعض الأضواء لانها محدودة جدا .

*

كان لمقالات وتعاليق وهوامش أطفيش (أبو اسحاق) توضيحات وتحقيقات مهمة أنارت لي الطريق لاثراء الموضوع بها ، منها : " رجال الاباضية في صدر الاسلام " بحث نشره بمجلة الزهراء سنة 1343هـ ، حبذا لو ترجم لكل واحد منهم ، ومقال نشره بمجلة " المنهاج " خاص " لحكومة ميزاب " وتعاليقه وهوامشه على " الذهب الخالص " للطفيش (القطب) ، وعلى " الوضع " لأبي زكريا ، ومقدمته على " مقدمة التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع " ، أفادتنا في التراجم ، وعلى " الذهب " " والوضع " في الولاية والبراءة ، وبعضها على " الوضع " في العزابة ، تأسفت كثيرا على عدم عثوري على مقالة " اعزبن " في دائرة المعارف الاسلامية ، واستفدت كثيرا من كتب بكلي عبد الرحمن سواء ما أورده في " فتاوى البكري " ج 2 ، حول مسائل الدين ، وتاريخ الاباضية . أو مقدمته على طبقات الدرجيني ، وتعاليقه وهوامشه على " قواعد الاسلام " للجيطالي ، وكذا على " النيل " أفادتني في ما يخص نظام العزابة ، وقواعد فقهية وأدلة شرعية على الأحكام ، ومبادئ العقيدة ، وبعض اجراءات وقوانين العزابة . استفدت من كتاب " السالمي .. " " طلعة الشمس " وكتابه " مشارق أنوار العقول في الأحكام والأصول " ، وان لم تتناول نظام العزابة لكنها أفادتني في القواعد والأصول الاباضية مع كتب : أطفيش (القطب) في نفس الموضوع ، وهي " ترتيب المعلقات " و " الذهب الخالص " ، أثريت بها خاصة موضوع " الولاية والبراءة " وكذا " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " أما المخطوطات في موضوع العزابة فلم أعثر عليها رغم الجهد المبذول . وكذا كتاب " تاريخنا " لطفيش أبي اسحاق .

(+) الكلام حول الجعبيري متصل الا أن جملة " وما أورده النوري حمو ..... " مقحمة .

المــراجع غيــر الاباضيـــة :

لو لم يؤلف الاباضيون عن الاباضية ، ونظام العزابة لضاع تراث نفيس عليهم وعلى المسلمين فكتب غير الاباضية لم تتناول " نظام العزابة رغم معاصرتها له منذ نشأته ، أو التي يقرب عهدها به ، وحتى التي أتت بعده . فمعظم كتب التاريخ والتراجم لا تخصص فصولا للاباضية ودولهم فان ذكرت ذلك كان عرضا الا القليل من الكتب المعاصرة ، بل البعض منها تتحامل عليهم ، والكثير منها تنعتهم بالخوارج فيصدر عليهم كتابها أحكامهم ، فحتى ابن خلدون نفسه لا يشير الى دولهم في صدد ذكر دول المغرب الاسلامي ، ولا يفرد للدولة الرستمية فصلا كغيرها ، وانما في بعض الاشارات العرضية ، مثل حديثه عن قبائل زناتة لما لها من صلة مع الرستميين ، ومع هذا فهو يخرج عما اشترطه في المؤرخ ، فقد تحامل بعبارات لا تشرف مقامه مثل وصفه لابن رستم أنه من "رؤوس البدعة" واعتقد أنه من " مسلمة الفتح " أتى المغرب مع "طوالعهم " و " أخذ بدين الخارجية" (1) ، فهو يخلط بين الاباضية والصفرية وغيرهم بالخارجية قائلا : " نبضت فيهم عروق الخارجية " (2) ، ينعتهم بالنفاق (3) ، ويتهمهم بالكفر (4) . وهناك مؤلفون معاصرون أنصفوا الاباضية ، ولكن يعتبرونهم من " الخوارج " ا فقد تصدى علي معمر لتوضيح الخارجية ، ونفيها عن الاباضية . (5)

من أهم المؤلفين غير الاباضيين الذين أرخوا لهم بموضوعية ، وتركيز ، وتحليل : أحمد توفيق المدني ، (ت 1403هـ/ 1983م) خصص في " كتاب الجزائر" من ص109 ـ 124 ما استفدت منه الكثير ، وأثريت به البحث رغم الايجاز الكبير وما تحتاجه نقاط كثيرة منه الى توضيح ودليل ، لكن لا يؤاخذ عليها لأن الموضوع جزء من الكتاب فلو خصص له فصلا ، أو كتابا لكان أوضح ، فهو لم يتعرض الى شخصية المؤسس وظروف التأسيس ، وانما تعرض الى شروط العضوية ومهام العزابة فخصص الكلام عن البراءة ، ونظام الأسرة فتحدث عن الغاسلات ، وهيئة التلاميذ ، والعوام ، ولم يعالج دور النظام اجتماعيا وثقافيا ، ولم يورد مصادره .

أما " باجية صالح "(معاصر) فقد خصص كتابه " الاباضية بالجريد . . ." فوصفهم بالخوارج ، ونعت استبسالهم بالتهور ، وشدة عباداتهم وهبنة لا تتماشى مع الاسلام مما يدل على قصر باعه وعدم اطلاعه على حقيقة الاباضية وسيرهم ، استفدت منه ما أورده عن تراجم بعض المشايخ ، والعزابة لأن أصلهم من " درجين " أو " الجريد ". خصص الصفحات الأخيرة من (222 ـ 231) حول نظام أبي عبد الله كملحق لكني تغافلت عنـــه .

أما أهم من كتب عن الاباضية من غيرهم فهو " عوض محمد خليفات " فقد خصص بحوثا عنهم وعن " نظام العزابة " بموضوعية ، ودقة ، وتحليل ، ونقد ، ومنهجية عصرية

(1 ـ 2 ـ 3 ـ) أنظر: ابن خلدون : (ت 808هـ/ 1405م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ج 6ص220: دار الكتاب اللبناني بيروت 1981م

(4) نفسه ، ص 221 .

(5) أنظر مؤلفاته المثبتة في البحث ، وخاصة "الاباضية بين الفرق الاسلامية" وأنظر : جواب على جواب . . حول المذهب الاباضي " مقال نشر في باب "ندوتنا" بمجلة "المسلمون" العدد الرابع ، مج "الثامن ، شعبان (1383هـ/ يناير 1964م)

ومن غير تحيز، وعنون كتابه " النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا في مرحلة الكتمان " استفدت من الفصل الثاني حول " النظم الاجتماعية والادارية " تناول نظام العزابة والعوام والمجلس الديني للنساء، ومع ذلك لم أعتمد عليه كليا ك" كالجعبيرى " حتى لا يطغى على منهجهما وآراؤهما، فارتأيت الاعتماد الكلي على ما اعتمدا عليه من المصادر والمراجع، ولأن " عوض " كتب عن النظام من خلال الكتب ولو أن له مصدرا شفويا، لكن لم يقصد ميزاب فيجرى دراسة ميدانية، ولم يحدد لموضوعه فترة زمنية معينة. له بعض المآخذ يضيق المقام لذكرها منها: اتخاذ الاباضية مسجدا في كل بلد يبلغ فيه عددهم أربعين نفرا " لا يدخله غيرهم " دون اعطاء تفسير لذلك سواء منهم، أو من غيرهم، أو حصره زمانا ومكانا ان كان هذا صحيحا، فيتخيل القارئ أن الوضع قائم الى الآن، في حين أن الاباضية يشترطون على من يدخل مساجدهم سواء منهم أو من غيرهم التزام الطهارة والنظافة. وذكر أن للاباضية محكمة خاصة يعين قضاتها من قبل مجلس العزابة، فلم يحدد تاريخ ذلك لأنه الآن غير حاصل لا في الجزائر ولا في جربة، وذكر أن للاباضية مدارس خاصة لأبنائهم دون تحديد الزمن، لأنهم يقبلون فيها غير الاباضية الخ ... يحتاج الى دليل، ويفتقر الى الاحالات مثل ما أورده عوض في: النظام ... 31. فكتابته تمتاز بالتنظيم، والتسلسل مما يدل على تمكنه واطلاعه، واستفدت من كتابين صغيرين له يبدو أنهما مقتبسان من كتابين له أحدهما " التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان " " النظم ... " والآخر " الأصول التاريخية للفرقة الاباضية" من كتابه " نشأة الحركة الاباضية " الذى لم أطلع عليه الا أخيرا. استفدت من كتاب " الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي " ما يرتبط بموضوع نظام العزابة لمؤلفه " لقبال موسى " أورد اشارات خفيفة عن نظام العزابة، ومما قاله: " أنه من آثار نظام الحسبة بين اباضية واحة ميزاب " (1). بل في غير ميزاب أيضا الا اذا راعى الوقت الحاضر لاندثاره في الجهات التي قام فيها فقد أتى بما أكده لي " بيوض " و بكلي " أن نظام العزابة هو تطور لنظام الحسبة المبني على "" الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " و " مراقبة الأسواق " في الاسلام وهو ماكان لدى الرستميين وأكد ذلك لقبال (2). وذكر أهم أعمال النظام بانصاف في تقديم خدمات دينية واجتماعية، والسير الحسن للحياة الاقتصادية، والثقافية، والوقوف بالمرصاد للمخالفات، ووصف الحياة في المدن الاباضية بالتشدد والمحافظة (3)، في حين أن المرونة والتطور هو الطابع العام لحياتهم في ميزاب، وقال: ان الاباضية لا يجدون " متنفسا وحرية نسبية الا في مناطق التل الجزائرى للتجارة والارتزاق" (4). لكن هذا لم يكن عندما كان النظام قويا، والجماعة متماسكة، لها سلطة ونفوذ على أتباعها، أما في الوقت الحاضر فهي حالة مشاهدة حيث أصبحت سلطة العزابة لا تتعدى قرى ميزاب " الا اذا ارتكب اباضي خارج ميزاب جريمة أو منكرا خطيرا فان العزابة تعلن براءتها منه ولو خارج ميزاب ما دام اباضيا.

أما كتاب " الخوارج في المغرب الاسلامي " لمؤلفه محمود اسماعيل " فقد

= ص ص 40 — 45 — بيوض ابراهيم، والعبرى ابراهيم : أجوبة وفتاوى ص ص 37 — 44، ط 1، (1390 هـ — 1971 م)، دار الدعوة، نالوت، ليبيا.

(1) لقبال موسى (معاصر) : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) ط 1 ص

(2) الحسبة : ص 3.

(3)(4) نفس ... 38

انتهج منهاجا تاريخيا ولم يخصصه للعزابة ، ولكن أورد كلمات قليلة عرضا خاصة ما يرتبط بالحلق لدى الاباضية منذ العهد الرستمي ، ومجد الخوارج بحركتهم الثقافية والفكرية التي تتسم بالاستقلالية ، والتي أثرت الحضارة الاسلامية ، وأحدثت تغييرا في نواحـــي الحياة • اعتبر محمود اسماعيل بدوره الاباضية خوارج ، ومن ناحية أخرى رماهم بالتعصب ، ويصف ما يورده الاباضية من كرامات عن مشايخهم وفضلائهم أنها أساطير ، ويقول أن مؤلفاتهم مملوءة بها وهي لا تنسجم مع منطق التاريخ (1) . اذا كان هذا حكمه ، فلماذا لا يعممه على كل المذاهب التي يوجد من بينها من يورد الكرامات ؟

المؤلفـات باللغة الأجنبيـة :

استرعى انتباهي كتاب Developpement Politique En Algerie لمؤلف اباضي هو " مرغوب بلحاج — Baelhadj Merghoub " ففي موضوعه : التطور السياسي فـي الجزائر في سلسلة الدراسات المغربية ، بين وضعية وحالة الاباضية بميزاب ، وتنظيماتهم وبين تنظيمات العوام ، وأشار الى الأسرة فالعشيرة ، وأحيانا الى الصفوف ، وركز علـــى نظام العزابة ، وبين قوته ونفوذه قبل الاحتلال ، ونوعية تفكير شيوخه ، وتسييرهم للمجتمع الاباضي بدقة واحكام ، وبين سياسة الاستعمار ، وذكر الشخصيات البارزة التي لعبت دورا خطيـــرا على الدولة الفرنسية ، وما لقيته من اضطهاد وسجن وانتقام فقد أخطأ في اعتقاده أن الشيخ بيوض تتلمذ عند الشيخ أطفيش ومعاهد الشرق (2) . أورد ملاحظ تاريخية مهمة وقرارات وقوانين العزابة ومجالسهم وما يحظرونه من العادات والتقاليد ، والاسراف في الأعراس الـخ ...

أستفدت من نتائج البحوث والدراسات التي توصلت اليها المدرسة البولونية في مؤلفاتها ودراساتها في دائرة المعارف الاسلامية حول " الاباضية والعزابة خاصة ولا سيما مقالات " لويكي " : يقول في مقاله " الحلقة " بدائرة المعارف الاسلامية الجديدة • E.I.Art:"HALKA"N.E,T:3 مثلا أنه : لايعرف شيئا عن تاريخ حلقات ميزاب في قرونه الأولى ، لأنه لم يعثر على أخبار عنها ، ولأن بعض التقاليد المحلية تتكلم عن بعض العلماء منذ المنتصف الأول من القرن السادس الهجري حسب ما أورده " ماسكراي " ويدعم ذلك الزعم حتى في عهد الدرجيني (ق7هـ/ 13م) فقال إن الميزابيين الراغبين في الحلقة يهاجرون الى " وارجلان " كما قام بذلك العزابي الورع " أبو يزمو الميزابي " (3) يبدو أن هذه الأدلة واهية لاثبات عدم وجود حلقات في قرون ميزاب الأولى لأنه ثبت أن أبا عبد الله " كان يربع في بادية بني مصعب ، وأنشأ فيها الحلقة ، وليس جهلنا عن وجود الحلقة في تلك الفترات يجعلنا نثبت ، أو نفترض عدم وجودها بمجرد اتجاه " أبو يزمو " الى " وارجلان " . حبذا لو كانت المعلومات التي أوردها " لويكي " يحيلها على مظانها مباشرة ، ولكنه حرمنا من هذه الطريقة فجمع المصادر كلها في نهاية المقال ، فالمقال غني وثري بمعلومات أوردها بدقة وتركيز ، فأفادنا بها ، اذ ما استنتجه " لويكي " أو اقتبسه من النصوص الاباضية في كتابه :

مهم من حيث المعلومات والتراجم عن المشايخ ، وتراهم .

---

(1) محمود اسماعيل (معاصر) : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 6 ، دار العودة بيروت ، 1976 .

(2)Merghoub Balhadj:Le Developpement Politique En Algerie,P:58 . Imprimerie Bellanger Et Fils (28Juillet 1972.Armande Colin,Paris.

وقد استفدت كذلك بما كتبه Jean Melia في كتابه " غرداية _ Ghardaia"
من الناحية الطبيعية ، والعمرانية . ولكن من الناحية السياسية والاجتماعية فقد أورد نظام العزابة، وفسر جوانب منه حسب أهوائه ، فظهرت صليبيته فيها، فهو يصف مؤسسات العزابة أنها تكون أشكالا ديكتاتورية ، وتمثل التسلط ، وكل ما يبعد عن العصور الحديثة، وأنها تخالف كل تقدم (1) ، فينصب نفسه حكما فيقول : ان هذا يضر بالدين، ولا يساعد على تطور الحياة (2)، ويمجد فرنسا على حساب هيئة العزابة، ويدعي أنها قضت على الخلافات التي كان بعضها دمويا بين السلطة الدينية التي تريد المحافظة على امتيازاتها ، والسلطة المدنية التي تريد التحرر من نفوذ رجال الدين ووصايتهم، (3) ويفتخر بفرنسا لأنها تساعد على نشر العلمانية (4) ، فهو يصف نفوذ العزابة بالعقل المتسلط (5) ، يستنكر سلاح " البراءة " ، ويحرض العمال والتجار أن يتحرروا منه ، وتمنى أن لو انفقوا أموالهم للتحرر لكان أجدى لهم لأنهم أصحاب ثروة ، وتمنى أن يحققوا التحرر الفكري (6) ، وتمنى أن تنزع السلطة العسكرية الفرنسية كل تنظيمات العزابة ، وافتخر بانتزاع فرنسا السلطة المدنية والقضائية من نفوذ ورئاسة شيخ الجامع لـهـا (7) . فهو وغيره الذين اعتمدت مراجعهم فيما فيه أثر الضروري، لا يعطون لـ" ميزاب " صورته الحقيقية فهم يكتبون عن أغراض ، وبمنظار المجتمع العلماني الأوروبي والصليبي الاستعماري . قصروا دون الغاية ، بل خلطوا وشوهوا وجه ميزاب ، وفسروا أوضاعه على غير حقيقتها ، واعتماد الدارس على ما كتبوا هو اعتماد واه، وعلى شفير هار . . . (8)
ويقاس على Melia غيره مع نوع من التفاوت مثل: Amat Charle:LeM'z be Et Les M'zabites،
واستفدت من مقالة "غرداية " في دائرة المعارف الاسلامية لـ" Basset كما استفدت من Couvion:Le Kharidjisme Monoghraphie Du M'zab
تحاليله ضافية ومهمة ، ومن كتاب : A.M,Goichon، La Vie Feminine Au M'zab
يحاول تعريف المرأة الميزابية وعاداتها ولكنه لم يوفق كثيرا ، وهـنـاك ما هو ثابت في النشر وثبت المراجع ، ولا سيما نشرة" ميزاب Le M'zab.documents Algerien و أهملت قصدا محاضرة مطبوعة تحت عنوان" مشايخ ميزاب" من الآباء البيض Le Machaikh Du M'zab.R.P.Louis David .
لأنها مملوءة بالأغلاط التاريخية، وحاول ضبط تواريخ المشايخ ، ولكنه غلط ذلك حسب ما أكده بكلي عبد الرحمن (9) يشمل اثنين وثلاثين ورقة (27X21) .

---

(1) Melia Jean:Ghardaia P.112 , Imprimerie A.Meteteux Et L.PACTAT, Biblioteque - Charpentier , PARIS ,1930 .

(2) LOC , CIT .
(3) (4) MELIA:... IBID ,P:110.
(5) :... IBID ,P:112.
(6) :... IBID ,P:108.
(7) MELIA :GHARDAIA .P,108 .

(8) بكلي عبد الرحمن (ت 1986م) جواب على أسئلة، مراسلة خاصة 2/ 6/ 1983م
(9) حديث شخصي .

عثرت على وثائق ... بعد جهد ... للمجالس الدينية في كتاب : Receuil De Délibérations Des Djemaa Du M'zab لمؤلفه : L.Milliot يشتمل على عشرين وثيقة عبارة عن اتفاقات ، أولها مؤرخة بـ 807هـ/ 1405م) وآخرها وصية الحاج محمد بن يحي بن باحمد لا تحمل تاريخا ، سبقتها ترتيبا وصية احمد بن الحاج الطيب بن عمر بن موسى الميزابي بدون تاريخ أيضا ، وقبلها التي قبلها عنوان : اتفاقات مجلس عمي سعيد بيوم 21 شعبان 1245هـ .

يروى عن الشيخ أطفيش (القطب) أن عدد الاتفاقات منذ عهد قديم الى (1324هـ / 1904م) قد بلغت 1872 اتفاقا [1] ، فأين هي كلها ، لاشك أن معظمها في خزائن أوربا ، أو أتى عليها الزمن .

أما كتاب : الصحراء وواحاتها Le saharases oasis لمؤلفه : lehuraux فوصفه سطحي لا يتعمق ، يعرض الأحداث عرضا موجزا سريعا غير مركز ، يعطي اشارات مقتضبة ، فحلو له أن يقول أن الاباضية في ميزاب يتبرؤون من المرأة التي تخرج من بلدها [2] ، وقال عن حلقة العزابة أنها عبارة عن مجلس أعيان مكلف بالسهر المدافع عن العقيدة واحترام العادات التي تحفظ الحياة العصرية [3] ، فهو يشوه بعض الحقائق تشويها مغرضا ، كقوله عن كتاب النيل للشيخ عبد العزيز أن الميزابيين يعوضونه بالقرآن. الا أن الكتاب يفيد نوعا ما في الوصف الجغرافي للمنطقة ، ولا يمكن الاعتماد عليه في موضوع " العزابة " .

رغم كل ما بذلته من جهد لأخرج هذا الموضوع الى حيز الوجود ، فانني مازلت اعتقد أن ما قمت به يتطلب جهدا أكثر ، واستقراء أكبر وعملا أحسن ، فلو أتيحت لي فرصة اعادة تقييمه فلاشك أنني سأضيف الكثير ، ولكن أتمنى أن أستفيد من الملاحظات البناءة التي تنير طريقي في المستقبل لاستدرك ما فات ، ولأتلافى النقص في بحوث أخرى ان شاء الله .

---

(1) L.Milliot:Receuil De Délibirations Des Djemaa Du m'zab Avec La Colaboratios DE A. Giacobetie, P:230 . Imprimerie Arrault Et C ie PARIS , 1930 .
مطهري محمد : حديث شخصي .

(2) Le Huraux:Le Sahar Ses Oasis, P:20 Imprimeri Baccnnier Freres , 5 Mai 1934 , ALGER .

(3) LOC . CIT .

الفصل الأول

نظام العزابة .

- الوضع العام في المغرب الاسلامي (ق 4 و5 هـ) .
- معنى العزابة .
- معنى الحلقة .
- أسباب ظهور نظام الحلقة .
- تاريخ تطور الحلقة لدى الاباضية .
- مؤسس نظام العزابة .

الامام أبو عبد الله محمد بن بكر يؤسس الحلقة .

- محاولات انشاء الحلقة .
- محاولة وضع قوانين تنظيمية للحلقة .
- ارسال أبي زكريا نخبة من الطلاب الى أبي عبد الله محمد بن بكر .
- الهدف من انتقاء النخبة وتوجيهها الى أبي عبد الله .
- وصول النخبة الى جبال تمولست .
- النخبة تلتقي بالشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر في "تيقيوس" .
- أبو عبد الله يؤسس الحلقة في مسجد المنية .
- تنقلات أبي عبد الله وتعميم نظام حلقته .
- مؤتمر وادي ريغ 420 هـ .

تمهيد

طبق نظام العزابة في مناطق تجمع الاباضية بربوع المغرب الاسلامي منها منطقة " وادى ميزاب [التي تقع بجنوب الجزائر العاصمة[+] ما بين خطي عرض 15،31 شـالى 33 منه ، وخطي طول 30 ،2° شرـ 5 ،5°[1] . فهي ضمن مجموعة الهضاب التي تغذي التلال الرملية لمنطقة العرق متنحدر من الشمال الغربي الى الجنوب[2] ولكن حدودها تختلف[3] . باختلاف التنظيمات الادارية للدول الحاكمة منذ العهد العثماني الى الآن ، اشتهرت المنطقة جغرافيا بأرض " الشبكة "[4] ، ولها خاصيات معينة وهي : تنحدر تدريجيا نحو العرق الكبير ، تتخللها الشعاب والأودية[5] [++] . يسود المنطقة المناخ الصحراوى حيث تبلغ الحرارة أقصاها الى 50 م ، وأدناها دون 1 م حتى الـ -5 م أحيانا .

تعتبر تسمية " بلاد الشبكة "[6] تسمية جغرافية، أما الاسم المشهور بها فهو "بلاد وادى ميزاب " أو " ميزاب " وهو اسم لمجموعة من الواحات حيث تنتشر قرى مندثرة لم يبق من بعضها الا آثارها ، أما المدن العامرة فهي : العطف ، مليكة ، بني يسجن ، بنورة ، غرداية ثم بريان والقرارة . يعرف سكانها بـ " الميزابيين" وهم اباضيون ، وكذا من قدم اليهم من أباضية[7] المغرب الاسلامي عبر العصور ، لكن الاسم الأقدم منه هو " بلاد أو بادية بني مصعب[8] أو جبال بني مصعب "[9] أو " بنو مصاب " بضم الميم . يوضح " ابن خلدون "[10] أن سكان قصور " مصاب " من بني " واسين " ، وهم الذين نزلوا فيها بعد أن اختطوها " وهم من شعوب بني " عبد الوادى وبني توجين . ومصاب . . . " وبنو مصعب احدى فروع قبيلة زناتة ،

(+) على الطريق الوطني رقم 1 ، بمسافة ستمائة كلم . بالجمهورية الجزائرية حاليا .
(1) Basset(R) : Encyclopedie De L'islam, (GHARDAIA)N.E, Vol II, P:1355 Paris , 1965.
(2) Amat (Ch): Le M'zab Et Les M'zabites , P: 44 .
(3) انظر : بيوض ابراهيم بن عمر (ت 1401هـ / 1981م) : ملخص تاريخ ميزاب "مخ" ، ورقة 1 حجم كراس عادى ، 15 ورقة مبتور التاريخ ، نسخة الشيخ أبو اليقظان ابراهيم سنة (1381هـ / 1961م) يوجد بمكتبة ابنائه بالقرارة ، أخذت صورة عنه .
(4) أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 6
(5) M'zab , Documents Algerienne, Service D'information ,Serie Monographies , N°16, (Le M'zab) P:1 , 30 Aout 1955 .
(++) أنظر : بيوض: ملخص . . . ورقة 1 . — أنظر: الخريطة رقم : 1 - 2 .
(6) توفيق المدني أحمد (ت 1404هـ / 1983م) جغرافية الجزائر ص 15
— M'zab : D...I.- B. N° 16 , P:2 .
(7) مذهب اسلامي امامه جابر بن زيد من كبار التابعين ، اشتهروا باسم امام لهم آخر " عبد الله بن أباض
(8) توفيق المدني : (توفي 1983م) كتاب الجزائر ص 110 ، المطبعة العربية . الجزائر ، 1350هـ علي يحيى معمر (ت 1980 م) الاباضية . . . 4/ 411 . — الحاج أيوب: حديث شخصي .
(9) قيل أن " ميزاب " أو " مزاب " بضم الميم حولت من أصل " مضاب " أو مصعب حسب النطق البربرى الذى يخرج حرف الضاد أو الصاد زايا . بيوض : حديث شخصي . — الحاج أيوب ابراهيم : حديث شخصي . — أنظر: علي معمر: الاباضية . . . 4/ 412 . — بساح شيخ: الاباضية والحركة الاصلاحية ، ترجمة أرلاد بابهون بكير ، ورقة 3
(10) كتاب العبر ، ج السابع ، القسم الأول ، ص 123 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1981م .

وكانوا يسكنون " مصاب " وهم على مذهب الاعتزال، ثم صاروا اباضية [1] .

ترتبط نشأة المذاهب الاسلامية ارتباطا وثيقا بالأحداث التاريخية للأمـــة الاسلامية منذ العهد الثاني للخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فتطورت بمقتله ثم بالخلافات في عهد الامام علي (كرم الله وجهه) اثر حادثة التحكيم فتطورت بعد اغتياله، فكانت مسألة الخلافة الاسلامية هي المحور الرئيسي لنشأة الفرق والمذاهب في الاسلام، وتطورها تدريجيا . فظهر عزوف ما استجد من الأمور والأخبار والأحداث على مصادر التشريع الاسلامي من قبل التابعين وتابعي التابعين [2] . فصارت تتمحور النزاعات في التاريخ المذهبي لدى المسلمين باعتمادهم النصوص التشريعية، ونوع تفسيرهـــا [3] .

ينتسب الاباضية الى امامهم عبد الله بن اباض [+] المرى التميمي الذى يعتبر من أهم أئمة الاباضية الأوائل، فهو من أهل نجد، وقيل أنه صحابي جليل، ولكن لم تطل صحبته [4]، عاصر "معاوية" وعاش حتى أواخر عهد "عبد الملك بن مروان" [5] وله مراسلات معه، كلها نصائح، وتوجيهات تعرف لدى الاباضية بـ "السير المشهورة" [++] تشتمل على عرض موجز لآراء ومعتقدات الاباضية مدعمة كلها بأدلة من القرآن والسنة .

يرى "لويكي" [6] أن تاريخ ظهور الاباضية يرتبط بانفصال عبد الله بن أباض عن الخوارج سنة 65هـ عندما أعلن عن موقفه الرافض نحو أهل التوحيد، وانعزاله عن الأزارقة [7] [+++] ، بل يرى "لويكي" [8] ما يذهب اليه الاباضية أن

---

(2) أنظر: علي معمر: الاباضية ... 1/ 47—51 . —علي معمر: الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ص367—377، ط1، (1396هـ/ 1976م) ، مطابع سجل العرب، مصر . علي معمر: الاباضية، دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ص 93، المطبعة العربية (1405هـ/ 1985م) غرداية، الجزائر .

(3) لقبال موسى (معاصر) : المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ص203، ط1، (1969م) ، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر .

(+) ضبط أطفيش محمد (القطب) اباض بكسر الهمزة، أنظر: أطفيش محمد بن يوسف، (القطب) : الرسالة الشافية "مخ" ورقة 20، حجم (18+33) ، 107 ورقة، نسخها : أولاد حاجو موسى بن ناصر 15 ذو القعدة 94 1، خزانة الدى اساوي عمر بن الحاج أحمد العطاف، غرداية، الجزائر — ضبط موتيلانسكي، الهمزة بفتحها أنظر : دائرة المعارف الاسلامية مادة (الاباضية) مخ "الأول، القسم الأول، ص11— وجدى دائرة المعارف 1971م — علي معمر : الاباضية دراسة ... ص34 .

(4) أطفيش محمد بن يوسف (القطب) : الرسالة ... ورقة 20 . يذكر الباروني انه من التابعين الأولين، أنظر: الباروني أبو الربيع سليمان (ت مختصر تاريخ الاباضية، ص17، مطبعة الارادة، تونس، 1357هـ .

(5) خليفة أموى، ولد سنة (26هـ/ 646م) ، وتوفي سنة (86هـ/ 705م) ، أما معاصرة عبد الله بن اباض لعبد الملك فحققته بمراسلاته له كما أوردت ذلك المصادر والمراجع المشهورة أنظر: البرادي أبا القاسم محمد بن ابراهيم الدمري (ت بعد 792هـ/ 1390م) ، الجواهر المنتقاة في اتمام ماأخل به كتاب الطبقات، ص155، طبعة حجرية قسنطينة، الجزائر، 1302هـ . — الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد ابن عبد الواحد (ت 928هـ/ 1521—22م) : كتاب السير، ص77، ط حجرية، قسنطينة، الجزائر، 1301هـ . — الباروني أبو الربيع: مختصر ... ص17 . — عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص ص13—14، مطبعة الجويني، بدون تاريخ الجامعة الأردنية .

(++) هي من ضمن ما كان يدرس للتلاميذ في برامج دراسية بدار "اروان" أى مستوى ما بعد مرحلة استظهار القرآن .

(6) E.I, Art, (AL-Abadyya), N.E. , T:3, P:682 .

(7) البرادي : المصدر السابق، ص 155 .

(+++) هم من فرق الخوارج أتباع نافع بن الأزرق، غلوا في الدين .

(8) O , CIT .

(1) العلي أيوب ابراهيم "قادة" (معاصر)

"أبا بلال مرداس بن أدية " (+) هو المؤسس الحقيقي للاباضية المنظمين للمذهب كامامه الأول "جابر بن زيد " (++) والوليد العبدي" (+++) الذين انعزلوا عن " نافع بن الأزرق ". وبعد استشهاد " أبي بلال " سنة 62هـ اثر قيامه بالثورة سنة 61هـ. أصبح عبد الله بن اباض زعيما للاباضية ، فعرف هذا المذهب باسمه ، واشتهر من قبل الأمويين بالاباضية منذ عهد عبد الملك بن مروان (1) . لذى الاباضية ينسبون اليه دورا ثانويا بالمقارنة مع "أبي بلال" وامام المذهب "جابر بن زيد" اللذين نظما الحركة تنظيما سريا دقيقا بعد رفض التحكيم . ولما اعتزل "أبو بلال" بقية الخوارج ، ولم يوافقهم على "الاستعراض" وركز على مبدأ " الشورى الاسلامية" رموه وجماعته بالتخاذل فسموهم "القعدة" الا أن هؤلاء رفضوا تلك التسمية فسموا أنفسهم "جماعة المسلمين" (2) ، ومنها "أهل الدعوة" (3).

أضاف " الاباضية" تسمية " الوهبية" فيما بعد الى مذهبهم ، أي "الاباضية الوهبية" نسبة الى امامهم عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي العماني (++++) .

== : رسالة حول ميزاب "مخ" ورقة5، حجم (31X21)، 120ورقة، مكتبة المؤلف العطف ، غرداية، الجزائر. صورت النسخة . ــ بيوز : حديث شخصي .

(+) تابعي جليل ، علم ، ورع . مجتهد ، حضر صفين والنهروان ، أنكر التحكيم ، له كرامات ومواقف ، من الشراة لاتأخذه في الله لومة لائم ، صاحب جابر بن زيد لايفارقه ، ترك أمثالا وحكما وآراء ، أنظر: الشماخي : سير ص 66ــ 69 .

(++) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليحمدي ، الجوفي العماني ، ولد بدرب "الحرقة" ترب "نزوى" بعمان سنة (18هـ/ 628م) ، توفي سنة (93هـ/ 711م) على الأرجح ، عاش معظم حياته في البصرة بالعراق ، فهو تابعي عالم ، ورع ، زاهد ، أخذ علمه عن الصحابة وخاصة ابن عباس ، وعائشة ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وعلي ، وغيرهم ، يعتبر الامام الأول والحقيقي للمذهب الاباضي . ــ عنه . أنظر: السالمي أبو عبد الله (ت1332) اللمعة المرضية من أشعة الاباضية ، علي معمر: الاباضية . . 1/ 63 . 143 . ــ ليفي دالاڤيدا : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (الخوارج) "مخ" 8، ص 471 . (تر) الشنتناوي محمد ثابت وآخرون . ــ البستاني فؤاد : دائرة المعارف" مج 4، ص 384 ، بيروت 1962 . ــ

(+++) هو من عبد قيس وجد حمزة بن عنبسة من خيار المسلمين ، ومن بقية أصحاب أبي بلال ، جاهد في سبيل الدعوة وله مواقف ، أنظر: الشماخي : سير . . . ص 79 .

(1) البرادي : الجواهر . . . ص 155 . ــ الشماخي : سير . . . ص 77 . A.M. Gouchon : Lavie Femenine Au M'zab, P:3, Librairie orientaliste, PARIS 1927 .

(2) لواب بن سلام : شرائع ورقة 44ــ45 ، الدرجيني : طبقات . . . 2/ 213 . ــ عوض محمد خليفات (معاصر) : النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقية في مرحلة الكتمان ، ص 15 ، ط1، 1982م عمان ، الأردن . ــ عوض محمد خليفات : الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص 12 . وكانوا يسمون أنفسهم باسم "المسلمين" أو جماعة المسلمين أو أهل الدعوة .

(3) نفسه . ــ الوسياني أبو الربيع سليمان (ق 6هـ/ 12م) : سير الوسياني ، "مخ" ج1، ورقات 39، 40، 62، 67، حجم (كراس عادي) 173 ورقة ، نسخة شيخ مسجد أبي سالم بالعطف الحاج اسعيد محمد بن باحمد (معاصر) . ــ الدرجيني : طبقات ، ج1، 90 ، 120 .

(++++) صحابي جليل ، زاهد ، ورع ، تقي ، شجاع ، ذو رأي حصيف ، شهد الفتح بالعراق مع سعد بن أبي وقاص ، شهد الحروب مع الامام علي حتى التحكيم فأنكره عليه ، وبويع اماما للدفاع في معركة النهروان ، فاستشهد فيها سنة (38هـ/ 658م) يذكره ابن خلدون "الراسبي" خلاف المصادر الاباضية وغيرها . ــ انظر: ابن خلدون: المصدر السابق ، مج 3، ص 362 . ــ المبرد أبو العباس أحمد بن يزيد (ت ق 3هـ/ 9م) الكامل . . . "باب الخوارج" ج 2، ص 119 . القاهرة، 1333هـ . ــ أبو زكريا : سير ص 132 . ــ الدرجيني : طبقات . . . 2/ ق 2ــ 218 . ــ أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 2 .

تعبيرا عن الفرق الاباضية الأخرى كالخلفية والنكارية والنفاثية والحسينية والسكاكية،
أما الصفرية فهي منفصلة عن الاباضية الوهبية التي تعتبرفي نظرهم غير محقة.[1]

انتشـــار المـذهب الاباضي:

يرتبط انتشار المذهب الاباضي بالمغرب الاسلامي ارتباطا وثيقا بتاريخ ظهوره في المشرق الاسلامي وما تعرض له من الهزات بحيث تلاءم ذلك مع الأحداث بدورها في المغرب التي أصبحت مناخا ملائما له، فهناك عاملان مهمان ساعدا على انتشار المذهب الاباضي بالمغرب الاسلامي وهما:

1- فشل جهود الاباضية بالمشرق الاسلامي في اقامة امامة اسلامية.

2- سياسة الاضطهاد التي مارسها معظم العمال الأمويين ضد البربر في المغرب.

ظهر في هذا الجو أول داعية اباضي قدم من المشرق هو "سلمة بن سعد" فنشر الدعوة وانتقى لجنة من مختلف ربوع المغرب أرسلها الى الامام أبي عبيدة، عرفت ب"حملة العلم" فلما رجعت قامت بمحاولات اعلان امامة الظهور منذ سنة 126هـ ولكن أخفقت كل المحاولات الأخرى الى أن أعلن أحد حملة العلم وهو "عبد الرحمن بن رستم" امامة الظهور في "تاهرت" سنة (160هـ/ 776م) عرفت بالدولة الرستمية.

استمد الاباضية أصولهم وعقائدهم من الكتاب والسنة، واعتمدوا القياس والاجماع مثل جميع المسلمين. يعبر الاباضية أحيانا ب"الرأي" عنهما.

لأصول العقائد لدى الاباضية أهمية كبيرة في تفهم نظام العزابة، ودوره في المجتمع الذي يلتزم بها، ويسير بمقتضاها فكان حسب ما يبدو من أسباب رميهم بالتشدد لكنه تمسك، والفرق واضح بينهما.

مسالك الدين[+] عند الاباضيـــة الوهبيـــة:

تعتبر مسالك الدين أساسية لتطبيق الدين الاسلامي.

يقسم الاباضية مسالك الدين الى أربع مراحل دون تعاقبها فهي حسب وضعيتهم وحالاتهم، وامكانياتهم المادية والمعنوية كما يلي: 1- الظهور. 2- الشراء. 3- الدفاع. 4- الكتمان.[2]

1- الظهور: هي حالة المجتمع المسلم الحر في وطنه، يستقل بأحكامه الشرعية، ينفذها بمحض ارادته، لا يخضع للتبعية، أو التسلط الأجنبي، ويتمتع بحريته الدينية،

---

(1) أطفيش (القطب): الرسالة... ورقات 40- 42. - وجدي: دائرة... (مادة: الاباضية)، ص 13. - علي معمر: الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص ص 253- 273، ط1، (1396هـ/ 1976م)، مطابع سجل العرب، القاهرة.

(+) مسالك الدين جمع مسلك، والمسلك هو الطريق، أو السبيل، وقد يعبر عنه ب "الامامة"، وقد يقال: مراحل، قال تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا..." سورة العنكبوت، الآية 69. "يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام" سورة المائدة، الآية 16، ويقصد بمسالك الدين العمل بالدين، وبيان حال المسلم في أطوار الحياة الدينية، والأحوال التي تكون عليها الأمة... أنظر: عمر بن حمو: مقدمة... ص ص 3-9. - والملاحظ أن هذا الترتيب من محض اجتهاد ورأي: أنظر: بكير عبد الرحمن (ت1406هـ/ 1986م): فتاوى البكري، 2/ 337- 347، ط1، (1402هـ/ 1982م)، المطبعة العربية غرداية، الجزائر.

(2) أنظر: أبا زكريا يحي بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، ص 29. وهوامش 1، 2، 3، 4. تعليق أطفيش أبو اسحاق ط1 بدون تاريخ مطبعة العجالة

وهذه أكمل الحالات للمجتمع المسلم المتحرر[1] ، "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين"[2] يرى شيوخ الاباضية أن تنصيب الامامة في هذه الحالة واجبة . شبهوا ذلك بالمجتمع المدني في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

2— الشراء : من شرى يشرى ، معناه البيع ، أي أن المؤمن باع نفسه لشراء الجنة ، "ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله"[3] "ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"[4] مثل شيوخ الاباضية هذه الوضعية بحالة "أبي بلال مرداس بن حدير" و"أبي حمزة مختار بن عوف" اعلن كل منهما الثورة على الحيف والمنكر الخ .

3— الدفاع : وهو "اجتماع الناس على امام يقدمونه عند مقاتلتهم العدو الذي داهمهم فاذا انتهى القتال زالت امامته"[5] يخول كل صلاحيات الامام في حالة الظهور تعتبر حالة "أبي حاتم الملزوزي"[+] أبرز مثال على امامة الدفاع ، ولها شروط وأحكام[6] .

4— الكتمان : من كتم يكتم كتمانا وهو سلوك طريق الكتمان[7] وهي مرحلة الضعف التي يجد فيها الاباضية أنفسهم غير قادرين على مبايعة امام لهم يقيم فيهم أحكام الله وحدوده ، فمثل وضعية الاباضية بالبصرة أثناء عهد الامام جابر بن زيد ، وأبي عبيدة ووضعية الاباضية بعد سقوط الدولة الرستمية .

من بين شروط هذه المرحلة :

1— ايقاف تنفيذ الحدود كرجم الزاني ، وقتل القاتل لانعدام الامام العادل .

2— المحافظة بحزم على العقائد الدينية ، وممارسة العبادات والشعائر الدينية حتى لا يتسرب الوهن والانحلال الخلقي الى المجتمع فتتفكك وحدته ويضيع اسلامه .

3— العمل بحكمة على اجتناب المصادمة مع الخصوم والمناوئين قدر المستطاع لابعاد الفتنة .

4— المحافظة على دماء المسلمين من أن تهرق .

5— تجنب كل ما من شأنه أن يشتت صفوف المسلمين .

6— تجنب كل ما من شأنه أن ينال من وحدة جماعتهم .

تطورت مرحلة الكتمان بعد سقوط الدولة الرستمية الى انشاء (نظام العزابة) لممارسة التعليم والشؤون الدينية والاجتماعية ولتحقيق التكافل الاجتماعي وصيانة المجتمع ليعبدوا الله مخلصين له الدين . وهذا ما سوف نتناوله بالتوضيح حسب ما رتبه الامام أبو عبد الله محمد بن بكر .

---

(1) أبو حفص عمرو بن جميع : مقدمة . . . أطفيش أبو اسحاق (ت 1969م) مقدمة على كتاب مقدمة التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع ص6 . — الدرجيني : طبقات . . . 2/ 364 . — علي معمر : الاباضية . . . 1/ 93 .

(2) سورة : المنافقون ، الآية 8 .

(3) سورة : البقرة ، الآية 207 .

(4) سورة : التوبة ، الآية 110 .

(5) أبو حفص عمرو بن جميع : مقدمة . . . شرح الشماخي أبو العباس ص71 . — عومر : النظم . . . ص 111 .

(+) هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب ، بايعه الاباضية اماما للدفاع سنة (154هـ/ 770م) فملك طرابلس والقيروان . استشهد سنة (155هـ/ 771م) في قلعة "ودانة" بعد انهزامه أمام جيش العباسيين . أنظر: الباروني أبا الربيع : مختصر . . . ص 24 .

(6) علي معمر : الاباضية . . . 1/ 90 .

(7) ابن جميع : مقدمة . . . شرح الشماخي ، ص72 .

الوضع العام في المغرب الاسلامي (ق 4و5هـ)

ان القاء نظرة عامة على وضعية العالم الاسلامي عموما والمغربي خصوصا ووضعية الاباضية بصفة أخص، وذلك بالنسبة الى القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادى عشر الميلاديين) ليعطي لنا مفهوما عاما لواقع المسلمين الأليم الذى أعقب أحداث القرن الذى سبقه ، وفي نفس الوقت يتبين لنا لماذا أقدم شيوخ الاباضية على التفكير في وضع ("نظام العزابة") .

ان الحالة العامة للعالم الاسلامي في هذه الحقب التاريخية كانت مضطربة ، ومفككة لا تجمعه رابطة اسلامية حقة كما أمر الله تعالى عباده ، ولم يجد الايثار والتآزر والتفاني لنصرة دين الله طريقه الى بعض المسلمين الذين يتحملون مسؤولية مجتمعاتهم ومصيرها ، بل سيطر حب الدنيا والاحن والتنازع على السلطة ، والصراعات المذهبية ، فأدى الى حروب طاحنة ، سببت في انفصام عراه، فكانت فرصة سانحة لأعدائه من الأمم النصرانية ان تشمر عن ساعد الجد لتعمل ما رسمه لها أسلافها لتفكيك أوصال المسلمين كي يسهل القضاء عليهم ، والتحكم في مصيرهم فشنت حملاتها الصليبية عليهم (1).

بعد أن استقر الوضع بصفة عامة للاباضية بالمغرب الاسلامي في فترات امامة الظهور بالنسبة الى القرن الثاني الهجرى ، (الثامن الميلادى) اذ تجلى ذلك في عهد الرستميين بصفة خاصة (+) ، (160هـ/ 777م — 296هـ/ 908م) عاش المغرب الاسلامي فترة الحروب والفتن لما حاول الفاطميون أن يسيطروا عليه بعد الاطاحة بالدول القائمة فتمكنوا من اخضاعه لنفوذهم بعد جهد مضن الى حين انتقال المعز الى مصر (++) بعد أن أملى سياسته على خليفته "يوسف بن زيرى الصنهاجي" سنة (362هـ/ 972م) لما شيعه اثر احتلاله قابس قائلا له: "... ان نسيت شيئا مما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء : لا ترفع الجباية عن أهل البادية . ولا ترفع السيف عن البربر ......" (2) ، وقد قصد بالبربر "زناتة ومزاتة كما صرح بذلك في رواية أخرى ..." (3) . ومما أوصاه به أيضا :"تركت لك بافريقية مائة ألف منزل ، فاجعل في كل منزل فارسا ، تكتفي بذلك وتأتي على من حاربك ." (4) لذلك أتم الصنهاجيون ما قام به الفاطميون .

ان أهم الأحداث التي هزت كيان الاباضية بالمغرب الاسلامي وأثرت في اتجاه مصيره الى مرحلة الكتمان هي :

1- انظر: محمد العروسي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ص15 ط 2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .

(+) منذ اعلان امامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح اليمني في طرابلس الى نهاية الدولة الرستمية .

(++) آخر الخلفاء الفاطميين في المغرب الاسلامي حيث نقل مقر الحكم الفاطمي الى مصر بعد أن دان له المغرب فاستخلف فيها وريثه الصنهاجي .

(2) بكلي عبد الرحمان ، مقدمة على الدرجيني : طبقات ... ج1، ص (ح) .

(3) نفس المكان .— الشماخي : سير ، ص 354 .

(4) الدرجيني : طبقات ... 1/ ح . — الشماخي : سير ص 354 .

أولا: موقعة " مانو " (+) (283هـ/ 896- 897م) .

ثانيا: سقوط " تاهرت " (296هـ/ 908م) .

ثالثا: ثورتان مصيريتان للاباضية : (نكارية ، ووهبية) على العبيديين .

1- ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (++) .

2- ثورة أبي خزر يغلى بن زلتاف الوسياني (+++) .

تعتبر هذه الأحداث منعرجا مصيريا لتاريخ الاباضية وذلك لما ترتب عنها من نتائج في تسيير الأحداث فيما بعد .

(*) قصر كبير بين قابس وطرابلس، دارت فيه حرب بين اباضية نفوسة والأغالبة استشهد فيها خلق كثير ، وخاصة نفوسة اثنا عشر ألفا ، منهم أربعمائة عالم ، وثمانون منهم اسيسرا.

(**) اسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث اليفراني، ولد حوالي (270هـ/ 883م) بالسودان (كركوا) ، تعلم العلوم ، سافر الى سجلماسة مع أبي الربيع سليمان بن زرقون لدى العالم ابن الجمعي الذى قدم من المشرق ، اثر رجوع أبي يزيد فأصبح نكاريا ، قاد ثورة من جبال الأوراس على الفاطميين فعمت أنحاء واسعة، وكان يركب حمارا فلقب بصاحب الحمار ، كاد يقضي على الفاطميين لولا سوء تصرفه من جهة ومناصرة الصنهاجيين الفاطميين باخلاص ضده من جهة أخرى ، قتل تمثيلا سنة (336هـ/ 947م) .
أنظر: أبا زكريا : سير ... ص ص 116- 122
الدرجيني: طبقات ... 1/ 96- 102 .- باجية صالح (معاصر) : الاباضية بالجريد ص ص 115- 122 ، ط1 ، دار بوسلامة ، (1396هـ/ 1976م)، تونس.

(+++) من الحامة (قسطيلية) ببلاد الجريد جنوب تونس، تلميذ أبي الربيع سليمان ابن زرقون ، وسحنون بن أيوب ، صاحب الشيخ أبي القاسم يزيد بن مخلد الوسياني ، بلغا درجة مرموقة في العلم، وكونا حلقة سرية لتدريس العلوم وأصول الاباضية الوهبية ، تخرج عليهما طلبة كثيرون ، وكانا يخرجان الى البوادى يعلمان أهلها أمور دينهم ، ويتفقدان أحوالهم ، عندما قتل المعز الفاطمي أبا القاسم لما توجس منه القيام بالثورة عليه قام أبو خزر الزميل لأبي القاسم بالثورة على الفاطميين لما بويع اماما للدفاع ، وهي ثورة باغاي 23شوال (358هـ/ 968م) فانهزم ومن معه، فأخذ أبو تميم أبا خزر الى مصر ، واشتهر بين العلماء . توفي سنة (380هـ/ 990- 991م) . انظر: أبا زكريا : سير... ص ص142- 148 .- الدرجيني : طبقات ... 1/ 119- 142 .
الشماخي : سير ... ص 346 .- باجية صالح : الاباضية ... ص 129- 134 .

معنى العزابة

معنى العزابة لغويا: "عَزَبَ يَعزُبُ عزوبا" من العُزُوب كفُعُول مضموم الفاء والعين، وجمعه "عُزّاب" ومفرده "أعزب" وتفيد معنى: تغيب الانسان عن أهله، أو ماله، أو متاعه، كما تفيد معنى العزوبة بالنسبة الى من لم يتزوج، فيقال فيه: فلان "عازب" أو "أعزب". يقال: "عزب" أي رجل "عزب" و "معزابة" الذي لا أهل له وامرأة عزبة "وعزب": لا زوج لها. ورجلان عزبان والجمع: أعزاب و"العزاب" الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء "عزب يعزب عزوبة فهو "عازب" وجمعه "عزاب". والاسم "العزبة والعزوبة"... (1)

وردت بمعنى "الغياب" في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: "وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء" (2). وقوله تعالى: "لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض". (3)

فمدلول عزب تفيد معنى: الزهد في الدنيا، والاعراض عن الشيء كالأهل أو المال، أو عن حياة الدنيا ومتاعها، يقال: فلان زاهد في الدنيا، أي غير راغب فيها، أو غائب عنها كأن لم يكن فيها، وذلك لانقطاعه عنها والتوجه للعبادة والتنسك. يفيد ذلك تفسير آية سيدنا يونس (عليه السلام) "(... أي وما يبعد عن علمه ولا يخفى عليه أقل شيء يبلغ وزنه ثقل ذرة في الوجود السفلي والعلوي) (4).

— معنى العزابة اصطلاحا:

(... العزابة واحدهم عزابي، هذه اللفظة (5) استعملتها (+) لقبا لكل من لازم الطريق، وطلب العلم، وسير أهل الخير، وحافظ عليها وعمل بها، فان حسن (++) جميع هذه الصفات سمي عزابيا ..." (6)

يسمى العزابي اذا" من لازم الطريق ..." أي تقيد بقوانين الحلقة وأخلاقها متبعدا — من البعد — أو الابتعاد عن الشيء، ولكنه هنا: حب الدنيا ومشتهياتها أو زخارفها المغرية، وهو ما يتماشى مع تعريف الشيخ أبي عمار عبد الكافي (+++)

---

(1) ابن منظور (630هـ — 711هـ): لسان العرب، ج 2، ص 85، مصور عن طبعة بولاق، مطابع كوستاتسوماس، بدون تاريخ.

(2) سورة يونس. الآية: 61.

(3) سورة سبأ، الآية: 3.

(4) المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ج 11، ص 128. دار احياء التراث العربي بيروت.

(5) الدرجيني: طبقات ... ج 1، ص 3.

(+) هكذا في الأصل، والصحيح بحذف الضمير ليستقيم المعنى مع آخر النص.

(++) هكذا في الأصل، ولعله غلط مطبعي ويستقيم المعنى اذا ورد هكذا [فان اتصف بجميع ...].

(6) الدرجيني: المصدر السابق ج 1، ص 4.

(+++) ابن أبي يعقوب التناوتي ممن أئمة القرن السادس الهجري، ذكره الباروني في الطبقة الحادية عشرة أخذ العلم بوارجلان، ثم ارتحل الى تونس، وأقام فيها أعواما يتلقى علوم اللسان والمنطق، رجع بعدها الى وارجلان فاستقر بها، وكان يتجه الى بادية بني مصعب، وقد طور الحلقة بها، وله مراسلات وأجوبة ومؤلفات ذات شأن كبير، من أهمها: كتابه: الموجز في مقالات الاسلاميين وغيرهم في جزئين، حققه د. عمار الطالبي بعد أن ظل مخطوطا، وله شرح =

للعزابة بقوله — مجيبا عن سؤال أحد تلاميذه — " . . . أصل العزابة اشتقاقها من العزبة، والعزلة والغربة ، والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال ، وحاصل ذلك يرجع الى سير أهل "الحلقة" وما يجب عليهم من سير بعضهم على بعض . . . (1)

فمفهوم العزابة يفيد اذا معنى العزوبة ، وهي "الانفراد" فأطلق على الذين انقطعوا عن الدنيا الى الاشتغال بالدين علما وعملا ، وفي هذا المعنى يقول أبو حيان في حق الخليل بن احمد : عزوب عن الدنيا وعن زهراتها وشوق الى المولى وما هو واعد (2) ... يوضح البرادي (3) معنى الابتعاد والاعتزال بقوله : " . . . وذلك اذا اعتزل العوائق الدنيوية " وهذا يزيد توضيحا في التقييد السابق اذ يوضح ذلك بالاشتغال والاهتمام بالدين وتعلمه ومعرفة أحكامه ليسير العزابي بمقتضى أحكام الله عن بينة من امره ويطبق ذلك في حياته العملية نظاما وسلوكا لما له من مسؤولية كبرى في المجتمع ، بالمفهوم العام في عصرنا الحاضر ، أي أن لا يكون ما يهتم بنفسه وأمواله وأهله ، حتى لا يصدق فيهم قوله تعالى : "شغلتنا أموالنا وأهلونا" (4)

ليس العزابة في غنى عن الحياة، بل لا يجعلونها غاية ، وانما هي وسيلة الى الآخرة . يوضح الشيخ بكلي عبد الرحمن (+) معنى "العزوب أو العزوف عن الدنيا وعن زهراتها واشتقاق اسم العزابي منها أنه اعراض عن زخارف الدنيا ، " . . . والانقطاع الى الصلاح العام، والى طلب العلم الذى يتوقف عليه سير هذا النظام، وليس معنى هذا الانقطاع أنه لا يشتغل بشيء ما من شؤون الدنيا ، لأن هذا تتوقف عليه معيشته، ونفقة من تلزمه مؤونته ، وانما يريدون بالانقطاع ان لا ينهمكوا في الاقبال على الدنيا

= الجهالات، وهو كتاب حسن التصنيف من جودة البحث، شرح فيه بعض المسائل الكلامية التي أجملها الشيخ تبغورين بن عيسى في كتاب: الجهالات، وله مختصر في الفرائض وهو الذى رتب اسناد الطريقة الاباضية في طبقات، قسمها على سنوات التاريخ ، شمل كل طبقة خمسين سنة ما بينه وبين هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . — البرادي. الجواهر . . . ص 220 . — أنظر: الناصر عمر خليفة: ملامح عن الحركة العلمية في وارجلان وضواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري ، نشرة خاصة بمناسبة الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي بوارجلان . — علي معمر : الاباضية . . . / 215 — 21 . —

(1) أبو عمار عبد الكافي : سير حلقة "العزابة" ، "خ" ، ورقة 1، (7 أوراق) حجمه (21 27) حسب ما حكاه بعض تلاميذ الشيخ ابي عمار عبد الكافي ، حقق النسخ ونقحها وجمعها في نسخة واحدة الشيخ أبو القاسم عبد الحميد ، ناظر أوقاف الاباضية حاليا .

(2) أطفيش (أبو اسحاق) : هامش رقم 1، على كتاب: الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص للأطفيش (القطب) ، ص 24، ط 2، (1400هـ / 1980م) مطبعة البعث قسنطينة ، الجزائر .

(3) الجواهر . . . ص 207 .

(4) سورة الفتح ، الآية 11 .

(+) عالم اباضي جزائري معاصر ، ولد بمدينة العطف (ولاية غرداية) بوادي ميزاب سنة 1901 م أخذ العلم عن عمه الشيخ بكلي الحاج عمر بن حمو تلميذ (القطب) ومستشاره، وعن الشيخ حمو علي يوسف بن بكير ، ثم عن الشيخ المولود بن محمد الزريبي الأزهري في الجزائر العاصمة، ودخل جامع الزيتونة بتونس، وشارك في الحركة الدستورية بها . ساهم في مكتب تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عين عضوا في حلقة العزابة بالعطف سنة 1934م ومدير مدرسة الفتح ببريان سنة 1939م وواعظا في مسجد بريان ، شارك في ثورة التحرير ، أصبح عضوا في المجلس الاسلامي الأعلى ولجنة الفتوى والنائب الثاني لمجلس "عمي سعيد" ثم رئيسا له . فهو عالم، أديب، مؤرخ ، صحفي ، مترجم ، ... ترك كتبا منها "النيل" والفواعد" =

انشغالا يشغلهم عن المهمة الرئيسية التي عاهدوا الله تعالى على القيام بها ..." (1)
اذ لو عرض الزهد والتبتل لما تزوجوا ولما أنجبوا، ولما اشتغلوا بكسب قوتهم والتفرغ
للمسائل والقضايا العامة ..." لأن الاسلام الذي يجتهدون في اتباعه يرغب في النكاح
..." (2) على أن أبا القاسم يزيد بن مخلد (+) استنكر تزوج طالب يدرس في حلقته
فقال لأصحابه: "لأن يبلغني موت أحدكم أهون علي من أن يبلغني أنه تزوج" فقالت
له زوجه، ولم تزوجت اذا؟ فقال: "لو علمت مكان مسألة من العلم استفيدها عمن فاتتني
بها لشددت اليها رحلي ..... ولأخشى أن يعذبني الله الا على الجهل" (3)
فهذا الاستنكار من "أبي القاسم" رغبة منه حسب ما يبدو ليتفرغ الطالب للعلم والتحصيل
حتى لا يشغله الزواج والأهل عن ذلك كي ينفي الجهل عن نفسه كما علل ذلك حتى لا
يعذبه الله ان هو جهل فرائضه وأحكامه، وهو ما أرغم "لويكي" (4) من أن العزابة
من العزوبة وهو الاعراض عن الزواج وذلك للتفرغ للمهام. وهذا المفهوم منتشر لدى
المسيحيين الذين ينقطعون عن الزواج على أساس التفرغ التام للرهبنة والتبتل وخدمة
المسيحية والكنيسة في حين أن واضع نظام العزابة الامام أبا عبد الله محمد بن بكر
الفرسطائي قد تزوج وأنجب الأولاد. وادعى ("لويكي" (5) أن أبا عبد الله محمد
بن بكر هذا نفسه قد اشترط العزوبة على العزابي، ونترجم أنها اجبارية على من هو
في الحلقة بالنسبة الى تلك المرحلة الابتدائية لهذا النظام، كما ادعى ذلك.

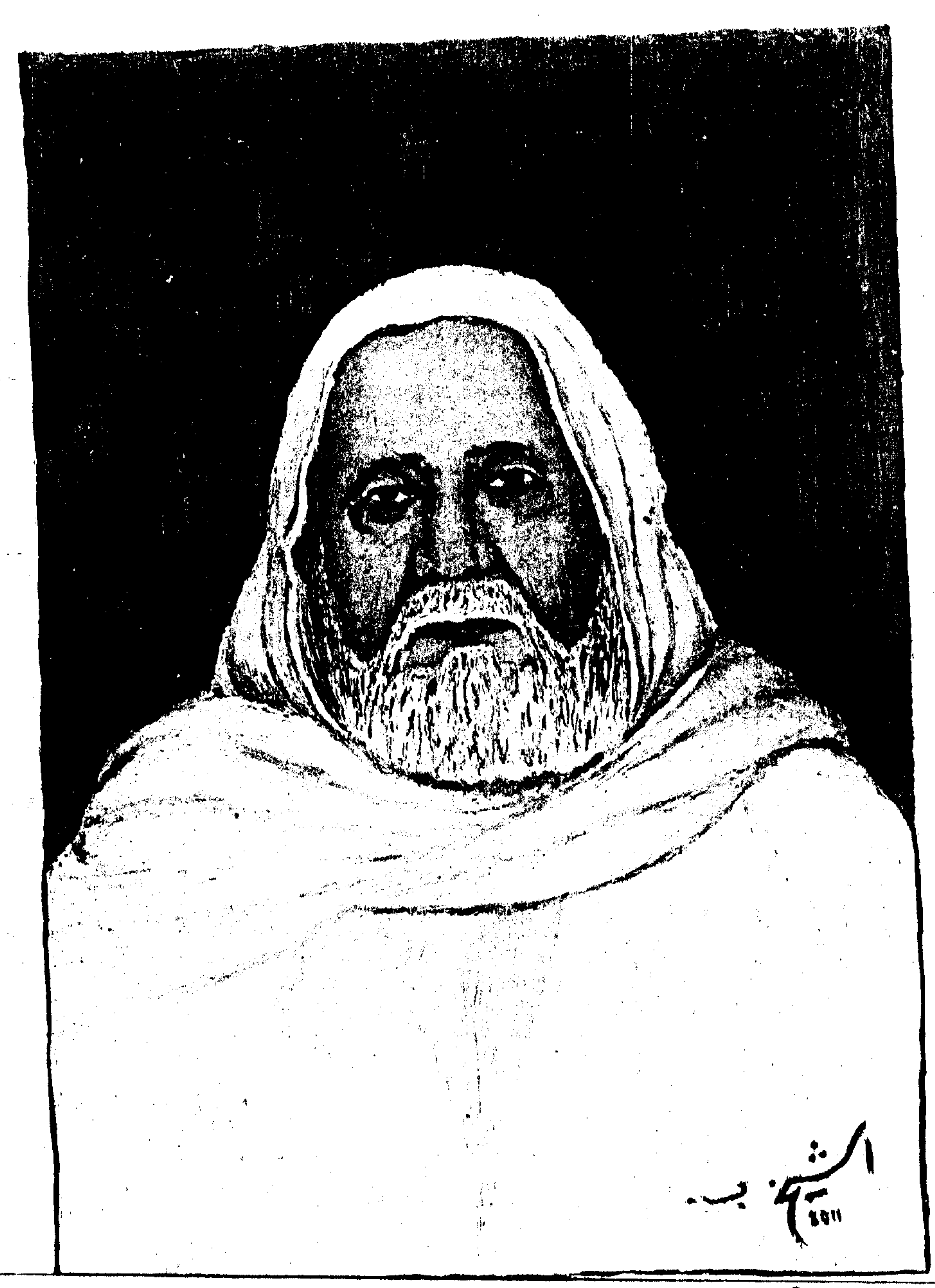
فالعزابي اذا كما قال الدرجيني: (6) هو لقب لكل من اتصف بمميزات تميزه
من غيره من المتعلمين، اذ لا يكفي العلم وحده بل ("من لازم الطريق" أي أن يكون
مسلما اباضيا - حسب مفهوم معنى "أهل الطريق" الذي أطلق على الاباضية الوهبية
كما ورد في بعض الوثائق، ويكون طالبا للعلم، ويلتزم بقوانين الحلقة، ويحافظ على
الأخلاق الاسلامية الصحيحة، ويطبق ذلك في سلوكه وحياته العملية، فانه بالمحافظة
على السير، والعمل بها، أي بقوانين الحلقة، وتطبيقه اياها يسمى عزابيا (7)
أما اذا حصل على العلوم ولكنه غير متخلق، أو لا يوظف علمه، ولا يطبقه في حياته،
ولا يحافظ على قوانين يسير بمقتضاها فانه لا يسمى عزابيا، (8) ولا متأهلا لذلك.

كما أن هناك أمورا بها يتميز العزابة عن غيرهم، ولا يشبههم غيرهم فيها مثل:
سمتهم، أو تسميتهم، ومؤاكلتهم، ولبسهم، وأوقات استراحتهم ونومهم، وتجالسهم.

= مخطوطات كثيرة، وديوان شعر، وفتاوى البكري في جزئين. حديث شخصي معه. أنظر:
ترجمته في كتابه فتاوى البكري تونس يوم (3 جمادى الأول 1406هـ/ 13 يناير 1986م)
وأنظر: وصية الشيخ بكلي عبد الرحمن الى أبنائه.
(1) بكلي عبد الرحمان: مراسلة خاصة.
(2) نفس المكان: لقوله صلى الله عليه وسلم: "تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم
الأمم يوم القيامة". رواه أحمد وصححه ابن حبان.
(+) الـ[illegible] جنوب تونس، عالم مجتهد جليل، قتله المعز الفاطمي. عنه أنظر الدرجيني:
طبقات ... 1/ 125.
(3) الدرجيني: طبقات ... 1/ 120.

(4) E.I.Art,"HALKA", T 3 , P:98 .
(5) LOC. CIT .

(6) طبقات ... 1/ 4.
(7) الدرجيني: طبقات ... 1/ 4.
(8) نفس المكان.



قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف بن عيسى (رحمه الله)
1236هـ/1818م - 1332هـ/1914م) بسمت العزابة.

وأورادهم ، وصيامهم وعباداتهم ، والابتعاد عن الأمور الدنيوية التي تشغلهم عن العمل للآخرة الخ ... ؛ (1)

تجمع المراجع المعاصرة تقريبا على أن معنى العزابة تعني "العزوب عن الدنيا ، ومظاهرها البراقة وملذاتها ، والانصراف لخدمة المذهب الاباضي ، والمجتمع الاباضي ، والدعوة الى الصلاح ، وتوجيه الناس وارشادهم الى الدين الاسلامي ، وما فيه المصلحة الجماعية ، وينتظمون في هيئة دينية تؤلف مجلسا ، أو حلقة يعبر عنها عرفا "العزابة" (2) .

أما ما يرتبط بشروط العضوية والمهام ، وتطور نظام العزابة ، فسيأتي البحث فيه . يبقى هناك سؤال وهو: هل تطلق كلمة الحلقة على هيئة العزابة فتفيد معناها ، وتصبح مرادفة لها ، أم تعني شيئاً آخر يختلف عن مدلولها ؟ ثم أيهما أسبق ؟ هذا ما سوف نناقشه فيما يلي ليتضح ما يفيد ذلك حسب تطور النظام لننتهي الى مفهوم شامل حسب المهام التي يقوم بها العزابة .

---

(1) نفسه .

(2) – بيوض : حديث شخصي . – أبو اليقظان : خلاصة ... ورقة 12 –
– أطفيش ابراهيم (أبو اسحاق) : وادي ميزاب هيئة حكومته (الحلقة الثانية) بحث نشر بمجلة "المنهاج" ج 5، م 1 ، جمادى الأولى (1344هـ) ص 329 .
– دبوز: نهضة ... 1/ 193 .
– لقبال موسى : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) ص 87، ط الأولى ، (1971) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

عبر عنهم بقوله: هم النخبة المثقفة والمتدينة لميزاب ، تمضي وقتها في الدراسة والتأمل .
– باجية صالح : الاباضية ... ص ص 123– 222 .
– عوض : النظم ... ص 27 .

معنى الحلقة

معنى الحلقة لغويا :

وردت بمعان كثيرة وأهمها بالنسبة الى موضوعنا ما أورده "ابن منظور" (1).

" ... الحلق بكسر الحاء، وفتح اللام جمع الحلقة مثل قصعة وقصع وهي الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيرها ... وتحلق القوم جلسوا حلقة حلقة ... "

ويضرب العرب مثلا يبين مدى التجاوب والالتحام بين المجتمعين في شكل حلقة على مابينهم من مودة وتآزر يخشى باسهم، كقولهم . " ابن الأعرابي هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أيها طرفها، يضرب مثلا للقوم اذا كانوا مجتمعين مؤتلفين كلمتهم وأيديهم واحدة، لا يطمع عدوهم فيهم، ولا ينال منهم ... " (2)

معنى الحلقة اصطلاحا :

جاء في دائرة المعارف الاسلامية (3) عن معنى الحلقة أنها تعني في الأصل : ناس يستديرون أمام عالم ديني مطلع على التشريع، وهذا في البداية عند أباضية وارجلان، ووادى أريغ، وميزاب، فأصبحت مجلسا للمتنسكين، وهذا المجلس يشرف على حياة المدن الميزابية ... "، هذا التعريف الاصطلاحي حديث معين، وهو ما تطور اليه مفهوم الحلقة منذ نشأتها حسب مهامها التي من أجلها ظهرت بيد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر .

هل ظهور هذا النظام يعتبر قديما أم حديثا ؟ يظهر بداهة أن كلمة "الحلقة" بمفهومها اللغوى قديمة جدا قبل القرن الخامس الهجرى، اذ عرفت عند العرب قبل ظهور الاسلام، بجلوس جماعة ما في شكل دائرى .

أما ابتكارات الشيخ محمد بن بكر فهي جديدة من حيث تنظيم طريقة التعليم، [...]اء مهام اجتماعية فنظامه يعتبر جديدا في عهده باعتبار ما آل اليه الاباضية .

ان تدريس العلوم اللغوية والشرعية بكيفية الجلوس على شكل حلقات هو الذى أعطى لهذا النظام الهادف هذا الاسم، فأصبح مرادفا له، وأحيانا غالبا عليه ليس الا، على أن حقيقة الحلقة أو تلقي العلوم، أو تدريسها في شكل حلقات غلبت تسميته في عهد الدولة الرستمية، بل يرقى بهذا الشكل الى عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كحديث عمر (رضي الله عنه) في بيان معنى الاسلام والايمان والاحسان (4) أو حديث النفر الثلاثة (5) . هذا على سبيل المثال لا الحصر .

اذا سبب تسمية نظام العزابة بنظام الحلقة راجع الى "أن الشيخ و زملاءه وتلاميذه

---

(1) لسان العرب " مج " ص 348 .

(2) نفس المصدر، ص 347 .

(3) Lewicki: l.I.Art,"HALKA",T3,P:97 .

(4) عن عمر (رضي الله عنه) قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم . ـ أنظر: النووى : يحي بن شرف الدين (ت676هـ: شرح الاربعين حديثا النووية، ص ص 6 ـ 7، دار الكتب العلمية، 1402هـ) بيـــروت .

(5) حديث أبي عبيدة رواه عن جابر بن زيد (رضي الله عنهما) قال بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بينما هو جالس في المسجد اذ أقبل ثلاثة =

يجلسون في مقرهم الظهري على شكل دائرة أو حلقة (1) ، بل نجد الدرجيني (2) يشير الى معنى الحلقة لغة واصطلاحا بقوله : "الحلقة اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم ، ويلقنهم السير ، ويبصرهم في الدين ، بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم ، يحصل البعض ، وان أعياه الكل ، " فان لم يصبها وابل فطل " ، فكأنهم محلقون ولو أنهم مفترقون ." وورد في "سير حلقة العزابة " (3) ذكر اسم الحلقة مرارا ، ويقصد بها هيئة جلوس العزابة أو وصف نظامهم وقوانينهم (4) أو اشارة الى مجالسهم. (5)

يلفت نظرنا في موضوع الحلقة اطلاق آخر مضاف اليها وهو شائع اذ صار أحيانا يقتصر عليه فيفهم منه نظام العزابة ـ حسب ما هو متداول في "وادي ميزاب" الا وهي كلمة "سير" وتعني مستلزمات الحلقة من تنظيمات خاصة بها، أو هي القوانين التي وضعها مؤسسها الأول ، الا أن معنى "نظام العزابة" أوسع دائرة من سير الحلقة ، لأنه كما يشرف من أول أمره على سير الحلقة ، يشرف كذلك على تسيير شؤون المجتمع ، وفق ما يأمر به الدين الحنيف ، ثم صار يراد به في اصطلاح عصرنا الجانب الاداري ، لا ما يشمل الأمرين معا . (6) هذا التوضيح يشير الى قوة وضعف نفوذ العزابة إذ بدأ أولا على شكل حلقات للتدريس ، وتنظيم الطلبة على برنامج معين لهم يسيرون بمقتضاه يوميا طيلة أيام الأسبوع ، ويشملهم نظام في حياتهم اليومية ، ويقومون بواجباتهم معتمدين على أنفسهم ، يقيمون شؤونهم بأنفسهم ، ولا يحتكون بالمجتمع كثيرا يلعزلون عنه الا في اطار الاتصال بالمشايخ أو الطلبة الآخرين ، كما يتميزون بسمتهم الخاص ، والاعتماد على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما سيأتي . (+)

= نفر ، فقصد أثنان الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وذهب واحد في حاجته ، فلما وقفا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سلما ، فقصد أحدهما الى فرجة في الحلقة فقعد فيها ، وجلس الآخر خلف الحلقة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "ألا أخبركم بأمر النفر الثلاثة " ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله ، قال : "أما أحدهم فآوى الى الله فآواه الله اليه ، وأما الثاني فاستحيا من الله ، فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض ، فأعرض الله عنه " . مسند الربيع ، ج 1 ، ص 11 .

(1) عوض : النظم ... ، ص 26 .

(2) طبقات ... ، 1 / 4 .

(3) أبو عمار عبد الكافي : سير : ورقة ، 1 ، 2 ، 3 .

(4) البرادي : الجواهر ... ، ص 207 .

(5) محمود اسماعيل : الخوارج ... ، ص 43 .

(6) بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة .

(+) أنظر : الفصل الرابع .

أسبـاب ظهور نظـام الحلقـة

هناك أسباب كثيرة أدت الى ظهور نظام الحلقة أو تطورها الى نظام العزابة، يمكن استنتاج معظمها مما تقدم، أو حصرها اجمالا فيما يلي :

1— الظروف التي أصبح يعيشها الاباضية بعد موقعة "مانو" (283هـ/ 896 — 897م) وسقوط "تاهرت" (296هـ/ 908م) وموقعة "باغاى" (358هـ/ 968م) .

2— الجو السياسي العام السائد بربوع المغرب الاسلامي في فترة العصور الوسطى وخاصة بعد الأحداث السابق ذكرها *.

3— انصراف الاباضية بزعامة شيوخهم عن الاهتمام بقضية الحكم، أو انشاء دولة تطبق شريعة الله في عهد مرحلة الظهور الى الاهتمام بالمجتمع والعمل على السير به في النهج الاسلامي، والاهتمام بشؤون الفرد المسلم، ونظام الجماعة، وعدم التعرض للسلطان أو محاربته (1)، كما سبقت الاشارة اليه .

4— اهتمام شيوخ الاباضية بالتنقلات وتبادل الزيارات، والارتباط بجماعاتهم والتشاور في تنظيم مصيرها للمحافظة على الكيان الاباضي .

5— اهتداء شيوخ الاباضية الى ضرورة ترتيب المجالس، وتنظيم الحلقات للتدريس سريا، والاهتداء بتنظيمات امام المذهب جابر بن زيد، وأبي عبيدة، فظهر مرة أخرى — في تاريخ الاباضية — التعليم في الغار بعيدا عن الأنظار . (2)

اذا هناك أسباب مختلفة، وكثيرة، وأهداف معينة أدت كلها حسب ما يبدو— الى القعود للحلقة، بل الظروف التاريخية في اطارها العام جعلت المشايخ وذوى الرأى الحصيف ينظمون الحلقات فتطورت الى ظهور نظام العزابة، وحسب ما سبق من تعريف الحلقة، وتاريخ تطورها يتبين أنها تنظيمات كانت في أول الأمر تتمثل أو تنحصر فيما يلي :

1— تدريس الشيخ ما يحتاج اليه تلاميذه من أبواب المعرفة بتدرج الى دراسة التفسير، وأصول العقيدة، والسيرة النبوية، وتاريخ الصحابة، وأئمة المذهب، والمسائل الفقهية .

2— تطور تنظيم حلقات التدريس الى وضع برامج خاصة بها لاستيعاب المعلومات وتعليم الأخلاق الاسلامية الفاضلة .

3— ظهور صنف من المتخرجين تأهل لتولي مهام اجتماعية تخدم مصلحة المجتمع . يمكن تسمية "الحلقة" عصريا بكونها عبارة عن برنامج للمدرسة الداخلية (3) . تطورت بمرور الزمن الى تنظيم التعليم، والمساهمة في الحياة الاجتماعية، وتولي مهمة المحتسب (4).

4— يمكن اعتبار نظام العزابة أنه تطور لنظام الحسبة التي ظهرت في العالم الاسلامي ووظيفتها هو " الاهتمام بأمور المسلمين (5) وقضاياهم والا استوجب ذلك منه البراءة

(+) أنظر : بداية هذا الفصل ص 2، هامش رقم :(*)

(1) علي معمر : الاباضية ...4/ 178 .

(2) البرادى أبو الفضل قاسم بن ابراهيم : فهرست كتاب تاريخ مشايخ وارجلان، وأريغ، والجريد في القرن الرابع والخامس الهجرى " مخ " ورقة 20، 24. حجم صغير (13x20سم، 24 سطرا) نسخت بتاريخ 27 رجب 1397هـ/ 13جويليت 1977م، مكتبة ابن يوسف محمد بن سليمان، العطف، ولاية غرداية .

(3—4) — بيوض : حديث شخصي . — بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(5) التميني ضياء الدين عبد العزيز (ت 1223هـ/ 1809م) كتاب النيل وشفاء العليل، تصحيح وتعليق بكلي عبد الرحمن بن عمر، ج 3، ص 1023، ط 2، =

لأنه لم يهتم بأمور المسلمين ولو دنيوية [1] فأول من مارس مهمات الحسبة هو الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) "فقد انكر على بائع الطعام — أن يجعل ما أصابه المطر فابتل — وسط الصبرة، كما نهى عن تلقي الركبان"[2]. ونظام الحسبة مبني على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أمر شرعي [3] كما سيأتي :

5— الاستناد الى أدلة شرعية من الكتاب والسنة، واجماع رأى علماء الاباضية ومشايخهم لتنظيم حياة الجماعة الاسلامية . وصيانتها . من ذلك :

أ — تحريض الله تعالى عباده المؤمنين بالتعاون مع بعضهم البعض في السراء والضراء وفيما فيه أعمال البر والاحسان، ويؤكد أمره بالنهي عن ضده، كما في قوله تعالى: " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله " [4]

ب — التحريض على العدل والاعتدال ووضع الأمور في اطارها لتستقيم الحياة ويسعد المجتمع فقال تعالى: "يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، أعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله " [5]

ج — التحريض على طلب العلم، وتعليم الصغار، وتعليم القرآن الكريم، ومدارسته، وذلك كقوله (صلى الله عليه وسلم) : "طلب العلم فريضة على كل مسلم . . . " . عن أبي هريرة "مرفوعا من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة" [6] وقوله (صلى الله عليه وسلم) "تعليم الصغار، يطفي غضب الرب "[7] .

د — الحرص التام على المحافظة على الاسلام وتطبيقه في الحكم وكل جوانب الحياة والا فقد المسلمون خصائصهم، وآل مجتمعهم الى الزوال فيكونون بهذا مسؤولين أمام الله تعالى ويخسرون دنياهم وآخرتهم اذ يقول تعالى : "أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون " [8] ويقول (صلى الله عليه وسلم) " لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة، فأولها نقضا : الحكم، وآخرها نقضا الصلاة " [9]

هـ — اعتبار نظام العزابة تطورا تاريخيا لرعاية المجتمع وصيانته، فظهر أن سلطة العزابة روحية تقوم مقام الامامة. [10] فالخليفة عند المسلمين هو الرئيس الزمني والديني في آن واحد، وهو غير ما يجرى به العمل في الغرب .

فقد تولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) رئاسة المسلمين، وكان يجمع بين السلطة الدينية والسياسية . ولما انتقل الى الرفيق الأعلى بويع أبو بكر (رضي الله عنه) خليفة للرسول (صلى الله عليه وسلم) فتولى مهام المسلمين الدينية والدنيوية،

= (1389هـ/1969م)، المطبعة العربية، الجزائر .

(1) نفس المكان .

(2) لقبال موسى : الحسبة . . . ص 22

(3) ابن خلدون عبد الرحمن : المقدمة، ص 225، مكتبة المثنى، بدون تاريخ، بغداد، العراق . — أنظر : الفصل الرابع .

(4) سورة المائدة، الآية : 2 .

(5) سورة المائدة الآية : 8 .

(6) العسقلاني أحمد بن علي بن حجر (773— 852 هـ) : فتح البارى شرح صحيح البخارى، مج 1، ص 173، دار المعرفة، بيروت .

(7) أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي" (صلى الله عليه وسلم) الحديث : أنظر: الربيع بن حبيب : الجامع . . . ج 1، ص 10 . (رقم 23) .

(8) سورة البقرة : الآية 85 .

(9)

(10) بيوض ابراهيم : حديث شخصي . القرارة .

أو الروح والسياسية ، وتتابع الخلفاء الراشدون على هذا المنهج . ان النظام عند الرستميين هو عبارة عن امام منتخب يحكم ويستشير المشايخ (1) .

و — الاعتناء بتنفيذ تعاليم الدين الاسلامي قدر الجهد والاستطاعة بدليل آيات قرآنية كثيرة . فكان الاهتمام بالدعوة الى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (2) . قال (صلى الله عليه وسلم) : "اذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم" .

ز — اقامة نظام الامامة لدى الاباضية على الشورى في فترة الظهور فيقيمون الحدود . (3) " أما في فترة الكتمان فبمثابة مجلس الشورى في فترة الظهور، غير أن السلطة التنفيذية تختلف بين الفترتين . . " فهو يقوم على نخبة من أهل الخير والصلاح تتولى أمور الدين والدنيا ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر" (4) بهذا يصبح نظام العزابة عبارة عن "الامامة الصغرى" تحافظ على المجتمع ساعية الى أن يعيش حياة لا تنحرف عن الدين الاسلامي .

ح — ضرورة تطبيق مبدأ " الولاية والبراءة " حسبما يراهما شيوخ الاباضية لما لهما من أثر ملموس في الحياة الاجتماعية ، فأكدوا " ولاية الأشخاص وبراءة الأشخاص" بمقتضى الشرع الاسلامي [illegible] ضرورة ايجاد سلطة تتولى هذا الجانب الشرعي فكانت من مهام العزابة ونفوذها تساعد على جني المجتمعات الاباضية ثماره الملموسة عبر تاريخه الطويل كما سيأتي .

ط — يعتبر قطب الأئمة "أن أمر العزابة لا يهمل لتوقف (+) الواجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخذ الحق ممن عليه ، ولمن له ، واقامة الأحباس ومال المسجد . . . " (5) .

ى — نزل أبو عمار عبد الكافي نظام العزابة بمنزلة السلطان العادل (6) لما له من أهمية ودور في المجتمع في غياب امامة الظهور .

---

(1) الثميني محمد (معاصر) : مفهوم الشورى والديمقراطية في التاريخ العربي لدى الرستميين والجماعات المحلية بوادي ميزاب بالجنوب الجزائري ، 8 مارس 1981 م . محاضرة ألقاها في المؤتمر البرلماني العربي الثاني بالجزائر : 18 ورقة حجم (21 31) .

(2) حموعمي سعيد : مراسلة خاصة . حديث شخصي .

(3) أنظر : عمرو بن جميع : عقيدة . . . ص 65 . — أنظر: الباروني أبو الربيع : مختصر . . . ص 74 . — والهامش (القطب) رقم (1) بحث عن الامامة العظمى . .

(4) الجعبيري فرحات: نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة ، ص 66، المطبعة العصرية 1975 ، تونس .

(+) في الأصل " توقيف" .

(5) نفس المكان . — مطهري محمد : حديث شخصي .

(6) سير . . . ورقة 3 .

تاريخ تطور الحلقة لدى الاباضية

تبين من خلال تصفح المصادر التاريخية الخاصة بالاباضية أن هناك محاولات لنشر المذهب الاباضي، والمحافظة عليه من ذويه نتيجة الاقتناع التام بأصوله ومبادئه لما تيقن الاباضية ألا قوة لهم في "الظهور" انتهج بعض شيوخهم كأبي القاسم سدرات بن الحسن البغطورى النفوسي (+) وأبي محمد عبد الله بن الخير النفوسي الونزيرفي (++) في تنظيمات تتماشى وفترة الضعف بعد الأحداث الجسام، فتعاونا معا في التعليم والتنظيم، وقد فكرا في أصول نظام يتمثل في الاعراض عن الجوانب السياسية الظاهرية والاهتمام بالجوانب الداخلية التعليمية والسلوكية، فتطورت تنظيماتهما في جبل نفوسة، فكانت "سيرة" استهدفا منها جمع الاباضية، وتوحيد صفوفهم وتوجيههم توجيها سليما في أهم جوانب الحياة ولا سيما التعليمية والدينية (1). أصبحت تنظيماتهما تتطور بمرور الزمن الى ظهور نظام "العزابة" حيث كانت أول مرة: فكرة، ثم سيرة، ثم عرفا (2). وذلك لحفظ كيان الاباضية من الاندثار والزوال دون أن يعرضهم للمصادمات والحروب وهجومات المخالفين (3).

بعد فشل كل المحاولات التي قام بها الاباضية ضد الحكم الفاطمي التجأوا الى الصحارى، فلم ينجح الفاطميون في الاستيلاء على جبل نفوسة، ووارجلان، فتفرق الاباضية فرارا بمذهبهم، وامتثالا لأوامر شيوخهم، فاستقروا في كثير من الواحات بالمغرب الاسلامي (4) وفكروا في المحافظة على ما يملكون من كتب ومؤلفات (5)، وذخائر علمية نفيسة خوفا من التلف، أو السطو، والحرق من المخالفين مثل ما حصل لمكتبة "المعصومة" بتاهرت التى أحرقها العبيديون (+++).

(+) من علماء القرن الثالث الهجرى، عمر طويلا فأعياه الكبر. كان عمره مائة وعشرين سنة أثناء موقعة "مانو" (285هـ) قعد يعلم ويفتي بعدها مباشرة ثلاثة أيام بلياليها، وقيل يوما وليلة، وعاش بعد "مانو" يعلم الناس ثلاثين سنة، كثرت مجالس علمه، قيل انه لم يبق بعد "مانو" الا هو وصديقه أبومحمد عبد الله بن الخير الونزيرفي، وكانت تضرب بهما الأمثال فيقال: "من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل البغطورى والونزيرفي". عنهما: أنظر: الدرجيني: طبقات... 2/ 316، الشماخي: السير، 236 – علي معمر: الاباضية... 4/ 269. –

(++) من علماء القرن الثالث الهجرى، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الخامسة (200 – 250هـ) أنظر: طبقات... 2/ 291. – عالم كبير، ورع، زاهد، مفت، عمر طويلا. هو من "ونزيرف" بجبل نفوسة، أخذ العلم عن "ابان بن وسيم" يحكم ويقضي بين الناس. سبقت الاشارة اليه ومجالسه مع أبي القاسم البغطورى. عنه أنظر: الدرجيني: طبقات... 2/ 316. – الشماخي: السير ص ص 218 – 236 – 37. – الباروني عبد الله بن يحي النفوسي: رسالة سلم العامة والمبتدئين، ص ص 54 – 55. هامش رقم 1. مطبعة النجاح، مصر. 1324هـ. – علي معمر: الاباضية... 259، 331.

(1) علي معمر: الاباضية... ص 4/ 269.

(2) أبو زكريا: سير... ص 129. – الشماخي: السير، ص ص 235 – 238. – علي معمر: الاباضية... 4/ 256. –

(3) الوسياني: سير، مخ 1/ 47. – محمود اسماعيل: الخوارج... ص ص 175، 76 – 190. علي معمر: الاباضية... 4/ 254.

(4) علي معمر: الاباضية... 4/ 254. – لقبال موسى (معاصر): دوركتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف (ق 5هـ/ 11م) ص 342، مطبعة زيانة، الجزائر 1979م.

(5) محمود اسماعيل: الخوارج... ص 175. –

(+++) تجمع المصادر الاباضية على أنها أحرقت من قبل العبيديين لكن الدكتور لقبال موسى لا يرى هذا الرأي... أنظر: لقبال: دور كتامة... ص 345، 47

اهتم الاباضية بحركة التأليف ، ونسخ الكتب التي تتناول عقيدتهم والدين الاسلامي وأحكامه كتخطيط لتنظيم اجتماعي جديد [1] . فتنظيم المجالس العلمية ، وعقد الحلقات لدى الاباضية يرتقي تاريخيا الى امام المذهب "جابر بن زيد" ثم ازداد انتظاما في السرية في عهد الامام "أبي عبيدة" كما مر .

هذا ويعتبر "أبو الحر علي بن الحسين العنبري [+]" أول من رتب تجمع الشيخ مع طلاب العلم ليفيدهم فيما يصلح لهم دنيا وأخرى ، أو التشاور فيما يخص اصلاح ما فسد . [2]

يعتبر "ابن زرقون" [++] من أهم الشخصيات الاباضية الأولى التي وضعت أسسا جديدة للتنظيم السري [3] بعد سقوط الدولة الرستمية فاهتم باقامة المجالس وحلقات الدرس [4] فقد تأثر بشيخه ابن الجمحي [5] ، وله مواقف وآراء . عاصره "سحنون بن أيوب" [+++] الذي نظم بدوره الحلقات فتخرج على يد "ابن زرقون ، وسحنون علماء واصلوا أعمالهما ، أشهرهم : أبو القاسم يزيد بن مخلد ، وأبو خزر يخلف بن زلتاف الوسيانيان [++++] ، فلما حصلا العلم بتفوق عقدا الحلقة [6] ، ووضعا بعض قواعد لها في عهدهما وطورا عمل شيخهما ابن زرقون ، وسحنون بن أيوب [7] . فتعلم عن ابي القاسم وأبي خزر

---

(1) فخار ابراهيم : الجماعات الاباضية في شمال افريقية مقال نشر بمجلة الثقافة ، ص 112 . عدد : 3 ، السنة الأولى ، جمادى الأولى (1391هـ/ يوليو 1971م) ط ابن بولعيد الجزائر .

(+) من "الشراة" أصحاب "عبد الله بن يحي" طالب الحق ، صنفهما الدرجيني في الطبقة الثالثة (100 — 150هـ) ، طبقات ... 2/ 238 م — عن أبي الحر. أنظر: الدرجيني ... 1/ 5 . — 2/ 262 —264 ، 69 . — عن الامام طالب الحق ، انظر: الباروني عبد الله سلم العامة ... ص 26 ، هو أبو يحي عبد الله بن يحي بن عمرو بن الأسود ابن عبد الله ، من أصحابه أبو حمزة المختار بن عوف بن سليمان . وبلج بن عقبة الأزدى البصرى وأبو علي بن الحصين العنبرى البصرى ، ويحي بن حرب ... تولى أبو يحي القضاء بحضرموت ، لما رأى الجور والحيف أستأذن شيخه الامام أبا عبيدة في القيام بالثورة فأذن له ، فزوده بنخبة من الشراة على رأسهم أبو حمزة فنجحت ثورتهم وأقام أبو يحي باليمن سنة 129 . — الباروني : سلم ... ص 26 —27 .

(2) الدرجيني : طبقات ... 1/ 5 . — باجية صالح : الاباضية ... ص 186 .

(++) هو أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي ، صنفه الدرجيني ضمن الخمسين الأولى من المائة الرابعة (300 —350هـ) واعتبره ضمن الطبقة السابعة مع ابن ماطوس وسحنون بن أيوب من قرية "تايديوت" بجبل ("يرشيون" بها مولده ومسكنه . أوصى له شيخه ابن الجمحي بجميع كتبه لشدة اعجابه به ، عنه ، أنظر: أبا زكريا : سير ... 128 — 131 — الدرجيني : طبقات ... 1/ 8 ، 110 ... 2/ 336 ، 339 ، 349 ، 350 — الشماخي : السير ، ص 279 — 280 .

(3 — 4 — 5) الدرجيني : طبقات ... 2/ 109 — 113 . — عوض: النظم ... ص 20 — 21 — 51 .

(+++) يذكره الدرجيني "سحنون بن أيوب" وأحيانا سحنون بن أبي أيوب ، صنفه ضمن الخمسين الأولى من المائة الرابعة (300 —350هـ) وجعله ضمن الطبقة السابعة ، هو عالم ، فقيه ، مفت ، ترك روايات وآثارا . له مجالس وحلقات ، عنه أنظر: الدرجيني : طبقات ... 1/ 119 — 19 . — 2/ 339 . — الشماخي : السير ، 292 . عوض : النظم ... ص 20 — 22 .

(++++) صنفهما الدرجيني ضمن الخمسين الأولى من المائة الرابعة — (300 —350هـ) . أنظر: طبقات ... 1/ 8 ، وهما من الطبقة السابعة: أنظر الدرجيني : طبقات ... 2/ 336 . أصلهما من "الحامة" ب"قسطيلية" من بلاد الجريد بجنوب تونس حاليا ، برعا في العلوم ، وتعاونا معا . كان أبو القاسم موسرا وينفق على طلبته ، ذاع صيته ، وتعرض للاغتيال من طرف خصومه ، وكثر أتباعه ، اعجب به أبو تميم المعيعي ورغب منه نقتله .

(6) أبو زكريا : سير ... ص 136 .

(7) الدرجيني : طبقات ... 1/ 119 [illegible]

خلق كثير من الاباضية أشهرهم أبو نوح سعيد بن زنغيل (+) الذى استفاد من ترتيبات وتنظيمات شيخيه (1) فتأثر بهما ولما لهما بعد "باغاى" (358هـ) اذ قتل المعز أبا القاسم ، وأخذ معه أبا خزر الى مصر (2) — فتمكن أبو نوح من الهروب الى "وارجلان" فأقام فيها حلقة للتدريس على غرار خطة أبي القاسم .

ظهر العالم أبو منصور يصجا بن يوجين اليراسني (3) ، وابنه أبو زكريا بجزيرة "جربة" ركز الأول المذهب الاباضي الوهبي فيها فأكمله الثاني ، وتخرج على يديه ، وعلى أبي نوح من توج كل الجهود السابقة في تنظيم الحلقة ووضع أسس نظام العزابة ، وهو أبو عبد الله محمد بن بكر .

= ...ص 126 .

(+) هو من أعلام مزاتة، ومن الخمسين الأخيرة من المائة الرابعة . أنظر: الدرجيني : طبقات ... 1 / 8 . ومن الطبقة الثامنة (350—400هـ) . أنظر: الدرجيني : طبقات ... 2/ 353 . كثير التجوال في المغرب ، ورع ، نزيه، سخي ، حليم ، ناسك متعبد ، ذو عزيمة صلبة لا تلين ، يقاوم الظلم ، يعطف على مصير المسلمين . ثار مع أبي خزر يغلى ابن زلتاف على العبيديين انتقاما من قتلهم لشيخه أبي القاسم ، عرفت بثورة باغاى (358هـ) انهزم واكتشف متنكرا فكبل بالحديد فأعانه المعز الفاطمي فصبر ، وعرف كيف يستميل المعز فقربه اليه لكنه تخلص منه حتى لا يصطحبه الى مصر فهرب الى وارجلان . — أنظر: أبا زكريا : سير ... ص ص 149—164 . — الدرجيني : طبقات ... 1/ 142—157— الشماخي : السير: 346 .

(1) الدرجيني : طبقات ... 1/ 120 . — الشماخي : السير ... 346 .

(2) الدرجيني : طبقات ... 1/ 119— 138 .

(3) ضبطه الشيخ سالم بن يعقوب هكذا "اليهراسني" . — أنظر: سالم بن يعقوب: تاريخ ص ص 77، 79 . — صنفه الدرجيني ضمن الطبقة السابعة ، وضمن الخمسين الأولى من القرن الرابع الهجرى (300—350هـ) . — أنظر الدرجيني : طبقات ... 1/ 8 . —2/ 336 . — تحمل كثيرا وصبر على الفاقة والاحتياج ، كرس جهودا مضنية للتحصيل على العلم مع الفاقة دون أن يعلم به أحد . مجاهد ، وممن يتولاه الاباضية بالشهرة ، بنى الجامع الكبير فأتمه ابنه فصيل ، وعقد مجالس وطبقات لتدريس الطلاب : . أنظر: أبا زكريا : سير: 165 . — الوسياني : سير ... 2/ 31 . — الدرجيني : طبقات ... 1/ 157 . —2/ 136 . — سالم بن يعقوب: (معاصر) : =

من نظام العزابة

الامام أبو عبد الله محمد بن بكر

اسمه :

أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي (+) النفوسي .

ولادته :

ولد بمدينة "فرسطاء" بجبل نفوسة (++) بليبيا (سنة 345هـ) (+++) .—

تقريبا ، من أبوين كريمين ، في أسرة اشتهرت بالعلم والتقوى والصلاح ، فأبوه وجده من علماء جبل نفوسة المشهورين ، فقد احتوت كتب الفقه أقوالا لهما في مسائل مختلفة (1)

تعلمه :

لا تذكر المصادر عن نشأة أبي عبد الله ومراحل طفولته ، وتعلمه في مسقط رأسه ، وما دام أبوه وجده عالمين ، فلاشك أنه أخذ العلم عن والده اذا افترضنا أنه حي في مرحلة طفولة ابنه هذا ، أما جده فلا يمكن أن نفترض أى شيء عنه في هذا الموضوع نظرا لعدم معرفتنا بما هو ضروري عن حياته .

لاشك أن الفتى دخل المدرسة القرآنية في طفولته ، شأن أبناء المسلمين في العالم الاسلامي الزاخر بالكتاتيب ، ولاعتناء الوالدين بتعليم أبنائهم القرآن الكريم امتثالا لتوجيهات الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله : " علموا أولادكم القرآن فانه أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله هو " (2).

ما دام أبو عبد الله قد أصبح فيما بعد عالما ، فلاشك أنه استظهر القرآن الكريم في صباه ، ويرجح أن ذلك كان قبل سن البلوغ شأن معظم العلماء والأئمة المجتهدين حسب الاستقراء العام .

= تاريخ جزيرة جربة ، ص 70، 77 . دار الجويني ، تونس 1406هـ / 1986م .

(+) "فرسطاء ، أو فوسطاطاه أو فورسطاء " قرية مهمة بشرق جبل نفوسة ، كانت كبيرة فأصبحت الآن صغيرة ، فهي عامرة بالاباضية ، وهي من أقدم قرى جبل نفوسة ، وكانت موجودة قبل الاسلام . أنشئت المدينة في اقليم أو مديرية الحرابة التابعة الى متصرفية "نالوت" فهي شرق مدينة "كاباو" غير بعيدة عنها ، وفي الطريق المؤدية الى "جادو" .— أنظر: الباروني عبد الله: رسالة سلم العامة، ص35.
— علي معمر: الاباضية ... 4/ 176 .

(++) جبال بمنطقة نفوسة جنوب طرابلس الغرب بليبيا . ونفوسة قبائل أمازيغية مشهورة في التاريخ ، لعبت أدوارا مهمة وأساسية في عهد الدولة الرستمية، فقد عاضدتها وساندتها بالرجال والمال والعلماء . توجد في المنطقة قرى كثيرة ، ومدن تاريخية فهي عامرة بالاباضية منذ ظهور هذا المذهب في ربوع المغرب الاسلامي .
لقد أخطأ "لويكي" في (E.I.Art"Halka"T.3,P:98) حين اعتقد أن أبا عبد الله محمد بن بكر ولد في بلاد الجريد .

(+++) ذكر الدرجيني في الخمسين الأولى من المائة الخامسة: أنظر: طبقات... 1/ 8 . ومن الطبقة التاسعة (450 هـ —500هـ) . طبقات ... 2/ 377 . عن تاريخ الميلاد حسب ما ضبطه بكلي عبد الرحمن . أنظر: علي معمر: الاباضية... 4/ 176 .
— النامي عمرو: ملامح ... هامش ورقة 7 . لكنه بعيد عما قاله الدرجيني .

(1) علي معمر: الاباضية ... 4/ 176—77 .

(2) رواه الربيع بن حبيب عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد . أنظر: الربيع بن حبيب: مسند الجامع الصحيح " باب (3) في ذكر القرآن " ج 1، ص 6 .

لم تتعرض المصادر الى ذكر شيوخه في جبل نفوسة ، وتذكر أنه أخذ نصيبه من العلوم النظرية فيها ، فاشتدت رغبة أبي عبد الله في الحصول على العلوم الأخرى ، فما كان منه الا أن سافر من أجل طلب العلم ، فاتجه الى جزيرة جربة ، فأخذ العلم عن بعض علمائها ، وخاصة الشيخ أبا زكريا فصيلا بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليراسني، (+) وكان أبو زكريا تلميذا لأبي خزر يغلى بن زلتاف، فاستوعب ما أراده من العلوم في الاجتماع (1). ثم انتقل الى القيروان، فتعلم فيها العلوم العربية والنحو والبلاغة وفنونها ،" فاستطاع التعمق في علوم القرآن والتفسير وتدبر معانيه " (2) . اتصل أبو عبد الله بأهل الدعوة المنتشرين آنذاك بنواحي القيروان، وأخذ عنهم العلوم ، فأوصاه " أحد الشيوخ بمن هو أعلم منه فدرس عنده " (3) . ولعله الشيخ منصور بن الشيخ عبد الغني الوسلاتي المزاتي (رضي الله عنهما) . وبعد ان اختبره قال عنه " الشيخ المنصور: عجبا من فراسته . . . " (4) ثم اتجه لاكمال علوم الفروع في " الحامة " (++) على يد الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا المزاتي الدمري (+++) (5) . وقرر أبو عبد الله الرجوع مرة أخرى الى شيخه الامام أبي نوح سعيد بن زنغيل (6) . يبدو من حوار أبي عبد الله مع شيخه (7) أنه تخصص عنده في الأصول، وعلم الكلام .

(+) عاش في الخمسين الأخيرة من المائة الرابعة : أنظر: الدرجيني : طبقات. . . 1/ 8
وهو من الطبقة الثامنة (350هـ ـ400هـ) ، أنظر: الدرجيني : طبقات. . . 2/ 353
ولد بمدينة " شروس " بجبل نفوسة ثم انتقل مع أبيه فاستقر بهما المقام في جربة،
وأبوه هو داعي الوهبية الأول في جربة ، وفصيل هو الذى أرسل نخبة من التلاميذ
مع ابنيه الى أبي عبد الله محمد بن بكر لينظم لهم الحلقة كما سيأتي ، أخذ العلم
عن أبيه ، وعن أبي خزر ، كرس جهوده من أجل العلم ، وتفانى فى تعلم أصول الدين ،
توسم فيه أبوه علامات النجابة وتمناه عالما فكان كما دعا ، أسس مدرسته بالجامع الكبير
الذى بناه أبوه في جربة فعلم فيها وأدارها بحكمة ، ودرس معه علماء آخرون ،
وكان سخيا على التلاميذ ، قصده علماء كثيرون . يوجد ضريحه بظهرة خبلاش بمقبرة
المجاهدين المحادية للجامع الكبير. وقفت عليه . أنظر: الدرجيني : طبقات . . .
1/ 159 .ـ2/ 365ـ363 .ـ علي معمر: الاباضية . . .3/ 103 .ـ سالم
ابن يعقوب: تاريخ . . .ص ص79ـ 83 .

(1) علي معمر : الاباضية . . .4/ 177 .

(2) علي امعمر: الاباضية. . .4/ 177 . .لم يشر الى العلوم التي اتقنها في القيروان مكتفيا بأنه " أراد أن يدرس علوم الاجتماع والمشاهدة " .
عوض: النظم . . . ص 25 .ـ

(3) الشماخي : السير، ص392 .

(4) الشماخي : نفس المكان .

(++) مدينة بمنطقة " الجريد " شمال " نفطة " و" توزر " بالجنوب التونسي حاليا حيث منطلق الثورة الاباضية ضد الفاطميين بعد مقتل الشيخ أبي القاسم يزيد بن مخلد .

(+++) ذكره الدرجيني في الخمسين الأولى من المائة الرابعة في الطبقة التاسعة .
أنظر: طبقات . . .1/ 9 .ـ2/ 377 .ـ فهو من علماء النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ومن مؤلفي " ديوان غار أمجماج " . أديب ، يقصده الطلبة ، يتمتع بالكرامات. . .أنظر: طبقات . . .2/ 409 .ـ الشماخي : السير، 401 .

(5) عوض: النظم . . .ص25 .

(6) علي معمر : الاباضية . . .4/ 177 .

(7) أنظر: أبا زكريا : سير . . .ص161 .

شيـــوخـــه :

شيوخه كثيرون منهم من ذكرته المصادر ومنهم من لم تذكره ولكن لم تأت بالأئمة الكبار حيث اقتصرت أهم تلك المصادر على شخصيتين بارزتين سوف نشير اليهما بعد أن نبدأ بمن تلقى منه أول المبادئ في القراءة والكتابة ، وهو ألصق الناس به على فرض أنه على قيد الحياة في مرحلة الصبا بالنسبة الى مترجمنا ووالده .

1ـ بكر بن أبي بكر الذى أخذ العلم بدوره عن ابن ماطوس (+) سليمان (1) .

2ـ أبو نوح سعيد بن زنغيل ، وذلك في "الحامة" ببلاد "الجريد". تفرس في أبي عبد الله معالم النجابة والذكاء ، فقال: " ان كنت أفهم شيئا فان هذا الفتى هو الذى يحيي دين الله (2) . فتحققت فراسة شيخه باحياء دين الله ، لم يغادر أبو عبد الله أبا نوح حتى توفي ، فاتجه الى القيروان ليتعلم ما هو في أشد الحاجة اليه من العلوم (3) . فمكث فيها مدة حتى تبحر فيها ، وبعد رجوعه قعد للحلقة . (4)

3ـ أبو زكريا فصيل بن أبي مسور (5) . لاحظ في الفتى ، الجد والاجتهاد وحسن السياسة وفضائل الخير فقال: " . . . ان أصاب خرصي ولم تخطئ فراستي فان هذا الفتى يحي الله به دينه (6) ، فقد صدقت فراسة الشيخ أبي زكريا ولم يخب فيه ظنه اذ أصبح أبو عبد الله اماما وموجها ومرجع الاباضية في عهده فوضع لهم نظام العزابة .

4ـ أبو عمران موسى بن زكريا :(+) قصده أبو عبد الله بعد أن رجع من القيروان وكان بـ "تاجديت" (+++) . ليغترف من عنده علم الفروع (7) . فتفوق فيها .

هؤلاء من أهم المشايخ الذين أخذ عنهم أبو عبد الله محمد بن بكر العلوم المختلفة . لا تذكر المصادر مراحل سني دراسة أبي عبد الله ، ولم تضبط سنوات تنقلاته من أجل طلب العلم ، واختيار أربابه ، وكذلك لم تشر الى المشايخ الآخرين ، المهم أنه ظفر بهذه النخبة من

(+) هو أبو الربيع سليمان بن ماطوس ، صنفه الدرجيني في الطبقة السابعة (300ـ 350هـ) أنظر: طبقات . . . 2/ 336 . من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، عاش في عصر سليمان بن زرقون ، يقصده الطلاب للتعلم ، ورع ، نزيه ، ذو كرامات ، اشتهر بالصبر وهو من الاثني عشر المشهورين باجابة الدعاء ، استشهد بـ "مانو" أنظر: الدرجيني: طبقات . . . 1/ 8 . ــ 2/ 350 . ــ الشماخي : السير ص 265ـ 66 .

(1) الشماخي : السير: 384 ، 393 . ــ سالم بن يعقوب: تاريخ . . . ص 90 .

(2) أنظر: أبا زكريا: سير: . . . ص 173 . ــ الوسياني : سير . . . 2/ 31ـ 32 . ــ الدرجيني : طبقات . . . 1/ 167 . ــ

(3) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 167 .

(4) نفسه .

(5) أبو زكريا: سير . . . ص 173 . ــ الوسياني : : سير . . . 2/ 31ـ 32 . ــ الدرجيني : طبقات . . . 1/ 8 . ــ ولد بمدينة "شروس" بجبل نفوسة أخذ العلم عن والده أبي مسور اليهراسني وأبي خزر يغلا الحامي اهتم بالتعليم ، أكمل أعمال أبيه ، يقصده الطلبة والعلماء ، تخرج على يديه فطاحلهم . وصفه العلماء بأوصاف فائقة نادرة ، عالم بالفرائض والفضائل ، له فتاوى وأحكام ، اتجه من جربة ليشترك مع أبي خزر في ثورته على الفاطميين فلما سمع بهزيمته قفل راجعا من الطريق ، تعرضت "جربة" في عهده لتعسف وهجومات قواد المعز ففكر في نظام الحلقة ، وشجع أبا عبد الله محمد بن بكر على وضع تنظيمات لها . ــ أنظر: الوسياني : سير . . . 2/ 42 . ــ الدرجيني : طبقات . . . 2/ 353ـ 361 . ــ الشماخي : السير . . . ص 371ـ 72 . سالم بن يعقوب: تاريخ . . . ص ص 79ـ 83 .

(6) أبو زكريا : سير . . . ص 173 . ــ الدرجيني : طبقات . . . 1/ 167 .

(++) مرت ترجمته آنفا .

(+++) موضع بقبلة "أريغ" غير بعيد عنه ، وهو بنواحي تقورت حاليا .

(7) الدرجيني : 1/ 169 . ــ البرادى أبو الفضل قاسم : فهرست . . . ورقة 1 . ــ عوض: النظم . . . ص 25 .

المشايخ ، ومما قاله عن الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل، الذى أستفاد منه الكثير ولم يرد فراقه ، فاضطر الى ذلك بعد وفاته، قال أبو عبد الله عن شيخه "ما أدركت فيما أدركت أفضل من الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل" (رضي الله عنه) (1) . هذا من شدة اعجابه به ، ولد ماثة أخلاقه، وتواضعه وثباته على مبدئه وجرائته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربته للبدع، فالقيام بالدعوة الى الله ، والثورة على الظلم ، كما كان من مشجعي حركة التعليم والاهتمام بحلقها .

تأثر أبو عبد الله بوصايا شيوخه ، فكانت نبراسا له في حياته، ومما أوصى به عمر بن يعلا محمد بن بكر، "عليك بلزوم قراءة القرآن، والدعاء الى الله، والرغبة اليه، والرأفة بالضعفاء، واحمل نفسك على ما لك يحملك (فصيل)" (+) . وقال: ما فارقت مركوبا قط، ولا بت عن أهلي قط، ولا فاتتني محضرة بني يانستن قط" (2) .

أبناؤه :

1 ـ أبو العباس أحمد ، وأخوه أبو يعقوب يوسف (3) ، وابراهيم . أما حفيده فهو أبو نوح يوسف (4) . أورد له الشماخي ترجمة مهمة (5) . لأبي العباس أحمد (+) تصانيف كثيرة (++) . فقد ألف في مختلف العلوم، واشتهر برواية الأخبار والدقة في النقل، فكان عمدة زمانه ، ومرجع المؤلفين ، ترك كتبا، وصنف خمسة وعشرين كتابا، وترك أخرى في الألواح (6) ولكن معظمها مفقود . وبعض الآخر مازال مخطوطا (7) ومبثوثا هنا وهناك .

أشهر تلامذته :

منهم ابنه أبو العباس وأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي وزكريا ويونس أبناء الشيخ أبي زكريا فصيل، وعدد آخر لا يحصى من كثرتهم" . . . كلهم نجباء فضلاء أخيار، ما منهم الا من عمت عليه بركته، وأينعت في العلوم ثمرته" (8) ومنهم أبو الخطاب عبد

---

(1) البرادى أبو الفضل: فهرست تاريخ . . . ورقة 11 .
(+) وردت هكذا في النص.
(2) أطفيش (القطب) : ترتيب المعلقات . . . ص 64 .
(3) الوسياني : سير . . . ج 2 ورقة 86 ـ الدرجيني : طبقات . . . 2/ 443 ، ـ الشماخي : سير . . . ص 425 .
(4) الشماخي : السير . . . 452 ، ـ الدرجيني : طبقات . . . 2/ 442 ـ 444 .
(5) الشماخي : السير . . . 452 ، ـ الدرجيني : طبقات . . . 2/ 442 ـ 444 .
(++) توفي سنة (504 ـ 5هـ) . تلقى العلم عن أبيه . وعلى أبي الربيع سليمان ابن يخلف . ترك تآليف كثيرة في مختلف الميادين منها : "الجامع في الفروع" ويعرف بأبي مسئلة ألفه استجابة لرغبة أبي عبد الله محمد النفوسي في جزئين وقد طبع بزنجبار . كتاب القسمة ـ أصول الأرضين عدة مجلدات ستة أجزاء . ـ تبين أفعال العباد في علم الأخلاق 3 أجزاء . ـ مسائل التوحيد . ـ رسالة مختصرة فيما لا يسع جهله . ـ مسائل الأموات ـ كتاب الدماء ـ كتاب الألواح . معظم هذه الكتب في خزائن المخطوطات في كل من مصر، وجبل نفوسة ، وجربة ، ووادى ميزاب . أنظر: عمر النامي : ملامح . . . ص 9 .
(6) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 443 .
(7) طلاى ابراهيم (معاصر) : هامش رقم 1 على كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني ، 2/ 443 . بعض هذه الكتب أصل كتاب النيل وشفاء العليل للشيخ عبد العزيز التميني وكتابه "السيرة في الدماء والجراحات" و"تبيين أفعال العباد"، مازال ضمن المخطوطات . أنظر: نفس المكان .
(8) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 189 .

السلام منصور بن وزجون [1] .

أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي :

صنفه الدرجيني في الطبقة العاشرة (450هـ ـ500هـ) من الخمسين الأولى من المائة الخامسة [2] ، توفي سنة (471هـ) [3] أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر ، وأبي محمد ويسلان بن أبي صالح وزكريا ويونس ، يعتبر من أنجب تلاميذ أبي عبدالله يمتاز بالورع والاخلاص والتقوى والزهد والعفاف أفنى عمره في العلم والتعلم . كثير التنقل بحلقاته الى مختلف مناطق أهل الدعوة كسوف ، وجربة ، وجبل نفوسة ، بجانب تفانيه في التعليم ترك مؤلفات منها : ديوانا في الأصول في مجلدين ، ركز عمله في الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [4] .

---

(1) Lewicki:E.I.Art , "HALKA" T. 3 , P:98 .

(2) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 8 و 2/ 425 .

(3) الباروني : ملامح . . . ورقة 9 .

(4) أبو زكريا : سيره 184ـ 188 ـ الدرجيني : طبقات . . . 1/ 191ـ 195 . الشماخي : ص412ـ 413 ـ الدرجيني : طبقات . . . 2/ 425ـ 429 .

أبو عبد الله محمد بن بكر

يؤسس الحلقة

محاولة وضع قوانين تنظيمية للحلقة :

ان انشاء أبي عبد الله للحلقة يعتبر النواة التنظيمية لنظام العزابة، فقد أنشأ بعض المشايخ الذين سبقوه حلقا للتعليم، ومنهم من وضع لها بعض التنظيمات ولكن الأوضاع العامة التي كان يعيشها الاباضية طوال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لم تمكنهم من تكوين لقاء عام يجمع مشايخهم لينظموا أمورهم، وانما كل يعمل على شاكلته في المكان الذى استقر فيه، أو يتنقل اليه، فصارت كل جماعة في موطنها تجتهد رأيها، فظلت فكرة وضع تنظيم جديد يتماشى والمرحلة تراود كبار شيوخ الاباضية الى أن ظهرت في وضع قوانين تنظيم الحلقة، من الشيخ أبي زكريا فصيل بن أبي مسور اليراساني، دون أى اضرار بالسلطة القائمة حتى لا تنال منها، وتأكد من صعوبة اقامة النظام وعجزه عن الاستمرار في تطبيقه لكبر سنه، اذن كانت البادرة من أبي زكريا، ولم يحجم عنها بل شرع في وضع خطة لتنفيذها، وهو اختيار نخبة من الطلاب، وتوجيهها الى أبي عبد الله[2].

ارسال أبي زكريا نخبة من الطلاب الى أبي عبد الله محمد بن بكر

وجه أبو زكريا ابنيه زكريا، ويوسف، وابن أخته أبا بكر بن يحي واخوته الى أبي عبد الله محمد بن بكر[3] "مع غيرهم من أقاربه في جماعة"[4] فوصاهم بالبحث عنه بالحاح شديد أنى كان مهما كلفهم ذلك من جهد ووقت، وأمرهم بملازمة أبي عبد الله محمد بن بكر، والدراسة عنده، أينما كان والاشتغال معه في أمور دنياه قائلا لهم "... وحيثما كان فكونوا معه ولو في شغل دنياه ..."[5].

الهدف من انتقاء النخبة وتوجيهها الى أبي عبد الله :

ان البادرة التي اتخذها أبو زكريا لا يمكن أن تكون عفوية أو مجردة من أى هدف، فلماذا هذا الحرص الشديد، والتأكيد القوى من أبي زكريا ؟ ولماذا اختيار نخبة طلائعية من أبنائه وأقاربه ؟ ولماذا اختيار أبي عبد الله بالذات؟ والبحث عنه أينما حل وارتحل، ثم ملازمته، ولماذا تقديم الاقتراح لتكوين الحلقة ؟ أسئلة جديرة بالتأمل والاجابة. فهي تفرض نفسها بنفسها، لأن هذه النخبة لم تتجه في رحلة سياحية أو للنزهة، ولم تتوجه باحثة عن أبي عبد الله من أجل مكسب تجارى، أو مغنم مالي. الى غير ذلك من مقاصد دنيوية أو دنيئة وانما هو بعد نظره وسداد رأى من أبي زكريا الذى له مواقف شجاعة في جزيرة جربة، كمجابهة النكار، وابراهيم بن وانوى[6] الذى استباح جربة فعاث

---

(1) الجعبير: نظام ... ص 181 .
(2) الدرجيني : طبقات ... 1 / 167 .
(3) أبو زكريا : سير ... ص170، 173 .
(4) الدرجيني : طبقات ... 1/ 167 .
(5) أبو زكريا : سير ... ص173 . ــ الدرجيني : طبقات ... 1/ 168 .
(6) الدرجيني : طبقات : ... 2/ 362 .

فيها فسادا مدعيا أن أهلها "أفسدوا على السلطان رعيته ، ولم يود واحق طاعته فلذلك نزل بهم ما نزل" (1) فصبر أبو زكريا فصيل وامتثل لأمره من عدم التدخل لئلا يصيبه مكروه، فتحمل الأذى ، ومما يبين لنا ضعف الاباضية في "جربة" أيضا في عهد أبي زكريا هو اتخاذه التقية حيث جابه عامل "ابن وانمي" وأشباهه بالاكرام والاحسان فأطعمهم الطعام وأنفق ماله لطلاب العلم فكان يقول: "من حرث زرعا وحصده، ودرسه، وطحنه، وعجنه، وأطعمه الجبابرة ، بمنزلة من أطعم الأولياء فلكليهما حظ من الثواب، وكلاهما يكتب عند الله صدقة ، كما روى في الخبر" (2) الا أنه لم يورد سند هذا الخبر (+) .

هذه الصورة تقدم لنا نموذجا مصغرا لما كان عليه الوضع في عهد أبي زكريا (++) فجعلته يفكر في طريقة مثلى تبقي "أهل الدعوة" وتبعد عنهم أذى مخالفيهم ، اقتنع أبو زكريا بعدم جدوى السعي الى تحقيق اماتةالظهور للاباضية في المغرب الاسلامي ولا سيما أن "الصنهاجيين" أقوياء ولا سبيل الى مواجهتهم بعد فشل ثورة "أبي خزر" على الفاطميين ، وأنه لا بد من مداراة الجبابرة والحكام المنحرفين لتجنب أذاهم ومكرهم حتى يعبد الله في الأرض ، لأنه في موقف ضعف بعد أن جرب حظه في مؤازرة ثورة أبي خزر، فقفل راجعا لما علم بفشلها فدخل مرحلة الكتمان بعد الدفاع ، وابتكر طريقة جديدة ، تتلاءم والوضع الراهن حتى لا يؤول وضع أهل الدعوة الى ما هو أسوأ ، ففكر في تنظيم الحلقة على مبادئ وأسس تليق بالمرحلة ، ورأى أن التوعية أساسية والاقتناع بها ضروري والا اضمحل الاباضية ، لذا وجه جهوده للتعليم والتثقيف والتركيز على العقيدة الاسلامية الصحيحة لدرء خطر الذوبان ، وفقدان الشخصية .

وفكر في انتقاء نخبة طلائعية تتحمل عبء هذه المسؤولية فاختارها من أبنائه وأقاربه ليعطي الدليل على صدق اتجاهه، وسداد نظريته وليفتح بذلك الطريق أمام الآخرين . لما اختمرت الفكرة في ذهن أبي زكريا وجد نفسه في سن لا تسمح له بتولي مهام تنفيذها لأنها تحتاج الى نشاط وسعي دؤوب وفتى قوي شجاع يتمتع بمؤهلات علمية يستطيع تحمل أعبائها بمقدرة فائقة ، فانتقى من بين طلابه صاحبها ، وهو الذي توسم فيه كل خير (4) لما أقبل عليه دارسا في جربة ، رأى ببصيرته أن شخصا هذه صفاته

---

(1) الدرجيني: طبقات ... 2/ 362 ـ 3 .
(2) نفسه.
(+) ربما أورده في غير هذا الموضع أو اكتفى الراوي بذلك دونه .
(++) ان أبلغ صورة تعبر عن عهد أبي زكريا، وهو يعيش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ــ ما قاله هو نفسه عن زمانه حسب ما أورده أبو زكريا "وبلغنا عن أبي زكريا أنه قال: اذا قحطت الأرض تنال الجنة بقبضة طعام ، واذا قحط الاسلام ، تنال الجنة بكلمة حق تقال ، وقحط الاسلام أشد من قحط الطعام وقد اجتمعا كلاهما في زماننا هذا : سير ... ص 167.
(3) أبو زكريا : سير ... ص 167 .ــ الدرجيني: طبقات ... 1 / 161 .
(4) طبقات ... 1 / 167 .

ومؤهلات فضلا عن نبوغه في مختلف الميادين بالنسبة الى عصره وخاصة في الأصول، واللسان واكتسابه تجارب من تنقلاته وأسفاره جدير بأن ينتخب لمهمة تنظيم الحلقة، وتسيير شؤون "أهل الدعوة".

<u>وصول النخبة الي جبال تمولست :</u> (+)

خرجت النخبة التي انتقاها أبو زكريا من جربة وهي تبحث عن أبي عبد الله فبلغت "جبال تمولست" فوجدت أهل الدعوة قد تخيروا الا "يصليتيـن" (++) والنساء، والأطفال، فعدلت عنها الى "أمدو" (+++) فلما سمع بها "يصليتين" التحق بهم فألح عليهم بالرجوع الى "تمولست" فاعتذروا له لكنه هددهم بتخليه عن أهل الدعوة، عند ذاك استجابوا لرغبته، فرجعوا معه لأيام يكرمهم ويستأنس بهم، فشهدوا منه كرامات كثيرة، فاطمأنوا اليه، ودعا لهم بالخير والتوفيق، فحمدوا سعيهم لديه، واعتبروا فيما بعد لقاءهم بالشيخ أبي عبد الله من كرامات "يصليتين" (1).

<u>النخبة تلتقي بالشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر في "تيقيوس" (++++) :</u>

لما خرجت النخبة من "تمولست" باحثة عن الشيخ أبي عبد الله استقر بها المقام في "تقيوس"، فصادفت قدومه من "القيروان" وهو ينوى الاتجاه الى "تاجديت" (+++++) حيث يقيم الشيخ أبو عمران موسى بن زكريا" ليستزيد منه في ما هو بحاجة اليه في علم الفروع (2).

ألحت النخبة على الشيخ أبي عبد الله أن يقعد لهم للحلقة مبلغين أياه وصايا الشيخ أبي زكريا وتعليماته في هذا الشأن، ولكنه امتنع عن ذلك فألحوا عليه مرارا دون أن يستسلموا لليأس، لكنهم كادوا يقنطون لشدة امتناعه (3).

<u>أبو عبد الله يؤسس الحلقة في مسجد "المنية :</u> (++++++)

تروي المصادر الاباضية أن سبب قعود أبي عبد الله للحلقة يرجع الى الحاح النخبة في الطلب رغم اباثه ذلك، وقد جلست معه مرة أمام مسجد "المنية" تراوده في الشأن، فاذا بهم يلاحظون خروج رجلين من "تيقيوس" يشيع أحدهما الآخر وهو متجه نحو الحامة، "فلما افترقا نادى أحدهما صاحبه، وقال: اسمع يا فلان، قال: فالتفت اليه وقال، اجعلها لله فمن جعلها لله فلا تضيع، فلما سمعوا تلك المقالة، تفاءلوا بها... فأجابهم على شرط ألا يسأل، ولا يجيب حتى تمضي أربعة أشهر" (4) هل تعتبر هذه المصادفة سببا

(+) تقع بالجنوب التونسي، بين "الجريد" وجبال "الحوايي" (بني خداش). أنظر: الجعبيري: نظام... ص 43ـ ضبطت بتاء مفتوحة في آخرها في سير أبي زكرياء ص 173، ومفتوحة في طبقات الدرجيني: 1/ 68.

(++) هو الفقيه أبي الربيع سليمان بن يخلف أنظر: أبا زكريا: سير... ص 173. الدرجيني: طبقات... 1/ 168.

(+++) هكذا في سير أبي زكريا: ص 173، أما الدرجيني فقد ضبطها بـ"أمدر" أنظر: طبقات... 1/ 168.

(1) الدرجيني: طبقات... 1/ 168.

(++++) مدينة جنوب قفصة، وشمال توزر حيث شط الجريد بجنوب تونس. أنظر: ملحق رقم: (4)

(+++++) وتجديت موضع معلوم بقبلة أريغ، وليست ببعيدة منه، أنظر: الشماخي: ص 488.

(2) أبو زكريا: سير... ص 174. ـ الدرجيني: طبقات... 1/ 168ـ 169.

(3) أبو زكريا: سير... ص 174. ـ الدرجيني: طبقات... 1/ 169.

(++++++) يقع مسجد المنية بسور مدينة "تيقيوس" بالجهة الغربية في الطريق المؤدى الى الحامة. ـ أنظر: الجعبيري: نظام... ص 33.

(4) أبو زكريا: سير... ص 174. ـ أنظر: الدرجيني: طبقات... 1/ 169.

في قبول أبي عبد الله طلب النخبة لتأسيس الحلقة ؟ أم هناك أسباب أخرى وعوامل متعددة جعلت أبا عبد الله يفكر في تأسيس الحلقة ؟ يبدو من خلال دراسة أوضاع العالم الاسلامي في القرن الرابع والخامس الهجريين وخاصة ما آل اليه الاباضية حسب ما تقدم إنها هي التي بلورت فكرة تنظيم الحلقات حسب الأوضاع، وبالتالي انشاء نظام العزابة فكان التفكير من أبي زكريا ، فهو صاحب الاقتراح المدعم بارسال نخبة الى أبي عبد الله ، وأبو عبد الله واضع أسس نظام العزابة وقوانينه ، فصار ترتيبها من أبي عبد الله كما يذكر ذلك الدرجيني[1] ، وأنها أى " الحلقة المباركة الصادرة عن اكرام مشاركة بين الشجرتين الطيبتين المسورية والبكرية بخطبة واجابة كانتا في الله ، فتولدت بينهما هذه الأنوار البهية "[2] ولذلك سمي هذا النظام عندما ظهر بيد أبي عبد الله بـ" السيرة المسورية البكرية " نسبة الى " أبي زكريا الذى يرجع اليه الفضل في تحريض أبي عبد الله عليه ، وجهد الأخير في استفراغ طاقاته لوضع قوانينها بما يتماشى مع الظروف الزمانية والمكانية ، وما يناسب " مستقبل الأجيال الصاعدة ليكفل لهم سعادة الدارين "[3] ان هم ساروا على منهج الله تعالى . مع أنه يمكن أن يكون قد دار الحديث بينهما قبل أن يغادر أبو عبد الله أبا زكريا في جربة اذ ربما كلفه به أثناء لقائهما فيها ، وانما أعطى له مهلة كافية ليستزيد من العلوم التي يرغب فيها فيتأهل باستحقاق لتسيير نظام العزابة، والاشراف عليه مباشرة، ان مما يعضد هذا ، اعتبار الأسباب غير المباشرة لنظام العزابة أقوى من الحاح النخبة على أبي عبد الله أن يقعد لهم للحلقة كما سبقت الاشارة اليه . فتنظيم أبي عبد الله يعتبر ارهاصا أوليا لما قام به المشايخ الذين سبقوه . هذا وان ما أورده الدرجيني[4] لمن الشجرتين المسورية والبكرية لمما يقوى وجود الصلة بين أبي زكريا صاحب الاقتراح ، وأبي عبد الله صاحب الاستجابة ، ويعطى دلالة قوية على ما دار بين الشيخ وتلميذه قبل ارسال أبي زكريا للنخبة .

ومما يبين أن أبا عبد الله كان يفكر في نظام العزابة ، ويعمل له قبل الحاح النخبة هو ما قام به في جبل نفوسة من بناء مسجد في مسقط رأسه " فرسطاء " مازال يحمل اسمه الى الآن[5] فوضع في الجبل نظام العزابة بعد التعاون مع أبي زكريا في الخطوط العريضة ثم رجع الى جربة ، وتعاون مع علمائها ، ثم تنقل الى مناطق الاباضية بجنوب تونس والجزائر.

لم يورد أبو زكريا ولا الدرجيني تلك التفاصيل، وانما اكتفيا بذكر ارسال النخبة، واعتبرا ذلك سببا لقعود أبي عبد الله للحلقة ، يرى الجعبيري " أن الفكرة كانت تلح

---

(1) طبقات ... 1/ 170 .
(2) نفس المكان .
(3) أبو اليقظان ابراهيم : الاباضية في شمال افريقيا ، خ " 3 ، ورقة 15 ، اقتبسه الجعبيري نظام ... ص 34 .
(4) طبقات ... 1/ 170 .
(5) علي معمر : الاباضية ... 4/ 177 .

عليه من أول مرة غير أنه تورع في بداية الأمر لما يعرفي عن عبء هذا العمل .

كان الشيخ أبو عبد الله "يستخير الله فيما يقدمه من أموره" [1] ففكر تفكيرا عميقا فيما هو مقدم عليه لوضع نظام لا يعرض المجموعات الاباضية المتفرقة هنا وهناك الى الاضمحلال والابادة ، ويجنبها المصادمات مع غيرها ، اذا اعتبر الحاج النخبة على أبي عبد الله محمد ابن بكر ليقعد لهم للحلقة سببا لذلك فيمكن أن يعد سببا مباشرا لها فقط ، وكيف يمكن أن يعتبر ما قاله المودع لصاحبه بعد أن ناداه اثر توديعه "اجعلها لله فلا تخيب" سببا لاستجابة أبي عبد الله لرغبة النخبة بعد امتناعه ، وهل عالم مثل أبي عبد الله يستجيب هكذا لرغبة النخبة بسبب كلام سمعها من مودع لصاحبه ؟ أو يمتنع ذلك الامتناع الشديد عن تلبية رغبة النخبة ، وعن رغبة شيخه أبي زكريا الذى يكن له كل احترام وود ؟ وهل مثل الشيخ أبي عبد الله الذى تفرس في العلوم ، وتنقل ما بين مناطق الاباضية لا يستفيد من أسفاره ، ولا يدرك حالة عصره وما آل اليه الاباضية من تفرق وضعف بعد "باغاى" وسياسة الفاطميين والصنهاجيين ازاء الاباضية ، ومشايخهم حتى لا يفكر في انقاذ الوضع ووضع حد للضعف والانقسام ؟ لاشك أن هذه الأوضاع كلها كانت تشغل فكر أبي عبد الله لوضع برنامج ، أو خطة لمعالجة الحالة التي أصبح عليها الاباضية بصفة خاصة والمسلمون بصفة عامة كي لا يزداد الوضع سوءا ، ففكر في نظام العزابة ، واستفاد من تجارب من سبقوه وراعى حق الرعاية وصايا شيخه أبي زكريا ، لهذا وغيره نجد "أن أبا عبد الله قد انصرف بجهوده كلية الى بناء حركة علمية تربوية منظمة تنظيما دقيقا للمحافظة على استمرارية البناء الاجتماعي والديني والعلمي للمجتمعات الاباضية حين خبر ما انتهت اليه تلك المحاولات السياسية قبله من انهاك للجماعة وتبديد لطاقاتها ، واضعاف لامكانياتها" [2] وتجلى هذا النظام التربوى في القعود للحلقة على أسس جديدة فاهتداء أبي عبد الله الى نظام الحلقة كان بعد تدبر وتقدير الأمور "فحرره وكتبه ودون قواعده فعرف به . ." [3] فهو قد سبق غيره الى هذا بالكيفية والطريقة التي وضعها هو حين عقد من سبقه الحلق للتدريس فالمصادر الاباضية تذكر بعض حلق العلماء قبل أبي عبد الله كما تورد بعض تنظيماتهم لكنها محدودة جدا وغير متبلورة تماما بمثل ما قام به أبو عبد الله ، كما ترد فيها أيضا عبارة "العزابة" مما يدل على استعمال الكلمة قبل نظام أبي عبد الله [4] مما يفهم أن معنى العزابة تعني حسب ما يبدو طلبة العلم ، [5] واستمرت مرادفة لها

---

(1) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 .

(2) النامي : ملامح . . . ورقة 7 .

(3) بكلي عبد الرحمن : "تقييدات تاريخية" اقتبسه عمرو النامي : ملامح . . . ورقة 7 .

(4) يورد أبو زكريا أن أبا الربيع سليمان بن زرقون التقى بأربع فرق من فرق الاباضية في أيام أبي الخطاب وسيم بن سنتين وجدهم في الحلقة فقعد في طرفها الى أن قدموه وجهاؤها يسألونه فيجيب الخ . . سير . . . ص 130 . ويورد أبو زكريا أيضا عن تعلم أبي القاسم يزيد بن مخلد وأبي خزر يغلى بن زلتاف الوسيانيين الى أن يقول: "وكانت تلك حالهما حتى بلغا من العلم مبلغا عظيما فعقدا الحلقة وتأتيهما من أهل الدعوة من كانت له رغبة في العلم . . ." سير . . . ص 136 . ـ اشترك الشيخ عبود من بني كريزغ في ثورة "باغاى" وعليه الحلقة " ، سير . . . ص 143 .

(5) أورد أبو زكريا كلمة العزابة في صدد الحديث عن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد فقال عنه " . . . فلما أحس من نفسه القوة ورأى كثرة من اجتمع له من الناس تكلم اليه بعض عزابتهم . . . " سير . . . ص 118 . ـ فالكلمة "تنطبق خصوصا على طلبة العلم" نفسه الهامش ص 123 . ـ أنظر : Lewicki:E.I.Art,"HALKA"T.3, P:100

حتى العصر الحالي حسب الوثائق المتوفرة (1) ، ثم صارت كلمة العزابة تأخذ مفهوم الهيئة الدينية التي تتولى تسيير المسجد ومهام الأموات علي تنظيم المجتمع ورعايته (2). فهي عبارة عن "مؤسسة دينية تقوم بمهام دينية واجتماعية ..." (3).

لما امتنع أبو عبد الله من استجابة طلب النخبة أو يعقد لها الحلقة لم يكن ذلك نفورا منه أو اعراضا عن الفكرة من الأساس ، ولكن حسب ما يبدو كان الاقتراح جاء قبل أوانه ، وهو لم يكن مستعدا له في ذلك الحين ، ثم تواصل الطلب من حيث المبدأ القعود للحلقة فاستجاب للمقترح بعد تدبر وتفكير حتى لا تضيع الفرصة ، وحتى لا يخيب آمال شيخه وإخوانه ... ومن جهة أخرى ... أتم استعداده ... ترسمية معه ، ... أثناء السفر ... من أجل التدريس وتحمل المسؤولية معه ... ، وتخوف من ... ، فقرر أبو عبد الله بداية التدريس ولكنه اشترط على النخبة أن تمهله مدة أربعة أشهر كاملة كما أوردته المصادر الاباضية ليستفرغ جهده ، ويبني تنظيما دقيقا للحلقة يتولاه هو بنفسه بعد أن يراجع معلوماته (4) وخبراته ، وما قام به من محاولات سابقة في جبل نفوسة (5) مراعيا الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لعهده يختلف عن الفترات السابقة ، ويتماشى مع الوضع فيصلح لها ، وتصلح له حتى يعيد الله ... ، فيعيد ... الاباضية الذين فقدوا سلطانهم .

فلما انتهت المدة التي قررها وفى بالتزاماته ووعده ، فأسس الحلقة في مسجد المنية سنة(408هـ / 1017 ـ 1018م) فكانت نواتها النخبة التي أرغمها أبو زكريا وهي كاملة الاستعداد لتتقبل أي تعاليم من أبي عبد الله وتتلقى منه المعرفة وأصول عقائدها .

فتمكن أبو عبد الله مما كان يرغب فيه من مواصلة استزادة العلم والمعرفة ورأى ضرورة تنظيم التعليم وتعميمه ، ونشر ... ، فأعد لذلك أماكن خاصة له

كان أبو عبد الله يختار لمقر حلقته المكان الملائم لرسالته وتطبيقه ، فقرر الخروج من "تيغيوسر" ... ، والعشائر من ... نتيجة الحروب وعدم الاستقرار ، والخوف ... الناس ... ، ... العام ... "بعام هزيمة الأبرار" (6) ... "... على ..." (+) من ناحية "طرابلس" (7) كما تميز "... الزلازل ، ... خوفا" (8) ولذلك قرر التنقل والاتصال بالجماعات الاباضية ليتم ... ، ويرسم ... الاسلام في ... ، وينقذهم من التفكك ، وينشر نظام العزابة ، ويعمل على توحيد المسلمين .

= ملاحق : مزاب ... — MELIA : GHARDAIA, P: 102- 103 .

(1) أنظر : (ملحق رقم 38)

(2) الشيخ (أبو اسحاق) : ... ميزاب ... ج2 — Marghoub . Le Developpement...P;30 .

دبوز : نهضة ... 194 .

(3) ... المحسن ...

(4) الجعبيري : نظام ... .

(5) علي معمر : الاباضية ... 177 .

(6) الدرجيني : طبقات ... / 169 .

( ) قبيلة ... بربرية ... تنتشر ... شمال غرب افريقيا من طرابلس حتى جنوب الأندلس .

(7) الدرجيني : طبقات ... 1/ 169 .

(8) نفســـه .

أ ـ أبو عبد الله في " وادي ريغ " :

حرص أبو عبد الله أشد الحرص على تطبيق نظامه الذي اهتدى اليه لكي يحقق أهدافه المرجوة حتى لا يقضى عليه في المهد ، فصار يفكر في تطبيقه أنى واتته الفرصة ، وفي أي مكان ملائم له ليؤتي ثماره ، وحاول أن يكون ذلك في مواطن بعيدة عن الأنظار والسلطة ، أو في جهة يطمئن فيها لمن يساعده ويناصره ويحميه ، وبعد أن استخار الله فيما هو عازم عليه من أموره فتح الله عليه بحل يلبي رغبته ، وهو الالتجاء الى قبيلة مغراوة بأريغ (1) (+) .

استشار الشيخ أبو عبد الله النخبة فيما هو عازم عليه قائلا لها : " . . . ان ها هنا أناسا رقاق القلوب ، أرجو أن ينتجع فيهم الاسلام ، ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ، ويكونوا لهذا الخير أهلا ، وهم مغراوة ريغ ، فما رأيكم في الانتقال الى جهتهم ؟ قالوا في رأيك اليمن والبركة . . . " (2) انشرح صدر النخبة لاقتراح الشيخ وامتثلت لرأيه ، واستعدت له .

لما وجد الشيخ أبو عبد الله استحسان النخبة والأصحاب لرأيه أرسل رسولا الى أبي القاسم يونس بن ويزكن الوليلي (3) ، يخبره بما ينويه هو وتلامذته من اختيار "أريغ" لدراسة العلوم ، وألح عليه بتحضير غار يكون مأوى لهم ومقرا لحلقتهم ، ينفردون فيه لتحقيق ما عزموا عليه من تطبيق نظام الحلقة (4) ، فاستجاب أبو القاسم لطلبه ، فشرع في حفر الغار وتحضيره (5) ، ولما أتم كل تحضيراته انتقل أبو عبد الله بتلامذته الى مغراوة ريغ (6) ، فعقد الحلقة ، وجلس للتدريس بأريغ سنة (409هـ/ 1018 ـ 1019م) (7) .

ب ـ أبو عبد الله في "تنيسلي" (++) :

بعد أن أقام أبو عبد الله وتلامذته مدة في ضيافة بني ويليل بـ"أريغ" انتقلوا الى "تينيسلي" فأسس أبو عبد الله فيها الحلقة (8) وذلك في الغار الأول الذي في "آجلو" خلف قصر بني توبة التسعسر (9) (+++) ، وكان نزولهم به سنة (409هـ/ 1017 ـ 1018م) وقد أرسى أبو عبد الله فيه قواعد نظام العزابة فوضع له صيغه النهائية (10) ،

---

(1) أبو زكريا : سير . . . ص 174 ـ الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 .
(+) ما يعرف الآن بـ" واد ريغ " وهي منطقة "توقرت" جنوب بسكرة شمال شرق الصحراء الجزائرية حاليا .
(2) أبو زكريا : سير . . . ص 174 . ـ الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 .
الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 .
(3) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 . ـ ذكر أبو زكريا في سير . . . ص 174 ، "أبي القاسم ورقون الويليلي . ."
(4) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 .
(5) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 270 . ـ الشماخي : المصدر السابق ص 470 .
(6) الشماخي : السير . . . ص 170 . ـ الناصر : ملامح . . . ورقة 7 . ـ وهي "وغلانة اليوم"
(7) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 . ـ Lewicki: OP , CIT, P: 98 .
(++) هي ابليدة اعمره وتسمى "آجلو" تقع جنوب مدينة تقرت بـ 20 كلم وهي بشمال شرق الصحراء الجزائرية .
(8) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 . ـ الناصر : ملامح . . . ورقة 7 .
(9) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 . ـ البرادي أبو الفضل قاسم : فهرست تاريخ . . . ورقة 13 .
(+++) التسسي أو التسعر أو التسعسر : نسبة الى سنة تسعة وأربعمائة هجرية .
الدرجيني : نفس المكان ، البرادي : فهرست تاريخ . . . ورقة 13 .
(10) أبو زكريا : سير . . . 17 . الدرجيني : طبقات . . . 1/ 170 . ـ الناصر : ملامح [illegible]
[illegible] "تنيسلي" [illegible]

فكان نظاما فريدا من نوعه .

كان أبو عبد الله مع تلامذته في هذه المرحلة يكابدون شظف العيش وصعوبة التموين، فاجتهدوا اجتهادا كبيرا في تحقيق غاياتهم لكسب العلم والمعرفة ، وتوفير العيش لأنفسهم ، والتعود على تطبيق قوانين الحلقة من حيث النظام والعشرة والتفاني لخدمة المجتمع، فقد مرت عليهم أيام قاسية تحملوا فيها الكثير لتحقيق أهدافهم ، أفصح عن هذه الوضعية أبو زكريا بقوله (1) : " . . . وكانوا يكابدون مؤونة العيش لأنفسهم ، واجتهدوا غاية الاجتهاد في عزمهم . . . " .

ان صبر هؤلاء على الوضعية القاسية تبين لنا طريقة أبي عبد الله في تعويد تلاميذه مبدأ أساسيا في الحياة لتحقيق الأهداف السامية ومجابهة المشاكل وتخطي الصعاب بصبر وأناة لا سيما بعد الانتهاء من الدراسة (2) وليقتحموا ميدان الحياة وهو من أهم مزايا هذا النظام وفوائده .

ج ـ أبو عبد الله في "وارجلان" :

ان من أهم أسباب تنقل الشيخ أبي عبد الله الى "وارجلان" بعد استقراره بحلقته في "أريغ" يرجع الى تصرفات قبيلة "بني ورزمار" (+) الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، فأصبحوا من قطاع الطرق ، فألحقوا أنواع الأذى بالناس، والأضرار بالمستضعفين في الأرض (3) ، وصدوا أهل الدعوة الذين يزورون الشيخ أبا عبد الله ، وضايقوهم (4) ، وكانوا يقتلون العزابة الذين يتصدونه من نواحي مختلفة كطرابلس، وافريقية (++) ، والزاب ، وقسطالية وغيرها (5) . جمع الشيخ أبو عبد الله جماعة من أهل أريغ ، ومنهم بنو " مغراوة" فوعظهم وذكرهم بواجبهم من مناصرة المستضعفين ، ووضع حد للمناكر والفتن التي يقوم بها المشاغبون لكنه لاحظ فيهم التخاذل حيث قال أحدهم " لاطاقة لنا ، وما عسى أن نقدر عليه ؟ فقال لهم الشيخ نحن نقدر اذا على أنفسنا فارتحل بأهله وعياله فنزل "ايفران" (+++) من قرى وارجلان . . . " (6) ومكث فيها سنة كاملة ، فساءت أوضاع "أريغ" لما ارتحل عنهم أبو عبد الله (7) ، فألحوا عليه في الرجوع واصلاح أوضاعهم ، فأبى عليهم ذلك ، وأنبهم ، فحاولوا اغراءه بمصير شيعته لكن لم يجد ذلك نفعا ، فأيسوا من محاولاتهم لاصراره على عدم الاياب اليهم ، فقفلوا راجعين بعد أن عدد لهم مناكرهم وتخاذلهم ، عند ذاك ثابوا الى رشدهم ، وتعاونوا على البر والتقوى

---

(1) سير: 174 ـ 75 .

(2) الجعبيري : نظام . . . ص 36 .

(+) وردت "ورزمار" هكذا ضبطها الدرجيني : طبقات . . . 2/ 386 . ـ وضبط "ورماز" وذكرت "ورماز" أنظر: علي معمر: الاباضية . . . 4/ 183 . ـ وذكرها الجعبيري "بني ورماز"، ص 36 . ـ هي "احدى القبائل الضاربة حول وادي ريغ" أنظر: علي معمر : الاباضية . . . 4/ 183 .

(3) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 386 . ـ الشماخي : سير . . . ص 388 . ـ علي معمر: الاباضية . . . 4/ 183 . ـ الجعبيري: نظام . . . ص 36 . ـ اعزام : غصن البان . . . ورقة 171 . أعزام ابراهيم بن صالح (معاصر) غصن البان في تاريخ وارجلان " مخ ورقة 171 حجم كراس عادي (17×21) ، 198 ورقة . مصور : مكتبة اسماوي أيوب ، العطف ، غرداية .

(4) الجعبيري: نظام . . . ص 36 .

(++) افريقية تطلق على منطقة باجة بشمال تونس حاليا . أنظر: الجعبيري: نظام . . . ص 41

(5) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 167 . ـ الشماخي : السير . . . ص 389 .

(+++) ذكرها الشماخي : في سيره "فران" ص 389 .

(6) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 386 . ـ الشماخي : السيره ص 389 . ـ علي معمر: الاباضية 3/4 183 /4

(7) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 386

والصلاح الذى رغب فيه الشيخ أبوعبد الله بعد أن أدركوا أن مغادرة الشيخ ورحيله الى "وارجلان" كان عقابا لهم،[1] ، فلما صلحت أحوالهم رجعوا الى "وارجلان" يطلبون الشيخ بالرجوع الى "أريغ" فلبى طلبهم ورجع .[2]

لا شك أن عاما كاملا أمضاه الشيخ أبوعبد الله في "وارجلان" مع تلامذته قد ترك آثارا محمودة في الدعوة ، وترك ثمار مجهوداته هناك في تنظيم الحلقة الا أن أتباعه كانوا قليلين اذ يروي الوسياني أن من تولاهم أبوعبد الله هناك قد بلغت نسبتهم عشرين رجلا[3].

يبدو أن أبا عبد الله كان يتنقل مع أعداد كبيرة كما روى أبو الربيع[4] . وربما ينظم الرحلة ويتفقد أحوالها، فقد جعل أبوعبد الله مسؤولا وممثلا لكل قبيلة يقوم برعايتها ، ويحرس عليها اتقاء لما عسى أن يحدثوه في "وارجلان"[5] ما فهل اتخذ أبوعبد الله هذه التنظيمات منذ رحلته الأولى الى "وارجلان" أم أدخلها فيما بعد ؟ لأن أبا الربيع لم يشر الى تاريخ هذه الرحلة حتى تتوضح الأمور، ولعلها رحلته الأولى الى "وارجلان"

رغم أن اقامة أبي عبد الله لم تطل في "وارجلان" فقد ترك صدى كبيرا فيها، وذلك لما أشاعه من علم أثناء عقد المجالس العلمية ، ولقاء العلماء والعزابة ، وما قام به من توجيهات ونصائح، فقد زار الشيخ محمد بن سليمان النفوسي أبا عبد الله ورغب اليه أن يتجه معه الى "وارجلان" ليرى الناس ويروه، وليتبركوا به فامتنع، واعتل بكثرة تخليط أهل "وارجلان" الحسن بالقبيح[6]، كما زاره محمد بن عمرة اليروتني بصحبة محمد بن سليمان النفوسي فتناقشا معه في مسائل منها دراسة الكتب . . .[7] والتقت جماعة من أهل الدعوة بأبي عبد الله واجتمعوا معه بالمسجد الكبير، فناقشوا سؤال رجل يحوم حول حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن .[8].

نظراً الى أعمال أبي عبد الله ونشاطاته المختلفة في مجال الدعوة والتوجيه والارشاد والفتوى، فقد أقبلت عليه الوفود من مختلف جهات الاباضية "لأغراض مختلفة "[9] يستشيرونه ويتعلمون عنده ، ويستفتونه ، فصار كعبة القصاد أنى حل وارتحل منذ أن ذاع صيته في الأوساط .

د ــ <u>أبوعبد الله في "سدراته"[+] :</u>

كانت "سدراته" من بين المدن التي استقر فيها أبوعبد الله محمد بن بكر[10]

---

(1) الشماخي : السير . . . ص389 . ــ علي معمر: الاباضية . . . 4/ 183 .
(2) أبو زكريا: سير . . . ص177 . ــ الدرجيني : طبقات . . . 2/ 387 . ــ الشماخي : السيرة ص389 .
(3) الجعبيري: نظام . . . ص38 .
(4) البرادى:أبو الفضل قاسم بن ابراهيم: فهرست كتاب . . . ورقة 24 .
(5) نفســـه .
(6) الشماخي : السير . . . ص389 .
(7) نفس المصدر .
(8) الدرجيني: طبقات . . . 2/ 399 .
(9) الشماخي : المصدر السابق ، 390 . ــ الجعبيرى: نظام . . . ص 37 .
(+) أصل سدراته قرية كبيرة من افريقية تسكنها قبيلة كبيرة من افريقية . أنظر: الثعالبي رسالة . . . ورقة 59 . بعد سقوط تاهرت اتجهت الاباضية الى الواحات الجنوبية من قسنطينة، سيما سدراته حيث اعتزلوا هناك . أنظر: marcel mercier:la civilisation P:16 أنشئت في القرن الرابع الهجرى بجنوب غرب وارجلان خططها الامام يعقوب بن أفلح ومن معه فانتقل اليها المهاجرون من تيهرت : أنظر: دبوز : نهضة . . . 1/ 153 .
(10) دبوز: نهضة . . . 1/ 157 .

لأنها كانت عامرة بالاباضية موقريبة لكن "وارجلان" فتكون من المواطن التي يرتادها، ويلتقي بعلمائها، وينشر فيها نظامه الذى كان يحببه المواطن الاباضية، تمتع أبو عبد الله بسمعة طيبة، ومقام لائق بشخصيته في "سدراته" و"وادى ريغ" فكان يستشار فيما يستعصى على القوم هناك فيأخذون برأيه (1) .

هـ ـ أبو عبد الله في بادية "بني مصعب" (+) :

يبدو أن أول اتصال لأبي عبد الله ببادية بني مصعب كان من خلال راع (++) له يبعثه من حين الى آخر الى المنطقة فصار من خلاصه وحاشيته ولاشك أن تعود الارتياد الى هناك قد أكسبه اطلاعا على أوضاعها وأحوالها، كان يطلع الشيخ بما حصل عنده خاصة اذا كلفه بمهمة «أو استجوبه عن أحوالها، فهو يرسل معه أغنامه ليرعاها هناك مع التي يملكها . (2)

لما أتجه أبو عبد الله الى "سدراته" أصبح يسمع عن "بادية بني مصعب" ونواحيها وكان الرعاة يقصدون تلك النواحي فيمكثون فيها فصل الربيع نظرا لخصوبتها (3)، ولذلك صارت لهم مرتعا لمواشيهم فتعرفوا عليها نتيجة الاحتكاك بها لأنها كانت في طريقهم بين "وارجلان" و" تاهرت" . (4)

يبدو أن اهتمام الاباضية بمنطقة "وادى ميزاب" كان منذ عهود قديمة بل يرقى الى أيام الدولة الرستمية لما كان بينهم من علاقات اقتصادية وثقافية، وكذا سياسية متوترة أحيانا، اذ كان المعتزلة يسافرون الى "تاهرت" لقتال الاباضية (5) .

ومما يدل على اهتمام الاباضية ب"وادى ميزاب" مرور فلولهم به اثر سقوط "تاهرت"، وكانوا تحت قيادة الامام يعقوب بن أفلح، ويظهر أنهم قصدوا اتخاذه وطنا لهم، الا أنهم وجدوه مكمنا لمخالفيهم الواصلية (6)، فاصطدموا معهم في ثلاث معارك شديدة مازالت آثارها شاهدة عليها الى الآن في مدينة غرداية، فاستأنف من بقي منهم طريقهم الى "وارجلان" (7) ولما اضطرتهم الظروف القاسية في سدراته بصفة خاصة الى اختيار موطن يأوون اليه فكروا جديا في منطقة "وادى ميزاب" .

لما اجتاح القحط منطقة "سدراته" وأصابها الجفاف وتسلطت عليها الأزمة، وغارت كثير من عيونها (+++) وأثر ذلك في غاباتها ونخيلها وزراعاتها (8)، قلت مواردها فاضطر سكانها الى البحث عن مكان يصلح لهم فوجدوا بغيتهم في الانتقال الى "وادى ميزاب"

---

(1) نفسه .
(+) هي بلاد الشبكة، أي "وادى ميزاب" حاليا .ـ أنظر: التمهيد، وملحق رقم: 1 .
(++) يقول عنه الشماخي: "وقصده رجل من "لمطة" وتاب على يديه، وتعلم السيرة وسلك سبيل الصلاح، فصار من حاشيته ..." أنظر: السير، ص 390 .
(2) الشماخي: المصدر السابق ص 390 .
(3) دبوز: النهضة ... 1 / 157 .
(4) أبو اليقظان: بيانات ... ورقة 8 .
(5) أطفيش (القطب): رسالة ... ورقة 20 .
(6) أطفيش (القطب): رسالة ... ورقة 20 .ـ أبو اليقظان: بيانات ... ورقة 8 .
(7) أبو اليقظان: بيانات ... ورقة 8 .
(8) دبوز: نهضة ... 1/ 155 .ـ بوعروة تامر: حديث شخصي: جويلية 1986 .
(+++) قيل أنها بلغت أكثر من ألف عين ... أنظر: علي معمر: الاباضية ... 4/ 416 .

لما بدأ الغطاء النباتي يضمحل وساد الجفاف المنطقة ، اشتدت العواصف الرملية فأفسدت البساتين والزراعة (1) ، فاضطر أهلها الى مغادرة المنطقة .

تألب بعض سكان وارجلان على سدراتة لمرض في قلوبهم وغيرة وحسد من عند أنفسهم ، فاستعانوا ببعض المرتزقة الزنوج ، فقاموا ببعض المناوشات أقلقوا بها سكان سدراتة، فتخوف هؤلاء على مصيرهم من تواطؤ مناوئيهم في وارجلان مع الصنهاجيين في الشمال للقضاء عليهم (2) لذا فكروا في موطن آمن يكرسون فيه جهودهم لتعميره ، وتسخير مؤهلاتهم وكفاءاتهم لمواصلة البناء الحضاري الذى يتفانون في سبيله فلم يجدوا موطنا ألين من "ميزاب" فهاجروا اليه ، ولكن علي معمر (3) يستبعد ذلك الاعتداء من الاخوان فيرى أنها صفات لا تنطبق على المؤمنين الصادقين ، ولا توجد في المجتمعات الاباضية ، وأن سدراتة ليست الا ضاحية من ضواحي وارجلان، ولكن هناك فتن ساحقة وهجومات كثيرة على سدراتة ووارجلان من قبل الأعراب ، وقطاع الطرق فضلا عن هجومات الميورقي (4)(+) على المنطقة التي ألحقت أضرارا فادحة بها في القرن السابع الهجرى فتوالت بعدها هجرات متلاحقة الى ميزاب ، واشتدت في عهد محمد بوشوشة الذى "أمعن في التقتيل والتنكيل وزرع الرعب في القلوب . . ." (5) "وقد نزلها على نية الفساد والايقاع بأهاليها فتلقاه بعض الناس بوارجلان واتفقوا معه على اخلاء البلد والنهب (6) . . ." نتيجة للفتن وعدم الاستقرار استمرت الهجرات من سدراتة بسبب ماحل بالمنطقة من كوارث وفتن واضطراب حبل الأمن اضطر سكانها الى البحث عن مناطق ملائمة للاستقرار فكانت الهجرات من سدراتة ووارجلان ، وريغ منذ بداية القرن الخامس الهجرى (7) ، ولاسيما بعد عقد مؤتمر لدراسة الوضعية التي طرأت على واقع الاباضية في هذه الفترة فكان مؤتمر وادى ريغ تحولا جذريا في حياة الاباضية بربوع المغرب الاسلامي .

<u>مـؤتمر وادى ريـغ (++) 420هـ :</u>

ان سبب انعقاد هذا المؤتمر يرجع الى العوامل الآنفة الذكر والتي تتلخص في حلول القحط والفتن بمناطق ريغ وسدراتة، ووارجلان ، واكتظاظها بالسكان "وأرادت أن تتنفس في معيشتها فيما جاورها" (8) فاجتمع العلماء وأهل الحل والعقد والأعيان في "وادى ريغ" (9) لدراسة الحالة وايجاد الحلول الناجعة لها حتى لا تؤول الى فناء العباد وخراب البلاد اذا ترك الحبل على الغارب ، وقد حضر المؤتمر الامام أبو عبد الله

---

(1) أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 8 .
(2) دبوز : نهضة . . . 1/ 161 . ـ علي معمر: الاباضية . . . 4/ 405 .
(3) الاباضية . . . 4/ 402، 409 .
(4) أعزام ابراهيم (ت مجهول) : غصن البان في تاريخ وارجلان، "خ" ورقة 45 (كراس عادى 198) . ـ علي معمر: الاباضية 4/ 394 ـ 5 . ـ دبوز: نهضة . . . 1/160 .
(+) أى (ابن غانية) .
(5) أبو اليقظان: الاباضية في شمال افريقيا : اقتبسه على معمر في كتابه : الاباضية . . . 4/ 416 .
(6) أعزام ابراهيم : غصن البان . . . اقتبسه علي معمر: الاباضية . . . 4/ 400 .
(7) دبوز: نهضة . . . 1/ 156 . ـ علي معمر : الاباضية . . . 4/ 405 .
(++) انعقد هذا المؤتمر لايجاد حل لوضع الاباضية منذ أواخر القرن الرابع الهجرى . يرى دبوز أنه انعقد في "سدراتة" أنظر: نهضة . . . 1/ 156 . ـ ويرى أبو اليقظان أنه انعقد في "أريغ" . أنظر: بيانات . . . ورقة 7 . أوفدوه حوالي 420هـ الى باديةبنى مصعب
(8) أبو اليقظان: بيانات . . . ورقة 7 . ـ المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر ص 110 .
(9) أبو اليقظان: بيانات . . . ورقة 7 .

محمد بن بكر [1] الذى له دراية بالأمور في مناطق الاباضية ، ومنتجعات مواشيهم [+] ، فكان الدافع لاختيار مكان يأوى الاباضية في الظروف العصيبة ، وأوقات الشدة هو ننشدان الحرية الدينية [2] لعبادة الله تعالى ، وتطبيق أحكامه ، وانقاذ الأجيال اللاحقة من الفتن الساحقة . فأسفرت قرارات المؤتمر على ما يلي :

أولا : اختيار بادية بني مصعب كمأوى للاباضية فيما اذا كانت صالحة لهم .

ثانيا : انتداب الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي للقيام بالبحث في عين المكان عن المهمة لخبرته ببادية بني مصعب ، ودرايته بطباع أهلها ، ومعرفة معالجة الأمور عن كثب للاطمئنان اليها .

ثالثا : ان يرافق أبا عبد الله ابنه ابراهيم [++] وغلامه .

رابعا : تزويد الوفد بمؤونة لمدة ستة أشهر على حساب الجماعة [3] .

قام الشيخ أبو عبد الله بالمهمة التي أنيطت بعهدته فواصل ماكان يقوم به سابقا من الاتجاه الى بادية بني مصعب ، وسير الأوضاع فيها للغاية التي رسمها حيث يقوم بالدعوة ومجادلة المعتزلة فيها يقنعهم بالحجة ، ويصبر على أذاهم وقد كلفه ذلك قتل ابنه [4] ، فصبر وتسامح ، وألان من عريكة القوم فظفر ببغيته لما استمال قلوبهم فصاروا يميلون الى المذهب الاباضي .

كان أبو عبد الله ينتقل بطالبته وبمواشيه ، ويعقد الحلقات للتدريس والتوجيه ، فاتخذ العطف مقرا له ، ومركزا لنشاطاته ، اذ بها مقامه الى الآن [5] [+++] يزار ، ويتبرك [++++] فيه بالأدعية وتلاوة القرآن ، وتفريق الصدقات ، والتجمهر لختمات القرآن الكريم .

لما نجح أبو عبد الله في دعوته لبني مصعب اعتنق هؤلاء المذهب الاباضي فانتشر في تلك الربوع ، فتتابعت الهجرات الاباضية زرافات ووحدانا اليه من كل جهات الاباضية كسدراتة ، ووارجلان ، ومن مناطق أخرى الى وارجلان . لشهرتها ، ثم تنتقل الى وادى ميزاب فكانت هذه تنطلق من وادى ريغ ومن واحات أخرى من شمال شرق الصحراء الجزائرية ، والجنوب الشرقي من تونس مثل واحات منطقة درجين كنفطة ، ومن جربة ، وجبل نفوسة ، ومن سجلماسة ، وعائلات مغربية أخرى ، فأصبح ميزاب المقر الرئيسي لحلقة العزابة

---

(1) أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 8 . ـ علي معمر : الاباضية . . . 4/ 415 .

(+) كان كثير التنقل بين وادى ريغ ، ووارجلان مع عدد كبير من طلابه ، وكان يعتمد على تمويلهم مما تنتجه تلك المناطق التي تكثر فيها الواحات ، ومما يخصصه المحسنون من اعانات لطالبة العلم ، وكان أبو عبد الله ينتقي رعاة ثقاة لمواشيه فيرافقهم الى منتجعاتهم ، فيتردد معهم الى بادية بني مصعب بالخصوص . أنظر : أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 8 .

(2) أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 9 .

(++) فيما يظن فهذا غير جازم حسب ما روى : أنظر : علي معمر : الاباضية . . . 4/ 417 .

(3) أبو اليقظان : المرجع السابق . وبيانات . . . ورقة 8 و 9 فيما يخص هذه المعلومات يروى عن أبي اليقظان أنه اعتمد على مخطوط مؤرخ سنة 929هـ/ 1522ـ23م يوجد بمكتبة الشيخ صالح (لعلي) ببني يسجن (وادى ميزاب) ولاية غرداية .

(4) (القطب) الرسالة ... ورقة 20 . ـ أبو اليقظان : المرجع السابق . ـ دبوز : نهضة ... 1/ 56 و 577

(5) القطب : رسالة ورقة 20 . ـ (+++) يوجد مقام أبي عبد الله على الضفة اليمنى من وادى ميزاب بالعطف ، فهو عبارة عن مصلى دائري الشكل يرتفع عن الأرض بنحو مترونصف ، تعقد فيه الختمات وتوزع فيه الصدقات ، ويودع فيه الحجاج ويستقبلون بالأدعية ، كما كان ذلك أيضا للمسافرين الى عهد قريب بحيث كانت تعقد الحلقات فيه .

(++++) لا يفهم بالتبرك ما هو شائع في بعض الجهات من التوسل والتمسح وتقديس الأولياء

بفضل جهود أبي عبد الله [1] [2] . وتمسك الميزابين بهذا النظام .

انصهرت تلك الجموع في عائلة واحدة متماسكة بفضل الدين الاسلامي، ونظام العزابة الذى رتبه الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر في المنطقة، فتعاون الجميع بتضامنهم على أساسهما لبناء ثقافة جديدة سخروا لها خبراتهم وثقافاتهم بتفان واخلاص ، فبدأت حياة البداوة تتغير الى حياة العمران والتمدن والاستقرار [3] ، فشمل مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، فانتشرت القرى الواحدة تلو الأخرى تدريجيا [4] وعمرت في مختلف حقول الحياة قرونا ، ولا تزال مواكبة لتطورات كل عصر ، لايمكن الجزم بأن نظام العزابة قد بدأ في "ميزاب" بيد أبي عبد الله قبل سنة 402هـ حسب ما هو مروي مع تأسيس القرى ، لأن أبا عبد الله قد أسس نظام "العزابة" كما سبقت الاشارة اليه في سنة 409هـ . ومن ناحية أخرى فان انعقاد مؤتمر "وادى ريغ" قد تم في سنة 420هـ فاستقررأى الاباضية للتأكد منها اذا كانت بادية "بني مصعب" صالحة للتنقل اليها ، فوجدوها صالحة لذلك من مختلف الوجوه ، لأنهم يناشدون الحرية الدينية كما هو الشأن في كل تنقلاتهم في جميع العصور [5] . يمكن أن أبا عبد الله قد بدأ بعقد حلقاته بـ"ميزاب" قبل مؤتمر "وادى ريغ" ولكن بشكل محدود ، أو في قرية "تجنينت" [+] وحدها ، نظرا لما ثبت عنه أنه كان ينتقل اليها [++] ولكن تأسيس نظام العزابة فيها قد تم بعد سنة 409هـ لا قبلها ، ثم نشره في القرى الأخرى تدريجيا ، فظهر علماء ومشايخ مشهورون منذ عهد أبي عبد الله تخرجوا على يديه وواصلوا رسالته من بعده . فكان من أشهرهم وأنجبهم الشيخ ابراهيم بن مناد [+++] ، والشيخ أبو عمار عبد الكافي [++++] ولهما مواقف معتبرة

---

(1) أبو اليقظان: بيانات. . . ورقات 8 — 9 ، — المدني أحمد توفيق: كتاب. . . ص 110 .
(2) Lewicki: op. cit, p. 98.
علي معمر: الاباضية. . . 4/ 418 — 419 ، — دبوز: نهضة. . . 1/ 159 .
(3) أبو اليقظان: بيانات. . . 8 — 9 . — علي معمر: الاباضية. . . 4/ 418 — 419 .
(4) أبو اليقظان: بيانات. . . ورقات 16 — 17 .
(5) أبو اليقظان: بيانات. . . ورقة 9 ،
(+) العطف حاليا فالتسمية حديثة ولا يزال الكثير يسميها "تجنينت" بفتح التاء الأولى وسكون الأخيرة ، ومع اسكان الجيم ، وكسر النونين مع مد الأولى ، وسكون النون الثالثة .
(++) وسبقت الاشارة الى ذلك .
(+++) من رجال طبقة الخمسين الأولى من المائة السادسة ، فهو قرين الشيخ عبد الرحمن الكرثي ، والشيخ بابا السعد الذوى ، الشيخ ابراهيم بن مناد من مدينة العطف واصلي معتزلي ، اعتنق المذهب الاباضي ، فهو من أصل زناتة ، وقد سكن مليكة أيضا ، فهو ولي صالح ، وصاحب الكرامات ، عاصر أبا عمار عبد الكافي فكان يكاتبه الى وارجلان في المسائل العلمية والاعتقادية فيجيبه عنها ، كان قبره مع روضة مندرسين تحت الرمال فانكشفا في قصة مشهورة بيد الشيخ مسعود المشهور ببا مسعود ، فهما يوجدان معا بجنوب العطف ، تقام فيه الختمات ، والصدقات ، ومهرجان أسبوع المولد النبوي الشريف ونظام "المقابر" ، ويتضرع فيه الى الله بالأدعية بعد "الزيارة" التي سيأتي الحديث عنها في الفصل الخامس . — أنظر: الشماخي: السير. . . 597 . — أبا اليقظان: خلاصة . . . ورقة 10 مكررة . — كراس المزارات . . . أوراق 27 ، 29 ، 38 . — مطهري: المجالس الدينية . . . ورقة 3 . — ابن يوسف سليمان: حديث شخصي .
(++++) أنظر: ما سبق .

... الدعوة ، ودحض حجج الخصوم. ومنهم الشيخ عبد الرحمن الكرثي (+)، والشيخ أبو يعقوب يوسف (++)، والشيخ بابا السعد (+++)، فهم علماء مقتدرون عاملون . ومنتهجون لتعاليم شيخهم أبي عبد الله محمد بن بكر في قرى ميزاب: كالعطف ، ومليكة، وغرداية ، وندا وارجلان .

... أبي عبد الله يرتاد مناطق أخرى:

ان من أهم ما يميز أبا عبد الله في طريقة الدعوة الى الله تنقلاته العديدة الى مواطن الاباضية مصطحبا معه تلاميذه ، ففضلا على ما أشرنا اليه، فهناك تنقلات قام بها الى اماكن وقرى يصعب تتبعها بانتظام ، فيمكن الاشارة اليها دون تدقيق ، أو توضيح لايجاد تصور عام حولها . يشير أبو زكريا (1) الى معظمها كما يلي : "قصطالية " ومنها الى "طرابلس" ثم الى "ميركين" ومنها الى "تمولست" (++++) (2) ثم الى "لماية" (+++++) ومنها الى "جربة" ثم المرور على "تباحالت" ومنها الى "ريغ" فـوارجلان" (3) كما أنه يشير التنقل الى "تين ماطوس" عندما يرجع من "وارجلان" وتارة أخرى في "وفلانة"

(+) عبد الرحمن الكرثي المصعبي من قبيلة زنانة ، وقيل : الكرثي نسبة الى بلدة "كرث" بغرب الجزائر في منطقة وهران . أبو العلا عيسى : حديث شخصي . عاش في المنتصف الأول من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، معاصر لأبي عمار عبد الكافي ، وبينهما مراسلات علمية نافعة ، كان معتزليا فصار اباضيا ، فكرس جهوده للدعوة، فهو عالم وفقيه، ومن أكبر مشايخ وادي ميزاب ومن أوائلهم ، سكن مليكة ، وهو الجد الاعلى لقبيلتين في قرية بني يسجن، هما أولاد خالد، وأولاد يدر ، قيل ان قبره مجهول الا أنه في مقبرة بين مليكة وبنورة ، اتخذت روضته مقرا لمجلس علماء ميزاب، فيه تتخذ القرارات وتصدر الفتاوى والأحكام، فهو أول مجلس ديني بوادي ميزاب كما سيأتي . . . أنظر: الشماخي : ص597 . — دبوز: نهضة . . . 1/ 251، كراس المزارات . . . ورقة 27 . — بيوض: تاريخ . . . ورقة 14—49 . — أبو اليقظان : خلاصة . . . ورقة 10 . — بكلي عبد الرحمن والحاج أيوب ، وأبو العلاعيسى : حديث شخصي .

(++) هو أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني ، من جيل الخمسين الأولى من القرن الخامس الهجري، ويقال فيه أيضا السدراتي ، برع في العلوم والفنون، وفي علوم اللسان من نحو ولغة وصرف : يقول عنه الشماخي في السير ص443 ما يلي " . . . هو بحر العلم الزاخر المسخر للنفع، درس العلوم فأفاق ، كان في علوم القرآن غاية، وعلوم النظر والجدال والمنطق والكلام نهاية ، وفي علم الحديث ونقل الأخبار والسنن والآثار والفروع والأحكام وعلم الغرائض والمواريث ومعرفة رجال الأحاديث وعلم الحساب والتنجيم بل علوم الأقدمين في جميع ذلك علامة . . . " ترك مؤلفات كثيرة ، في مختلف العلوم ، والفنون والأصول ككتاب: العدل في أصول الفقه ذي أجزاء ، له مالا يحصى من الأجوبة بكثرة ، ترك قصائد منها الحجازية في ثلاث مائة وستين بيتا جمعت فنون العلم وله: تفسير كبير.
وكتاب : المترتيب في علم الحديث على الربيع بن حبيب وضمام عن جابر بن زيد ، اكتشف خط الاستواء وبلغه ، رحل الى الاندلس ودرس في قرطبة ، اعتمدت جامعات أوربا مؤلفاته في الفلسفة والفلك فساهمت في نهضتها . . . أنظر: الشماخي : ص 33 ـ 46 . ـ (القطب) : الرسالة . . . ورقة 95 . ـ أبو اليقظان: خلاصة . . . ورقة 10 .

(+++) من علماء غرداية المشهورين ، ومن الدعاة المخلصين فهو من علماء الخمسين الأولى من المائة السادسة ، لم أعثر له على ترجمة . أنظر: أبو اليقظان: خلاصة . . . ورقة 10 مكرر .

(1) سير . . . ص 175 .

(++++) موقعها ما بين منطقة "الجريد" وجبال "الحواى" بجنوب تونس الآن .

(2) أبو زكريا : سير . . . ص 175

(+++++) تقطن قبيلة لماية منطقة بجنوب قابس، وغربي مدنين . أنظر الجعبيري: نظام . . . هامش رقم 3 ، ص 43 .

(3) أبو زكريا: سير . . . ص 176 . —

أحيانا في "قنطرار" (+) و"قصطالية" (++) ثم "تلاعيسى "فاحرون" (1)، وأهمها هو توجهه الى القيروان ، والساحل وجربة وافريقية (2) (+++) ، فضلا عن جهات أخرى .

لم تكن تنقلات أبي عبد الله لمآرب دنيوية ، وانما للدعوة الى الله ، وتثبيت أهل الدعوة (3) ، والتوجيه والارشاد ، وحل المشاكل في عين المكان ، فكان يعقد المجالس مع العوام ، ومع النساء بعدهم (4) ، بل هم يدنون اليه ويبحثون عنه فيلبي رغبتهم فيعرضون مسائلهم عليه ، فيعيا القوم ولا يعيا هو فينصرفون ، ويقومون ، ولا يقوم هو حتى طلوع الفجر (5) هذا فضلا عن تدريسه للطلبة وتدريبهم على التنقلات والزيارات وتحمل المشاق ، والتعود على شظف العيش استعدادا لمجابهة الحياة، والتمرن عليها ، ان لقاء أبي عبد الله بالعلماء والشيوخ وتجاذب أطراف الحديث معهم لمما يقوى رابطتهم ، وينمي معلوماتهم ، ويقرب أفكارهم ووجهات نظرهم .

تمكن أبو عبد الله من خلال رحلاته تفقد أحوال تلاميذه ومعرفة مدى نشاطاتهم والتعرض الى ما يثنيهم عن مهمتهم الأساسية ، فيشجعهم ، ويحل مشاكلهم ، مثل التقائه بتلاميذه في جربة (6) فتتبع مدى ما قاموا به من أعمال ، وتطبيقهم لنظام العزابة الذى أخذوه عنه لما قعد لهم للحلقة . هذا فضلا عن الاستجمام وطلب راحة خاطره ، وخواطر تلاميذه ، واستصلاح نفوسهم وتقوية أجسامهم (7) ... أما اتجاهه الى القيروان هذه المرة فلم يكن كالأولى للتعلم ، وانما ليعالج عينيه "ويقدح ماءها ، فقال له الطبيب لو عالجتك اذا رجعت الى أهلك رجع اليك (8) (++++) هواء أرضك فاسدا باردا" (9) .

ثم يتوجه الى الساحل فيلتقي بأحد زملائه في الدراسة فوجده في وضعية لا تتماشى مع ما يدعو اليه من زهد وورع وتقشف فصبر على مضض وكاد يضعه في الخطة لما رأى من مظاهر الكبرياء ، وتبجيل الحكام والتزلف اليهم فتبين له فيما بعد أنه سلك معهم أسلوب المداهنة والمداراة تجنبا لشرهم ، فرأى حالة زميله الحقيقية لما صار يسلك طريق أهل الدعوة فأثنى عليه (10) .

(+) قنطرار. أو قنطرارة: احدى مدن منطقة "الجريد" بجنوب" تونس" ، حاليا تقع شمال غرب " توزر" وجنوب غرب" قفصة " و" تقيوس" كانت عاصمة اباضية لبلاد الجريد تابعة للدولة الرستمية .أنظر: باجية : الاباضية ... ص 137، 144، 150 .

(++) قصطالية: تكتب أحيانا : قسطيلية: من مدائن بلد توزر" بمنطقة الجريد .أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن: العبر... مج 6، ص 84 .— الشماخي : السير... ص 348 .
الباروني : سلم العامة... ص 14، هامش رقم 3. باجية :الاباضية ... ص 137، 148، 149.

(1) الجعبيرى: نظام: ... ص 41 .
(2) الدرجيني : طبقات ... 1/ 186— 87 .— الجعبيرى: نظام ... ص 41 .
(+++) افريقية: هي مدينة "باجة" شمال تونس .
(3) الجعبيرى: نظام ... ص 42 .
(4) أبو زكريا : سير ... ص ص 174 — 76 .—بالطريقة الشرعية كما هو متعارف عليه عند جميع المسلمين. وقد يتلقى الرجال علومهم من نساء عالمات ولكن من وراء حجاب وكان الصحابة يستفتون أمنا عائشة (ض) ويسألنها فتجيبهم من وراء حجاب.
(5) نفسه .
(6) أبو زكريا : سير... ص 176 .— الجعبيرى: نظام ... ص 43 .
(7) الدرجيني : طبقات ... 1/ 183 .
(8) الوسياني : سير ... 1/ 89 .
(++++) أى مرض عينيه فان رجع الى ريغ عاوده المرض فلا ينفعه الدواء .
(9) الوسياني : نفس المكان .— الدرجيني : طبقات ... 1/ 183 .
(10) الوسياني : سير ... 1/ 80 .

لما عانى الشيخ من مرض عينيه صبر عليهما في المعالجة لكنه في الأخير فقد بصره (1) الا أن ذلك لم يثنه عن نشاطه الدؤوب فاستمر في التنقل والتدريس فقد روى الوسياني أن "أبا تغلا كان يسمع قراءة عزاب أبي عبد الله "في غار آجلو الشرقية" حتى قال متعجبا، ما هذه البدعة ؟". (2) ولكن أبا عبد الله عرف كيف يعالج أمره فتحول عنه بعد حين لكثرة تنقلات أبي عبد الله مع تلاميذه تعجب منه عبد الله بن الأمير لما شاهده مع أصحابه قافلا الى ريغ فقال فيه ما يلي: "عجبا لهذا الشيخ وأصحابه انما مثلهم كمثل الحواريين الحواريين لعيسى بن مريم". (3) فهو كثير التجوال لنشر الدعوة وتثبيت المذهب الاباضي في ربوع المغرب الاسلامي كشمال الصحراء، واليه يرجع الفضل في نشره بافريقيا، انتهج أسلوبا وطرقا كانت لها أبلغ الأثر في نمو الاباضية وتركيز مجتمعاتها (4).

ونظرا الى كثرة تجواله وتنقلاته اشتهر بـ"سيدى امحمد السايح" فصار علما عليه بل ان بعض الأماكن التي يتنقل اليها بانتظام أصبح لقبه مقرونا بها والمثل على ذلك: "بطمة سيدى امحمد السايح". (5) (+)

++++

(1) الشماخي : المصدر السابق، ج 382 — الجعبيرى : نظام ... ص 44 .
(2) الوسياني : سير... ج 1 ورقة 82 .
(3) الدرجيني : طبقات ... 1/ 186 . — وقال : عبد الله بن مانو ذلك نصا وحرفا: أبو زكريا : سير ... 177 .
(4) Lewicki: E.I.Art-"HALKA" T3, P:98 .
(5) كراس المزرات : ورقة 40 . — (+) كان ينتقل بحلقته الى "وادى النساء" بين بريان والقرارة في الطريق المعبد الآن فيدرس تحت بطمة كبيرة .

شخصيـــة ابى عبد الله محمد بن بكر

قال فى شأنه ابو العباس : " الطود الذى تطالت دونه الاطواد ، والبحـــر الذى لا يقاس بـــه التلاد أقامه الاباضية مقام الامام فى جميع الامور والاحكام " (1) لم يبايع اماما اذ لو نصبت لكان اول من يستحقها لما يتمتع به من مؤهلاتها ولما له من منـــزلـــة رفيعة فى قلوب الناس المحيطين به فى عهده ، اذ " لو اتجه اتجاهـــا سياسيا ودعا الناس الى بيعته لأجمعوا عليه ، وكان خليقا ان يفوز بها " (2) . ولكن لم يفعـــل فاتجه اتجاها آخر بعيدا عن السلطـــة والسياسة والنفوذ ، متجنبا الفتن وسفك الدماء ، والتهافت على الحكم ، فصار يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة الى اقامة دين الله ، وعبادته حـــق العبادة ، و تنفيذ أحكامه وشريعته . بمقتضى ما نص عليه القرآن الكريم ، وسنة الرسول محمد (ص) وانتهاج سيرة المقتفين أثره فى خير القرون " (3) فقد صدقت فيه فراسة شيخه ابـــى نوح سعيد بن زنغيل (4) فى تأسيس الاباضية بتقواه وعلمه ، وأخلاقه ، وسيرته ، ونظام العزابة وضعه لترسيخ العقيدة . الاسلامية الصحيحة فى القلوب ، والاخلاق الاسلامية فى المجتمع المسلم ، وتنظيم . تعاونه على البر والتقوى للمحافظة على الجماعة الاباضية حتى لا تتعـــرض للاضمحلال والزوال .

يتمتع ابو عبد الله بشخصية فذة لما يتصف به من مؤهلات ومروءة وسمو وتقوى و ورع ، وتفان فى نصرة الحق ، والذود عن حمى الله ، وتبليغ رسالاته فجوانب شخصية الامـــام أبى عبد الله كثيرة يمكن الاشارة اليها بايجاز فيما يلى :

1 — التواضع فى كل أموره و مع تلاميذه ، مما يدل على همة الرجل و سمو مقامـــه فهو يبغض أن يخص نفسه بشيء دون غيره ، بل يأبى أن يفاضل على غيره وأمثـــلة ذلك كثيرة من سيرته وسلوكه ، يذكر عنه أبو زكريا أنه خرج من وارجلان وبلغ " تين باماطوس" (•) ارسل اليه من وارجلان اللفائف وشيء من الجهار ، فقال أبو عبد الله : ومانحن والهدايـــا فقبل الجهار وأكله ورد اللفائف . (5)

2 — الايثار على نفسه : اتجه ذات مرة الى " واغلانة " وكان مع التلاميذ فاهدى اليه موسى ابن كانون رطبا وقثاء نعلم أنه آثره بها دونهم ، فقال له : ياموسى أعلي تجترئ بمثل هذا ؟ وعبس وتجهم فى وجهه . . (6) فأمره بتجزئة ذلك وتقسيمه على التلاميذ فأخذ مثلهم وقد قال له: " وهم أولى من أوثر . . . ودعنى أطيب نفسا بما يقر عيونهم " (6)

فقد بلغ اهتمام أبى عبد الله بالطلبة وأمورهم فصار يعيش بينهم ، ولا يريد أن يخص دونهم بشيء ، أو يؤثر نفسه عليهم ، فكان يقسم ما يهدى اليه بينهم وان لم يمكن ذلك منحـــه لصغارهم ، أو من يحتاج اليه منهم . (7)

---

(1) الشماخي : المصدر السابق ، ص 384 . نفس الوصـــف عند الدرجينى مع تغيير بعض الحروف كقوله " تضاءلت " مقابل " تطالت " و " التماد " مقابل التلاد " طبقات . . 2/ 377 .
(2) على معمر : الاباضية . . . 4/ 179
(3) نفس المكـــان .
(4) أبو زكريا سير . . . ص 173 .
(5) انظر ابا زكريا : سير . . . ص 182 — الدرجينى : طبقات . . . 1/ 189
(•) فهي على الطريق ما بين وارجلان وأريغ . انظر : الجعبيرى : نظام . . . ص 41 الهامش رقم 1 .
(6) (7) الدرجينى : طبقات : 2/ 384 — 85 — الشماخى : السير . . . ص 388
(7) على معمر : الاباضية . . . 4/ 187

3 — التقشف : لا يترفع حتى مع تلاميذه ويتجلى ذلك في أسفارهم لأن طبائع الانسان مهما تخفى فهي تظهر في الأسفار على حقيقتها فكان يشاركهم في الأعمال والخدمات يوم ظعنهم ويوم اقامتهم ، فيركب معهم الخيام ، ويفكها ، ويقلع معهم الحطب ويحزمها ، ويتولى معهم اعداد المحل وتنظيفه ، وتهيئته وكنسه . ورفع أكداس التراب الخ..[1]. فلما قال له أحد تلاميذه : " اقعد ياشيخ فان الطلبة يكفونك ." أجابه[2] " أو يحملون عنى ذنوبي يوم القيامة ...."[3]

4 — النزاهة والعفة سجيته : لما ولد لأبى عبد الله أول مولود ، حاول الناس أن يولموا له ، فرفض ذلك . فخاطبته امرأة ابى القاسم يونس ابن وزجون الوليلي : قائلة له : " ولو نحن ياشيخ . أتجعلنا مثل غيرنا من الناس ؟ ... فقال لها : لا لست أفعل أصيب يدى فوق ، فأردها الى أسفل[4].

5 — البساطة : لما بلغ أبو عبد الله " إفران " (*) مع أصحابه أكرم بالطعام معهم ، ولما نصبت الموائد لاحظ أن مائدته بها ما اختص به دون غيرها فتثبت من ذلك ، ولما تيقن به نهض من الطعام فلم يأكله[5].

6 — الاهتمام بتكوين جيل مسلم : لما وجد أبو عبد الله نفسه فى مقدمة مجتمعه جد فى تحمل المسؤولية بنزاهة وإخلاص فأعطى المثل الحي بسلوكه وأعماله ، وتفانيه ، فكرس جهده فى تكوين الرجال العاملين المخلصين الذين يقصدون بكل عمل يقدمونه وجه الله تعالى ، فكان يعيش مع تلاميذه فيعود هم الاعتماد على النفس .

7 — إعداد الدعاة : انتقى أبو عبد الله نخبة من تلاميذه النجباء توسم فيهم اللياقة والكفاءة . فاهتم بإعدادهم لتحمل مسؤولية القيادة من بعده . فكان منهم :

أ) — أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (**) الذى يعد من أبرز وأنجب تلاميذ الشيخ أبى عبد الله ، ومن المقتفين لأثره . فقد رتب الحلقة فى " تموليست" لما انتقل اليها . وكذا جهاتها مثل : " زنزفة " و " تونين " (***) فواصل عمل شيخه وانتهج طريقته تخرج على يديه تلاميذ كثيرون . وكان محبا للخير متفانيا فى التعليم والنصح و التذكير والتوجيه ويمكن اكتشاف نواياه ، وزهده ، وايمانه وحبه للخير ، والدعوة إلى الدين والألفة والتفانى فى طريق العمل الدؤوب والنصيحة ، وصيانة المجتمع ، مما أوصى به تلاميذه ، لما خرجوا من عنده ، فشيعهم ، وزودهم بالوصايا التالية: " امضوا بالسلام ، فإذا وصلتم ان شاء الله منازلكم فأياكم والدنيا أن تستقبلوها بوجوهكم ، فان من استقبلها أغرقته ومن استدبرها فلا بد أن تاخذ منه ، وعليكم بالألفة . والنصيحة و التزاور وحفظ مجالس

---

(1) على معمر: الاباضية ... 4/ 187

(2) (3) الشماخى : المصدر السابق ص389 — على معمر: الاباضية ...4/ 187

(4) أبو زكاريا : سير ... ص177—8 . الدرجيني : طبقات ... 1/ 188

(*) قرى من قرى ورجلان . انظر الدرجيني: طبقات ... 1/ 188

(5) الدرجيني نفس المكان .

(* *) هو قابسي من الطبقة العاشرة. فى المنتصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، نشأ بـ " تمولست" برع فى الاصول والفقه، درسهما وتعلمهما أيضا على الشيخ أبى محمد ويسلان اليهراستي الذى رتب الحلقة بجربة. ترك حكما وفتاوى.ذكر بعضها أبو زكاريا فى كتابه: سير الائمة. أنظر: أبوزكاريا: سير... ص412—414. وقد كان معاصرا له . وترجم له الدرجيني فى طبقاته 2/ 425 — 29 . والشماخي فى كتابه السير. . ص412 — 414 . فهو مجد فى العبادة . ومن أكبر الرواة للاخبار . توفي سنة 471 هـ / 1078 — 79

( ) تقعان جنوب تونس حاليا بين الجريد وجبال الحوادى .

الذكر ، و أيامكم وأمور الناس ، والتقصير فيمن يرد عليكم من أهل دعوتكم ." (1)

ب) — أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبى وزجون المزاتى (*) . فهو من أنجب تلاميذ الشيخ أبى عبد الله ، ومن خلاصه ، ومصاحبيه فى بعض تنقلاته (2) كما يعتبر من أنجب تلاميذ الشيخ ابن زنغيل والمقتفين لأثره قولا وعملا (3). وكان ضمن تلاميذ الشيخ أبى عبد الله بـ " كنومة " لما رتب فيها الحلقة . واصطحبه إلى " ريغ " لما انتقل إليها قائلا له : " كن معى يا عبد السلام ، فإن مثل من يرفع الناس إليه حوائجهم ويدعمه مثلى من كان فى الحرب لا غنى له عمن يؤيده ، ويرعاه ، ويرفده ، ويداوى جراحه ، و يسد خلله ، وإلا كان هلاكه وشيكا . فأجابه الى ذلك فأنكحه ابنة أبى القاسم (4) حظي بوداع شيخه أبى عبد الله لما حضرته الوفاة بـ " ريغ " (5) وأكمل أعماله بعده . (6)

ج) — ابو يحي زكاريا بن فصيل بن أبى مسور . وهو الذى يكنى به فصيل ابن أبى مسور (**) وهو أكبر بنيه ، يرد اسمه مقرونا بأخيه لتشابههما ، قد نشأ بين أحضان والده فرباه وعلمه ، وحضر دروسه فى جربة . ودرس لدى مشايخ عصره كأبى محمد ويسلان وأبى محمد كاموس (7) ، وترأس النخبة التى أرسلها والده فصيل الى أبى عبد الله ليقعد لهم للحلقة (8) ، يعتبر من أنجب تلاميذ أبى عبد الله محمد بن بكر ، وقد تحمل المسؤولية بعده وبعد أبيه وبعد محمد بن ويسلان بجربة . يهتم بأهل الدعوة فيتفقد أحوالهم . وأشرف على نظام العزابة بجربة (9) ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، ديدنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ودأب على إحياء السنن وإماتة البدع (10) . فكان خير خلف لخير سلف . ومن المعلمين للسير .

د) — أبو العباس احمد بن أبى عبد الله محمد بن بكر (***) كثيرا ما يرد اسمه مقرونا مع أخيه أبى يعقوب يوسف ، فهما أبناء الإمام أبى عبد الله محمد بن بكر فقد أحسن تربيتهما وتنشئتهما ، فكانا من عباد الله الصالحين، ومن الذين سلكوا منهج أبيهما فى

---

(1) الدرجينى : طبقات... 2/ 427 .

(*) متفانيا فى طلب العلم ، هاجر أهله فى سبيل ذلك ، كان ورعا ، زاهدا ، يحب مجالس العلماء . وكان ممن رتب الحلقة، يجتهد فى الخير والصلاح والعبادة . انتفع به خلق كثير ، فكان من المهتدين ، أشتهر بمجالسة أهل التقوى والصلاح عنه . انظر : الدرجينى : طبقات ... 2/ 404 — 408 LEWICKI:OP,CIT,98

(2) (3) (4) الدرجينى : طبقات ... 2/ 405 — 406 — البرادى أبو الفضل فهرست مشايخ ... ص 11 — 12 .

(5) الدرجينى : طبقات ... 2/ 407 — البرادى : فهرست مشائخ ... ص 13

(6) البرادى ابو الفضل : فهرست مشايخ ... ص 12 — 14 .

(**) هو من الطبقة التاسعة . وممن اشتملت عليه الخمسون الاولى من المائة الخامسة 400 — 450 هـ . عالم ، زاهد ، ورع ، له كرمات ، مستجاب الدعاء ، متفان فى سبيل الدعوة ومهتم بأصحابها . برع فى الاصول ودرسه فى حلقاته ، شهد له العلماء والأتقياء بالخير والصلاح ، منهم : ماكسن ابن الخير أحد علماء عصره — لما زار جربة — توفي سنة " 508هـ / 1114 — 15 " عنه انظر : الدرجينى : طبقات... 1/ 189 — 91 الشماخى : السير... ص 402 — 403 الجعبيرى : نظام ... ص 194 — 196 .

(7) (8) انظر الجعبيرى : نظام ... ص 194

(9) (10) الجعبيرى : نفس المرجع ص 195 .

(***) هو من الطبقة العاشرة ، وممن اشتملت عليه الخمسون الثانية من المائة الخامسة عالم ، ثقي ، ورع ، زاهد ، مستجاب الدعاء ، أودع علومه وخبرته فى تصانيف كثيرة ، قيل أنها بلغت خمسة وعشرين كتابا ، وكتاب آخر تركه فى الألواح أي لم يطبع . منها ما فقد ومنها ما بقي مخطوطا مثل : كتاب أصول الأرضين فى ستة أجزاء ، والسيرة فى الدماء والجراحات ، والجامع المعروف " بأبى مسألة " ، وتبيين أفعال العباد فى ثلاثة أجزاء وبعض هذه الكتب أصل لكتاب " النيل " وملخص لها . انظر : الدرجينى : طبقات... 2/ 443 ، والهامش رقم 1 . — الشماخي : السيرة ص 423 . — الوسياني : السير ... رقم 2 / 86 .

الدعوة والاستقامة ، اشتهر أبو العباس بالتفانى فى سبيل العلم والتحقيق واستيعاب المسائل ، والتنقل لزيارة أهل الدعوة ، ونشر العلم . (1)

هذا عدا آخرين مشهورين أعدهم أبو عبد الله إعدادا يؤهلهم لتحمل المسؤولية ، وا مواصلة المسيرة ، وتطبيق نظام العزابة الذى أنشأهم عليه ، فكان يستبين بأنجب تلاميذه ويعدهم إعدادا موجها ليكونوا خلفاءه فى القيادة بعد زمانه . (2) ومن أهم ما عود عليه تلاميذه ، وخاصة من تفرس فيهم قيادة الأمة من بعده ، رفض الهدايا لأنه يرى فيها فقدان العالم لثقته فى نفسه والحط من قيمته فى مجتمعه ، و " لأنها تورث الذل " (3) ، لأنه يريد أن يكون العالم حرا فى رأيه وتصرفاته خاضعا لربه عز وجل ، وطامعا فى رجائه كي يعيش العالم قويا فى رأيه نزيها فى تصرفاته فلا يتملق انسانا و لا يخضع لأهوائه وأهواء من يرى له منة أو فضلا . فكان الشيخ أبو عبد الله يربى فى تلاميذه عزة النفس والاعتماد على أنفسهم فى معاشهم دون أن يكونوا كلا على غيرهم .

8 — تأكيده على الاتصالات وتبادل الزيارات .

من أهم وصايا الامام أبى عبد الله للاباضية زيارة المسلمين فى الله لما فيها من توثيق أواصر الاخوة والمحبة فى الله ، وتدعيم العلاقة بين المسلمين بعضهم ببعض فيتقوى بنيانهم ، ويتعمق إيمانهم ، إنما المرء بإخوانه ، فكان يكثر من الزيارات والتنقلات بطلبته حتى يعودهم وينشئهم عليها ، فتنقلاته بين " ريغ " و" بادية بنى مصعب " سنوية (4) لم تنقطع فكان يزور جربة ، و ورجلان ، و جبل دمر (•) ، وغيرها من مواطن الاباضية . استمر العزابة بعده فى الاشراف على الزيارات ، و يترأسون الوفود بأنفسهم ، ويقومون بها بانتظام ، وخاصة فى الافراح والأطراح ، وتبادل العلماء أ و إرسال من يحي العلم ، كما حدث بين " جربة " و " وادى ميزاب " (**) . تدور الزيارات بكثرة عبر العصور ما بين الجماعات الاباضية فى المغرب الاسلامي جبل نفوسة . جربة . (***) ، و وادى ميزاب ، اما عمان ، وزنجبار ، فتتم الاتصالات بالمراسلة بين العلماء كالتأكد من بعض المسائل ، أو إصدار الفتاوى ، ويتم كل هذا حسب الظروف والامكانيات

9 — اهتمامه بالتربية العلمية التطبيقية : يعتبر أبو عبد الله من أهم الشخصيات التى اهتمت بالتربية وطرق التدريس على أساليب علمية و لا سيما فى عصره فهذا الجانب يمكن تخصيص دراسات علمية حوله . واستخلاص قواعد ، من نظام العزابة الذى وضعه ، فهو جانب مهم فى الدراسات البيداغوجية المعاصرة . فهو الذى تولى

---

(1) الدرجينى طبقات ... 2/ 445 . — الشماخى : السير ... ص ص 423 — 425

(2) الجعبيرى : نظام ... ص 48

(3) نفس المكان

(4) أبو زكاريا : سير ... ص 175

(•) يقع جنوب تونس حاليا .

(**) لما انقطع العلم من وادى ميزاب أرسل ذوو الرأى فيهم إلى إخوانهم فى جربة يستنجدون بهم فى إرسال من يحي العلم ، فأرسلوا إليهم الشيخ سعيد المعروف بالجربى فأحيا العلم فى وادى ميزاب فى القرن (10هـ/ 16م) كما سيأتى . كما كان العكس إذ اتجه الشيخ امحمد المصعبى من مليكة لاحياء العلم فى جربة فى بداية القرن (12هـ/ 18م) . الشيخ سالم بن يعقوب حديث شخصي . كما اتجه الشيخ ابى سليمان الثلاتى إلى ميزاب ليتعلم لدى الشيخ أبى مهدى عيسى بن اسماعيل .

(***) كان عزابة جبل نفوسة باتصال مع عزابة جربة . LEWICKI : E.I. art. HALKA, T. 3.

بنفسه تطبيق النظام الذى ابتكره فيعامل تلاميذه معاملة الأب الرحيم الشفوق المحب للخير فأثر بحسن عشرته وتواضعه وإخلاصه و نصحه أمثلة حية عملية . فكانت اعماله تسبق أقواله فقدم بذلك المثل الأعلى والقدوة الحسنة لتلاميذه ، فهو يسهر على راحتهم ، ويعينهم بنفسه فى مهماتهم و دراساتهم ، فإذا ما امرهم بالسترة فانه اول من يتستر ، ولما فرض لباسا خاصا وزيا معينا للتلاميذ فإنه التزم به[1] فسبق بذلك نظرية الزى الموحد حسب المستويات فى المدارس العصرية . رغم ما هناك من فرق بين ما يأمر به الاسلام من تستر وبين ما هو مطبق اليوم . ومنها عدم اطالة الشعر[2] والتأكد على لبس البياض[3] . و وضع طرقا للتدريس ، وخصص ساعات فى أوقات يومية لحوار الطلاب مع الشيخ فى الدرس المقرؤ وفى أى فن مهما كان[4]. ورتب لهم الدخول والخروج بشكل تنظيمي تجنبا للشكل الجماعى الذى تترتب عنه مشاكل و حوادث ، وكذا تنظيم وجبات الطعام وفى أوقات معلومات ، و حدد الاختصاصات والواجبات الكل مسؤول فى الحلقة ابتداء من الشيخ . ويصنف الطلبة إلى أصناف ومستويات فيحدد برنامج كل مستوى و اوقاته إلى غير ذلك . هذا فضلا عن سهره على راحة التلاميذ ومواساتهم وخاصة الصغار منهم .

10 — رعايته للمجتمع : لم يوجه أبو عبد الله اهتمامه للتعليم والطلبة فحسب بل اهتم بالمجتمع و مشاكله . فتولى توجيهه وإرشاده و حل مشاكله ، فاهتم بمصيره . اشتد اهتمامه بالضعفاء والأرامل والفقراء والأيتام فصارت مشاكل الناس ومنازعاتهم يدرسها ويعطى الحلول الناجعة لها على ضوء الاحكام الشرعية فاكتسب بذلك ثقة المجتمع . وتبرع الناس بالاموال بسخاء فيتصرف فيها ليضعها فى طرقها[5] وامثلة ذلك كثيرة . فهو يرى أن الجماعة أولى وأهم من الفرد[6]، وكان ينهى عن الاستبداد بالرأى الخ[7]. لابى عبد الله فضائل كثيرة مبثوثة فى كتب السير[8].

11 — كراماته : لشدة تقوى أبى عبد الله و نزاهته وإخلاصه فى العبادة والعمل الصالح لوجه الله حباه الله بفضائل و كرامات كثيرة : منها أنه قدم عنده الضيوف ممن يستحقون الاكرام والحفاوة ، ولم يكن عنده ما يذبحه لهم ، وغنمه فى البادية ، ولم يتسن له شواء طعام لهم ، فقال لهم : انظروا عريش دارى هل فيه شيء أم لا ؟ . فوجدوا فيه كبشا كبيرا فذبحه لهم . فلما قفل رعاة غنمه سألوهم عن أحوالها . فقالوا : ما علينا من بأس سوى أن الكبش الكبير ذرت عليه زوبعة الريح فتغيب ولم نعرف موضعه[9] ويروى أبو الربيع سليمان بن يخلف أنه كشف عنه أبو عبد الله ما ستره فى قلبه فتاب[10].

---

(1) (2) (3) الدرجينى : طبقات ... 1/ 171.
(4) الدرجينى : طبقات ... 1/ 172.
(5) انظر الوسيانى : سير ... ورقات 78 — 90 . — أبو زكاريا : سير ... ص 173 — 182 — الدرجينى : طبقات ... 1/ 171 — 189 . — 2/ 377 — 392 . الشماخى : السير ... ص 384 — 392 . — على معمر : الاباضية ... 4/ 176 — 192 . — وهنا وهناك كلها . الجعبيرى نظام ... ص 31 — 57 .
(6) الدرجينى : طبقات ... 2/ 384
(7) الدرجينى : طبقات ... 2/ 389
(8) الدرجينى : طبقات ... 1/ 167 . انظر : مراجع عنه فى رقم 1 الهامش من هذه الصفحة .
(9) أبو زكاريا : سير ... ص 178 — الدرجينى : طبقات ... 2/ 378 .
(10) أبو زكاريا : سير ... 178 — الدرجينى طبقات ... 2/ 378

12 — اقواله ومأثوراته : امتاز ابو عبد الله باقوال مأثورة . وحكم بليغة وتوجيهات سديدة ، وأجوبة مقنعة ، وأسلوب فى الحوار و الاقناع جذاب و مقنع ووصايا مفيدة ، فحواره منطقي واقناعي و تثقيفي وتوجيهي يتطلب استقصرا ء ذلك لكشف شخصية هذا الامام و معرفة مقدرته ومستواه ، وفيما يلى بعض أقواله و مأثوراته على سبيل المثال لا الحصر : سأله رجل من بنى مصعب قائلا : " ياشيخ عندى أربعون شاة ، أريد أن أخرج زكاتها ، أمن أفضلها أخرج ؟ أم من وسطها ؟ قال له : أرايت لو أن رجلا أعطاك أربعين شاة فلما كان عند رأس الحول جاءك وقال لك اعطنى منها شاة ، أتعطيه الرديئة منها أم خيارها ؟ فقال : بل خيارها قال : فكذلك الله أعطاكها فلا تعط إلا اغلى ما يكون منها . (1)

" سأل رجل من بنى مصعب عن رجل اختلط ماله بحرام كان عنده ، أفيأكل من ماله شيئا أم لا ؟ فضرب له الشيخ مثلا ، فقال: أرأيت جحرا رايت فيه فأرا ويربوعا دخلته حية ، أكنت تدخل يدك لتخرج الفأر أو اليربوع ؟ قال له لا مخافة الحية " (2)

اوردت كتب السير شكوى بنى " ورتيزلن " إلى أبى عبد الله على قاضيهم الذى عينه عليهم أبو عبد الله ، وهو أبو الحسن أفلح ، فاجرى أبو عبد الله مقابلة بينهم فى حوار ممتع و جذاب لمعرفة المشكل وكيف قضى فيه ، فتبين له أن القاضى على صواب وعدل (3) ، من

من أقواله : " من قال نحن وأنتم فليس هناك تقوى " . ومن قال : " أنا جيد فهوغير جيد بلا شك " ، " ومن كان له قلب سوء لا يجد خيرا ولوكان من البهائم . " وقال : " لو حلفت ما خشيت ان أحنث ان من كان فيه ثلاث ليس معه تقوى ، من إذا ذكرت عيوبه غضب ، وإذا ذكر له قومه أصابته حمية ، ورجل بينه وبين رجل مباغضة فاذا ذكر في المسوء أعان عليه " (4) ؛ " سأله رجل عن سوء الخلق هل هو من الذنوب ؟ قال : شر من الذنوب . " (5) .

دعى الى المشاورة ورأى الجماعة حتى لا يفسح المجال للاستبداد . فقد ورد عن الرسول (ص) أنه قال : " من استغنى برأيه ضل ، ومن هجم على الأمور عطب (6)

13 — مؤلفاته : أوردت كتب السير إشارة واضحة عن تآليف عديدة لأبى عبد الله ولم يذكر ذلك أبو زكاريا ، يقول الدرجينى فى هذا الصدد . . . " وله فى كل فن تآليف كثيرة ، وأكثرها الحجج والبرهان لانه كان فيها ركن الاركان . وحفظ عنه فى الاخلاق حكم قد خلدت فى بطون الاوراق . . . " (7) لكن لم يعثر عليها (8) الا ما أورده الدرجينى عن سير الحلقة (9) .

---

(1) القطب : ترتيب المعلقات . . . ص85 مطبعة حجرية قسنطينة بدون تاريخ . أورد القصة أبو زكاريا : سير . . . ص 175 .
(2) أبو زكاريا : سير . . . ص 175 .
(3) أبو زكاريا : سير . . . ص ص 180 — 181 .
(4) القطب : ترتيب . . . ص 38 .
(5) القطب : ترتيب . . . ص 39 .
(6) الدرجينى : طبقات . . . ص 2/ 389
(7) الدرجينى : طبقات . . . 2/ 377 . — انظر: الشماخى المصدر السابق ، ص 384 مع اختلاف العبارة .
(8) الجعبيرى : نظام . . . ص 56
(9) طبقات . . . 1/ 171 — 183 .

وأهم آثاره ما تركه من حكم وأقوال وتوجيهات وفتاوى مبثوتة في بطون الكتب التى وصلت إلينا . وربما ما ألفه قد ضاع في أتون الفتن التى عاشها ويعيشها المسلمون ، وما تعرضوا له من سطو وغزو في تاريخهم الطويل .

ان الدارس لشخصية أبى عبد الله لا يجد فيها ما ينتقد ماولاحظه الا من باب هفوات الانسان لأن الكمال لله ولكن ايمانه القوى ، وتضحياته في سبيل الدعوة إلى الله بالتى هي أحسن ، وتفانيه في تطبيق نظام العزابة ، وحبه للخير ونصرة الاسلام والمسلمين ، وتجنب الظلم والنفاق وما إلى ذلك من الرذائل هي التى جعلته في مستوى الشخصيات الاسلامية الفذة في جبين الامة الاسلامية ، فورعه وزهده ونيته الخاصة لعبادة الله وتجنبه شهوات الدنيا فضلا عن تفانيه في طريق العلم وتعليمه هي التى جعلته يكسب ود الناس ولا يتصدون معه فأهلته أن يكون محبوبا في قلوب الناس . فقد سعى الى الجمع بين سعادة الدنيا والآخرة في عقيدته وأقواله وأعماله .[1] .

وفاته : توفي الشيخ أبو عبد الله رحمه الله سنة 440 هـ / 1048 — 49م[2] ودفن في مقبرة قريبة من الغار الذى كان يدرس فيه بـ " آجلو "[3] وموضعه مشهور بالبركة[4] ، ويزار . وما من انسان يتذكر اسم هذا الامام . أو يسمعه الا ويتذكر نظام العزابة ، فما هو هذا النظام الذى دونه وطبقه فحفظ الاباضية قرونا ؟ هذا ما سوف يأتى في الفصل الثانى .

---

(1) الجعبيرى : نظام ... ص 57 .
(2) الوسيانى : سير ... 1/ 85 — الدرجينى : طبقات ... 2/ 392 .
الشماخى : ص 392
(3) (4) الدرجينى : طبقات ... 2/ 392

تناول هذا القسم في التمهيد الموضوع التعريف بمنطقة "ميزاب" والاباضية وأئمتهم وتكريس جهودهم لاقامة امامة الظهور، فتمكنوا من ذلك في "تاهرت" سنة(160هـ/ 776م) بعد المحاولات ، ولكن انقطعت بظهور الفاطميين في المغرب الاسلامي سنة(296هـ/ 908م) فلم يذق الاباضية حياة الأمن والاستقرار خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وفشلت ثوراتهم التي ذهب ضحيتها معظم مشايخهم ، ففكروا في الدخول في مرحلة الكتمان لاقامة شعائرهم ، والمحافظة على أصولهم ونشر العلم وعدم التعرض للسياسة، أو مجابهة الدول، فلم تنجح بعض محاولات مشايخهم لتثبيت ذلك حتى ظهر نظام العزابة بيد مؤسسه الامام أبي عبد الله محمد بن بكر الذى وضع قواعد وأسس الحلقة، وآدابها ، والاشتغال بالدين وتعلمه، والعمل به والزهد في الدنيا ومتاعها، والتوجه الى طلب العلم ، وسير أهل الخير ، فأكمل بذلك أعمال شيوخه ، وخاصة أبي زكريا فصيل .

تبين بعد مناقشة مدلول "الحلقة" أنها قديمة استعملت في العهد الجاهلي فانتشرت بين المسلمين ، وهي تعني في اصطلاح نظام العزابة جلوس التلاميذ باستدارتهم أمام الشيخ في مقرهم السرى الذى كان أول مرة بالغيران والتي لعبت دورا كبيرا في تاريخ المسلمين وانتظام التعليم ، والتركيز على تعلم اللغة العربية والاصول والعلوم الشرعية ، ومحو الأمية ، وتحضير نخبة من الطلبة .

ظهرت كلمة" السير" والتي تعني قوانين سير الحلقة التي وضعها مؤسسها الامام محمد بن بكر وأكملها بالشرح أبو عمار عبد الكافي ، فبنيت أساس نظام العزابة ب"وادى ميزاب" الذى يرتكز على مبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فتمكنت نخبة من الطلبة فرض وجودها في المجتمع بأخذ زمام الأمور، وتسيير أبناء الطائفة فتولى العزابة ذلك ، فقد نزلها أبو عمار عبد الكافي منزلة السلطان العادل ، وقبل تحقيق هذه المهام ، كرس أبو عبد الله جهوده لتعميم نظامه ، بالتنقل الى مناطق الاباضية باستمرار الى أن استقر الرأى بعد مؤتمر وادى ريغ(420هـ) على اختيار بادية(بني مصعب) لاستقرار نظامه فيها ، فاستمر الى الآن ولكنه انقرض في المناطق الأخرى ، فهذا العمل الكبير يتطلب الوقوف على جوانب من شخصية أبي عبد الله التي ظهرت مثالية في دماثة الأخلاق ، وحسن العشرة ، والتمكن وبلوغ مرحلة الاجتهاد .

فما هو التركيب الهيكلي لهيئة العزابة حتى يكتمل مفهومها ؟ هذا ما يوضحه الفصل الآتي

الفصل الثاني

التركيب الهيكلي لهيئة العزابة

- مدلول الطلبة ؟

هيئة العزابة :

- شروط العضوية في حلقة العزابة .
- مراقبة العضو الجديد قبل الحاقه بالحلقة .
- طريقة ادخال العضو الجديد للحلقة .
- ما يلزم العضو الذى يدخل الحلقة .

التركيب الهيكلي لحلقة العزابة :

- شيخ الحلقة :
  - شروط اختيار شيخ الحلقة .
  - طريقة اختيار وتعيين شيخ الحلقة .
  - مهام شيخ الحلقة .
  - مزايا شيخ الحلقة .

المستشارون :

- شروط اختيار المستشارين :
  - الامام .
  - المؤذن .
  - وكيلا الأوقاف .
  - العرفاء :
    - العريف لغة .
    - أصناف العرفاء .
  - الغسالون .

لباس العزابة :

مقر العزابة .

المجلس الأعلى للهيئات الدينية .

التركيب الهيكلي لهيئة العزابة

مدلول الطلبة :

يلاحظ في كل مجتمع بشري عندما يبدأ حياة الاستقرار بعد حياة التنقل أنه يتميز الى صنفين أو هيئتين : هيئة حاكمة تسيره ، وصنف آخر مسّير ، وعندما جاء الاسلام عبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن هذا المفهوم بـ الراعي والرعية فقال (صلى الله عليه وسلم) كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . . . فلما دخل المجتمع الاباضي مرحلة الكتمان وانتظم في نظام جديد لم يشذ عن هذه القاعدة ، ولكن منظميه وخاصة منذ ظهور نظام العزابة الذى يحتل أعلى قمة في السلم الهرمي للمجتمع الجديد ، عبروا تعبيرات عن ذلك التقسيم منها : الآمر ، والمأمور [1] ، أى الرئيس والمرؤوس [+] ، " فأنزلوا أهل الحلقة الصافية للعزابة منزلة السلطان العادل " [2] ، فالآمر هو المشرف والمأمور هو الذى يمتثل لأوامر المشرف [3] ، ثم بدأت تظهر في المصادر والمراجع تسمية أخرى ، وهي : الطلبة [++] ويقابلها العوام [4] وهم من عداهم ، ولهم نظام خاص في ادارة البلد [5] بالنسبة لوادى ميزاب خاصة ، ولا شك أنه في كل المناطق التي طبق فيها نظام العزابة مع نوع من التغيير .

يمكن تقسيم المجتمع الاباضي في مرحلة الكتمان وظهور نظام العزابة الى هيئتين رئيسيتين هما :

أولا — هيئة الطلبة .

ثانيا — هيئة العوام .

تنقسم هيئة الطلبة بدورها الى ثلاث هيئات رئيسية :

أ — هيئة العزابة .

ب — هيئة التلاميذ .

ج — أصحاب المحاضر (+++)

يشمل مفهوم الطلبة العزابة والتلاميذ بأصنافهم ، [6] فالحلقات الاباضية بوادى ميزاب تتكون من الطلبة ، والمقصود بها هم العزابة [7] .

فكيف تنتظم هذه الهيئات ؟ أو كيف يكون تركيبها حتى يكتمل هيكلها الهرمي في المجتمع ؟ الا أنها لا تنتظم ، ولا تكتمل الا بتوفر شروط معينة في أعضائها وهذا ما سوف نتناوله فيما يلي :

---

(1) البرادى : الجواهر . . . ص 207 .
(+) سوف يظهر الفرق أكثر في تحليلات للموضوع وبيان الهيئات .
(2) أبو عمار عبد الكافي : سير . . . ورقة 6 .
(3) الجعبيرى : نظام . . . ص 68 . — ويشمل من يشرف عليه العزابة من طلبة العلم .
(+ +) يقصد بها كما هو معلوم طلب العلم ويحصرها الاباضية في هيئة العزابة وما يتفرع عنها .
(4) (5) أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 1؟ .
(+ + +) فهذا التقسيم هو النوع الذى مازال موجودا في ميزاب من حيث الواقع المعايش في بعض قراه ، وأنظر : أبو اليقظان : بيانات . . . ورقات 13 — 14 .
(6) أنظر ملحق رقم 12 .
(7) LEWICKI:E.I. Art"HALKA" T :3, P :100 .

أ ـ هيئة العزابة (+)

يتبين مما سبق أن هيئة العزابة هي النخبة المنتقاة من هيئة الطلبة ، أو هم رجال الدين الكبار (++) ، أو مجلس الحكماء (1) ، أو الحلقة .. تحتل هذه الهيئة القمة في الهرم الاجتماعي عند الاباضية في تنظيمات الامام أبي عبد الله محمد بن بكر الذى وضع أسس الامامة الصغرى لمرحلة الكتمان بعد زوال الامامة الرستمية (2) ، فأصبح لها نفوذ روحي ، ومعنوى في المجتمع الاباضي الذى نظمه في مناطقهم الرئيسية بالمغرب الاسلامي ، ومنها "ميزاب" بالذات موضوع بحثنا فهي تتمتع بالاشراف التام على كل شؤون المجتمع الاباضي (3) ، فكيف كان ذلك ؟ هذا ما سوف نوضحه فيما يلي :

1 ـ شروط العضوية في حلقة العزابة

للدخول الى حلقة العزابة شروط معينة ليصبح بها العزابي عضوا فيها فما هي ياترى؟ وما هي كيفية وطريقة الدخول الى هذه الهيئة ؟

تناولت المصادر والمراجع الاباضية شروط القبول كعضو في حلقة العزابة بتركيز وتوضيح الا أن أهمها ما أشار اليه الدرجيني (+++) ، ووضعه أبو عمار عبد الكافي ويتلخص ذلك فيما يلي : (4)

أ ـ أن يكون أديبا كيسا .

ب ـ أن يكون مشمرا في طلب العلم .

ج ـ أن لا يكثر دخول الأسواق .

د ـ أن يغسل جسده بماء ، وقلبه من كل دنس .

تعتبر هذه الخصال الأربعة شروطا أساسية في العضو الذى يرشح للحلقة ولكنها ليست نهائية فيما يضاف الى ذلك من شروط ، على أنها اذا توفرت في شخص ما تجعله في مستوى ليتحمل المسؤولية ، فاذا ما توفر في الشخص العمل الصالح ، والأخلاق الفاضلة من نزاهة وأمانة وحب الخير ، وأعمال البر ، عدّ مؤمنا موفيا ، واذا دأب على طلب العلم ، فانه بمعرفته يزداد فطانة وتقربا الى الله ، واذا تجنب أمور الدنيا وترك الانسياق وراءها فانه يحافظ على ايمانه وعمله ، والخصلة الرابعة تعني النظافة القلبية والبدنية ، أى طاهر

(+) أنظر ما سبق تعريفه حول : العزابة ، والحلقة ، والامامة ، وشخصية أبي عبد الله مؤسس نظام العزابة ، ومعنى هيئة الطلبة ...

(++) باعتبار تقسيم رجال الدين الى كبار وهم الشيوخ والعزابة ، والصغار وهم الذين يدرسون القرآن ، أو الفقهاء الخ ... أنظر: Merghoub:Op,Cit,P:30

(1) Merghoub:Le Developpement... P:30 .
Jean Mellia:Op,Cit,P:105 .

(2) توفيق المدني : كتاب الجزائر ص 110 .

(3) (القطب) : الذهب الخالص ... ص 24 ، أطفيش (أبو اسحاق) : الهامش . ـ أطفيش ابراهيم (أبو اسحاق) : وادى ميزاب ... ص 329 . ـ توفيق المدني : كتاب الجزائر ... ص 110 . ـ أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 12 . ـ علي معمر: الاباضية ... 1/ 97 . ـ فخار ابراهيم : الجماعات الإباضية في شمال افريقيا ، بحث نشر بمجلة الثقافة ، عدد 8 ، ص 113 ، السنة الأولى (1391هـ/ 1971م) ط ابن بولعيد . الجزائر .

(+++) "واعتزل عن دناءة الأجلاف الدنيويين علامات ليعرفوا بسيماهم ويتميزوا من سواهم" طبقات ... 1/ 171 .

(4) أنظر: أبو عمار: سير ... ورقة 1 . (تنقيح أبو القاسم) ورقة 3 (نسخ أبي اليقظان : نظام ....) هو ما رتبه أبو عبد الله ... "أن جعل للعزابي الذى نظمه هذا الاسم في سلك المتدينين .

السريرة والبدن ، بعيد عن النفس والكبر والمكر والحسد وكل أمراض القلب فتكون نيته خالصة لله . ويضيف أبو عمار (1) ، شروطا أخرى موضحة وشارحة أشار اليها أنها : صفة أهل الحلقة وهي أربعة أقسام :

أ ـ أن يجتهد في طلب العلم وأن لا ينشغل بالدنيا كثيرا .

ب ـ أن يكون حافظا للقرآن .

ج ـ أن يكون مجتهدا في حقوق الضعفاء والمساكين ، ومنتصفا من الظالم للمظلوم ، وقائما بحقوق الأسواق والمجازر، وحقوق المدينة ، وقائما بما ينوب الضعيف والمتقطع عن أهله ، وما أشبه ذلك من الحقوق .

د ـ أن لا يولوا مال المسجد ، من كان له مال كثير ولا من كان له أولاد كثيرون بل يولون من كان بين بين .

تعتبر هذه الصفات التزاما بالمأموريات ، وما يجب أن يقوم به العزابي ، ويوفي بها أو هي من مهام أعضاء الحلقة إذ أصبحت لا تقتصر على طلب العلم والعبادات بل المشاركة في الميدان الاجتماعي لخدمة المجتمع أما الانقطاع عن الأهل فليس الانعزال عنهم (+) ، وانما ليكون للعضو وقت كاف لخدمة المصلحة العامة . ويكون أهله وأولاده بالنسبة اليه كغيرهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتنفيذ العقوبات وألا تأخذه في الله لومة لائم (2) ، وانه يلتزم بـ "أدب أهل الطريق وأحوالهم ، وألا يتكبر على المتواضع ولا يتواضع لمتكبر ، ولا يخالط أهل الدنيا ، ولا يجلس اليهم الا ان دعت اليه الضرورة (3) . يبدو من هذا النهي التخوف من أن ينجذب العزابي الى أهل الدنيا فقيد ذلك بحالة الضرورة .

تعتبر شروط العضوية أساسية للحلقة فكان الاهتمام بها ضروريا ودقيقا لنجاح مهمتها وتحقيق أهدافها ، ولذلك أضيفت اليها تقييدات كثيرة تناولتها مختلف المصادر والمراجع فهناك من عدها الى احدى عشرة صفة باعتبارها السند الصحيح لقوة الحلقة وصمودها حتى تظل صافية (4) فقد ازدادت القيود حسب ما يبدو بعد أبي عبد الله وأبي عمار أكثر حسب كل عصر (++) ، والمهم أن تراعى في العضو الكفاءة التامة ، وأن يكون من عمار المسجد ، ومجالس القرآن ، وأن يكون من الطلبة وأهل المحاضر ، كما تراعى مقاييس اجتماعية ، وهو بالنسبة الى ميزاب " تمثيل العشائر في البلد قدر المستطاع لما لهذه الناحية من شروط معينة ونتائج ايجابية كبيرة في المجتمع (5) ، بحيث اذا مات أحد الأعضاء فانه ينظر أولا خليفة له من عشيرته ان وجد ، والا فيبحث في غيرها عن الشخص اللائق للحلقة (6)

---

(1) سير .... ورقة 1 ـ نظام ... ورقة 4 .

(+) مر توضيح ذلك في موضوع معنى العزابة .

(2) مطهري محمد (معاصر) المجالس الدينية ، مخ ، ورقة 1 (حجم 21 31) 6 أوراق .

(3) البرادي: الجواهر... ص 217 .

(4) أبو اليقظان : خلاصة ... ورقة 27 .

(++) أنظر ملحق (رقم 5) .

(5) بيوض ـ بكلي عبد الرحمن ـ شريفي عدون ـ مطهري محمد . حديث شخصي .

(6) توفيق المدني : كتاب الجزائر... ص 111 .

بيوض: نظام العزابة بوادي ميزاب، ورقة . بيوض: حديث شخصي .

ويراعى اختيار العضو الأكبر سنا اذا استوت المقاييس والشروط ، كما يراعى أيضا حفظ **القرآن واستظهاره** كشرط مرجح اذا استوت المقاييس مع من لم يحفظه ، كما أنه اذا استوت المقاييس كلها الا في حفظ القرآن وعدمه ولكن حافظ القرآن لا يلتزم بالزي المفروض عليه رسميا كاللباس ، والسمت ، أو أنه يحلق لحيته ، أو يقوم بشيء يخالف العرف أو يشينه بحيث يقدح فيه (1) ولو كان بسيطا كما حصل في **بعض** الظروف (+) فان في هذه الحالة يفضل التقي الورع الملتزم بآداب السلوك الاجتماعي والعرفي ولو كان غير حافظ لكتاب الله على الذي يحفظه ولكن دونه في السيرة الخ ... ومما يجدر ذكره من الشروط أن يكون العضو محافظا على السير (2) (++) .

2 — مراقبة العضو الجديد قبل التحاقه بالحلقة :

قبل ادخال أي عضو جديد في الحلقة يبحث في أمره بالتشاور بين أعضاء الحلقة ورأي شيخها ، ثم يوكل من يهتم به فيراقبه سريا مراقبة دقيقة دون علم له بذلك وهو اجراء ما يزال معمولا به حتى الآن ، وعبارة البرادي واضحة في هذا المضمار اذ يقول " ... وان كان يريد الدخول في الحلقة أستأذن الشيخ في شأنه ، ويبحث الشيخ عن أحواله ، فان سمع منه نقيصة أو مذمومة فالطرد لا غير وان لم يسمع الا الخير فليدخل مع أهل الحلقة ... فان تعذر الاطلاع عن أحواله لبعد الدار فليتوقف حتى يتبين أمره ... " (3) وتستمر مدة المراقبة عادة الى سنة (4) ، ولا تقل عن ثلاثة أشهر (5) . ويشترط عادة أن [illegible]

---

(1) حديث شخصي . — بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي . — الواقع المعيش الذي شهدته شخصيا وما زلت أشهده .

(+) حدث أن وضع شخص تحت المراقبة استعدادا لادخاله الحلقة فكانت الشروط المطلوبة متوفرة فيه ، ولكن حدث أن شاهد المراقب لسلوكه أنه أخذ ذات مرة " شرقة يابسة من نخلة غيره " ولما بلغ أمره الى العزابة رفضوا قبوله كعضو في حلقتهم نتيجة فعلته تلك ، على أن هذا التصرف مما يتسامح فيه عرفا ولا حرج فيه مع أن الفقه الاباضي يجوزه لمسامحة النفوس فيه . (مجهول المؤلف) : (رسالة العزابة [illegible] ورقة 2 (حجم 21 × 27) 11 أوراق . مكتبة الحاج أحمد محمد بن عمر ، العطف ، ولاية غرداية الجزائر . — الحاج أيوب ابراهيم : حديث شخصي .

(2) أوجز الشيخ بكلي عبد الرحمن اجابته حول الشروط التي تراعى في عضو الحلقة فيما يلي :
1 — أن يكون مثقفا ثقافة دينية . 4 — حسن السلوك
2 — نقي العرض طيب الاحدوثة . 5 — مواظبا على عمارة المسجد ما أمكنه .
3 — حافظا للسير . 6 — أن يكون ذا رأي جزل [illegible] مراسلة خاصة

(++) من المصادر والمراجع التي تناولت شروط العضوية للدخول الى الحلقة ما يلي : أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 13 . — انظر الملحق (رقم 5) الفصل الرابع ورقة [illegible] — دبوز : نهضة ، 1/ 194 . — علي معمر : الاباضية ... 1/ 104 . — الحاج أيوب رسالة ... ورقة 28 . — حمو النوري : نبذة ... 1/ 158 . — طلاي : ميزاب ... ص 40 . — عوض : النظام ... ص 38 . —
Lewicki:Op.Cit,P:101 .
6 -Jean Mellia:Op Cit,P:105.- Merghoub:Op,Cit,P:31 .

الثميني محمد : المرجع السابق ، ص 16 .

(3) الجواهر ... ص 209 . — أنظر الدرجيني : طبقات ... 1 / 173 .

(4) أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 13 . — الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 29 . — بيوض : حديث شخصي . — بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي ...
Jean Mellia :Op,Cit,P:105 .- Merghoub:Op,Cit,P:31 .

(5) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 29 .

من دار التلاميذ ومستظهرا للقرآن (1)، "وايرو" (+) . ويشدد في هذا الا في حالة الضرورة حسب ما هو جار به العمل في قرى الوادي ويختلف قوة وضعفا بين قرية و أخرى حسب الظرف والوضع ، فهو أشد في القرارة وابن يسجن حاليا من غيرها ، ولا سيما في القرارة لكثرة حفظة القرآن فيها عن غيرها ، وللحرص الشديد على توفير الحفاظ .

3 — طريقة ادخال العضو الجديد للحلقة :

بعد المراقبة الدقيقة سريا تناقش الحلقة بحضور كل أعضائها وضعية المرشح من كل الجوانب ، ولا يسمح بالتغيب الا للمسافر، أو المريض العاجز عن التنقل فانهما في هذه الحالة يدليان برأيهما ، ولا يقبل العضو الا باجماع كل أعضاء الحلقة (3) كما لا يطرد عضو من الحلقة الا بالاجماع كذلك اذا استحق الطرد لاخلاله بشرط من الشروط أو خروجه عن السير (++) .

اذا حصل اتفاق على سيرة العضو المراقب ، واجمع على قبوله في الحلقة ، فانه يستدعى الى مقر (+++) الحلقة بالمسجد دون علم مسبق بالسبب ، وبعد أن يفتتح (++++) شيخ العزابة الجلسة يتوجه الى المدعو فيناديه باسمه ، ويقول له : قد اتفقنا يا فلان أن تتحمل معنا هذا العبء الثقيل ، وهذه المسؤولية الشاقة في مرضاة الله ، وقد جاء دورك الآن يا فلان ، والا لمن تترك هذه المسؤولية اذا امتنع عنها من تلزمه ، وعبارة أبي عمار عبد الكافي فيمن يدخل الى الحلقة انهم يقولون له : "أدخل معنا ، وأعنا على أمور الدنيا والآخرة ، فان من لم يتفكر فيما يلزمه من الحقوق والأمور ، فقد دخل في المشقة ، وأدخل عنقه في الحلقة التي هي كحلقة الحديد ..." (4)

يعرفه الشيخ بالسيرة ، وبالآداب الاسلامية ، والتفاني في عمارة المسجد ، وخدمته ، والاعراض عن زخارف الدنيا ومتاعها الا في حدود ضرورية ، والاخلاص في أداء الواجبات والمفروضات ، ومدارسة القرآن ، واستزادة العلم والحرص على المصلحة العامة، والأمر

---

(1) طلاي: مزاب... ص 40 . — الحاج أيوب: رسالة... ورقة 29 . Jean Mellia: Op, Cit, P:105. Lewicki: E.I. Art "HALKA" T3, P: 101 . — توفيق المدني : كتاب... ص 111 .

(+) هو اسم يطلق على من يستظهر القرآن وينخرط في هيئة دار التلاميذ باجراءات معينة، سيأتي الحديث عنه .

(2) Lewikki: E.I. Art "HALKA" T3 . P: 103 .

(3) أبو القاسم يحي : سير أهل غرداية" مخ" ورقة 4 (حجم الكراس عادي) أوراق Mellia: Op, Cit, P: 105. - Merghoub: Op, Cit, P: 31

(++) هي بمثابة القانون الأساسي بلغة العصر، أنظر: ملحق رقم 5 .

(+++) يسمى "تامنايت" بفتح التاء وسكون الميم وفتحة على النون ، وسكون على الياء والتاء وهو بيت خاص لجلسات العزابة لا يدخله غيرهم الا اذا دعي .

(++++) جرت العادة في افتتاح الجلسة أن يوحد شيخ العزابة الله تعالى وينزهه عن الشريك ويصلي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قائلا: "لا اله الا الله محمد رسول الله" ثلاث مرات ، والمستمعون ينصتون بامعان ، ويرددون في نفس الوقت كلمة الشهادة ، وهي عادة في كل افتتاح جلسة ، أو مهرجان ، أو محاولة تنبيه ، أو افتتاح القاء كلمة أحيانا في تجمع ما .

(4) سير: .. ورقة 2 . — نظام ... ورقة 5 .

بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والعمل مع الجماعة بنزاهة واخلاص، والقدوة الحسنة للمسلمين ، وامتهان حرفة طاهرة لتحرى الكسب الحلال وتجنب الربا ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم الاعتداء أو التعاون على الاثم والعدوان ، وتقوى الله في السر والعلانية ، والعفو والتسامح (1) الخ . . .

وبعد ذلك مباشرة ينادى الشيخ : الدعاء، باسطا كفيه ، فيشرع في الدعاء دون أن يعطي للمدعو الجديد حق الكلام حتى لا يعترض ، فيجب عليه أن يقبل اختيار العزابة له ، فاذا ما حدث أن رفض أو اعترض ، وهي علة الناس في التهرب من المسؤولية ، فانه يهدده بالعقوبة ، والتي تتمثل في اعلان ادخاله في الخطة (+) ، ويعتبر كالفار من الزحف.

4– ما يلزم العضو الذى يدخل الحلقة :

يقول أبو عمار بالنسبة إلى العضو لما يدخل الحلقة " وتلزمه أمور كثيرة" (2) وعدد جملة أمور منها :

1– البعد عن الأهل والأولاد والعشيرة .

2– عدم الالتفات لأهل الدنيا .

3– عدم الاكثار من الاجتماع مع أهل الدنيا .

4– أن يكون موجودا في داره أو جنانه ، أو في المسجد .

5– يغض بصره عما لا يحل له .

6– يعرض عن الاستماع الى كلام أهل الدنيا .

7– يبيعون أنفسهم لله ايمانا واحتسابا ، فلايرجون الا الثواب في الآخرة واستدل بقوله تعالى: "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب " (3) .

لا يترك العضو الجديد بدون تدريب ، وتثقيف ، وتوجيه وتكليفه بمهام . يقول البرادى: (4) "... . وان لم يسمع الا الخير، فليدخل مع أهل الحلقة له ما لهم وعليه ما عليهم . . ." فيسندون اليه المهام التي تناسبه أو هو كفء لها ، وبما أنه جديد يعتبر أصغرهم ولو كان أكبر ممن في الحلقة فيجب عليه خدمتهم ، يتكلف بتدريبه ، وتعويده آداب وسلوك وعمل العزابة ، وخدمتهم أصغر (++) من في الحلقة (5) ، ويأخذ مكانه في الحلقة في فتحة المجلس (+++) واذا أخل بشرط من شروط الدخول في الحلقة ، فانه يعاقب حسب نوع مخالفته .

---

(1) علي معمر: الاباضية . . . 1 / 104– 5 .– الحاج أيوب: رسالة . . . ورقة 29 . حضرت شخصيا هذه الأوضاع وعشتها .

(+) الخطة هي براءة الهجران يعلن عنها فيتبرأ منه ، لارتكاب ما يخالف العرف أو اتفاق المسلمين كما سيأتي في الفصل الرابع .

(2) سير . . . ورقة 2 .– نظام . . . ورقة 5 .

(3) سورة الشورى ، الآية 20 .

(4) الجواهر . . . ص 209 .

(++) أي الشخص الأخير في الحلقة والذى دخلها قبله ، فاذا ما دخل شخص بعده يتكلف هو بتدريبه وهكذا . . . يعتبر أصغر العزابة رئيسا لمن يأتي بعده .

(5) علي معمر : الاباضية . . . 1/ 105 .

(+++) فتحة المجلس أو الحلقة الدائرية هي ما يقابل تماما شيخ العزابة فيها .

5— التركيب الهيكلي لحلقة العزابـة :

تتركب حلقة العزابة عادة من عدد غير معين وانما حسب مهامها واحتياجاتها نظرا "لاتساع دائرة الحياة في وقتنا وكثرة مسائلها وأشغالها " (1) كقطاع التعليم مثلا والذى يتطلب عددا من الذين يأخذون في تربية الأجيال ، ويوجهونهم نحو معرفة الخالق، وواجباتهم الدينية ، وتنشئتهم مسلمين ، فتختار الحلقة معلمين في اطار المهنة والمهام ، ولكن عادة يدور العدد بين اثني عشر عزابيا في الحلقة الا أنه يمكن أن يرتفع الى الضعف ، أى أربعة وعشرين عضوا حسب مهامهم ، ولكل عزابي نائب كما في غرداية مثلا (2) (3) ، ولم يظهر في المصادر الاباضية أنه ارتفع أكثر من أربعة وعشرين عضوا .

وفي هذا العدد تنحصر المهام وتوزع المسؤوليات فكيف تركيب ذلك ؟ ومن يتولى رئاستهم ؟ انه شيخ الحلقة .

1— شـيخ الحلقة :

في قمة التركيب الهيكلي للحلقة مسؤول يتولى رئاستها ، فأمر تولية الجماعة مسؤولية شرعية (4) وقد جعل مؤسس نظام العزابة مسؤوليتها بيد الآمر وهو الشيخ كما أورد الدرجيني والبرادى (5) ذلك في قوله : "...وأهل الحلقة صنفان ، آمر ومأمور... فالآمر اثنان : شيخ الحلقة أو مستنابه ، والتعريف... " فالذى ترجع اليه المشورة كلها هو "الشيخ" (6) وهو "الغوث الكبير" (7) . ولقب الشيخ ظهر في زمن الامام أثناء مرحلة الظهور، ويحتل المرتبة الثانية بعده ، وعند شغور منصب الامامة بأى سبب كان فان مهمة شيخ الاسلام — كما يلقب — يقوم بتولية أمر ترشيح الشخصية الكفؤة المقتدرة التي يرى فيها اللياقة لمنصب الامامة، وقد تولى موسى بن أبي جابر الأزكوى العماني (+) هذا المنصب ، ولقب بشيخ الاسلام (8)

وهذه التسمية (++) ليست منحصرة عند الاباضية وحدهم فبجانب السلطان

---

(1) بكلي عبد الرحمن:مراسلة خاصـــة .

(2) نـفـســه .

(3) توفيق المدني : كتاب ... ص 111 . — بيوض : حديث شخصي . — أبو اليقظان: بيانات ... ورقة 12 .

(4) تولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) رئاسة المسلمين وخاصة في المدينة ، ثم انتخب المسلمون أبا بكر خليفة لما توفي (ص) .عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم: رواه أبو داود وهو حديث حسن .— وفي مسند الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن النبيء (صلى الله عليه وسلم) قال: لا يحل لثلاثة يكونون في خلاة من الأرض الا أمروا أحدهم .— وروى الامام أحمد في مسنده عن النبيء (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ان أحب الخلق الى الله امام عادل ، وأبغض الخلق الى الله امام جائر.— أنظر : ابن تيمية : الحسبة في الاسلام ، ص 11 .

(5) طبقات ... ص 171 .— الجواهر ... ص 207 .

(6) أبو عمار: سير ... ورقة 3 .

(7) أبو عمار: سير ... ورقة 4 .

(+) أبو علي موسى بن أبي جابر محمد بن عبد الله بن أبي عفان ، أقام الامامة بعمان سنة سبع وسبعين ومائة من الهجرة ، قيل من غرة شوال . أنظر: السالمي نور الدين : (1332هـ) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان . ج 1 ، ص ص 110 — 11 ، 15، 17. ط5 (1394هـ/ 1974م) بدون مطبعة ولا مكان .

(8) السالمي : تحفة ... ص ص 111 — 17 .

(++) يطلق على الرئيس المنتخب لرئاسة المجلس الديني "الحلقة" اسم "الشيخ" مجرد عن الاضافة ، وفي هذا لا ينصرف الا اليه ، واذا ذكر ، وأريد به غيره ، ففي هذه الصو[رة] لا يذكر الا مضافا . أنظر: أطفيش (أبو اسحاق) : وادى ميزاب ... ص 329 =

العثماني مثلا منصب شيخ الاسلام .

أصبح اطلاق لقب الشيخ في ميزاب على اعتبارين أساسيين، خاص وعام :

أ ــ الشيخ الخاص: هو الذي يتولى رئاسة الحلقة في قريته ويقوم بمهامه فيها .

ب ــ الشيخ بالاطلاق العام : هو الذي ينتخب بواسطة جميع الهيئات الدينية بوادي ميزاب بطريقة خاصة متعارفة، وبكيفية خاصة، فتصبح له الرئاسة التامة والنفوذ المطلق على عامة الهيئات بل على كل السكان سواء كانوا طلبة أو عواما (1) (+) . ولا يتأهل لهذا المنصب الا اذا كان شيخا للعزابة في القرية التي يقيم فيها (2) ويسمى "الشيخ الأكبر" (3++) للتفريق بينه وبين شيخ حلقة العزابة في بلده .

أ ــ شروط اختيار شيخ الحلقة :

ليس كل عضو في الحلقة يتولى رئاستها بل تشترط فيه شروط معينة فاذا ما توفرت في عضو الحلقة يصبح مؤهلا لأن يتولى مشيختها فيلقب "بشيخ العزابة" وهو "الشيخ الخاص" أو هو "الشيخ الكبير" (+++) ولا يراعى فيه مقياس السن (4) الا عند الترشيح لما تستوي الشروط والمقاييس (5)، على أنه يجب أن يكون أسبق الأعضاء في الحلقة (6) وأكثرهم كفاءة، وأعلمهم (7)، وأقواهم شخصية، وأقدرهم على حل المشاكل ... (8)

يشترط "أبو عمار" في الشيخ أن يكون : ذكيا، حاذقا، كيسا، أديبا، عادلا، عاقلا، عالما، منصفا (++++)، مهيبا، صبورا، واسع الصدر، نزيها، ورعا، نصوحا، مخلصا، عاملا، زاهدا، غير راغب في الدنيا . (9) (10) ويكون الشيخ أقدر العزابة على الادارة، وهو الموجه الرئيسي للحلقة والمجتمع فهو المفتي، والقاضي (11) . ويشترط أبو عمار عبد الكافي أن يكون الشيخ : "أعلم القوم في شؤون الدين والدنيا" (12) .

تعتبر هذه الشروط مهمة جدا لما لها من أثر فعال في تنظيم الحلقة وتسيير أمورها، وفعاليتها لأداء مهامها، وتطبيق مبدأ انتقاء القيادة المختارة لتحسن رعاية المجتمع

= ليس كل من يطلق عليه تسمية شيخ بشيخ الحلقة وليس الشيخ الذي يتولى الوعظ والارشاد في المسجد بالشيخ المعروف على رأس الحلقة . ــ بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(1) (مجهول المؤلف) "مخ" (رسالة ...) ورقة 4 . مكتبة الحاج امحمد محمد بن عمر بن عيسى، العطف، ولاية غرداية .

(+) العوام تطلق على من ليس من الطلبة كما مر وسيأتي الحديث عنهم .

(2) علي معمر: الاباضية ... ص 103/1 .

(3) نفس المكان .

(++) يترأس الشيخ الأكبر مجلسا يتكون أعضاؤه من ممثلي حلق العزابة في كل قرية ويجتمع في روضة أحد المشايخ ويسمى هذا المجلس بـ "المجلس الاعلى للعزابة" وسيأتي .

(+++) سبقت الاشارة اليه آنفا .

(4) علي معمر : الاباضية ... 1/ 97 .

(5) بكلي عبد الرحمان : مراسلة خاصة . ــ بيوض: حديث شخصي .

(6) نفس المكان .

(7) علي معمر : الاباضية .... 1/ 97 .

(8) علي معمر : الاباضية .... 1/ 99 . ــ بيوض: حديث شخصي .

(9) سير ... ورقات 4ــ5 . ــ عوض التنظيمات ... 14 .

(++++) "وينظر بعين الجنان لا بعين الاجفان" أنظر: أبا عمار: سير .. ورقة 4 .

(10) أبو عمار: سير ... ورقات 4ــ5 . ــ أبو عمار: بيان ... ورقات 8ــ11 .

(11) الدرجيني : طبقات ... 1/ 174، 179 . ــ البرادي: الجواهر ... ص 207 وما بعدها . ــ أبو اليقظان : بيانات .. ورقة 12 . ــ (مجهول المؤلف) : (مسائل تتعلق بالعزابة)، ورقة 7، 18 أوراق . كراس عادي، مكتبة الشيخ محمد بابانو ابن يسجن، ولاية غرداية أنظر: الملحق رقم 5 . الفصل الأول .

(12) سير ... ورقة 4 .

بنزاهة واخلاص، وتطبيق شريعة الله، وصيانة دينه، والذود عنه بكفاءة ومقدرة، فشروط اختيار شيخ الحلقة بهذا المستوى شروط مثالية، لكنها متكاملة بالعلم والكفاءة، والأخلاق الاسلامية الرفيعة مع الدراية التامة بشؤون الدين والدنيا، والسعي للتوفيق بينهما، انها لمقاييس مثالية للنجاح في قيادة المجتمع وتنظيمه، ورعايته على أساس شريعة الله، وعلى مبدأ القرآن والسنة وتطبيقهما في الحياة والمعاملات .

ب ـ ج ـ طريقة اختيار وتعيين شيخ الحلقة :

يجرى العزابة مشاورات فيما بينهم في تنصيب شيخ الحلقة فينظرون أولا فيمن تتوفر فيه الشروط المطلوبة ليتحمل مسؤولية تسيير الحلقة بكفاءة ومقدرة، ونزاهة، فاذا ما وقفوا على من هو أهل لها، اتفقوا فيما بينهم على من يجمعون عليه رأيهم فيعرضون عليه الأمر ويعلمونه أنه فاز باختيارهم ليولوه مشيخة الحلقة، ولكنهم يصطدمون برفضه للمسؤولية، وامتناعه الشديد [1] معتذرا لهم أنه ليس أهلا لها فيقترح عليهم من يولونه ليتخلص من الحاحهم الشديد .

يستمر الحاح العزابة على من وقع عليه اتفاقهم ليولوه المشيخة ولو لزمن طويل حتى يستجيب لطلبهم عن رضى منه، فيعقدون اجتماعا خاصا لتعيينه شيخا للحلقة، ويفسحون له المجال في مجلس المشيخة [+] فيتصدر المجلس، وفي تلك الأثناء يلبسونه عمامة بيضاء على رأسه رمزا للوقار والتبجيل ويفتح أسبقهم دخولا في الحلقة الدعاء بقراءة سورة الفاتحة، رافعا أكفه الى الله، ويتبعه كل أعضاء الحلقة فيؤمنون على أدعيته، وكذا مجلس العوام .

بهذه الطريقة يصبح شيخا رسميا من حينها، فيعلن عن ذلك في المسجد على رؤوس الأشهاد، وينتشر الخبر في المجتمع بقول العامة عنه : اليوم "فلان فتحوا عليه شيخا" [2]

د ـ مهام شيخ الحلقـة :

لشيخ الحلقة مهام كثيرة، ومسؤوليات جسام، وواجبات حتمية، منها ما يتعلق بما بينه وبين نفسه، وأعمها مع الله لنيل مرضاته، وما يقوم به مبني على الشروط المطلوبة في ترشيحه وما يتعلق بما بينه وبين المسجد، والعزابة، والتلاميذ، والعامة .

1 ـ يبتغي الشيخ بأعماله وجه الله تعالى، و"ينصف الحق من نفسه لنفسه" كما قال أبو عمار عبد الكافي [3] .

2 ـ تجتمع في "الشيخ" كل السلطات الا أنه لا يمارس النفوذ المطلق، ولا يستبد برأيه بحيث لا يبرم أمرا ولا يبت في قضية الا بعد استشارة أهل الحـــــل

---

(1) (مجهول) : (مسائل . . .) ورقة 6 ـ (مجهول) : (رسالة . . .) ورقة 4 . بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة . ـ بيوض : حديث شخصي .

(+) وهو صدر المجلس، أي واجهته، يجلس رئيس العزابة وكبار أعضاء الحلقة .
LEWICKI: E.I.ART,"HALKA"T3, P:100 .

(2) بكلي عبد الرحمن: مراسلة خاصة في الموضوع . ـ بيوض: حديث شخصي . . قيدت أجوبة الشيخ بيوض عن سؤال يتعلق بطريقة وكيفية تعيينه شيخا لعزابة مسجد القرارة، فتولى فيها الوعظ والارشاد رسميا، وهو أصغر عضو في حلقتها، وكان آخرهم دخولا اليها، فقد أبى أن يتولى رئاسة حلقتها رغم تنازل رئيسها له، كما تنازل له الشيخ أبو العلا عبد الله بن ابراهيم عن منصب الوعظ والارشاد لكفاءته ومقدرته الى أن كانت محاولات اغتيال الشيخ بيوض من طرف خصومه عند ذاك تولى رئاسة الحلقة . . . وللشيخ بكلي عبد الرحمن تفاصيل مدققة عنه سجلها بيراعه فقد تدخل في القضية وعايشها في عين المكان . ـ تنازل الشيخ عبد العزيز الثميني لما تجاوز تسعين سنة الى تلميذه الشيخ أبي يعقوب يوسف بن عدون . . . أنظر: دبوز: نهضة . . . 1/ 278 .

(3) أبو عمار: سير . . . ورقة 4 ـ 5 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 6 . ـ (مجهول) : (وسائل) ورقة 6 .

والعقد [1] والمجلس الخاص [+] ، وبعدها يتخذ القرار وينفذه ، أو يأمر من يتولاه، أو يقوم به، أو ينيب عن نفسه أحد أعضاء هيئة العزابة، فهو يمارس نفوذه وسلطته باعتباره الرئيس الأعلى للحلقة [2].

"المشورة كلها راجعة الى الشيخ يتكلم وهم ساكتون، ولا يتكلم أحد الا باذنه" [3] فليس معنى هذا أنه يستبد برأيه أو يقضي أمرا دون مشورتهم ، أو دون رضاهم وموافقتهم ولو في أصغر الأمور وأحقرها ، "واذا لم يكن هذا الشرط:" "المشورة" بين أهل الحلقة فهم على غير بصيرة، فمن كان على غير بصيرة، فهو مغرور مفتون مستدرج ، وصدق عليه قوله تعالى : "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" [4] [++] وقديما قيل: "من استبد برأيه ضل" فاذا ما صادف أن أهمل التشاور فانه يؤدي الى عكس ما قرره وأصبح نظام العزابة فتظهر سلبياته وأخطاره في الحياة الاجتماعية [+++] ، فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتشاور مع أصحابه في القضايا الهامة [++++] ، وكثيرا ما كان يحبذ آراء أصحابه فيأخذ بها [+++++] ، فانتهج الخلفاء الراشدون نهجه (صلى الله عليه وسلم) في هذا الميدان فلم يشذوا عن النهج القرآني في هذا السبيل، ولا عن سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد "رسم الاسلام الخطوط العريضة لمختلف جوانب حياة الناس الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فقد أمر الله في مجال نظام الحكم بمبدأ الشورى" [5] فقال تعالى : "وأمرهم شورى بينهم" [6] وقال أيضا : "... فاعف عنهم، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر" [7] أمثلة الشورى في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة الكرام كثيرة جدا ، فالأمر بين جميع أعضاء العزابة كله شورى بينهم بحيث لا يقضي الشيخ أمرا مما يخص المسجد

---

(1) أبو عمار: سير.. ورقة 4 — أبو عمار : بيان ... ورقة 8 — البرادي: الجواهر .. ص 208—209 — أطفيش (أبو اسحاق) : وادي ميزاب.. ص 329 — بيوض: حديث شخصي — أبو اليقظان : بيانات.. ورقة 12 — بكلي عبد الرحمن: مراسلة خاصة ، وأورد ردودا قوية على الذين يدّعون أن للشيخ سلطة مطلقة يتصرف كما يشاء ويأمر كما يريد ولا يتدخل أحد في شؤونه في حين أن هذا لا يتماشى مع المشورة وفهم النصوص .

(+) القصد منه هم المستشارون أو الأربعة وهم رأس الحلقة كما قال أبو عمار : سير .. ورقة 4 — وسياتي ...

(2) الدرجيني : طبقات... 1/ 172—173 — البرادي: الجواهر ... ص 207 — أطفيش (أبو اسحاق) : وادي ميزاب... ص 329 — بيوض: حديث شخصي — بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي . تاوسارت محمد بن سليمان : نبذة من تاريخ القرارة" مخ" ورقة 88 — علي معمر: الاباضية ... 2/ 138 — أنظر: ملحق رقم 5، الفصل الأول . LEWICKI:E.I.ART,"HALKA"T3,P:101 .

(3) أبو عمار: سير.. ورقة 4—5 — أبو عمار: بيان ... ورقة 8—9 .

(++) قال تعالى: "والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" سورة الأعراف الآية 182 — وقال تعالى: "فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" القلم : الآية 44 .

(4) أبو عمار: سير ... ورقة 4 — أبو عمار: بيان ... ورقة 8 .

(+++) تحدث في هذا العهد الأخير بميزاب أن اتخذ أحد شيوخ حلقة في قرية من قراه موقفا دون تريث أو استشارة كل أعضاء الحلقة فتسبب في عواقب وخيمة أثرت في الحياة الاجتماعية ...

(++++) يتشاور (صلى الله عليه وسلم) فيما لم ينزل فيه وحي من الله، أما أحكام الله فلا تشاور فيها لأن حكم الله لا ينقض ، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : أنتم أدرى بشؤون دنياكم .

(+++++) مثل موقع ماء بدر ، وأسرى بدر قبل نزول الوحي فيهم .

(5) حاجيات عبد الحميد : مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصر الوسيط، مقال نشر بمجلة ، مجلة التاريخ ، رقم 12 ، النصف الأول من سنة 1982، ص 89 . المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر .

(6) سورة الشورى، الآية 38 .

(7) سورة آل عمران، الآية 159 .

مثلا الا بمشورتهم ، وبموافقتهم ، فاذا عرض عليهم أمرا فلم يتقبلوه توقف حتى يتقبلوه [1] .
ويصبح بعد ذلك حكمه نافذا في جميع الأمور بعد قرار الهيئة [2] .

3 — يستمر الشيخ في منصبه مدى الحياة ، وكذلك الأربعة المقدمون على رأس الحلقة [3] في أمور الدين والدنيا ، بحيث اذا توفي أحد منهم يستخلفه أحد العزابة الآخرين [4] .

4 — يتولى أحد الأربعة الكبار [+] النيابة عن الشيخ في كل اختصاصاته ومهامه اذا مرض ، أو عجز عن القيام بمهامه لأي سبب من الأسباب ، أو غاب في سفر مثلا ، أو عزل من منصبه نتيجة مخالفة ارتكبها ، أو شملته البراءة [++] الى غير ذلك من الموانع التي تمنعه عن القيام بمهامه ، أو اذا لفظ أنفاسه وذهب الى باريه [5] .

5 — يتولى التدريس ، والجلوس لطلبة العلم [6] ويدرس الهيئة الدينية في بلده فهم تلاميذه . [7] فجميع العزابة يعتبرون تلاميذ لشيخ الحلقة [8] . فهو يتولى تدريسهم ، وتدريس التلاميذ ، ويقيم دروس الوعظ والارشاد ، والتوجيه الديني للتلاميذ وجميع الطلبة ، والعامة في المسجد ، يغرس فيهم العقيدة الاسلامية ، وأصول المذهب الاباضي والآداب العامة ، والأخلاق الاسلامية [9] .

6 — يمثل الشيخ هيئة العزابة في كل أعمالها ، يتحدث باسمها ، وينفذ قراراتها .

7 — يتولى الشيخ الاشراف على كل شؤون البلدة ، واباضيتها .

8 — يتولى الشيخ الاعلان عن كل قرارات العزابة التي يتفق حولها لتنفذ [10] .

9 — يجتهد في نوع العقوبة مثل : الغرامة ، أو الجلد ، أو الطرد [11] .

10 — يقوم الشيخ بنفسه بـ "تولية عرفاء الأوقات" [12] .

11 — يعطي التعليمات في التصرف المالي ويستشار في الشؤون المالية ، والمصاريف والحبس ، ويقوم بالاذن فيها [13] .

12 — يعلن في الحلقة أو في المسجد عن البراءة ، ويتولى الاذن بالعفو بعد التوبة [14] .

---

(1) بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة لا يولي الشيخ ، ولا يعزل ، ولا يعين أحدا في وظيف ولا يقضي شأنا من الشؤون الا بالمشورة ، ولكن بعض قصيري النظر يدعون أن له سلطة مطلقة .
(2) علي معمر : الإباضية . . . 1/ 97 ، 103 .
(3) أبو عمار : سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار : بيان . . . ورقة 8 . — عوض : التنظيمات . . . ص 14 .
(4) أبو عمار : سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار : بيان . . . ورقة 8 . — علي معمر : الاباضية . . . 1/ 99 .
(+) سوف يأتي الاشارة اليهم .
(++) سوف يأتي الحديث عنها في الفصل الرابع ، كما سبقت الاشارة . . .
(5) أبو عمار : سير . . . ورقة 6 . — أبو عمار : بيان . . . ورقة 13 . (مجهول) : رسالة . . . ورقة 5 . (مجهول) : (مسائل . . .) ورقة 6 . — أنظر : الملحق رقم 5 ، الفصل السادس والسابع .
(6) البرادي : الجواهر . . . ص 207 . — أبو عمار : سير . . . ورقة 6 . — أبو عمار : بيان . . . ورقة 10 .
(7) أنظر الملحق رقم 5 . الفصل الثالث . — (مجهول . . .) : (مسائل . . .) ورقة 6 .
(8) علي معمر : الاباضية . . . 1/ 97 . — سيأتي البحث عن التدريس .
(9) mercier marcel: La civilisation urbain au M'zab, GHARDAIA La mysterieuse. P:15, P etG . soubiren ALGER .
(10) علي معمر : الاباضية . . . 1/ 97 — 98 .
(11) البرادي : الجواهر . . . ص 208 . سيأتي الحديث عنها في الفصل الرابع .
(12) البرادي : الجواهر . . . ص 209 . — Lewicki: Op,Cit, P.P:89-101 .
(13) البرادي : الجواهر . . . ص 209 . — Lewicki: Op,Cit, P:89 .
(14) البرادي : الجواهر . . . ص 209 .

13 — يتولى تنظيم جلسات حلقة العزابة، ورئاستها، وافتتاحها، وادارة أعمالها أو المفاوضات في المجلس، ورفع الجلسة اذا اقتضى الأمر حيث يراعي المصلحة في ذلك (1).

أ — ينعقد مجلس العزابة بحضور الشيخ وتحت رئاسته، واذا تعذر عليه الحضور لسبب ما فانه يكلف نائبه بادارة الجلسة، فخليفته يقوم مقامه (2).

ب — تستدير الحلقة أمام الشيخ، ويكون موعدها بجلوس العزابة عن يمينه وعن يساره حسب أقدميتهم في الحلقة بحيث يلي الشيخ عن يساره أقدمهم بعده (+).

ج — يفتتح الشيخ اجتماع الحلقة بتوحيد الله تعالى قائلا: "لااله الا الله" ويكررها ثلاث مرات متتالية دون فاصل بينها، وهي سنة مازالت متبعة الى تاريخ اليوم (++).

14 — تسلم لشيخ العزابة وحده مفاتيح خزائن المسجد المهمة التي تخص لمصالح المسجد وملفاته، والرسائل والمخطوطات، كما يحتفظ بمفتاح الغرفة الخاصة لجلسات الحلقة (+++).

15 — يستعين الشيخ بعون يتخذه بمثابة المفتي ليحرر كتابة ما يخص نصوص الأحكام الشرعية بأدلتها، أو التي ترجح ما يفتي به من الأقوال التي يختارها من الفقه ولا سيما اذا كانت عبارة عن مسائل خلافية، والقول الفصل فيها للشيخ (3).

---

(1) أبو اليقظان: بيانات... ورقة 12. — بكلي عبد الرحمن: مراسلة خاصة. — بيوض: حديث شخصي. — الحاج أيوب ابراهيم: حديث شخصي.

(2) دبوز: نهضة... 1/ 197. — بكلي: حديث شخصي. — Lewicki: Op, Cit, P: 98.

(+) اذا قد أحد العزابة متأخرا، فان مكانه وراء الحلقة حيث انتهى به المجلس ولا يفسح له فيها ويكون موجها تماما للشيخ في صدر مجلسه، ولكن هذا الوضع الآن غير موجود ولا أدرى من أى تاريخ، فاذا أعطى الشيخ الاشارة للمتأخر بالدخول الى الحلقة فانه سرعان ما يفسح له بأن يتزحزح عضوا الحلقة الجالسين أمام الشيخ مباشرة بالتحرك نحو اليمين والآخر نحو الشمال، فتنفتح بحركتيهما هذه فرجة في الحلقة، قبل أن يتقدم المتخلف زاحفا قليلا الى الامام ليسد الفرجة واضعا ركبته اليسرى جالسا على قدمه اليسرى مفرشا ظهرها في الأرض وواضعا قدمه اليمنى على الأرض رافعا ركبته اليمنى متكئا عليها بصدره الأيمن باسطا يديه بدعاء استفتاح القرآن بالنسبة لمجلس الذكر، فيمد يديه مسلما على العضوين من يمينه ثم يساره وهو جالس، وفي الحين يفسح له مكان حسب أقدميته ورتبته في الحلقة فينهض مباشرة متجها اليه ولكن غير قاطع لوسط الحلقة، ولا مستدبرا للشيخ ووجهاء الحلقة وصدرها، وهو يسير بأناة واستحياء حذو الحلقة من الداخل، وقبل أن يجلس في المكان المفسوح له ثانية يقف عنيفة مواجها للشيخ وصدر المجلس بيمينه اذا فسح له عن يسار الشيخ، وبشماله اذا فسح له عن يمين الشيخ بحيث لا يكون مستدبرا له فيجلس بكل هدوء فيسلم مادا يديه وهو يلقي التحية الى العضوين مبتدئا من يمينه، ثم يكرر السلام وهو مادا يديه الى العضو الجالس عن يساره، فيستفتح بدعاء المجلس وهكذا تتزحزح الحلقة لتكون مستوية، هكذا يكون الدخول لأى مجلس. — الحاج ابراهيم محمد بن بهون (ت1951م) درس في الموضوع لتعليم الصغار ذلك، ما هو جار الى الآن بمساجد ميزاب بالنسبة الى الدخول الى حلق تلاوة القرآن جماعيا، بل حيث ما كانت مجالس القرآن ولو خارج المسجد.

(++) تتبع هذه السنة في المسجد، وفي المحافل العامة، أو الاجتماعات قبل أى تنبيه أو اعلان ما وبمجرد ما تسمع الا ويقطع أى كلام فيخيم سكوت عجيب على الحاضرين و خشوع رهيب واستحضار للبال استعداد لسماع ما ينبه أو يلقى.

(+++) المقر الخاص لجلسات حلقة العزابة موجود داخل المسجد أو في سطحه وهو عبارة عن غرفة عادية يطلق عليها اسم "تامنايت" كما سبقت الاشارة اليه.

(3) علي معمر: الاباضية... 1/ 103. — مطهرى: حديث شخصي. مطهرى: المجالس... ورقة 2.

16 — يقوم بمهام القاضي، فيتولى كتابة العقود، والتوثيق بين الناس فجميع الأحكام تصدر باسمه، ويشرف بنفسه على كل ما يخص حل الخصومات، والمشاكل بين الناس وله القول الفصل فيها، فهو يختار من يراه صالحا ولائقا لتنفيذ الأحكام ومتابعتها (1) (+).

17 — يحكم الشيخ "بين المختلفين، وينصف بين المتباغضين، ويأخذ من الظالم للمظلوم، ويأخذ من المسيء للمحسن ..." (2).

ومما يتولاه شيخ العزابة مما يتصل بمهام أعمال القاضي حسب ما يبدو من التنظيمات أنه: يسجل البيوع، والعقود، ويقسم المواريث، ويقيس الجراحات (3). وباختصار فان شيخ العزابة يتولى سلطة الامام، وهو القاضي المطلق (4). يستمع الى الشكايات ويعطي وجهة نظر الشرع فيها فيفصل بما يراه صالحا، ولا يترك المشاكل تتراكم (5)، فهو يدافع عن حق الناس المظلومين، فيحكم بينهم دون ميل أو تقصير، هذا ديدن الحلقة كلها أزاء المجتمع (6).

18 — يشرف الشيخ على نظام التعليم والتدريس وحلقات "اروان" بكسر الهمزة، وسكون الراء، وفتح الواو، وسكون النون، ويتولى حصصا بنفسه ويراقب هذا الجهاز مباشرة وبواسطة العريف الذى يعينه (7) الخ ...

19 — يتولى بنفسه الاشراف على "الاستفتاح" (++) ويدير مجلس الذكر، الى أن يحين وقت الصلاة، أو وقت الدرس والموعظة في المسجد للعموم حسب البرنامج اليومي الذى ينظمه الشيخ مستنيرا برأى العزابة (8).

20 — يتولى الشيخ بنفسه البحث عن المرشح للحلقة فيتطلع عن أوضاعه وأحواله ويكلف من يتتبع المرشح، "فان سمع منه نقيصة أو مذمومة فالطرد لا غير وان لم يسمع الا الخير فليدخل مع أهل الحلقة فـ(له) ما لهم، وعليه ما عليهم، فان تعذر الاطلاع على أحواله لبعد الدار فليتوقف حتى يتبين أمره" (9).

---

(1) أبو عمار: سير... ورقة 5. — أبو عمار: بيان ... ورقة 10. — مطهرى: المجالس ... ورقة 2.

(+) منصب القضاء ودور القاضي وما يقوم به شيخ العزابة، واختصاصات الحلقة يستحق افراد بحث خاص لمعرفة هذا الجهاز الحساس والرئيسي في المجتمع، وتطوره عبر العصور فهو يختلف بين مناطق الاباضية ومن طور الى آخر، وله ارتباط بالمجالس الدينية.

(2) البرادي: الجواهر... ص 209. — (مجهول ...) و (مسائل ...) ورقة 7.

(3) الحاج أيوب: (رسالة ...) ورقة 41.

(4) MILLIA:OP;CIT, P : 104.

(5) بكلي عبد الرحمن: حديث شخصي. — بيوض ابراهيم: حديث شخصي. — الحاج أيوب: حديث شخصي.

(6) LEWICKI:E.I.ART"HALKA" P:100.

(7) البرادى: الجواهر... ص 208—209. — سوف يأتي هذا الموضوع، ودور العرفاء...

(++) من الفتح أو بداية الشيء وتطلق الكلمة على بداية قراءة القرآن الكريم، ويتلى في كل يوم في المساجد الى تاريخ اليوم، ويحتفل بختمة فيها وفي المقابر في مواسم معينة في السنة في كل قرى ميزاب ومن عبارة الدرجيني والبرادى يتبين أن هذه السنة الحميدة بالطريقة المعهودة ترجع الى عهد أبي عبد الله محمد بن بكر: "... ومنها الاستفتاح وهو قيامه في ثلث الليل الآخر أو في ربعه الآخر فيأتي الى موضع الاستفتاح فيستعيذ ويبسمل ويقرأ فاتحة الكتاب ويبتدئ من حيث انتهى مجلس الاستفتاح من الليلة التي قبله..." طبقات... 1/ 172. — الجواهر... ص 208.

(8) الدرجيني: طبقات... 1/ 172. — البرادى: الجواهر... ص 208. لم يشر الى ما أشار اليه دبوز: نهضة... 1/ 197. استنارة الشيخ في هذا التنظيم "برأى العزابة" ولكن هذا حاصل في هذا العصر.

(9) الدرجيني: طبقات... 1/ 172. — البرادى: الجواهر... ص ص 208—209.

21 — يقوم الشيخ بمساعي ومحاولات لاصلاح ما يقع من خلاف في الحلقة فاذا تعذر عليه ذلك ، أو أخفق في محاولاته، فانه مخول في استدعاء من يراه صالحا لذلك من شيوخ ، أو أعضاء من حلق المدن الأخرى لفض الخصام ، وحل النزاع " أو تسوية المشكلة (1) .

22 — يهتم الشيخ بالرديف اهتماما كبيرا حتى لا تبقى المناصب شاغرة ، وحتى يستمر العزابة في آداء مهامهم وواجباتهم فاذا ما فرغ منصب ما فانه سرعان ما يولي آخر مكانه من هيئة العزابة (2) .

23 — يولي الشيخ اهتماما كبيرا للمجلس الخاص الذي هو عمدة استشاراته وهم الاربعة الكبار ، أو هم أهل الحل والعقد ، أو السابقون (3) ، فمن هم هؤلاء يا ترى ؟ وما هي وظيفتهم ؟ ذلك ما سوف نبينه بعد الاشارة إلى مزايا شيخ الحلقة .

هـ — مزايا شيخ الحلقة :

قبل بيان طريقة انتقاء وتعيين هيئة المجلس الخاص أو السابقين تجدر الاشارة الى ما يجب أن يتصف به الشيخ حتى يكون في المستوى الحقيقي لتحمل أمانة التسيير ومسؤولية الرعاية لأصحابه والتلاميذ والمجتمع، وان ما يجب أن يتصف به مبني على شروط اختياره، لكن الانسان مهما كان فقد يتغير أو ينقلب من حالة الى أخرى، وخاصة اذا تولى المسؤولية، ولا سيما اذا كانت سامية، فكان أول عدو يواجهه هي نفسه التي بين جنبيه لأن النفس تستهويها الأهواء ، والجاه والمنصب، فتنحرف عن الجادة " وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي . . . " (4) فقوة الايمان، والعمل الصالح ابتغاء وجه الله ، وذكره في كل آن لمما يحارب به المؤمن النفس الأمارة بالسوء ، والا كان الشيطان قرينه فيقوده الى عذاب السعير . " ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين " (5) ويرتب الله تعالى عقوبة شاقة في الدنيا على الذي يعرض عن ذكره، وعذابا أشد يوم القيامة، فقال تعالى : " ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يومن بآيات ربه، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى " (6) .

أكد أبو عمار عبد الكافي (7) على صفات أساسية للعزابة كلهم، وخص الشيخ بها أولا وهو تعلم الأدب والأخلاق والكياسة قبل أي شيء آخر، والا ذهبت كل أعماله أدراج الرياح

. . . فمن تعلم الأدب فكل ما تعلمه من العلم ينفعه ، واذا لم يتعلم الأدب ، فلا ينفعه علم ولا ورع ، وجاءه الجهل من كل جانب ومكان

قال الشيخ رحمه الله، الحلقة اذا أثبتوها على هذا الشرط فهي في

---

(1) أنظر: الملحق رقم 5، الفصل 9 .
(2) ابو عمار: سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . — الحاج سعيد : حديث شخصي .
(3) ابو عمار: سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . — بيوض: حديث شخصي . — بكلي : حديث شخصي .
(+) ولذلك كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو الله تعالى أن يثبته على الدين والايمان رغم أن الله اصطفاه، وهياه لتبليغ الرسالة فكان يقول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . وكان (ص) ذاكرا الله، شاكرا أياه على أنعمه، ولما كان يطيل قيام الليل قالت له أمنا عائشة (ض) ان الله قد غفر لك ذنوبك ما تقدم منها وما تأخر فأجابها " أفلا أكون عبدا شكورا " .
(4) سورة: يوسف ، الآية : 53 .
(5) سورة الزخرف: الآية : 36 .
(6) سورة طه ، الآيات : 124 — 127 .
(7) سير . . . ورقة 5 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 5 .

طريق الجنة ، وأعلها رائحتهم كرائحة المسك، لأن مذهب الاباضية احتوى على هذه السير التي سيرها المشايخ رحمهم الله . اللهم اجعلنا ممن يتبع سير المشايخ في الدنيا والآخرة ...

يعتبر هذا من أهم أساليب التوجيه والتربية قديما وحديثا لما له من أثر فعال في بناء الشخصية، والسلوك الاجتماعي ، ومن أهم الأساليب الناجحة في الحياة ، ولما له من أجر أوفى عند الله، فالقدوة الحسنة من أنجع أساليب التربية في الاسلام ، فقد مدح الله تعالى الرسول (محمداً صلى الله عليه وسلم) على أخلاقه الكريمة فقال في شأنه: "وانك لعلى خلق عظيم" [1] وقالت أمنا عائشة (رضي الله عنها) عنه لما سئلت عن أخلاقه فأوجزتها في قولها: "كان خلقه القرآن" [2] وحرض الله تعالى المؤمنين على الاقتداء به فيكون من "الذين أتوا البيوت من أبوابها بشريعة . وطريقة ، وحقيقة بالعلم، والعمل ، والاخلاص ويطلعه الله على الملبس من دسائس النفوس في جميع العبادات والعادات حتى يتبين له الحق ومن ضيع هذه الشروط ولم يعمل بها فقد عمي وانطمس" [3]

أكد أبو عمار عبد الكافي على الشيخ أن لا يغفل عن الآخرة حتى يؤكد أعماله لوجه الله تعالى فينجح في مهمته فيترفع عن مغريات الحياة ، والطمع فيها وفيما يملأ بطنه فلا يطمع فيما عند الناس حتى لا يكون رهن اشارتهم ، أو تحت نفوذهم وسخطهم فيشغله هذا عن مهامه ورسالته، وحذره من أن يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة [4] لأنها دار الغرور. "وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور" [5] والا دنس عرضه وشرفه وغش نفسه وضل عن سواء السبيل" [6] .

أكد أبو عمار على الشيخ أن يحارب الطمع والاستسلام للراحة والكسل، وأن ينصف من نفسه، وللمظلوم من الظالم، وأن لا يخوض في الأمور بالجهل بل يبحث عن الحجة والدليل وألا يجيب السائل "انا وجدنا الأوائل يفعلون كذا وكذا ..." ومن لم ينبت للعلم وأهله فقد حاد عن سير المتقدمين فهو "ضال ، فاسق ، كافر ..." وفي الخصال المذمومة [7]

فقال: "لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا" [8] فاذا عم المجتمع التقوى ومناصرة الحق ، فالله تعالى تعهد أن يصلح للمؤمنين أعمالهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ويبشرهم بالفوز العظيم ان هم استماتوا في طاعة الله وطاعة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما" [9] .

---

(1) سورة : القلم : الآية 4 .

(2)

(3) أبو عمار: سير. . . ورقة 5 .- أبو عمار: بيان . . . ورقة 11 . بيوض: حديث شخصي .

(4) أبو عمار: سير. . . ورقة 7 .- أبو عمار: بيان . . . ورقة 13 . بيوض: حديث شخصي .

(5) سورة الحديد ، الآية 20 .

(6) أبو عمار: سير. . . ورقة 5 .- أبو عمار: بيان . . . ورقة 14 . بكلي عبد الرحمن: مراسلة خاصة .

(7) أبو عمار: سير. . . ورقة 6 .- أبو عمار: بيان . . . ورقات 12-13 .

(8) سورة : الأحزاب ، الآية : 21 .

(9) سورة : الأحزاب ، الآية : 70 .

نهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا مالا يفعلون حتى تطابق أقوالهم أعمالهم ، أو أعمالهم أقوالهم ، فيكونوا صادقين فيهما ، والا كانوا منافقين، وهذا اثم كبير لا يحبه الله ويمقته لما فيه من أضرار وتضييع للدين ، وسوء تمثيله، والخيانة في تبليغه ، وتترتب عليه نتائج عكسية ولا سيما اذا كان صادرا من مسؤول مهما كانت مسؤوليته سواء كانت على نطاق الأسرة ، أو المجتمع ، يقول تعالى : " ياأيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " (1) .

ومما رغب فيه أبو عمار (2) على "الشيخ" هو أن يتصف بالصفات المثالية وأنه لا يكون كذلك الا "اذا نصح لله ، وأعطى لله، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله" وبهذا أكد أبو عمار أن يكون متواضعا، وأن لا يغفل عن مهامه، ولا يقصر في واجباته ووجوب تعليم "أصحابه وتلاميذه الأدب" (3) وان لم يفعل ذلك فهو "على غير بصيرة بدليل عدم النصيحة لهم ، وهو يعلم أنه مسؤول عن ذلك، واذا كان الشيخ لا يعلم ما يجب عليه في حق نفسه ، ولا في حق غيره كان أعمى يقود أعمى (4) . " ذرهم في خوضهم يلعبون " (5) .

انها لصفات مثالية ، فمن كانت هذه صفاته لا شك أنه نموذج ممتاز يؤثر بسلوكه ومثاليته وتفانيه في الجهاز الذى يعمل فيه أو يتولى تنظيمه وتسييره .

2 ـ المستشارون :

هذا الصنف يأتي في المرتبة الثانية بعد الشيخ الذى يحتل المرتبة الأولى في تصنيف أهل الحلقة، وهم أعوان الشيخ وعمدته ومستشاروه ، وهم القدامى في الحلقة، أو من السابقين (+) دخولا اليها "ويكون الحل والعقد عليهم" (6) كما يعبر عنهم أيضا "بالمجلس الخاص" (7) يرتبهم شيخ الحلقة بعد أن يختارهم من أعضاء الحلقة نفسها فهم عمدته الرئيسية ، وعليهم المعول . (8)

شـــروط اختيـــار المستشارون :

1 ـ أن يكونوا "من السابقين في الهجرة" (9)

2 ـ أن يكونوا "من أهل العلم والصلاح والتقوى والأدب والورع والسنة" (10) .

3 ـ أن يكونوا "من أهل الحل والعقد" (11) " وهم بمثابة اللجنة الاستشارية

---

(1) سورة : الصف ، الآية 3 .
(2) سير . . ورقة 5 . ـ بيان . . . ورقة 10 .
(3) أبو عمار: سير . . ورقة 6 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 12 . ـ بيوض: حديث شخصي .
(4) أبو عمار: سير . . ورقة 6 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 12 .
(5) سورة الأنعام، الآية : 91 . أصل الآية من الأول: "وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون .
(6) أبو عمار: سير . . ورقة 4 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . ـ علي معمر: الاباضية . . . 1/ 99
(+) . ـ جرى الاصطلاح أن يسمى السابقون دخولا للحلقة بالأقدمين هجرة، فيقال: "أقدمهم هجرة" بيوض: حديث شخصي . ـ بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي . ـ الحاج أيوب: حديث شخصي .
(8) أبو عمار: سير . . ورقة 4 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . ـ الدرجيني : طبقات . . . 1/ 171، 172 . ـ بيوض: حديث شخصي . ـ بكلي : حديث شخصي lewicki:ibid:p99. بيوض: حديث شخصي . ـ
(7) Lewicki:E.I. ..t"HALKA"P.P:99-101.
(9) أبو عمار: سير . . ورقة 4 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . ـ بيوض: حديث شخصي .
(10) أبو عمار: سير . . ورقة 4 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . ـ عوض: تنظيمات . . . ص 14 .
(11) أبو عمار: سير . . ورقة 4 . ـ أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . ـ عوض: تنظيمات . . .

الدائمة لمجلس العزابة" [1] .

4 — أن يكونوا "من أهل الحافظين لأمور الدنيا والآخرة" [2] .

5 — أن لا ينشغلوا بشؤونهم الخاصة وانما يضحون من أجل المصلحة العامة [3] .

6 — ان يبقوا في مناصبهم مدى الحياة "هم كالقطب لا يتحركون من موضعهم" [4] .

بمثل هؤلاء الاعوان ، أو أهل الحل والعقد مع شيخ العزابة الذى يرأسهم مجلسا خاصا ينزل منزلة الامام فيما يخص التصرف في كل شؤون المجتمع لدى الاباضية [5] فمكانتهم مرموقة في الحلقة ينظر اليهم بعين الاعتبار، ولهم نفوذ في تسييرها ، وكلمتهم مسموعة بين أعضائها ، فهم العمدة الأساسية في كل ما يهم الحلقة، واليهم يعود ترشيح العضو واختباره واختياره ، أو عزل من ظهر فيه ما يستوجب ذلك [6] .

يلازم هؤلاء الأربعة الشيخ ويلازمهم، ولا يبث في رأى أو موقف الا بموافقتهم [7] .

3 — الامـــام :

يتداول الشيخ مع الهيئة الاستشارية للعزابة أمر اختيار من تتوفر فيه الشروط المطلوبة شرعا في امامة الصلاة ليؤم المسلمين في المسجد في كل الأوقات المنصوص عليها شرعا فيعينون أفضل من في الحلقة علما وسنة وأدبا وورعا ومؤتمنا في دينه [8] ، حافظا للقرآن الكريم ، متقنا للقراءة ، مدركا لفرائض الطهارة والوضوء ، ملما بالمبادئ الفقهية [9] ، مشهورا بعدالته ونزاهته، محبوبا بين أفراد المجتمع، لا يقدح في سيرته وسلوكه، متواضعا عفيفا [10] ، لا تحوم حوله الشبه [11] ، مواظبا على مهامه، غير متخلف عنها الا لعذر قاهر، جهورى الصوت ، حازما ، سالما من كل العيوب الخلقية كفقدانه لبصره، وأن يكون من عمدة العزابة [12] وأحيانا يكون من أحد الأربعة الكبار [13] ، ومما يقوم به الامام في المسجد هو اشرافه على تسجيل عقود الزواج [14] ، يجلس على يمين الشيخ عندما

---

(1) عوض: النظم . . . ص35 .

(2) (3) أبو عمار: سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 .

(4) أبو عمار: سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . "هم كالقطب لا يتحركون من موضعهم حتى يقبضهم الله وهم على تلك الحالة، واذا ماتوا ماتوا في طريق الجنة" معناه أنهم باعوا أنفسهم لله، وشروا بها الجنة فيمكن أن يصنفوا من "الشراة" في الجهاد الأكبر بمقتضى علمهم، والتزامهم هذا الطريق كالحواريين، فليتأمل . . .

(5) عوض: التنظيمات . . . ص14 . — عوض : النظم . . . ص ص35 — 36 . — أورد أبو عمار عبد الكافي ما يوحي بهذا المفهوم ويوضحه حين قال: . . . بأن المشايخ يلحقون أهل السير (العزابة) بمنزلة السلطان العادل" في حق الله سواء" وبوأ وهم منزلته عند ما عدموه . . . سير: . . . ورقة 4 . — بيان . . . ورقة 8 .

(6) أنظر: ملحق رقم 5 ، الفصل السادس .

(7) الدرجيني: طبقات . . . 1/ 173 . — علي معمر: الاباضية . . . 1/ 99 . — بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة .

(8) أبو عمار: سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 8 . — أنظر: ملحق رقم 5 ، الفصل الخامس .

(9) لائحة عزابة غرداية، ب 1 ، اقتبسه الجعبيرى في كتابه، نظام . . . ص83 .

(10) الواقع المعايش لحد الآن في ميزاب .

(11) الجعبيرى: نظام . . . ص84 . — موضوع الامام وشروط الامامة مبسوطة في كتب الفقه والمطولات منها على سبيل المثال لا الحصر : أنظر: الربيع بن حبيب : الجامع . . . ج 1 ، ص44 . — أبو غانم الخراساني ، ترتيب وتحقيق وشرح القطب: ج 1 ، ص72 ، دار اليقظة العربية، بدون تاريخ ، سوريا ولبنان . — ابن بركة: كتاب الجامع ، ج 1 ، ص457 ، ط2 ، (1394هـ/ 1974م) .

(12) دبوز : نهضة . . . 1 / 197 . —

(13) توفيق المدني : كتاب . . . ص111 . — علي معمر: الاباضية . . . 1/ 99 . —

يحتل المؤذن أحيانا مكانته في أعوان الشيخ (1) ويساعد الامام في تحضير عقود الزواج في داخل المسجد، وعند غياب الامام ينوبه المؤذن في كتابة عقود الزواج (2)، أما مقام جلوس المؤذن فعلى يسار شيخ الحلقة في كل مجلس أو تجمع (3).

5 — وكيلا الأوقاف:

يعين الشيخ بالاتفاق مع مستشاريه وكيلين على الحبس والأوقاف (4)، وكل ما يرتبط بمالية المسجد والحلقة أو ميزانيتهما (5)، أو ما يرتبط بأوقاف المقابر (+).

تراعى شروط معينة في اختيار الوكيلين، ففضلا عن الشروط الأساسية في عضوية الحلقة تشترط أخرى في من يتولى مالية المسجد والحلقة منها:

1— أن لا يكونا من ذوى المال الكثير. (6)

2— أن لا يكون لهما أولاد كثيرون. (7)

3— أن لا يكونا من الفقراء المحتاجين، وانما من متوسطي الحال (8).

4— أن يكونا أمينين (9).

5— أن يكونا ورعين (10).

6— أن لا يتصرف أحدهما دون علم الآخر (11).

7— أن يتفقا معا في كل تصرفاتهما (12).

تعتبر هذه الشروط دقيقة حتى يختار العضو المؤهل لينجح في مهمته ولتسيير المهام بدقة ونزاهة وضبط وأمان، وهذا ما برهن عليه الوكلاء من حسن التسيير والتنظيم دون تعثر أو فوضى لأن الاختيار كان ناجحا، فلم يسمع عن أى وكيل تلاعب بالأوقاف والحبس أو أنه لم يحسن التصرف فيه، لأن الايمان والامانة والورع ومراقبة الضمير المبني على التقوى وخشية الله، وانتظار الحساب الدقيق العسير كلها أدت الى نجاح الوكلاء في مهماتهم، فبارك الله في أعمالهم، وعلل اشتراط توسط الحال لا الغني المفرط، ولا الفقر المدقع حتى لا تتحدث نفس المؤتمن على الحبس بما يغويها أو يفتح أبواب آمال النفس الأمارة بالسوء فينساق وراء الطمع والأهواء. وكذا اشتراط عدم كثرة الأولاد حتى لا يكون في موقف تضطره فيه النفوس الضعيفة الى ارتكاب مالا تحمد عقباه.

= في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، على نظم ابن عاشر أبي محمد عبد الواحد ابن أحمد بن علي، ص160.

(1) أبو اليقظان: بيانات... ورقة 12. — توفيق المدني: كتاب الجزائر... ص 111. — علي معمر: الاباضية... 1/ 99.

(2) لائحة عزابة غرداية، ص3، اقتبسه الجعبيري: نظام... ص84. — دبوز: نهضة... 1/ 197.

(3) الجعبيري: نظام... ص84. — ما زالت هذه العادة الى تاريخ اليوم موجودة بوادى ميزاب.

(4) (مجهول): رسالة... ورقة 4. — (مجهول...): مسائل... ورقة 7.

(5) عوض: النظم... ص 37. — ما هو جار به العمل الى تاريخ اليوم.

(+) صدقات توزع في مجالس القرآن والحاضرين بمناسبة عقد مجالس القرآن في مواسم معينة بالمقابر...

(6) (7) أبو عمار: سير... ورقة 4. — أبو عمار: بيان... ورقة 8.

(8) علي معمر: الاباضية... 1/ 99.

(9) الجعبيري: نظام... ص 85.

(10) بكلي عبد الرحمن: مراسلة خاصة.

يقوم المجلس الخاص أو الأربعة القدامى في الحلقة بمحاسبة الوكيل (+) على كل ما يقوم به (1) ، ومن ناحية أخرى هل الوكيل يعتبر ضمن الأربعة الكبار ، أو القدامى نظرا لمهامه الحساسة في الميدان الاقتصادي؟ أم هو ضمن العزابة فقط ؟ فحسب "القانون الأساسي" لعزابة غرداية يظهر أن الوكيل ليس عضوا في الأربعة القدامي لأنه يحاسب من طرفهم ، وما هو واقع معنيش لحد الآن هو تعيين وكيل واحد ضمن مهام عزابة كل مسجد من مساجد قرى ميزاب ، وهذا "توفيق المدني" (2) نفسه لم يصنف الوكيل ضمن الأربعة الكبار ، يعتبر MELLIA (3) أن الامام والمؤذن هما "عصب المشورة" في حلقة العزابة ، ولم تذكر المصادر ممن يتركب "المجلس الخاص" ويظهر مما هو واقع الحياة في "ميزاب" لحد الآن أن الامام والمؤذن هما ركيزة شيخ العزابة ، وعصب مشورته بالدرجة الأولى اذا كانا في مستوى ذلك من حيث التكوين والدراية بالأمور ، والوعي والفطانة الا أن العضو الذى يبدو أنه أساسى فى "المجلس الخاص" هو الواعظ والمرشد بالمسجد والمناسبات العامة خاصة

مهامهما

ان مهام الوكيلين تنحصر في :

1- ضبط الصادرات والواردات (1) .

2- اصلاح وتنمية الأوقاف (2) .

3- تنظيم الوسائل الكفيلة بتنمية الموارد (3) .

4- الاشراف التام والدقيق على ميزانية العزابة والطلبة والمسجد (4) .

5- الاهتمام التام برعاية أموال الأوقاف واستثمارها وزيادتها وتنميتها بالطرق المشروعة (5) وتجنب كل ما هو محرم حتى لا تتعرض الى التلاشي والافلاس .

6- صيانة الأوقاف العقارية والعينية والاعتناء بها وتنميتها مثل البساتين (6) .

7- الاهتمام بمطامير التمر ، وصيانتها ، وبوسائل تخزين المواد التموينية (7) .

8- صيانة المسجد ودور الطلبة وكل المرافق التابعة للمسجد أو توسيع كل ذلك أو اصلاحه (8) .

9- المحافظة على نظافة المسجد (9) .

10- الاعتناء بحصائر المسجد وصيانتها ، وتبديل البالي منها والاستعانة بمن يقوم بذلك (10) .

11- الحرص الشديد على رعاية أموال المسجد ، والمؤسسات التابعة له ، والاهتمام بها لدرجة اتخاذ قفلين لخزانة المسجد ، ومفتاح كل قفل بيد أحد الوكيلين لا يفتح الا باتفاق كل منهما مع الآخر حرصا على أمواله (11) .

12- تنظيم الوقف الخاص بانارة المسجد ، ودار التلاميذ .

13- تنظيم الوقف الخاص بتزويد المسجد ودار التلاميذ بالماء ولا سيما في ليالي الجمعة ورمضان وفصل الصيف ..

14- تنظيم الوقف المخصص لنخيل المسجد ، وتأبيره الى مرحلة توزيعه في مصاريفه .

15- الاشراف التام على صرف كل الأوقاف بدقة متناهية فيما خصصت له كما وكيفا ونوعا حسب المواسم ، والأيام ، والأوقات المحددة لها من طرف المحبسين (12) .

ان لهذه الأوقاف شروطا خاصة لمن ينتفع بها ، وللعزابة مسؤولية كبرى بالتصرف فيها وتوظيفها ، فكان [illegible] (+)

يقوم المجلس الخاص أو الأربعة القدامى في الحلقة بمحاسبة الوكيل (+) على كل ما يقوم به (1)، ومن ناحية أخرى هل الوكيل يعتبر ضمن الأربعة الكبار، أو القدامى نظرا لمهامه الحساسة في الميدان الاقتصادي؟ أم هو ضمن العزابة فقط؟ فحسب "القانون الأساسي" لعزابة غرداية يظهر أن الوكيل ليس عضوا في الأربعة القدامى لأنه يحاسب من طرفهم، وما هو واقع معيش لحد الآن هو تعيين وكيل واحد ضمن مهام عزابة كل مسجد من مساجد قرى ميزاب، وهذا "توفيق المدني" (2) نفسه لم يصنف الوكيل ضمن الأربعة الكبار، يعتبر MELLIA (3) أن الامام والمؤذن هما "عصب المشورة" في حلقة العزابة، ولم تذكر المصادر ممن يتركب "المجلس الخاص" ويظهر مما هو واقع الحياة في "ميزاب" لحد الآن أن الامام والمؤذن هما ركيزة شيخ العزابة، وعصب مشورته بالدرجة الأولى اذا كانا في مستوى ذلك من حيث التكوين والدراية بالأمور، والوعي والفطانة الا أن العضو الذى يبدو أنه أساسي في "المجلس الخاص" هو الواعظ والمرشد بالمسجد والمناسبات العامة خاصة الا أنه غالبا ما يكون الواعظ والمرشد هو شيخ العزابة، ولكن قد يحدث أحيانا في حالات معينة أن يظهر من يليق للوعظ والارشاد فيولي المهمة بحضور شيخ العزابة كما هو حاليا في بعض القرى، أو لأسباب أخرى.

6ـ العرفاء: (++)

العريف لغة:

العرفاء جمع عريف: العرفان بمعنى العلم، أو المعرفة، يقال رجل عريف وعروفة. عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة، والعريف، والعارف، مثل: عليم، وعالم، قال: طريف ابن مالك العنبرى، وقيل طريف بن عمرو. ـ أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا اليّ عريفهم يتوسم، أى عارفهم، ويقال عريف القوم أى سيدهم، والعريف: القيم، والسيد لمعرفته بسياسة القوم، والعريف أيضا بمعنى: النقيب، وهو دون الرئيس، والجمع عرفاء، وعرف بضم الراء عرافة بفتحها، ويعرف بضم الراء، عرافة بكسر العين. مثل: كتب، يكتب، كتابة. يقول ابن الأثير: العرفاء جمع عريف، وهو: القيم بأمور القبيلة، أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم.

هم العزابة الذين تنحصر مهمتهم في الاشراف على التعليم، وتنظيمه، ورعايته بل ادارته ومباشرة تدريس التلاميذ، وتعليمهم العلوم المختلفة، ورعاية مصالحهم حتى خارج الدراسة مما يتبين أن مهمتهم لا تنحصر في التدريس فحسب بل تشمل التوجيه والتربية والاعداد للمستقبل ولذلك يلاحظ متابعتهم باستمرار لسلوك تلاميذهم، وتربيتهم تربية

(+) يبدو أنه في العهود الأولى من نظام العزابة ظهر فيها وكيلان حسب المصادر القديمة كأبي عمار، الا أنه الآن وكما في القانون الأساسي أن للحلقة وكيلا واحدا ولكن له نائب أول وأحيانا نائب ثاني ربما هذا راجع الى الاستقلال التام الكامل للنظام قديما فوظف العزابة وكيلين والله أعلم.

(1) أنظر: الملحق رقم 5، الفصل العاشر.

(2) كتاب الجزائر.. ص 111. يعدد منهم: 1ـ شيخ البلد. 2ـ الامام، 3ـ المؤذن. أما الرابع فلم يعينه وانما أشار اليه بقوله "وآخر منهم معهم".

(3) GHARDAIA P:105.

(++) أنظر: ابن منظور: لسان.. ج 11، ص ص 140 ـ 141، 43 .ـ

يبدو أن المفهوم اللغوى نقل الى المفهوم الاصطلاحي في الموضوع هذا وهو: القيم بأمور التلاميذ، والعارف بأحوالهم والذى له معرفة، كما أنه يقوم باطلاع الشيخ عن أحوالهم.

عملية تطبيقية في مختلف مراحل تعلمهم .

يصنف أبو عبد الله الحلقة الى صنفين ، أورد هما الدرجيني (1) والبرادى (2) ، وهما الآمر والمأمور ، فالآمر (+) اثنان : شيخ الحلقة ، والعريف ، فالعريف اذا في الصنف الأول لما له من دور مهم ورئيسي مثل الشيخ ولكن مع وجود فروق كثيرة في المستوى ، والرتبة والمسؤولية ، فالشيخ مسؤوليته أعلى وأدق وأشمل من العريف نفسه ، ولكن دور العريف المباشر يعتبر مهما وحساسا لما له من مركز رئيسي في التوجيه والتعليم ورعاية الطلبة في مختلف مراحلهم فضلا عن مسؤوليته المباشرة على الفقهاء (++) والمعلمين ، ولكن الرعاية الأساسية على قطاع التربية والتعليم ، والتوجيه الرئيسي بيد شيخ الحلقة الذى يعتبر المسؤول الأول ، والرئيسي الأعلى لقطاع التعليم والتوجيه والتثقيف للعزابة والتلاميذ (+++)

أصناف العرفاء :

العرفاء أصناف حسب ترتيب أبي عبد الله محمد بن بكر ، وهم حسب مهامهم واختصاصاتهم يعينهم شيخ العزابة في مجالاتهم (3) فهم كالآتي :

أ ـ عريف أوقات الختمات والنوم .

ب ـ عريف الطعام .

ج ـ عريف تعليم القرآن الكريم .

د ـ عريف تنظيم أوقات الدراسة (4) .

لكل عريف من هؤلاء ما يقوم به حسب اختصاصاته التي لا تتعدى الآخرين ، وتتلخص مهمتهم في المؤسسة التعليمية المرتبطة أشد الارتباط بنظام حلقة العزابة التي توليها عناية كبرى واهتماما شديدا في المناطق الاباضية يمتاز النظام "بالصرامة والدقة" (5) . كرس العزابة له عنايتهم التامة وجل أوقاتهم ، "لأنهم اعتبروا التربية والتعليم من أهم الأمور التي تحفظ لهم دعوتهم ، وتساعد على انتشارها" (6) . فهذا النظام التربوى التعليمي الخاص فريد من نوعه "غير معروف . . . عند أتباع المذاهب الاسلامية الأخرى" (7) تشير المصادر والمراجع الاباضية الى أن عدد العرفاء يخصصون حسب مهامهم فيقلون ويكثرون حسب الحاجة اليهم فهم يقلون عن ثلاثة أو يزيدون (8) ، وينص البرادى

---

(1) طبقات . . . 1/ 171 ، يرى أن الآمر : اثنان (شيخ الحلقة أو مستنابه) ، أما البرادى فلم يورد في الصنف الأول الا الشيخ والعريف بحيث لم يذكر نائب الشيخ . انظر: الجواهر . . . ص 207 .

(2) الجواهر . . . ص 207 .

(+) "أمر" من الأمر ، وهو نقيض النهي ، و"يأمر أمرا ، وامارا ، فأتمره أى قبل أمره . من الالزام بالشيء" يقول تعالى : "وأمرنا لنسلم لرب العالمين" سورة الأنعام ، الآية 71 . وقوله تعالى : "وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" . ـ أنظر: لسان العرب" ج 5 ، ص 86 وما بعدها والمعنى المفهوم هو التكليف بما يؤمر به هو الآمر الذى يعطي الأوامر ويكلف غيره بما يلزمه عليه . ويقصد أبو عبد الله "بالآمر" المشرفين على التعليم أى ما يقابل المديرين والقيمين عندنا الآن" أنظر: الجعبيرى: نظام . . . ص 118 ، الهامش رقم 8 ،

(++) جمع فقيه ، وهنا في الاصطلاح هو رئيس "المحضرة" و"المحضرة" مفرد جمعه "محاضر" وهو مكان تعليم القرآن العظيم ، والخط والاملاء ، الرسم اشتهر "الكتاتيب" أنظر: توفيق المدني : كتاب الجزائر . . . ص 118 ـ 119

(+++) جمع تلميذ ، وهو كل من يتخرج من "المحاضر" (كتاتيب القرآن . . .) يدخل في هيئة التلاميذ بشروط معينة . انظر: توفيق المدني : كتاب الجزائر . . . ص 118 . أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 13 .

(3) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 173 . ـ البرادى : الجواهر . . . ص 209 . Lewicki: op, cit, P:98 أبو عمارة : سير . . . ورقة 4 . ـ أبو عمار : بيان . . . 8 . ـ عوض : النظم . . . ص 35 ، 65 .

(4) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 173 ـ 2 . ـ البرادى : الجواهر . . . ص 207 ـ 8 . Lewicki: op, cit, P:98 .

(5) (6) (7) عوض : النظم . . . ص 75 .

(8) علي معمر : الاباضية . . . 1/ 99

أن "الشيخ" يرتب ثلاثة رجال يقرؤون الصغار في المحاضر [1] وأحيانا يساعد العريف أعوان ويكونون من كبار الطلبة [2].

7— الغسالون :

يهتم العزابة اهتماما كبيرا بالفرض الكفائي [+] ، فيتسابقون الى أدائه ، أو تعيين وتكليف من يقوم به لما في ذلك من أجر جزيل ، وثواب عظيم ، ورفع الكلفة والمشقة عن المسلمين فمن ذلك تجهيز الميت [3] ، يعين العزابة خمسة أعضاء [++] من بينهم يتكلفون بغسل الميت ، وتكفينه [4] . فيشيعون جنازته من مكان وفاته الى المقبرة يتقدمهم شيخ العزابة وراء النعش المحمول على الأكتاف — أو امام المسجد — وبقية العزابة وراءه ، ثم يليهم الطلبة "اروان" ثم الأعيان يتقدمهم أقارب الميت ، ثم عامة الناس بكل خشوع وتأثر وهدوء بحيث لا يرتفع الا صوت شيخ الحلقة أو امام المسجد يردد "لا اله الا الله سبحان الحي الذى لا يموت" [+++] بمجرد أن يحمل النعش ، والعزابة والعامة من ورائه [++++] يرددون نفس التهليل والتسبيح بصوت خاشع عادي ، وفي سير متزن [+++++] ، ومنتظم رهيب الى أن يبلغوا المقبرة ، وكل من أراد أن يحمل النعش يأتي أمام الحامل الذى سبقه بهدوء فيحمل عنه فيتوقف الحامل السابق متجنبا النعش فيأتي وراء الذوات الذين يتبعون الجنازة بحيث لا يتقدمهم ، ويرغب أن لا يتعدى عدد الحاملين للنعش أكثر من ستة أشخاص ، وعندما تبلغ الجنازة المقبرة يوضع النعش أمام غرفة غسل الأموات [++++++]

---

(1) أبو عمار: سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 9 . — أنظر: الملحق رقم 5 ، الفصل الثالث .

(2) أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 14 . — سيأتي مزيد توضيح عن هذه المؤسسة

(+) هو الواجب على جميع المسلمين القيام به بحيث اذا قام به البعض أجزى عن الباقين .

(3) ابن البركة البهلوى: الجامع . . . ج 1 ، ص 425 . — الثميني عبد العزيز: النيل . . . ج 1 ، ص 120 . — علي معمر: الاباضية . . . 1/ 99 — 100 . — الحاج أيوب: رسالة . . . ورقة 29 .

(++) جرت العادة في ميزاب منذ عهود سحيقة الى تاريخ اليوم أن يتولى تجهيز الميت خمسة أشخاص من العزابة ، ويذكر الجعبيرى أربعة ، وعلي معمر أربعة أو خمسة ، ربما عبر كل منهما عما في بلده .

(4) أبو عمار: سير . . . ورقة 4 . — أبو عمار: بيان . . . ورقة 9 . — لائحة عزابة غرداية ، ص 2 ، اقتبسه الجعبيرى: نظام . . . ص 97 . — بيوض : ملخص . . . ورقة 12 . — أبو اليقظان : بيانات . . . ورقة 12 . — علي معمر: الاباضية . . . 1/ 98 — 99 . — (مجهول) : (مميزات ورقة 7 . Lewicki:E.I.Art;"HALKA"T3,P:99 .

(+++) مازال العمل جاريا على هذا ، وعبارة الثميني : "لا اله الا الله الحي الذى لا يموت" النيل . . . 1/ 119 .

(++++) "الجنازة متبوعة لا تابعة" . أنظر: الثميني : النيل . . . 1/ 119 . — أورد بكلي عبد الرحمن تعليقا عليه في نفس المكان خمسة أقوال بحيث لا تقيد بالاتباع خلفها كما تعرض لنفس الموضوع الشيخ أطفيش (القطب) (وندب المشي خلفه وجاز معه ، وأمامه الا الراكب . . . أنظر: شامل الأصل والفرع ، تصحيح أبي اسحاق 1/ 82 ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1348 هـ .

(+++++) "لا كخبيب اليهود ولا كدبيب النصارى" أنظر: الثميني : النيل . . . 1/ 9 .

(++++++) جرت العادة في "وادى ميزاب" منذ تاريخ مبكر أن يغسل الميت في غرفة خاصة معدة لذلك في المقبرة ، وقد كانت في أول عهدها منذ قرون بسيطة للغاية ولا زال الكثير منها لحد الآن ، فأصبحت واسعة ، ومجهزة بالضروريات اللازمة كالتهوئة والانارة الكهربائية ، وحنفيات الماء ، ومسخنات الماء وكل الأدوات التي يستعان بها ، وتغلق بالمفتاح .

يتقدم الغاسلون فيغلقون الباب فيتولون غسل الميت وتكفينه ، يتعاون خمسة من رجال العزابة على غسل الميت وتكفينه ، يتعاون خمسة من رجال العزابة على غسل الميت يعينون من طرف الشيخ وقد يتطوعون ، وأحيانا يستعان بكبار " التلاميذ" أو "اسوردان " (*) لاكمال نصابهم ، يراعى في اختيار الغاسلين: التقوى والورع ، والأمانة ، ومعرفة مبادئ الفقه ، والسنن في تجهيز الموتى، ورعاية حقوق الميت "وما يجب أن يقوم به الغاسلون وترتيبات ذلك كله (1) كل يقوم بمهمته حسب ما هو محدد له وبعد غسلهم الميت وتكفينه يخرجون الجنازة من الغرفة فيضعونها أمامها في نعش أمام المشيعين المنتظرين لها فيتوجهون بها الى مصلى المقبرة بالتهليل والتسبيح بالكيفية التي حملوها من دارها فيضعونها أمامهم ، ويتقدم ولي الميت الى الامام يطلب منه الصلاة عليه ، وبعد صلاة الجنازة ، يحمل الميت الى مرقده الأخير ، فيتولى أقارب الميت مع عزابي مشرف ، أو مجموعة من العزابة انزال الميت الى القبر بالطرق الشرعية المعهودة ، أما جموع المشيعين المسلمين فيبقون في مصلى المقبرة تحت اشراف العزابة ، فيستفتح شيخ العزابة أو أكبرهم قراءة سورة الفاتحة وسورة يس ، ثم سورة الاخلاص فيكررونها ، وتوزع أثناء ذلك صدقات التمر التي هي عادة يوصي بها الهالك على كل الحاضرين ، بما فيهم المشيعيين والفقراء من غير الاباضية حيث لا تفريق بين كل الحاضرين سواء في "ميزاب " أو "مدن وقرى الشمال" فالكل يحصل على نصيبه بالسوية ثم يرجع ربع الصدقات الى دار الهالك لتوزع على النساء المعزيات فيها ، وهذا النصيب مما يوصي به الهالك ، ولما يرجع العزابي المشرف على الدفن مع أقارب الهالك ، علامة على اتمام مراسيم مواراته التراب ، ينهض الجميع محلقين (**) باشارة من شيخ العزابة أو الامام ، ويفسحون المجال للعزابي بالدخول وسط الحلقة وأخذ مكانه ، ولاقارب الميت المصاحبين له في مراسيم الدفن بالدخول الى داخل الحلقة وبعد اختتام دعاء التحليق (***) من طرف الشيخ أو أحد كبار أعضاء الحلقة ، يرفع الحاضرون أصواتهم معزين قائلين: " عظم الله أجركم ." .

ان نفس الشروط التي تراعى في الغاسلين من الذكور تراعى بدورها في نخبة نسوية تسمى بهيئة الغاسلات (****) اللائي يقمن بكل ما هو مطلوب شرعا في هذا الجانب ، فاذا كان الميت امرأة ، يحمل الرجال جنازتها الى غرفة الغسيل بداخل المقبرة كالذكور ، ثم يخرجون منها فتدخل المكلفات منهن الغرفة من الباب الخلفي ليقمن بغسل المتوفاة ، وبعد اتمام عملهن ينبهن العزابة فيخرجن من الباب الخلفي فيدخل العزابة الغرفة فيحملون النعش الى مصلى المقبرة في موكب جنائزي تماما مثل الرجال فيتممون الاجراءات المتبقاة من صلاة ، ودفن ، وقراءة ، وصدقة ، ودعاء ، وقبل الافتراق يلقي شيخ العزابة أو المرشد الديني درسا توجيهيا بالمناسبة ، (*****)

لم يضع العزابة هذه الاجراءات أو هذه التنظيمات هكذا اعتباطا وانما مصدرها وسندها سنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) .

(*) بكسر الهمزة وفتح الميم ، وضم الصاد مشددة وسكون الراء ، وفتح الدال ، وسكون النون ، سيأتي تعريفه

(1) التمييني النيل...116/1.- أطفيش (القطب): الذهب الخالص...ص 191.- أطفيش (القطب) شامل...257/1 .

(**) أي على شكل حلقة وهم في استدارة متناسقة ، فاذا كانت الجنازة ضخمة سمح باقامة صفوف في داخلها مجابهة لهيئة العزابة التي تحتل الصدارة في الحلقة .

(***) عن دعاء التحليق، أنظر: مجموعة ستة كتب .

(****) الغاسلات: هيئة نسوية بمثابة جهاز حلقة العزابة خاص بالنساء ، فهن عزابيات سمين بهذا الاسم لقيامهن بغسل النساء والأطفال وتكفينهم ،سيأتي الحديث عنهن .

(*****) سيأتي الحديث عن هذا الجانب في الفصل الخامس .

- لباس العزابة :

اهتم الاسلام بالمظهر الخارجي للمسلمين ، بعد أن ركز على أهمية الايمان في القلب أولا ، ومن المظاهر الخارجية للمسلمين نوع لباسهم ، وأهم ما اشترطه الاسلام في اللباس أن يكون ساترا للجسم ، والعورة فحدد الغليظة منها ، والمطلقة وأمر بسترهما للبالغ خاصة حيث أنه أصبح مكلفا ، فأمر المرأة أن تستر جسمها كله لأنه عورة ، ما عدا الوجه والكفين للحاجة ، والبالغة غير المتزوجة وهو القول المعمول به الى الآن في مدن "ميزاب" على أن للعلماء تفاصيل في هذا فمنهم من أكد مسنونية ستر المرأة ووجهها وكفيها (1) . وحدد الشرع عورة الرجل بين السرة والركبة ، وشدد النهي والنكير ، وتسليط العقوبة في الدنيا والآخرة على كل من يكشف عورته ،

اهتم العزابة وواضع نظامهم بهذا الجانب أشد الاهتمام ، مقتفين سنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وآثاره وآثار السلف الصالح (+) (رحمهم الله) ، فوضع أبو عبد الله محمد بن بكر زيا رسميا للعزابة ، يبرز مظهرهم الخارجي الخاص بهم فيميزهم عن غيرهم ، فجعله من التقاليد المتبعة بصرامة حتى اذا تخلى عنه عزابي ، أو تساهل فيه ، فانه يتبرأ منه (2) ولو كان خارج مكان العزابة ، أو المسجد ، وحتى في مكان العزابي الخاص الذى يشتغل فيه ، أما في الأماكن العامة وما بين الناس فمن باب أولى وأحرى.

فقد حدث أن دخل أبو مسور على شيخه أبي معروف في جنانه فشاهده مرتديا سراويل أثناء عمله "فأخرجه الى الخطة" فتاب له من حينه (3) . وأبو مسور عاش قبل أبي عبد الله .

أشار الدرجيني الى أن ما وضعه أبو عبد الله من نظام للعزابة قصد به ضمهم الى صنف المتدينين ، وفي نفس الوقت ليبعدهم ، ويعزلهم عن "دناءة الأجلاف الدنيويين" (4). فمن هذا ويميزهم من سواهم بـ"علامات ليعرفوا بسيماهم" (5) فمن هذه العلامات الزى الذى فرضه أبو عبد الله على كل عزابي ليتميز به عن الآخرين وليحقق أهدافا معينة ، ومما وضعته "السير" في هذا الشأن هو ترغيب العزابي في أن يشتغل بالزراعة ليتمعش بها بخلاف التجارة لأنها مدعاة للاحتكاك المباشر مع مختلف فئات المجتمع وربما أدى به هذا الى التأثر بمن لا خلاق لهم فتفسد أخلاقه ، والعبارة المشهورة في هذا الشأن هي قولهم : "أن لا يكون في غير مسجده ، أو حقله ، أو بيته" (6) الا أن هذا اذا كان مناسبا في عهد معين فانه لا يمكن أن يكون صفة دائمة والا لما بلغت الدعوة لمن هو في أشد الحاجة اليها ، على أنه تحت ظروف معينة ملحة انكب الميزابيون على التجارة ، وتغربوا نحو مدن الشمال فحافظوا على نوع لباسهم الا أن معظمهم بدأ الآن يتخلص منه تدريجيا ويلبس اللباس الافرنجي الشائع فعارض العزابة ذلك في البداية بشدة ثم غضوا عنه الطرف غير راضين .

---

(1) أنظر: أطفيش (القطب) : الذهب ...ص ص 37 - 38 . - الثميني : النيل ... 1/ 60

(+) فقد ألفوا الفصول والأبواب في هذا الميدان . ورغبوا في الاقتداء بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) واجتناب لباس الكفار والمجوس وكل ما يسبب في الكبر والخيلا من ذلك .
أنظر: الجيطالي أبا طاهر اسماعيل بن موسى : (ت 750) قواعد الاسلام ، تصحيح و تعليق بكلي عبد الرحمن ج 2 ص ص 267 - 269 ط 1 ، (1977م) المطبعة العربية ، غرداية مالج

(2) عوض : النظم ... ص 41 .

(3) الشماخي : سير ... ص 265 .

(4) (5) طبقات ... 1/ 171 . - أتى البرادى بما يقرب من هذا المفهوم بعبارات مغايرة للدرجيني . - أنظر: الجواهر ... ص 207 .

ان أهم ما أكده عليه أبوعبد الله هو لبس البياض [1] ، وهو ما رغبت فيه السنة لقول الرسول (ص) "عليكم بالثياب البيض ألبسوها أحياءكم ، وكفنوا فيها موتاكم" [2] وفي رواية زيادة "فانها من خير ثيابكم" [3] . وقال (ص) ألبسوا البياض ، فانها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم" [4] هذا ما حث عليه الشارع بوجه عام ، وهو ما يؤثر على غيره ولو أن لباس كل لون جائز. [5]

فقد أكد أبوعبد الله النهي عن الثوب المصبوغ ، ولكنه تجاوز اذا كانت الأصباغ علامات في طرفيه أو نوعا خفيفا حسب ما يبدو من العبارة التي أوردها الدرجيني والبرادى [6] "ومنها أن لا يلبس ثوبا مصبوغا الا البياض ، ولا بأس بعلم الطرفين والطراز ما لم يتفاحشا" .

وأوردا كذلك [7] ما رتبه أبوعبدالله من حيث نوع اللباس ما يلي :

" . . . ثم ان اقتصر على عباءة ، أو ملحفة لم تشنه وكان أليق ، وان كان ذلك على قميص كان أكمل ، ولا سبيل الى اقتصاره على قميص أو قميص دون اشتماله والتحافه وارتدائه " . يؤكد أبو عبد الله على السترة في اللباس بحيث لا يكتفي بالقميص وحده ، بل يكون أكمل بالدثار الصوفي كالشملة واللحاف ، أو الاقتصار على الرداء من فوق القميص ، هذا يعطي ميزة معينة للعزابي في اللباس ، وخفة وأناقة ومازال هذا الزى أو هذا النوع موجودا في وادى ميزاب ، ولكن أقل مما كان قبل . ومهما يكن فلبس "قنظورة صوف" أو "عباءة" أو "قشابية" هو الغالب حسب الفصول ، ولكن التأكد من لبس "الطاقية" (+) والقاء "الشاش" (++) فوقها ولفه على العاتق بامرار طرفه الأيمن تحت اللحية الى الجهة اليسرى ودورانه خلف الرقبة والقائه على العاتق الأيسر ثم القائه متدليا من العاتق الأيمن الى الصدر ، وهناك من يلفه ابتداء من الجهة اليمني تحت اللحية والقائه على الكتف الأيسر ، ثم تركه يتدلى خلفه . .

وفي المواسم وأيام الجمعة هناك من العزابة من يلبس الرداء المعبر عنه بالحولي فوق الملابس السابقة الذكر (+++) ، وقيل أن الشيخ عمي سعيد هو الذى أدخله الى ميزاب عندما وفد اليها .

أما العمامة فليست مطلوبة ولا مرغوبا فيها ، اذ يمكن الاستغناء عنها وهو قول أبي عبد الله كما أورده الدرجيني [8] والبرادى [9] : " وان اعتم فالتلحي على ما جاء في الأثر ، وليس لبس

---

(1) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 171 . ـ البرادى : الجواهر . . . ص 207 .
(2) الجيطالي : قواعد . . . 2/ 268 .
(3) رواه الشافعي ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي ، والترمذى ، والنسائي ، أنظر: بكلي : فتاوى . . . 2/ 195
(4) رواه النسائي ، والحاكم ، وصححه . أنظر: أبا بكر جابر الجزائرى: منهاج المسلم ، ص 126 ، ط 8 ، 1394هـ/ 1976م ، دار الفكر ، بدون مكان .
(5) بكلي : فتاوى . . . 2/ 195 .
(6) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 171 . ـ البرادى: الجواهر . . . ص 207 . ـ ورد في اللباس آداب منها أربع فرائض أحدها : " أن يكون لبسه مباحا ليس فيه حرير ، ولا خز ، ولا ابريسم ، الا موضع الاصبعين ، أو طرازا في ثوب الا في حال الحرب " فهذا في الرجال دون النساء " أنظر: الجيطالي : قواعد . . . ج 2 ، ص 267 .
(7) الدرجيني : طبقات . . . 1/ 171 . ـ البرادى: الجواهر . . . ص 207 .
(+) ويعبر عنها بالشاشية تغطي بها الرأس بل تلبس فهي من الكتان أو الصوف .
(++) لحاف أبيض أو قطعة كتان مستطيلة تلف على الرأس والعنق .
(+++) يعبر عنه بـ "الحائك" الغريسي ، نسبة الى غريس بغرب الجزائر . الحاج أيوب: حديث شخصي
(8) طبقات . . . 1/ 171 .
(9) الجواهر . . . ص 207 .

العمامة بضربة لازب، بل لا بأس باستغنائه عنها " فقد رغب اتباع الأثر في وضع طرف من العمامة تحت لحيته، والا فهي مخالفة منهي عنها [1] .

ويورد ان [2] أيضا صورة لباس الدثار، وهو العباءة أو اللحاف، وكيفية لباسه . "فان اقتصر على العباءة أو اللحاف، غطى رأسه، وألقى الطرف الأعلى من هدب حاشية الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، لا يلقي الهدب كله على العاتق الأيسر، فان ذلك مؤد الى انكشاف العورة " ان التزام العزابة بهذا النوع من اللباس يحمل معاني كثيرة فيتميز العزابي عن غيره بهندامه وزيه، وسمته، ومراقبته لنفسه لأنه منظور اليه حتى لا يرتكب الأخطاء، أو ينساق وراء من لا خلاق لهم، فيميل الى الزهد، ويبتعد عن التكلف فيعيش في بساطة وتفان بعيدًا عن الخيلاء والرياء، والكبر، والموبقات .

اذا تجلى في هذا العصر توحيد اللباس كمبدأ أو قانون في اطارات الدولة والوطن ومؤسساتها مهما كان نوعه أو لونه أو شكله فان أبا عبد الله قد سبق هذا بعشرة قرون لما في ذلك من ضبط وفوائد وحكم والفرق واضح بينهما لأن أبا عبد الله اعتمد على الأحكام الالهية والسنة النبوية .

لم يورد أبو عبد الله ما يخص اللحية فسكوته عنها لا يدل على التغاضي عنها لأنه مما لا شك فيه أن حلقها حرام حرمة قاطعة باتفاق علماء الاسلام على اختلاف مذاهبهم [3] . وعدم تعليق الدرجيني والبرادي يدل على أنها (أي اللحية) من تحصيل الحاصل، وليس هناك داع حمل الى ذلك، أما قول الدرجيني [4] "فالعزابة من شأنهم عدم الشعور" فواضح أنه شعر الرأس وهي عادة كانت منتشرة الى عهد قريب .

---

(1) "روي عن بعض العلماء أنه نظر الى رجل لم يجعل عمامته تحت لحيته، فقال : انزع بلغنا أنها عمامة ابليس لعنه الله" انظر: الجيطالي : قواعد ... 2/ 267-68 .
(2) الدرجيني : طبقات... 1/ 171 . - البرادي: الجواهر... ص 207 .
(3) بكلي عبد الرحمن : فتاوى ... 2/ 311 .
(4) طبقات ... 1/ 171 .

- مقر العزابة :

كان أول مقر للعزابة هو "الغار" ومنه انبثقت تنظيماتها حيث وضعها مؤسسها "أبو عبد الله محمد بن بكر" ورتب قوانينها [1]. وكانت الغيران مقرا لدراسة الكتب والتعليم [2]، وعج "غار" آجلو الشرقية بالعزاب الذين كانوا يؤمونه للدراسة [3]. بل التعلم في الغيران يرقى الى عهد الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة كما مر.

كما كانت بعض حلق العزابة تنشأ في مواضع بالجبال [4] فأصبحت مأوى لهم لتلقي العلم والتدريس وذلك كله خوفا من الذين يعارضونهم أو يعادونهم ويلاحقونهم فيتسترون منهم حتى لا يثيروهم عليهم [5]. فلما صارت الدعوة تنتشر والاتباع يكثرون، واستأنسوا من أنفسهم الأمان والقوة والاطمئنان بعد فترة الخوف والنزاعات والفتن أمرهم أحد المشايخ لما زار العزابة في "آجلو" ببناء مسجد والخروج من الغيران التي صارت لا تتسع لهم فصار من وقتئذ المسجد هو المقر للحلقة، ويعتبر الشيخ عبد الرحمن ابن معلى [+] أول من أسس بمسجد "توقورت" الحلقة وأنهج طرقها ... وحجر على تلاميذته أ[ت]قتها ... وحقق قوانينها ..." [6]

وفي مزاب تنص القوانين أو السير على اتخاذ المسجد مقرا للحلقة، وبالمسجد الرئيسي بالمدينة تعقد الحلقة [7]، وفي كل مسجد محل خاص أو غرفة لا يدخلها أحد، يعقد فيها العزابة اجتماعاتهم، تدعى "تمنايت" [8]، بفتح التاء، وسكون الميم، وفتحة على النون، وسكون الياء والتاء الاخيرة.

---

(2) الشماخي: سير... 389. "... دراسة الكتب في غيران بني أجاج، قال أبو زكريا وأبو العباس زاره محمد بن سليمان النفوسي، ومحمد بن عمرة البروتني وكانا يدرسان الكتب في غيران بني أجاج ..."

(3) الوسياني: سير... ج 1 ورقة 81. - الشماخي: السير... ص 389.

(4) كما حدث في عهد تلميذ أبي عبد الله الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي الذى كثر عند الطلبة في "تمولست" فقصد بهم جبل "زنزفة" المعروف بقلعة أبي على فالتقى بطلابه هناك بعد ان افترقوا لما حذرهم الشيخ أبو القاسم يونس بن يونس "وكان اجتماعهم للدرس في غار هناك.. كما انتقل الى موضع بالجبل ايضا يعرف "بتنونين" فرتب فيه الحلقة: أنظر الدرجيني ... 1/ 193 - 195.

(5) الدرجيني: طبقات ... 1/ 193.

(+) شيخ جليل ذو كرامات، صنفه الدرجيني في الطبقة الحادية عشرة، في المنتصف الأول من القرن (6هـ/ 12م) أضاف تنظيمات الى الحلقة، وجاء بعده أبو عمار عبد الكافي فأضاف بدوره اضافات، وكان الشيخ عبد الرحمن بن المعلى قد كثر عليه الطلاب فلما دنا أجله وصاهم وصايا بليغة عنه. أنظر: الدرجيني: طبقات ... 2/ 457.

(6) الدرجيني: طبقات ... 2/ 457.

(7) أنظر: الملحق رقم 6، الفصل الثامن.

(8) أي البيت الواسع منعزل عن الأنظار، كما تعني "بالبربرية مكان الفرسان: أي فرسان الدين والمذهب وهم مشايخ العزابة. أنظر: عوض: النظم... ص 100.

المجلس الأعلى للهيئات الدينية

يعتبر المجلس الأعلى للهيئات الدينية أعلى سلطة للعزابة في وادى ميزاب، يتألف من كبار العلماء الاباضيين في قرى ((وادى ميزاب)) [1] يشكلون لجنة تتكون من سبعة علماء فقهاء يستعينون بعلماء آخرين متضلعين في الفقه الاباضي [2] ويمثلون مجالس العزابة لكل قرية فينوبون عنها وهم شيخ العزابة، والامام، ومنتخب من طرف مجلس عزابة القرية [3]، ويحضره أحيانا في ظروف خاصة رؤساء العشائر، وأعيان القرى السبعة [+] عند المدلهمات.

ينسب هذا المجلس الى سعيد بن علي بن حميدة بن عبد الرزاق بن سعيد الخيرى الجربي الذى عاش في القرن الثامن الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، ينتمي الى عائلة مشهورة بالعلم والثقافة، واشتهر بانكبابه على كل المعارف الانسانية، قدم من جربة لما انقرض العلم في "ميزاب" بطلب من أهاليه [4]. فأصبح شيخ ميزاب ومن سراة القوم وأعيانهم.

يعتبر مجلسه بمثابة محكمة الاستئناف [5]. فهو يشرف على جميع الأوقاف الاباضية [6]، ويعمل على توحيد شمل العزابة. ان مهام المجلس دينية ودنيوية [7]. لقد مرت نشأته على أطوار ثلاثة: انشائي، تنفيذى، قضائي [8]، أهم قراراته ترجع الى تاريخ أول شعبان (807هـ/ 1405م) وآخرها في شوال (1326هـ/ 1903م) [9].

لقد عاصر هذا المجلس مجلسا آخر ينعقد في روضة الشيخ عبد الرحمن الكرثي، وهو مجلس يغلب عليه الطابع العلمي [10] وقد وجد تاريخيا قبل مجلس عمي سعيد بل الشيخ عمي سعيد نفسه كان يحضر المجلس الكرثي [11]. وهناك مجلس آخر يدعى بـ"مجلس الشيخ أبي مهدى عيسى بن اسماعيل" [12].

الشيخ أبو مهدى عيسى بن اسماعيل المليكي [++]، أصله من العرب الرحالة من أولاد نايل (

---

(1) دبوز: نهضة... 1/ 241. — الحاج ايوب: رسالة... ورقة 41.
(2) عوض: النظم... ص 53.
(3) نفس المكان ص 63.
(+) يعبر عنهم بـ"العوام".
(4) JEAN MELLIA ; OP. CIT, P:125 .
(5) بكلي عبد الرحمن: حديث شخصي. — الحاج ايوب: رسالة... ورقة 41. — مطهرى: حديث ش
(6) بكلي عبد الرحمن: حديث شخصي. — الحاج ايوب: رسالة...
(7) عوض: النظم... ص 53.
(8) ابو اليقظان: الاباضية في شمال افريقية مخ 2، ورقة 81، اقتبسه الجعبيرى في كتابه النظم... ص 1.
(9) نفس المرجع ص 30.
(10) بكلي عبد الرحمن: حديث شخصي. — الحاج ايوب: رسالة... ورقة 41.
(11) الحاج ايوب: حديث شخصي.
(12) الباروني عبد الله: رسالة سلم العامة... ص 40. — مطهرى: المجالس... ورقة 3. — مجهول المؤلف: كراس المزارات... مخ ورقة 53. — دبوز: نهضة... 1/ 61-62. — طلاى: ميزاب... ص 56.
(++) سكن مليكة.
(13) مجهول المؤلف: كراس المزارات "مخ" ورقة 22- 33. — أبو اليقظان: سليمان الباروني باشا... ص 30.
CUPERLY : AL TRQU... P:99 .

كان مالكيا فتمذهب بالمذهب الاباضي وتتلمذ عند الشيخ أبي سعيد الجربي [1] .

اشتهر بالعلم وقوة الحجة وبلغ درجة الاجتهاد فصار امام الاباضية [2] ، صنفه الباروني ضمن الطبقة التاسعة عشرة [3] . كثير الرد على من يحاول دحض حجج الاباضية فيدمغهم بحجته وفصاحته ، ترك رسالة بليغة في هذا الشأن يرد فيها على صديقه الشيخ أبي عبد الله ابن محمد المرزوقي الذي اعتنق بدوره المذهب الاباضي [4] ، تتلمذ عليه الشيخ أبو محمد اليسجني ، ومحمد بن زكريا النفوسي الباروني لما زار ميزاب حوالي سنة 961هـ [5] وهو اشتهر بالشيخ سيدي عيسى ، توفي أبو مهدي ليلة 11 ذي القعدة سنة 971هـ [6] .

هناك وثائق تثبت مناقشة القضايا ، وعقد الصلح ، واصدار القرارات في مجلس أبي مهدي من طرف العزابة والعوام .

---

(1) أبو اليقظان : سليمان ... 30 . _ مطهري : المجالس ... ورقة 4 .
(2) مجهول المؤلف : كراس المزارات ورقة 22، 33 . _ علي معمر : الاباضية ... 4/ 242_
(3) سلم العامة ... ص 40 .
(4) أبو اليقظان : سليمان الباروني ... ص 31 .
(5) أبو اليقظان : سليمان ... ص 29_30 . _ علي معمر : الاباضية ... 4/ 307 .
(6) أبو اليقظان : سليمان ... ص 30 .

بعد معرفةمعنى العزابة وعوامل وأسباب وكيفية ظهور الحلقة، وشخصية أبي عبد الله ، وكيف رتب قواعدها يجدر بنا معرفة الهيكل التركيبي لهيئة العزابة ولتوضيح ذلك نقتنع أن أى مجتمع بشري، لا ينعدم من وجود مسؤولين يتولون تسيير شؤونه وهم رؤساؤه وحكامه ، اقتضت تنظيمات أبي عبد الله تصنيف ذلك الى الآمرين ، والمأمورين،وهو المدلول المستعمل في التركيب الهيكلي العام للمجتمع الاباضي ، فكان منهم الطلبة والعوام ، وجعل من أصناف الطلبة هيئة العزابة ، وهيئة التلاميذ ، وأصحاب المحاضر ، وتنتقي هيئة الطلبة هذه بشروط ميثالية حسب كل صنف يخضع فيها العضو الى مراقبة سلوكه ،وسيرته، ومعاملته ، والقيام بواجباته كمسلم اباضي ، ولا سيما العضو الذى يختار لهيئة العزابة ، فتتخذ طرق وكيفيات معينة لإدخاله الى الحلقة فيلتزم بجملة أمور تجعله قادرا على آداء مهامه والا يصبح غير مرغوب فيه ، ركب أبو عبد الله الحلقة التي تنزل منزلة السلطان العادل في مرحلة الكتمان بأن جعل على رأسها الشيخ الذى يخضع اختياره الى لجملة شروط مبنية على أساس الاسلام ، والاجتهاد ، وتسيير الحلقة بجدارة ، وتولي مهام التدريس ومراقبة جهازه بدقة فمهامه تشبه مهام الامام عند المسلمين ، لكن لا يقيم الحدود لأنها من اختصاص الامام في حالة الظهور ، وانما العمدة الأساسية في هذه المرحلة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وللشيخ مهام كثيرة وكبيرة ينفذها بجدارة، ويتخذ من المؤهلين والسابقين دخولا للحلقة مجلس المستشارين الذين تشترط فيهم شروط خاصة ، وغالبا ما يكون منهم الامام، والمؤذن ، ووكيلي الأوقاف ، وأحيانا المرشد الديني اذا بلغ الأمر أن ظهر من بين أعضاء العزابة من هو أكفأ من الشيخ في هذا المنصب ، هذا بعد عهد أبي عبد الله أو في العصور المتأخرة .

وتتركب هيئة العزابة من صنف الآمرين الآخرين وهم العرفاء بأصنافهم، وهم بمثابة المديرين منهم عريف أوقات الختمات والنوم ، عريف الطعام ، وعريف تعليم القرآن الكريم ، وعريف تنظيم أوقات الدراسة، و تتحمل هيئة العزابة بقاعدة رفع الكلفة لا في القيام بالفرض الكفائي ، فخصصوا غسالين يتولون تجهيز الميت ، ويستعين هؤلاء أحيانا بكبار التلاميذ .

اتخذ أبو عبد الله طريقة فرض اللباس على العزابي لما في هذه القاعدة من نظام ، وتفهم للقيام بشؤون الحياة كما هو الشأن في التاريخ المعاصر لدى الدول في أجهزتها المختلفة ، وفي نفس المفهوم قرر أبو عبد الله أن يكون للعزابة مقر رسمي فاتخذ في عهده الغار اختفاء عن الأنظار بالنسبة الى ظرفه ولكن تطور الوضع الى جعل مقر العزابة في غرفة خاصة بالمسجد ، كما تطور الوضع بالنسبة الى وادى ميزاب في أن تشكل هيئات عزابة قراه مجلسا أعلى للهيئات العزابة ينسق أعمالها ويقوم بمهام على مستوى قرى ميزاب عامة .

هل كل الأعمال تناط بهيئة العزابة أم هناك هيئات أخرى مرتبطة بها تؤدى دورها باشراف العزابة ليكتمل آداء المهام في المجتمع ؟ هذا ما يتوضح في الفصل الثالث .

الهيئات المرتبطة بنظام العزابة في وادي ميـــزاب

نظام التربيةوالتعليم عند ابي عبداللـــه 1 أصـحاب اللـويحات

2أصحاب الكتـــب

3 الـــعاجـــــزون

اولا: ا هيئـــة (إروان) .

ب- اصحاب المحا ضـــر.

جـ- هيئـــة (امصوردام)

1- مدلولها .

2- اقسامها .

3- مهامـــها .

4- مجـلس التاديب والمحكمات.

د- هيئة الغا سلات.

- مهام تنجز مجانا لوجه اللـــه .

ثانيا: العـــوام:

ا - العشيرة : معنى العشيرة

مجلس العشيرة

نظام العشيرة

ب - مجلـــس العوام: عـلاقة مجلس العوام ب (العزابة)

مهـــام مجلـــس (العوام) .

جـ - القائد .

د - المكاريس. مهام المكاريس

هـ - الأمناء . شروط اختيار الامناء .

الهيئات المرتبطة بنظام العزابة فى وادى ميزاب

بجانب هيئة العزابة هيئات اخرى ذات علاقات وطيدة وارتباطات متينة بها ، فهي بمثابة الخوافي للقوادم ، وأخرى تعتبر رديفا لها ، فهي بمثابة امداد متواصل اليها . ومنها ما هو سند رئيسي لها .

لا يمكن لهيئة العزابة ان تظل قائمة حسب ما يبدو دون ان تكون لها هيئات تساندها وتعتمد عليها . أو تستمد العون والنصر والتأييد منها ، او كترس منيع يقيها كل ما من شأنه ان ينال منها ، او يؤثر فى وجودها . فما هي هذه الهيئات المرتبطة بنظام العزابة فى "وادى ميزاب" يا ترى ؟

فبعد التعرف على هيئة العزابة واجهزتها وتنظيماتها ومهامها . نحاول التعرف على الهيئات المرتبطة بنظام العزابة فى وادى ميزاب ، ولكن قبل الحديث عنها مباشرة نرى ضرورة التعريف بنظام التربية والتعليم عند الامام أبى عبد الله محمد بن بكر ، واضع نظام العزابة الذى تطور من هذا الجانب الى محور هذا الفصل ، وهو : الهيئات المرتبطة بنظام العزابة . حتى يمكن معرفتها بوضوح مع الملاحظات ان قسم "الامر" قد مر وهو "الشيخ" و "العرفاء" وبقي قسم "المأمور" وهم كما سيأتى : 1) طلبة القرآن . 2) طلبة فنون العلم والادب . 3) العاجزون . ثم نبين الهيئة الاولى المرتبطة بنظام العزابة وهم هيئة منظمة "اروان" كما فى "ميزاب" وهم طلبة فنون العلم والادب عند نظام ابى عبد الله فى عهده .

نظام التربية والتعليم عند ابى عبد الله .

اهتم الاباضية بالتعليم والتربية والتكوين والتوجيه اهتماما كبيرا فأولوا لها كل طاقاتهم باعتبارها أهم ما ينظم وجودهم وحياتهم ليطابقوا دين الاسلام الذى فرضه الله على عباده ، و "الا يموتوا الا وهم مسلمون" ، ولأن الله لا يعبد عن جهل ، "انما يخشي الله من عباده العلماء" . فالضرورة تستلزم حينئذ تكريس كل الجهود للتربية والتعليم فأنشأوا له حلقات ، ونظموها ، ويبدو أن تطورها جعل جهازها الادارى والتعليمي الاعلى هو الذى أدى الى ظهور "نظام العزابة" على شكله المعروف لما فرض وجوده فى المجتمع بأسلوب خاص يتناسب مع فترة الكتمان ، فصار له نفوذ قوى على التجمعات الاباضية دون ان يتخذ طابع الدولة ، او يعلن عن نوع من الحكم السياسى .

فقد نظم ابو عبد الله حلقات التعليم ، وقسمها الى قسمين رئيسيين هما : آمر ، و مأمور . فالآمر هو : 1) الشيخ
2) العرفاء [1]

اما المأمور فهم : 1) طلبة القرآن . 2) طلبة فنون العلم والادب . 3) العاجزون [2]

اهتم العزابة بالتعليم اهتماما بالغا فنظموه تنظيما خاصا بحيث ان الطفل لا يكاد يبلغ الحلم الا وقد تعمقت فى قلبه مبادئ التوحيد ، والعقيدة الدينية ، واصول المذهب الاباضى ، ومبادئه حتى لا يتنكر لها [3] أو يحيد عنها ، او يشق عصا الطاعة على الجماعة الاباضية ، فيحس بالانتماء ، ويشعر بالتضامن من غير ان يحمل حقدا على اتباع المذاهب الاخرى ، بل يتعاون معهم دون ان يتخلى عن مبادئه . وهذا كله راجع

---

(1) الدرجينى : طبقات ... 1/ 171 . - البرادى : الجواهر ... 207 .
(2) الدرجينى : طبقات ... 1/ 172 . البرادى : الجواهر ... 208
(3) عوض : النظم ... 61

الى دور العزابة وجهودهم و تنظيم التعليم .

اصناف التعليم فى مرحلة ما بعد استظهار القرآن .

ان تقسيم الطلاب فى هذا المستوى كان الى صنفين ، وآخر من نوع معين وهم العاجزون

1) اصحاب اللويحات (1)

2) اصحاب الكتب (2)

3) العاجزون (3)

1) اصحاب الويحات : فهؤلاء صغار فى السن ، عليهم ان يقتدوا بطلبة القرآن فى ترك الاستناد (4) . يبدو ان هؤلاء بالنسبة لصغر سنهم تجرى عليهم نفس الطرق باعتبارهم حديثو عهد بهذه المرحلة ، مثلما كانوا فى المرحلة السابقة فهم يئون ويحضرون ليلتحقوا بمرحلة اصحاب الكتب يرى الجعبيري (5) انه ربما يملى عليهم بعض المتون التعليمية اما فى التوحيد او الطهارات ، او الصلاة فيثابرون على حفظها قبل دراسة الكتب . نلاحظ ان ادواتهم المدرسية هي اللوحات مثل مرحلة طلبة القرآن او المحضرة .

2) اصحاب الكتب : يتمتع هؤلاء بامتيازات و امكانيات لا تتوفر لغيرهم نتيجة مستواهم الادراكى و مؤهلاتهم فيتمتعون بحقوق خاصة . منها :

ا) محل خاص بهم كغرفة واسعة (*) بمثابة النادى الخاص بهم (* *)

ب) مكتبة خاصة بهم يتزودون منها لتنمية معلوماتهم .

ج) حضور ندوات خاصة بهم فى الدار الخاصة .

د) يخول لهم الاستناد الى اركان المسجد ، والابواب والى الاساطين وحيث يستحسن (6) . يتمتع هؤلاء بحرية اختيار الاماكن التى تساعدهم لتنمية مداركهم ، وحرية المذاكرة والمراجعة الفردية لتوسيع آفاق ثقافتهم بعد حضور الدروس الخاصة مع الشيخ . فهم فى كل الحالات خاضعون لمراقبة عرفاء الدراسات (7) .

ه) " ولهم ان يجتمعوا للبحث ، والمذاكرة ، والمناظرة مالم تفض الى ايغار الصدور ويكون هذا دأبهم ." (8)

و) " ولا بد ان يكون لهم وقتا معتادا يكون فيه الميعاد للحضور على الاساتذة ." (9)

ز) ويؤدب من غاب من التلاميذ . (10)

---

(1) الدرجينى : طبقات ... 1/ 179 _ البرادى الجواهر ... 214 .

(2) الدرجينى : طبقات ... 1/ 179 _ البرادى: الجواهر ... ص 214

(3) الدرجينى : طبقات ... 1/ 180

(4) الدرجينى: طبقات ... 1/ 179

(5) نظام ... ص 142 الهامش.

(*) جرت العادة فى مدن ميزاب ان تبنى دار خاصة للتلاميذ بجوار المسجد كما فى القرارة موسعة حتى صارت معهدا للمرحلة الثانوية تتمتع ببرامج حيوية عصرية تؤهل المتخرجين منها للمشاركة فى الباكالوريا ؛ وقد تكون الدار بعيدة عن المسجد فى بعض الاحيان .

(* *) لا يخول لغيرهم الدخول اليها ، يستطيع العزابى دخولها ، والقيام بتفقد التلاميذ .

(6) الدرجينى : طبقات ... 1/ 179 _ البرادى : الجواهر ... ص 214 .

(7) الجعبيرى : نظام ... ص 143 الهامش رقم 1 .

(8) (9) (10) عوض النظام ... ص 70 .

ح) لهم الحرية التامة فى استقبال من يفد اليهم من الشخصيات ليستفيدوا منهم[1]

ط) حضور الختمات العامة اجبارى .[2]

ى) حضور الدروس العامة اجبارى[3]

ك) حضور الصلوات الخمس مع الجماعة فى المسجد اجبارى[4]

ل) حضور دروس الاخلاق الاسبوعية فى دار التلاميذ اسبوعيا اجبارى .[5]

م) تنظيم طرق القاء الاسئلة على الشيخ والاستفسار حول ما يشكل من دروس .

ن) للشيخ دور اساسى فى التوجيه والتثقيف والتربية يتبع طريقة الحوار والمناقشة ، والاستكشاف ، فيفسح المجال امام التلاميذ للأسئلة والحوار فيجيب ويصوب ويفيد[6] ويعلم الاداب والاحترام ، فاذا اساء التلميذ يبين له اساءته ، واذا لم يفصح عن رأيه استدرجه ، ونبهه ، فاذا انتبه الشيخ الى ان فى المجلس من هو اعلم منه فى مسألة ما ، أعطى له الاذن فى الاجابة ، وان امتنع تولى هو بنفسه الاجابة .[7] يعلمهم الشيخ تجنب المسائل الشاذة امام العوام[8] ولا يقوم احد من الحلقة قبل الشيخ بعد انتهاء حصة الدرس يستأذن من اراد القيام فإن أذن له قام وان لم يأذن له أقام .[9]

اذا اراد الشيخ القيام (صلى) ركعتى الضحى ، و [يصلى] اصحابه ويشيعونه تبركا له وتأنيسا به . . . وان ثقل عليه تشييعهم ايام [صلى وصلوا][*] وودعوه ولم يشيعوه .[10] كل مخالفة للبرنامج الدراسى او الداخلى يعاقب المخالف ، اى يوضع فى الضاة[**] لهذه المدرسة الداخلية نظم ادارية وتعليمية تحتاج الى دراسة مدققة من كل الجوانب وحسب وقتها وامكانيتها فهي جد متطورة بالنسبة الى تلك الظروف التى ظهرت فيها ، فقد وضعت برامج للدروس واوقاتها وبرامج للاختبارات والامتحانات وطرق خاصة بها ، وحددت أوقات الاستجمام والراحة ، واوقات للصلوات والنوافل ، واوقات للوجبات الطعام ، والنوم ، والاكل ، وبرامج خاصة للصلاة والختمات والادعية كل ذلك يستحق الافراد .

اما القاصرون من التلاميذ فيعاملون معاملة خاصة ويحسن اليهم ، ويسمح لهم بالدراسة فى اوضاع معينة حسب مداركهم .

---

(1) عوض : النظم . . . ص 70 .

(2) (3) (4) (5) (ق) هذه القوانين لدار التلاميذ اى (روادها ، وهم " اروان موجودة مطبقة فى التوارة الى اوائل الخمسينات (1954) م وقد عشتها لغاية هذا التاريخ منذ سنة 1947 تاريخ دخولى حلقة اروان ، وهناك قوانين اخرى ، وما زال الشيخ عدون عريف اروان الى هذا اليوم . اطال الله فى حياته . يستحق هذا الموضوع دراسة خاصة واشمل من هذه الاشارات .

(6) الدرجينى طبقات . . . 1/ 179 — البرادى : الجواهر . . . ص 214 .

(7) (8) نفس المكان .

(9) الدرجينى : طبقات . . . 1/ 180 . البرادى الجواهر . . . ص 215 .

(*) ورد فى اصل النص " ركع او " وركعوا " .

(10) الدرجينى طبقات . . . 1/ 180 . البرادى : الجواهر . . . ص 215

(**) ى الهجران يهجره كل من يعيش معه من اهل الصلاح حتى يتوب ويقلع عن الذنب انظر الدرجينى : طبقات . . . 1/ 5

3) العاجزون

هؤلاء صنف معين ، وهم المعطلون لا يقدرون على التحصيل العلمي نتيجة العاهات الذهنية وقصور في الفهم يحول بينهم وبين متابعة الدراسة ، او الانتظام فيها ، والخضوع الى البرنامج اليومي المسطر ، او ان يكون احدهم قد اصيب بعاهة تحول بينه والتحصيل، فهم المتخلفون ذهنيا ، والعاجزون عن العمل مع الآخرين اورد الدرجيني[1] نصا يصنف فيه العجزة وينعتهم ، ونقله البرادي[2]

" ... واما العاجزون فأنواع فالله حسيبهم او يثيبهم فمنهم الطارش والعميان ، والزمنى والهارمون وذووا الافهام القاصرة وربما استعمل مستعمل فألحق نفسه بهؤلاء وفيه قدرة وعنده او به بعض الغناء ، فهذه الانواع شأنهم الاعفاء والاستماع ليحصلوا الطرق والاخلاق ، ويظهروا التلهف والاشتياق وعليهم حفظ السيارات والمحافظة على الطرق والاوقات ، وان اجهدوا انفسهم وزادوا ظفروا ببعض ما أرادوا ، فاما الزمنى والعميان فقد نطق بعذرهم القرآن . واما القاصروا الفهوم ، فمنهم القانط التارك للعلوم ، ومنهم من الاياس عنده معدوم، وقد شاهدت منهم رجالا فلم أذمهم لاكثرهم حالا ... "

ووصف الدرجيني هؤلاء العاجزين سنة ستة عشرة وستمائة في ربيع الآخير[3] عند ما كان كان يرون الان صغيرا حيث امضى عامين وشهرين[4] فاشفق على حالهم ، وذكر بعضا منهم ، ووصف اوضاعهم ، ونظرته الخاصة اليهم . فكيف تكون معاملة هؤلاء العجز ؟ هل يطردون لانهم لا يستطيعون متابعة الدراسة والانتظام؟ فان ابا عبد الله نظر اليهم نظرة اشفاق وعطف فقام بتوجيههم ، وسمح لهم بالعمل ، وجعل منهم طبقة خاصة فقال في شأنهم " .. ينبغي ان تكون خدمة الطعام من هؤلاء الذين لم يفتح الله عليهم ... لينفعهم بخدمة اهل الخير ، ويوفيهم اجورهم "[5] فمنهم تتكون نخبة من عرفاء الطعام الذي حدد لهم ابو عبد الله اعمالهم وواجباتهم حتى لا يبقوا ضائعين مشردين فينحرفون ، ويشعرون فيصبحون عالة على المجتمع ، بهذا الاجراء وهذا التنظيم يكون ابو عبد الله قد سبق ما بلغته اليه التطورات الحديثة من تنظيم خاص لذوي العاهات ، وانشاء مدارس خاصة للصم والبكم ، والعمل على ادماج هذا النوع في الحياة العامة .

يعتبر نظام الامام ابي عبد الله محمد بن بكر دقيقا للغاية ولكن اضيفت اليه اضافات فيما بعد تماشيا مع الظروف والاحداث فهو مازال موجودا بأصوله وبعض جوانبه في مدن " وادي ميزاب " ويقوي ويضعف حسب الشخصيات التي تتولاه وحسب الظروف والاحداث التي تعيشه حلقتها . اما الآن فقد تطورت اصوله في تعليم عصري متطور للاستجابة الى الاحتياجات الاساسية للمواطن فاختلفت اشكاله واساليبه ، وطرقه عما كان عليه من قبل .

---

(1) طبقات ... 1/ 179 .
(2) الجواهر ... ص 215
(3) طبقات ... 1/ 180
(4) الدرجيني : طبقات ... 1/ 181 .
(5) الدرجيني : طبقات ... 1/ 181

اولا

1) هيئة اروان" او طلبة فنون العلم والادب .

تحتل المرتبة الثانية فى السلم التصاعدى لهيكل التربوى والاجتماعى فى " وادى ميزاب" (1) فهي تلي هيئة العزابة مباشرة ، كما انها تحتل الدرجة الثانية فى المجتمع بعد العزابة ، ولهم مقام كريم لدى العوام بعد مقام العزابة السامى ، لا وتعتبر رديفا للعزابة ، او مدرسة تربصية لها ، او حقلا تدريبيا لكسب المؤهلات التى تخول العضو فيها بشروط خاصة وفى ظروف معينة الدخول الى هيئة العزابة لانه بهذا يعتبر فى طريق الاعداد لها . (2) يروى ان مدلول التسمية مأخوذ من اللغة العربية على اساس" انهم يروون العلم من الرواية" وتقول : اننى " اروان ، وهذه عبارة قريبة جدا من المفهوم للكلمة ، وهم الذين" رووا" من يروى ريا القوم اى استقى لهم الماء ولكننا ننطق به مرققا . ولفظ " الريّ " من الظمأ ننطق به مفخما (3) . ربما يكون هذا التفسير صحيحا ، لان" اروان هم الطلبة الذين يدرسون العلم ، ومن المشتغلين به (4) بعد ان يحفظوا القرآن ويستظهروه، هذا المدلول باعتباره المفهوم اللغوى للعربية الفصحى ، لكن من حيث مدلول اللفظ باللهجة البربرية "الامازيغية" فانه يعنى " فتيان " فصنف اروان" هم فتيان فى سن الشباب ، وربما غلب عليهم هذا الوصف فتميزوا به . لكن الضبط اللغوى يختلف عن الاول اذ يضبط هنا " اوّاو " ويجمع على " أرَوّان " بفتح الهمزة و تشديد الراء مفتوحة . (5)

ان استظهار القرآن الكريم شرط اساسى للدخول الى حلقة " اروان" فيصبح المستظهر من التلاميذ الرسميين (6) ، فالتلاميذ هؤلاء هم فى طريق الاعداد لا والتكوين ، ويتبعون مجلس العزابة (7) . كان التلاميذ فى عهد ابى القاسم ، وابى نوح يحملون السلاح ويشاركون فى المعارك (8) ويدافعون عن انفسهم ، ويحاربون مثل الشيخ عبود من بنى كريز . (9) وكان يناط بعهدتهم الامن العام (10) يتولون مهامّ صعبة ، ويتفانون فى سبيل الدعوة لاعلاء كلمة الله دون ان يتقاضوا اجورا على اعمالهم (11) ولا مرتبا خاصا من اوقاف المسجد الا ما يوزع عليهم مثل غيرهم من الاوقاف ، او يرصد لطلبة العلم ، ولكنه محدود (12) . ويخصص لهم مأوى غالبا ما يكون بجوار المسجد حيث تنشأ لهم دار خاصة بهم (*) ، تمول بتبرعات المحسنين وترصد لها اوقاف معينة ، وقد أنشئت لهم معاهد كثيرة بـ " وادى ميزاب " فى مختلف قراه عبر الازمان ، من اشهرها فى هذا القرن : معهد " قطب الائمة

---

(1) بيوض : حديث شخصي . ــ ابو اليقظان : بيانات . . . ورقة 13 الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 31 .

(2) بيوض : ملخص تاريخ ميزاب . . . ورقة 11 ، 13 ــ ابو اليقظان : بيانات . . . 13 ، 14 ــ على معمر : الابايضية . . . 1/ 109 ــ الحاج ايوب : رسالة . . ورقة 31

(3) الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 35 .

(4) على معمر : الاباضية . . . 1/ 109 .

(I) هو واقع الى تاريخ اليوم ولا سيما فى مدينة القرارة .

(5) الحاج ايوب : حديث شخصي .

(6) اطفيش ابو اسحاق : وادى ميزاب . . . ص 332 .

(7) فخار ابراهم : الجماعات . . . ص 114 .

(8) ابو زكاريا : سير . . 136 ــ 137 .

(9) ابو زكاريا : سير . . . ص 143 ــ 44 .

(10) النورى : نبذة . . . 1/ 153 .

(11) (12) طلاى : ميزاب . . . ص 41

(*) تسمى بدار التلاميذ ويطلق عليها اسم " دار اروان" فضلا عن مأوى خاص لغير

ببنى يسجن، ومعهد " الحياة " بالقرارة ، والمعهد " الجابرى " ببنى يسجن ، ومعهد عمي سعيد " و " معهد الاصلاح " بغرداية ، تتمتع ببرامج ونظم ، وتأوى من تتوفر فيه الشروط . فهؤلاء هم " طلبة فنون العلم والادب " فى تنظيمات ابى عبد الله[1] عبر عنهم ابوعمار[2] بالتلاميذ ، فهم المتخرجون من المحاضر[3] (*) بعد استظهار القرآن اصبح لا يشترط فى بعض القرى فى الآونة الاخيرة ، اذ يخضع الى لشروط معينة وقوانين خاصة وعادات معروفة فى كل مدينة[4]، فهي ان اختلفت بين مدينة واخرى فان اسسها واحدة . ومن اهم الشروط التى ما زالت مطابقة الى حد الآن فى مدينة القرارة خاصة وبنى يسجن مع الاختلافات فى طريقة الدخول الى هذه الهيئة ، ما يلى :

التقوى والورع ، والاستقامة ، وعمارة المسجد بالمواظبة على الصلوات الخمس ومجالس التلاوة ، الا يرتكب التلميذ المخالفات ويتمتع بسلوك حميد ، وسيرة حسنة حافظ للقرآن الكريم ، ومستظهرا اياه عند فقيهه (**) بعد ختمه مرتين (***) ثم يقدم مطالبا الى العريف بواسطة " الفقيه " وهذا بدوره يبلغ الطلب الى هيئة العزابة وهي بدورها تدرس حالة الطالب هل تتوفر فيه الشروط المطلوبة ام لا ؟ يستغرق البحث عن سيرته والتأكد منها ، مدة قد تدوم اكثر من اسبوع ولكن ان وجد الطالب مستوفيا للشروط يعطى له الاذن باستظهار كتاب الله تعالى كله عن ظهر قلب على امام المسجد وفقهيه معا دفعة واحدة ولو ليلة كاملة حتى الفجر ، وهذه الطريقة ما زالت مطابقة الى الآن .

بعض المدن بميزاب تتأكد من الشروط المطلوبة ولا تشترط استظهار القرآن كله وانما بعضه على الفقيه .

بعد استظهار القرآن الكريم يحدد للمستظهر موعد للدخول فى سلك التلاميذ وعند قبوله يقدم بين يديه وليمة لهم ايذانا بنجاحه ، ولكن قبل قبوله فى حلقة " اروان " تملى عليه شروط الدخول ، اهمها :

ان يتمتع بسيرة حسنة فضلا عن الشروط المطلوبة لاستظهاره القرآن بأن يواظب على حضور مجالس التلاوة كي لا ينسى قراءته ، ان يواظب على الصلوات الخمس فى المسجد مع الجماعة ، وانى حل وارتحل ، ان يلتزم بالاداب الاسلامية وأن لا يخالط السفهاء ولا يحوم فى الاماكن المشبوهة ، وان يستعد لتلقى العلوم المختلفة التى تدرس فى حلقات " اروان " فاذا قبل بالشروط يفسحون له " اروان " فى الحلقة ، و يقبلون وليمته الفاخرة التى اعدها للتلاميذ . واذا لم يقبل بالشروط يرفضون وليمته ، ولا يفسحون له فى الحلقة ، فيقول له العريف " اذهب انت وصدقتك "[5]. ولا يدخل حلقة اروان الا بالزى الرسمى الذى يلبسه العزابة .

---

(1) البرادى : الجواهر . . . ص 208 .
(2) ابوعمار : سير . . . ورقة 5 .- ابوعمار : بيان . . . ورقة 10 .- يجب على الشيخ مع تلامذته .
(3) توفيق المدنى : كتاب الجزائر . . . ص 118 .
(*) المحاضر جمع محضرة هي الكتاتيب جمع كتاب .
(4) ابو اليقظان : بيانات . . . ورقة 14 .
(**) الفقيه : هو معلم القرآن والمبادئ الدينية والاخلاقية فى المرحلة الابتدائية المعاصرة او الكتاتيب قديما .
(***) المقصود به هو لما يختم الطالب القرآن بالانتهاء من سورة البقرة يعيد ها نزولا حتى الخاتمة .
( ) هو رئيس التلاميذ .
(5) [illegible]

يوكل أصغر التلاميذ بملازمة " ازو " الجديد فيطلعه على كيفية القيام بالاعمال ويدربه عليها لخدمة " اروان " .[1]

ب) اصحاب المحاضـر "

يتولى تعليم هذه الطبقة معلم يسمى فقيها[*] يتعدد الفقهاء حسب الحاجـــة وعدد التلاميذ ، والمحاضر ، او الاقسام[2] قد يبلغ عددها فى بعض المدن ثلاثة ، وقـد يستعينون ببعض " الغسالين " أن احتاجوا الى اعانة اذا توفرت فيهم الشروط المطلوبة[3] تشترط فى الفقيه الذى يختار من العزابة بعد التأهيل ما يلى :

1) المعرفة بعلم الخـــط .
2) القدرة على ضبط القراءة الفصيحة ، بمعـرفة مخارج الحروف .

تنحصر مهمة الفقهاء فى المحاضـــر فيما يلى :

1) ضبط اوقات الدراسة بدقة .
2) الاهتمام باللباس الساتر ، وبالنظافة .
3) الدخول والخروج الى المحضرة ومنها فرادى او مثنى/ [illegible] .
4) تعليم الخط الجيد الواضح .
5) تعليم الحروف الهجائية وضبط نطقها .
6) تعليم سور القرآن الكريم .
7) تعليم مبادئ التوحيد ، والحساب ، واحاديث الرسول (ص) (جوامع الكلم)
8) تأديب الصبيان ، وتعليمهم الاخلاق الاسلامية الصحيحة .
9) تسليط العقوبات بصرامة وبالقدر المناسب على كل مخالفة أو انحراف او على الاخلال بالآداب ، والسلوك العام .
10) تتبع الطفل ومراقبته حتى خارج الدراسة ، ومعاقبته ان هو أخل بالسلوك الاجتماعى العام ، او ارتكب مخالفة .
11) رفع الامية عن الكبار اذا اقتضت الضرورة ذلك .
12) رفع الفقيه تقريرا شفويا كاملا عن سير الاعمال فى المحضرة الى الشيخ واعلامـــه بمن هو مؤهل للارتقاء الى هيئة " اروان " عند ختمه للقرآن واستظهاره لـدى ـ الفقيه ـ عن ظهر قلب .

تطور نظام المحاضر فى " ميزاب " حسب الظروف فهو يحتاج الى دراسة مستفيضة وخاصة فى العهد الاستعمارى ، وما لعبته من دور فى المحافظة على الدين الاسلامى ، والعقيدة الصحيحة والمحافظة على اللغة العربية وآدابها . وكانت تعلم

---

(1) جوفرى: النظم ... ص105 LEWICKI: E.I. "HALKA" T3, P.P: 98-99.

(2) مهمة الفقيه هى مهمة "مؤدب القرآن" بحيث انها التسمية المعروفة فى ميزاب. ولم ترد هكذا فى طبقات الدرجيني ، ولا عند البرادى . وتناولته المؤلفات الحديثة ، سبقت الاشارة الى هذا المصطلح "الفقيه" بيو بحديث شخصي الحاج ايوب: رسالة ... ورقة29 .

(2) الحاج ايوب: رسالة ... ورقة 29 . توفيق المدنى : كتاب الجزائر ص119 .

(3) لائحة عزابة غرداية ص2 س 25 ما قتبسه الجعبيرى : نظام ... ص137 .

(4) يهتم كثيرا بالجانب الاخلاقى والتربوى ، فاى مخالفة ولو صغيرة يؤدب عليها الصبي بحيث يعتبر الفقهاء كالادباء ، ويثق فيهم الاباء ، ويعينهم على تربية ابنائهم ، مثلا " اذا سب الصبي زميله او ظلمه او رماه بالتراب او تغيب عن الدرس فالعقاب يبدأ بالانذار واللوم ، ثم يضرب الصبي ضربات خفيفة على اكتافه لا تتجاوز السبعة ، انظر: لائحة العزابة غرداية ص2 . اقتبسه الجعبيرى : نظام ... ص136 . ـ يعطى الآب ثقة كاملة فى الفقيه فاذا ما اشتكى الابن لأبيه عن تصرف فقيهه فان الآب يكيل الضربات لابنه .

القصائد والشعر الحماسي والوطني يرصد لهذا الصنف المعين من رواد المحاضر وقف معين في اوقات معينة تشجيعا لهم على حفظ القرآن و مدارسته ،فاذا ما ختم احد التلاميذ القرآن فانه يحتفل به في مهرجان يحضره المعلمون والتلاميذ الذين هم في مستواه فيكرمهم باقامة ما يسمى " بالمعروف "(*) يتحدد من طرف العزابة بحيث يراعون فيه دائما حالة و وضعية الفقراء حتى لا يكون فيه تكلف . يندرج نوع من طلبة المحاضر – في التقسيم الهيكلي – ضمن" امصوردان " (**) فيعتبرون قسمة الاول هم الصغار الذين يتعلمون القرآن في المحاضر (1) والقسم الثاني هم الشباب والكهول وحتى الشيوخ الذين يحفظون او يحاولون حفظ القرآن الكريم . (2)

يقضي طلاب المحاضر الصغار والكبار جل اوقاتهم في حفظ القرآن الكريم يحضرون يوميا في اوقات معينة معلومة ابتداء من الآذان الاول الى طلوع الشمس وما بين الظهر والعصر ، وما بين المغرب والعشاء فيواظبون على حفظ القرآن وتعلم فرائض الاسلام ، والصلوات مع الجماعة في المسجد ، فالمحاضر ملتصقة بالمسجد ليسهل لهم المواظبة مع صلاة الجماعة ، يفرض عليهم جميعا حضور الختمات والدروس العامة في المسجد بقي افراد دراسة مستفيضة حول هذا الصنف وتطوره .

ج) هيئة امصوردان " (**)

مدلولها :

يختلف مدلولها حسب المعاني التي ترجمت اليها ، فالبعض يراها تدل على جماعة الدراسة (3) ، والاخرون على " جمعية " " المكاريس " (4) وترجمها محمد علي دبوز (5) الى " جمعية شباب المدينة " او " جمعية الشباب " . ولكن ربما اصلها من كلمة " تام اودمان " اي " ثمانية ايام " وهي المدة التي يدرس فيها مسؤولو الهيئة طلب الالتحاق (6) ، يفهم من هذا ان منظمة كهذه الهيئة تتكون من الغيورين المتطوعين بحيث لا يقبل عضو في صفوفها الا بعد التشاور ، واجراء اختبارات عليه ، وبعد ان يخضع لشروط معينية ،

اقسامها :

ا) الاولاد الصغار الذين يتعلمون القرآن في المحاضر . (7)

ب) الشباب والكهول وحتى الشيوخ الذين تخلفوا عن حفظ القرآن فلم تسنح لهم الفرصة لاتمامه لظروف وأوضاع خاصة فصاروا يتدارسون القرآن في المحاضر فرادى او جماعات ، او في مجالس ، واما يكتبون الحصص اليومية في الالواح حتى يكملوا حفظها فيصبح لهم حق الحضور في مجالس الذكر الحكيم في المسجد ، واذا استظهروا القرآن عن ظهر قلب يؤهلون للدخول الى حلقة " اروان " و منهم من يرقى الى حلقة العزابة (8)

(*) " وليمة " . واذا دخل سلك اروان يهيء ايضا وليمة .
(**) سياتي توضيحه .
(1) الحاج ايوب رسالة . . . ورقة 34
(2) نفس المكان .
(**) تضبط في بعض الكتب بالسين وآخرى بالصاد وأخرى بزيادة الطاء بعد السين .
(3) ابو اليقظان : نظام هيئة امسوردان بغرداية " خ " ورقة 1، حجم 21 – 27) 5 أوراق
(4) الحاج ايوب رسالة . . . ورقة 34 – علي معمر : الاباضية . . 4/ 551
(5) نهضة . . . 1/ 239 – 49 – عوض : النظم . . . ص 49 .
(6) علي امعمر : الاباضية : الاباضية . . . 4/ 552
(7) الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 34 .

ويقسمها ابو اليقظان (1) الى ثلاث طبقات.. هى :

ا) الصغار : تشمل كل من ينضوى فى الهيئة ، وهي بمثابة الجند العاديين من الجيش النظامى .

ب) المتوسطون : هي بمثابة الضباط الصغار من الجند .

ج) الكبار : هي بمثابة هيئة اركان الحرب .

اما الترقية من طبقة الى اخرى فتكون بالكفاءة لا بالسن او الاقدمية .. "

يظهر من هذه التعاريف وهذين التقسيمين ان هناك تلرابطا واتصالا بين هذه الهيئة و " اروان " او بين النظامين ، فهولاء " امسورد ان " يعمرون " المحاضر " و المسجد ، و ينطلقون من " المحاضر " هذا بالنسبة الى ما كان عليه الوضع فى حقب تاريخية ب " ميزاب " قديما لما كان مستقلا يسيره نظام العزابة كامامة صغرى فتنافست السلطات الاستعمارية محاولة القضاء عليه ، ولكنه صمد فى وجهها رغم الضغوط المختلفة فعاش مشلول القوى ، واضمحل حيث لم يبق الا فى مدينة غرداية ، ولكن اقل نفوذا عما كان عليه قبل . يبدو ان هذا التقسيم الاخير فيه تأثر بالنظرة الى الوضع العسكرى ويلمس هذا التأثير بالنظرة الى ما ورد فى تمهيد المخطوط المعنون ب " نظام حراسة ايمسطورد ان فى غرداية " (*) ... يستمد نظام حراسة " ايمسطورد ان " فى غرداية من روح النظام العسكرى عند الدول ... " (2)

ان تاريخ نشأة هذه الهيئة يكتنفه الغموض حسب ما يبدو فبينما يقول " ابو اليقظان " (3) ان قادة غرداية قد اسسوا المنظمة مباشرة " على النظام العسكرى التركى (الانكشارية) بالجزائر " يرى " النورى " (4) ان تاريخها يعود تقريبا الى اوئل القرن الخامس الهجرى ، وانها استمدت اصولها من انظمة هيئات جبل نفوسة و ورجلان ، ثم ادخلت عليها اخيرا اضافات من تعاليم الجيش التركى .. " يمكن الجمع بين النصين بما يرجحه الثانى من ان تاريخ تأسيسها قديم ربما يرتقى الى اوئل القرن الخامس الهجرى ، ثم اضيفت اليها تنظيمات اخرى مستمدة من الجيش الانكشارى بعد خمسة قرون ، وهذا احتمال كبير اذ يرجع على معمر (5) جذورها الاولى الى ما بعد انقراض الدولة الرستمية مباشرة ، او بقليل . او ربما كانت كتمهيد لنشوء نظام العزابة ، فانفصل نظام العزابة عنها لطبيعة نشاط كل منهما . ويشبههما تنظيم كان بجبل نفوسة برزت بعض آثاره منذ القرن الخامس الهجرى ، او قبله بقليل يدل على ذلك موافقة ابى يوسف وجد ليش اليجلانى " وامثاله واسمها " اعماررن " (**) و لا تختلف مهمتها عن مهمة رجل الحسبة ، وشرطة الاداب . ولها تنظيمات دقيقة تقوم بالحراسة وتأديب المنحرفين (6) الخ ...

---

(1) ابو اليقظان : نظام ... ورقة 1

(*) يسجله الشيخ ابو اليقظان بدارسة قام بها نفسه مع اساطين المنظمة سنة 1947 منهم الشيخ صالح بابكر ، رحمه الله ، والشيخ عمر بن صالح ، وسعيد سيدنا نوح وباحمد بهدى .. ومحمد دادى واعمر . الخ ...

(2) ابو اليقظان : نظام حراسة ... ورقة 1

(3) نظام ... ورقة 1

(4) نبذة ... ج 1 ، ص ص 190 — 91

(5) الاباضية ... 4/ 552 — 53

(**) ربما من العمران اى الذين يسعون للعمران بما يقومون به من أعمال أو مهام .

(6) على معمر : الاباضية .. 4 / 552 — 53 .

مهامها :

تقوم هيئة " امصوردان " بمهام كثيرة ، وتتحمل مسؤوليات ضخمة منها : الحراسة ليلا ونهارا فى القرية والغابة بتنظيم دقيق جدا و محكم ، ولا تنحصر حراستهم على السرقات وحدها ، بل تتعداها الى مراقبة السلوك العام ، و ما يتعلق بالاخلاق العامة ، وتربية الشباب على العمل باخلاص لوجه الله ، وعلى الاستقامة والفضيلة والآداب (1) فهم عمدة اى عمل تطوعي فى شكل حملات او مناسبات خاصة حيث يقومون بالخدمات العامة ، ومتطلبات المسجد والمقبرة ، وهم الذين ينظمون الحملات التطوعية ، ويهتمون بمراقبة كل غريب يدخل المدينة ان احتاج الى توجيه وارشاد أما اذا قام الغرباء بالسطو والسرقة ، أو ما يخل بالشرف أو الأمن فان " امصوردان " سرعان ما يتفطنون لهؤلاء فيمسكونهم فى حالة التلبس بالمخالفة أو الجريمة فيعالجون الموقف فى الحين بشكل دقيق .

تخضع هذه المنظمة شرفيا الى هيئة العزابة (2) ، ومجلس العوام (3) ، ولكنها مستقلة داخليا بمهامها و قراراتها فى حدود اختصاصاتها و تصرفاتها (4) في ظروف حدوث خلاف أو انقسام بين أعضاء و مجلس العزابة — وهذا نادرًا ما يقع ، فان الهيئة التى تتحرك بطرقها الخاصة و قوانينها و اجراءاتها هي هيئة " امصوردان " فتقوم بمحاولات اصلاح الوضع وحل النزاع بحمل الطرفين على التفاهم ، والا عينت مجلسا جديدا ، وعزلت الآخر ، ولكن هذا نادر اذ لم نسمع لحد الآن اجراء فعليا كهذا حتى فى ظروف الجهل والفتن التى مرّ بها ميزاب " (5) .

المجلس التأديبى و المحاكمات : لهيئة امصوردان " مجلس تأديب (6) فى حالة ارتكاب أحد اعضائها مخالفة أو جريمة ، فانه يبحثها ويحقق فيها ، ثم يقرر نوع العقوبة فينفذها اذا ثبتت الادانة دون الرجوع الى هيئة العزابة ، أو ادارة المخزن — التى كانت فى عهد الاستعمار — فهم مستقلون فى شؤونهم وتصرفاتهم ، كما يتخذ نفس الاجراء بالنسبة الى المحاكمات ضد المتلبسين بالجريمة ، أما الآن فيبلغون للشرطة أو ادارة الدولة لتنظر فى شانه حسب قوانين الدولة .

تركت هذه المنظمة فوائد جمة للمجتمع بفضل حمايتها له من كل ما يفسده أخلاقيا و أمنيا ، فقد قدمت خدمات جلى فى تاريخها الطويل لما كانت تتمتع بذاتيتها و لكن الاستعمار الفرنسى قاومها لأنه يراها تزاحمه فى اختصاصاته فضعفت فى قرى ميزاب بتفاوت ، فلم يصبح لها نفوذ و تأثير الا في غرداية حيث تمارس فيها بعض مهام المحافظة على الأمن ، ومكافحة الآفات الاجتماعية فى عهد الاستقلال الوطني فصارت سندا قويا للأمن الوطنى فى هذا المجال .

---

(1) دبوز : نهضة . . . 1/ 239 .
(2) فخار : الجماعات . . . ص 114 .
(3) ابو اليقظان : نظام . . . ورقة 1 — عوض : النظم . . . ص 50 . عن مجلس العوام
(4) فخار الجماعات . . . ص 144 .
(5) ابو اليقظان : نظام . . . ورقة 1 — على معمر : الاباضية . . . 4/ 652 . عوض : النظم . . . ص 50 .
(6) ابو اليقظان : نظام . . . ورقة 3 .

د - هيئـــة الغاســـلات

منذ فجـر التاريخ والمرأة الاباضية تساهم و تشارك مشاركـة فعالـــة فى مختلف مجالات الحياة فكانت ركنا أساسيا فى تاريخ حياتـه الطويل فالمؤلفات القد يمـــة والحد يثـــة (*) تتحدث عن مآثرها و مواقفها و دورها فى مجال التربية واعداد الرجال ورعاية الزوج ، والمساهمة فى الحياة الاجتماعية والثقافية ، و العلمية ، و الحربيـــة ، والاقتصاد ية ، والثورية فضلا عن الميادين الدينية و العلمية صانت نفسها فصانهـــا المجتمع ، احترمت نفســها فاحترمها المجتمع ، اهتم بها الشيوخ والعزابة فسنوا لها قوانين لرعايتهـا ، وصيانتها ، وحفظ كرامتها ، وحقوقها [1] ، واصدروا فى شأنهـــا قرارات تخدم مصلحتها و مصلحة المجتمع [2] . فكما للرجال مجلس فى المسجد ، او حلقـة العزابة فكذلك للنساء مجلس خاص بهن يتولى شؤون المرأة . فمتى ظهر يا ترى؟ وما اسمه ؟ وما هي مهامه ؟ و هل ساهم فى الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ؟ أم وجود ، صورى ليس له ادنى تأثير ؟ . . . هل ظهر هذا المجلس النسوي مع ظهور مجلس العزابة ، أم أتى بعده ، (**) . يبدو ان تنظيم الأوائل لأوضاع المرأة كـــان مبلغ اهتمامهم الشديد ، فكتب التاريخ القديمة والحديثة تشير الى هذا ، كما تشير الى مستواهن العلمي والثقافي ، و مساهمتهن فى مجالات الحياة المختلفة : يذكر الوسياني [3] أن اخت (***) عمروس (****) أملت عليه مدونة أبي غانم الخراسانـــى فكتبها كلها . وهذا على سبيل المثال (*****) لا الحصر وكذا اهتمام النساء الشديد بأمور التلاميذ والاعتنـاء بهم كثير مثل ما كان فى عهد ابى عبد الله محمد بن بكر [4]

(*) انظر: خاصة ابا زكاريا . الدرجينى : الشماخى . البرادى . على معمر . دبوز . .

(1) توفيق المدنى : كتاب الجزائر . . ص115 . - انظر قسم الملاحق .

(2) بكلى عبد الرحمن: مراسلة خاصة . بيوض: حديث شخصي . الحاج ايوب: حديث شخصي

(**) سؤال وجهته لفضيلة الشيخ بيوض فأجاب بايجاز و تركيز انه ظهر معه اوبعده ، بقليل .

(3) ابو زكاريا : سير . . . ص104 . الوسيانى : سير . . . ورقة 3-4 فى استنساخ مدونة ابى غانم . - لقبال : الحسبة . . . ص 69 .

(***) كانت عالمة فقيهة " مفتسية خرجت مع بعض نسوة نفوسية فى موقعة مانو " أخذت اسيرة معهن من طرف جيش الاغالبة فخشيت على شرفهن فافتت لهن بما يصونهن " فامرت ان تستخلف كل واحدة منهن عن نفسها من يزوجها لمن اراد ها بسوء .

(****) هو عمروس بن فتح النفوسى عالم اباضى ، ورع ، مجتهد ، قاضى الامام الرستميين عبد الوهاب على جبل نفوسية ، فهو من أهل الخمسين الثانية من المائة الثالثة هكذا ذكره الدرجيني : طبقات . . . 1/ 8 . - رسالة . . . ورقة 94 . - استشهد فى موقعة " مانو " وله مواقف ، وآراء سديدة فى القضاء انظر : الوسيانى . . . ورقة 3-4 . - ابو زكاريا : سير . . . 104 . - الدرجينى : طبقات . . . 2/ 323 .

(*****) قامت المراة الاباضية بخدمات جلي فى الطور السرى للحركة الاباضية مثل : هند بنت المهلب وعاتكة ، وسعيدة المهلبية وأمثالهن كثيرات . كان الاباضية فى طورهم الاول يعقدون مجالسهم السرية فى بيوت النساء الاباضيات وكن يساهمن فـــى الحركة بجمع الاموال والهدايا والتبرعات . . . انظر: عوض . . . ص 50 .

(4) ابو زكاريا : سير . . . ص 179 . - انظر : الشماخى : سمير . . . ص ص 72 - 73 - 87 - 107 - 110 - 232 - 33 . حول امرأة تقية ذكية عاملة . وأم يحي التى حفظت ثمانين بيتا من الشعر بسماع واحد .

ان تنظيم مجالس النساء فى قرى" وادى ميزاب" قد ظهر مع تأسيس نظام حلقات العزابة حسب ما يبدو " مثلما يوجد مجلس للرجال فى المسجد كذلك يوجد مجلس النساء يقوم بشؤونهن." (1) يتضح من دراسة الحركة الاباضية بالمغرب الاسلامي أنها "أعارت اهتماما بالغا لدور النساء" بعد ان اكتمل تنظيم الحلقة" (2) ولا يعرف تاريخ محدود مضبوط لبداية نشاط المجالس النسوية فى قرى ميزاب ، ولكن من المؤكد انه كان موجودا فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) (3)

تتكون الهيئة النسوية فى كل قرية من قرى" وادى ميزاب" بتمثيل أسرها ويطلق عليها اسم " تمسيريدين" (*) بكسر التاء ، وسكون الميم ، وكسر السين والراء والدال و سكون النون . لأنهن يقمن بغسل الأموات من النساء ، والأطفال الصغار ، فعرفن به " الغاسلات" او " الغسالات " لتغلب هذه الصفة عليهن وهو عملهن منذ قرون بدون انقطاع . فمنهن يتكون" المجلس الدينى للنساء" (4) ويرتفع عدده الى اثنتي عشرة امرأة الا انه يزيد وينقص باعتبار المهام والحاجة حسب ما يبدو ، ولكن نقصه نادر. (5)

تختار هيئة العزابة فى كل مدينة اعضاء هذه الهيئة (6) من مختلف "عشائر" (**) البلدة من صالحات الاسر فيها بشروط معينة مقياسها الأول تقوى الله ، وما يأمر به الاسلام كالعفة ، والحياء ، والاستقامة ، وحسن السلوك والعشرة الحسنة . والورع و السمعة الطيبة (7) ، والحنكة فى معالجة الشؤون العائلية بدون تحيز ، وحسن التدبير والشجاعة الكافية للقيام بواجباتهن المنوطة بهن . وتنفيذ القرارات (8) ، ومن أشدهن قناعة على حفظ كرامة المرأة (9) ، ولا يشترط فيهن حفظ القرآن الكريم (***) او ختمه ، المهم أن يحفظن جزءا منه ، وان يكن من عمار المسجد ، ويحضرن دروس الوعظ والارشاد (10) .

تعتبر هذه الشروط مثالية ، ولكنها متوفرة مما يدل على عمق الفهم للدين الاسلامى الحنيف والتربية الاسلامية الرفيعة .

---

(1) بيوض : حديث شخصي .
(2) عوض : النظم . . . ص 51 .
(3) نفس المكان .
(*) مفردها "تامسيرت" بفتح التاء ، وسكون الميم ، وكسر السين ، وفتح الراء ، وسكون التاء .
(4) ابو اليقظان : بيانات . . . ورقة 15 .
(5) الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 36 .
(6) ابو اليقظان بيانات . . . ورقة 15 ـ الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 16 .
(**) مفرد عشيرة وهي مجموعة الأسر التي تنتمى الى جد اعلى لها . وقد تنضم اليها أسر من غيرها ، سياتى الحديث عن العشيرة فيما بعد . أنظر: ص 99 .
(7) بيوض : حديث شخصي . ـ بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .
(8) دبوز : نهضة . . . 1/ 228 ـ مطهرى : المجالس . . . ورقة 4 ـ الحاج ايوب رسالة . . . ورقة 36 .
(9) اطفيش ابو اسحاق : وادى ميزاب . . . ص 333 .
(***) كن يحفظن بالسماع سواء القرآن الكريم او الاحاديث النبوية ، او الاحكام الشرعية او الاقوال الفقهية ، ولم يكن يسمح للبنت ان تتعلم بالقراءة والكتابة ، وبعد النهضة العلمية والثقافية أصبحن يدرسن ويحفظن بالقراءة والكتابة فهن الآن يختمن القرآن الكريم ويستظهرنه عن ظهر قلب .
(10) الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 36 .

تجرى كيفية وطريقة التعلــيين تماما مثل مجلس العزابة ، ولكنهن يستشرن العزابة قبل تعيين العضوة الجديدة . اما كيفية الاتصال بالعزابة فتجرى بواسطة احــداهن اذا كان لها محرم فى حلقة العزابة بالنسبة للحالة العادية ، اما فى الظروف الخاصة أو اذا كانت مسألة مهمة ، ففى هذه الصورة تتجه الغسالات بأجمعهن الى دار الشيــخ العزابة فيناقشن معه الآمر بواسطة محارمه أو تتولى اكبرهن سنا الحديث معه من وراء حجاب ، او يتفاوضن معه فى القضية ، أما اذا كانت الأوضاع عادية ، أو فى مسـائل واضحة معروفة فلا داعي للإتصـال بشيخ العزابة ، وانما تكفى ذات المحرم بالاتصال بــه .

اما اذا كانت قضية تخص المجتمع النسوى ، او ترتبط ببعض العادات والتقاليد الخاصة بشؤونهن فى موضوع الاعراس ، أو المآتم فان العزابة يتفاوضون معهن ويستشيرونهن فيها ويقبلون اعتراضهن اذا كان وجيها لانهن مخلصات امينات ، فمرجع مجلس الغاســـلات هو رئيس المجلس الدينى فقط . (1)

يعين على رئاسة هذا المجلس النسوى مسؤولة تسمى فى بعض القرى " ماما شيخة " (2). وفى اخرى " كبيرة الغاسلات " توهم " لويكى LE WICKI أن ليس لهن شيخة (3) .

ومن اشهر " شيخات " حلقة النساء مجاهدة مشهورة فى ميزاب بمواقفها البطولية فى أواخـــر القرن التاسع عشر ابان الاحتلال العسكرى لميزاب (1882م) وهي ماما بنت سليمـــان (*) تزعمت موتمرا نسويا فقرر اصــدار آمر بمقاطعة كل ما هو فرنسي ســواء كان غذاء او لباسا . ونظمت مقاومة سلبية ضد المحتل الغاصب ، أشاد بموقفها صاحب كتاب " ثورات النساء فى الاسلام " واعتبرها ضمن اثنتي عشرة امرأة وقفن مواقف بطولية فى العالم (4 /) .

فى مساجد ميزاب جناح خاص للنساء كما فى سائر مساجد المسلمين فى العالم ، ويتصل ذلك الجناح الذى يبنى خصيصا لهن بمكان مجلس التلاوة بالمسجد يفصلـــه عنه جدار خفيف تعلوه تحت سقف الجناح كوة صغيرة جدا ، اصبحت الآن مغطاة بقطـــع صغيرة من الزجاج بشكل مائل لينفذ منه الصوت من داخل المسجد دون ان يرى أى طرف الآخر ، يسمعن كل ما يدور فى المسجد من صلاة ، وأدعية واذكار ، ومن تــلاوة القرآن ، ودروس فى التوجيه والوعظ والارشاد (**) ولا يدخل الرجال هذا الجناح مطلقا .

وفى داخل الجناح يعقد " الغاسلات " اجتماعهن احيانا . وأخرى فى دار واسعة خاصة بهن تسمى بدار " الغسالات " (***) ويتلون فيها القرآن الكريم جماعــــة ، وتتقدم احدى الغاسلات بكلمات توجيهية ، وبتقديم النصائح والارشادات ، وقد يلقى احد المشائــخ درسا دون ان يراهن أو يرينه لأنه يجلس فى غرفة معينة بنيت خصيصا

---

(1) اطفيش ابو اسحاق : وادى ميزاب . . ص 333

(2) MERGHOUB Le devloppement P 32

(3) LE WICKI E.I art HALKA P IOI

(*) من مدينة غرداية ، رئيسة عزابتها .

(4) الحاج أيوب : رسالة . . . ورقة 37 . ـ على معمر : الاباضيــة . . 4 / 577

(**) كثير من النساء يحفظن سورا من القرآن الكريم ، والادعية ، والاوراد ، ويستوعبن الدرس بكامله فيعيدونه فى المجتمع النسوى ، ومما عشناه أن بعض كبريات الغاسلات يتولين الوعظ والارشاد ويفتين بما يسمعنه فى المسجد فيحفظنه ويعيدونــــه فيبلغنه كما سمعنه .

(***) فى كل قرية بميزاب دار خاصة للغاسلات يجتمعن فيه وهي مفتوحة للنساء وحدهن .

( ) ~~هذا ما هو حاصل فى العطف تماما ولكل قرية كيفيات وطرق فى دار الغاسلات .~~

لذلك وتصحب احدى محارمه فتكون واسطة بينه وبينهن ، فيقدمن له أسئلة بواسطتها فيجيب عنها ، وقد يناقشنه في مسائل ، وأحيانا يعلن عن محاضرة تخصهن وكثيرا ما تكون في مواضيع طبية ، والمناقشة بواسطة المحارم دائما وأصبح جهاز مكبر الصوت في العهد الأخير هذا وهو الواسطة (*) وقد يطلق على تلك الدار بدار العلم .

(*) هذا ما هو حاصل في العطف تماما ، ولكل قرية كيفيات وطرق في دار الغاسلات.

المهام تنجز مجانــا لوجه الله

ان كل ما تقوم به هيئات العزابة ، وشيوخها ، وكل الهيئات التابعـة لها من أعمال وتدريس ، أو وعظ و ارشاد ، تقصد به وجه الله تعالى لاتبتغى من وراء ذلك جـزاء ولاشكورا . فهم لا يتقاضون الأجور على اعمالهم وانما ملازمتهم للمسجد تجعلهم كغيرهـم يتمتعون ببعض الأوقاف التى يرصدها لهم المحسنون لله من اجل عمارة المسجد و احياء العلم كبعض الصدقات التى تتمثل فى التمر ، والخبز ، او الطعام احيانا وخاصـــة فى مناسبات نظام " المقابر " (*) حسب العرف الجارى به العمل منذ قرون خلت .

وليس هذا كشرط لأداء المهام ، والقيام بالأعمال من طرفهم ، وانما قصد ارباب الأوقاف بها أهل الورع و التقوى . وتشجيع مشاريع الخير ، وعمارة المسجد ، والمحاضـــر وحفظ القرآن والمواظبة على مجالس التلاوة ، وكفالة الطلبة ليتفرغوا للدراسة والعلـــم والمحافظة على القرآن الكريم . كان العلماء والدعاة فيما مضى يطوفون القرى والبوادى والاماكن النائية ، ويحتكون بالعامة يعلمونهم أمور دينهم ، ويذكرونهم بالله والآخـرة ويحرضونهم على طاعة الله (1) ، طلبا للاجر من الله والمغفرة والثواب . و خدمة الدين والمذهب ، والوطن وليس قصدهم نيل الدنيا ولا تقاضى اجرة معلومة (2) فتنافسوا من أجل كسب العلم ونيل ثواب الله فى الآخرة . ولعله من المفيد الاستشهاد بما قالـه ابو نصر فتح بن نوح فى هذا المعنى :

احب فتى ماضى العزائم حازمـا	لدنيا واخـرى عاملا بالتشمـر
واما أخو النومـات فلا مرحبا به	ولا بالجثوم (الراكد) المتدثـر (3)

فمما هو معلوم ان الاباضية لا يجيزون تعليم القـرآن بالاجرة كـما سبقـت الاشارة الى ذلك ، وان حدث وان قدمت للمعلم الاجرة وقبضها فانما هو فى مقابـل برى الاقلام وتعليم الخط والآداب ، وحراسة الطلاب ، وكفالة المصاريف التى يجـود بها هو نفسه من أجل أن يعلم و لأنه تفرغ الى هذا الصنيع ، حتى لا يؤول الأمر الـى انتشار الاميـة (4) والا فمن اين يعيش ؟ .

فقد أقر علماء الاباضية قاعدة عامة وهي " حرمة أخذ الاجرة على الطاعات (5) .

يعتمد العزابة على كد يمينهم فى معيشتهم ، فمنهم الفلاح ، والتاجر ، والحرفـى ، والمجتمع عندهم يحب العمل ويتفانى فى الاخلاص فيه حتى لا يعيش بطالا أو كلا على غيره ، ويمجد العامل مهما كان نوع عمله ، فعندما يرى عزابى فى ثوب عمـل أو فى بستانه يزيده ذلك احتراما و تبجيلا . أصبح الآن منهم الموظفون ، والمديرون و الأساتذة فلا يزيدهم ذلك الا احتراما فى أوساطهم ، والعامة تكره البطال والمتبختر بثيابه الفاخرة اثناء أوقات العمل ، وتحب الجاد الذى يعمل للدين والدنيا .

(*) فى كل مدن " ميزاب " نظام موسمي لتلاوة القرآن وتفريق الصدقات والاوقاف فى المقابر . سياتى بيان ذلك .

(1) الوسيانى : سير . . . ج 2 ، ورقة 71 – الدرجينى : طبقات . . . 1/ 121 البارونى سلم العامة . . ص 24 . – بكلى عبد الرحمن : مقدمة على طبقات الدرجينى : 1/ د .

(2) ابو اليقظان : بيانات . . . ورقة 13 . – بيوض حديث شخصي .

(3) عبد العزيز المصعبى الاسرار النورانية على المنظومة الرائية ص 14، 18 المطبعة البارونية مصر 1306 هـ .

(4) الدرجينى : طبقات . . . 2/ 399

(5) الجيطالى : قواعد . . . 2/ 233 . 34 بكلى عبد الرحمن تعليق على كتاب قواعد . . . للجيطالى : 2 رقم 2/ 234 – 35 هامش 1 انظر الملحق رقم 5 (العاشر) القواعد

ان جميع اعضاء الحلقة وشيوخها يعملون تطوعا لوجه الله تعالى ، وتمنع قوانين الحلقة اخذ الاجرة على أعمالهم ، فمنذ ظهور هذا النظام فى عهد ابى عبد الله محمد بن بكر الى الآن لم تعط العزابة أجرة أو جراية على اعمالهم فعملهم تطوعي و مبني على التضحية لوجه الله تعالى ، فلم تجد كل المحاولات لاغرائهم بالمال فهم يعتمدون على أنفسهم فى العمل والكسب وتمويل اسرهم .

ثانيا العوام

العوام هم غير الطلبة[1] اى العامة ، يشكلون عنصرا حيويا فى المجتمع . ووضعه و ممتلكاته ، وامنه ، واقتصاده وراحته . فالعوام هم الاشخاص الذين يقومون بالخدمات الاجتماعية فى المجتمع الاباضي ، ولا يندرجون فى سلك الطلبة ، اى جميع الناس الذين يشتغلون فى الاعمال غير العلمية ، ولا يقومون بأية مهام دينية[2] .

فاذا ما انقطع عالم عن ميدان التعليم والتدريس والتأليف فانصرف الى مهام أخرى كالفلاحة ، والتجارة والصناعة ، والوظيف فانه لا يستثنى من جماعة العوام[3] . وليس معنى العامى اذا هو الآمي أو الجاهل . وانما باعتبار العمل والمهمة التى يقوم بها فى المجتمع . فاذا كان رئيس عشيرة ما عالما ولكنه انصرف عن ميادين العلم ، وتولى القيام بشؤون عشيرته دون ادنى ارتباط بالميادين العلمية ، اوكان بعيدا عن هيئات الطلبة الثلاثة أصبح ضمن العوام وهذا باعتبار عمله وما يقوم به .

فالعوام اذا هم المشتغلون بأمور وأعمال الحياة دون أن يكونوا مرتبطين بأعمالهم أو مهام دينية ، او ميادين التعليم مهما كان مستواهم .

١) العشيـــــرة

معنى العشيرة : يمكن تعريفها بكونها عبارة عن مجموعة من الأسر تربط بينهما أوصر القرابة ، وعلاقة الرحم[4] ، او هي فى الاصل تتألف من مجموعة افراد ينتمون الى جد اعلى لهم . وممن ينظمون اليهم ممن لا يمت اليهم بصلة النسب أو القرابة وحتى من حيث الجنس بالذات احيانا[5] . هذا بالنسبة الى ما هو موجود فى ميزاب ، فهي فى الاصل بمثابة القبيلة كما هو الشأن عند العرب والبربر منذ ازمنة ما قبل الاسلام ، وقد ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم عند سياق التعريف بالخلق ، وتمييز بعضهم من بعض للتعارف فيما بينهم مستهدفا تعالى بيان التفاضل بالتقوى ، وذلك فى قوله تعالى : "يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم"[6] . فالعشيرة تتركب من بيوتات ، والبيت يتركب من عائلات ، فهي بمجموعها تعتبر كوحدة عائلية لا انفكاك بين اجزائها[7] . والعائلة هي التى ترجع الى جد أعلى يجمعها . ويطلق على اسم العائلة أحيانا كلمة " الدار" او " آت " فلان[*] هؤلاء الجدود

P:100.

(1) ابو اليقظان: بيانات... ورقة 14. LEWICKI: E.I.ART "HALKA",T3.

(2) على معمر : الاباضية ..2/ 137 .ـ عوض النظم ...ص 0106

(3) نفس المكان .

(4) على معمر : الاباضية ... 4/ 547

(5) اسماوى صالح : دور العشيرة فى المجتمع ،(محاضرة) ورقة 2 . 8 أوراق

(6) سورة الحجرات الآية 13.

(7) توفيق المدنى : المرجع السابق ص 121.

عنوان لكل عائلة أو اسرة فهم عادة اخوة ينتمون الى آب واحد . وهذا الآب هو أصل تلك العائلات أو الاسر ترتبط به ، وبأحفادها و ما سفل يتكون منهم ما يسمى بالعشيرة فتعرف باسمه اى باسم الآب لتلك العائلات (1).

وتسمى مجموعة العائلات التى تنحدر فى اغلب الاحيان من جد واحد باسم " العاقلة " (2) وهذه عرفت فى تحمل الديات عند قتل الخطأ لآن الشخص لا يستطيع اذا قتل خطأ آن يدفع الدية بمفرده ، فأوجب الشرع الاسلامي آن تتضامن معه عشيرته . ومثل ذلك فى الجراحات التى تجب فيها نصف الدية (3) .وذلك لتحقيق أهداف اجتماعية سامية و ردع لافراد العشيرة عن ارتكاب الجرائم بجعل افرادها مسؤولين عن الامن العام . وصيانة الأرواح . والمحافظة على كرامة الانسان .

ورد ذكر اسم العشيرة فى القرآن الكريم عندما خاطب الله تعالى نبيه محمداً (ص) لما امره ان يصدع بالدعوة ويقيمها حجة على اهله وذويه أولا قائلا : " وأنذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين " . (4)

هل العشيرة فى كل قرى " وادى ميزاب " تنتمى الى جد أعلى لها ، ام هناك افراد من عشائر أخرى ، واقوام آخرين لا يمتون اليهم بصلة ينضمون اليهم فيعتبرون عشيرة واحدة ؟ .

تفتح العشائر فى ميزاب ذراعيها لكل من يطلب الإنضمام اليها اذا توفرت فيه الشروط المطلوبة من تقوى الله والايمان به وبرسوله محمد (ص) والخضوع لقوانينها يسمى الذين ينضمون للعشيرة وينخرطون فى صفوفها دون ان تربط بينهم وبينها علاقة قرابة أو نسب يسمون " النزلاء" وبقبولهم فى صفوف العشيرة ينطبق عليهم الانتماء فيسمون باسمها وذلك لعلاقة الدين الاسلامى والمصلحة الاجتماعية العليا ، و الاقامة فى نفس المدينة دون التقيد لدى الاباضية بمذهبهم ، فهولاء يلحقون بالعشيرة بالولاء (5) مثل الملونين الذين ينحدرون من صنف العبيد لما كانت المتاجرة بهم فى أزمنة قديمة ، فهولاء يوجدون بمختلف العشائر فى " ميزاب" آو ينضمون اليها فيصبحون من آبنائها دون آن تربطهم صلة بالجد الآعلى للعشيرة فيصبح لهم ما لكل افراد العشيرة من حقوق و واجبات دون تفاضل آو تمايز ، فحسب ما تذكره التقييدات و ترويها الألسن و تشهد بها الأسماء ، فان العشيرة ينظم اليها احيانا افراد آو عائلات من عشيرة أخرى ومن مدينة من مدن ميزاب ، أو احيانا أخرى من بعض مدن الاباضية بالمغرب الاسلامى منذ القرن الخامس الهجرى بل من غير الإباضية أحيانا ، فيصبح الفرد آو العائلة بأكملها معترفا به قانونيا وعرفيا أنه جزء لا يتجزأ من العشيرة التى نزل فيها أو احتمى بها لعوامل مختلفة ، فهذا النوع من التركيب للعشيرة يفصح عن نفسه بنفسه انه بعيد عن العصبيات العرقية والمذهبية (6) . ان الاخوة الاسلامية الراسخة

---

(1) اسماوى صالح : المرجع السابق . . . ورقة 3 .
(2) (3) الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 61 .
(4) سورة الشعراء الاية ــ 215 .
(5) (6) الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 61 .

هي الرباط المتين بين العشائر لا الدم ولا العصبية القبلية الجاهلية[1] " فالعشيرة بدورها لا تتدخل فى مذهب الشخص الذى ينتمى اليها "[2] فقد انتمت عبر التاريخ العشرات من العائلات العربية المجاورة لـ " ميزاب " الى عشائرها فأصبحت من كيانها[3] وهذا راجع الى التسامح الدينى ، وعدم التعصب المذهبى ، والتزام السلف بمبادئ الدين الاسلامى .

ونظرا الى ما تقوم به العشيرة من خدمات لابنائها وأمور مهمة لمجتمعها فقد فرضت وجودها و سمعتها فى كل مدينة من مدن " ميزاب " اذ قل ان ينزل أحد افراد عائلة ما فى أى بلدة من بلدان " ميزاب " ويطول بها المقام فيها اكثر من عام دون ان يقدم انتماءه الى احدى عشائرها لانه يجد " العاقلة (*) " تحميه وتدافع عنه وتعينه فى دفع الدية عند القتل الخطأ[4]- ان حصل - وبتوزيع الدية على العشيرة تخفيف عن القاتل و من وسائل القضاء على أسباب العداوة لاطفاء جمرتها بين الناس[5] . تقوم العشيرة بالاجراءات الضرورية لحماية افرادها ورعايتهم و المحافظة على سلامة كل منهم ." وتأخذ بحقه اذا قتل ، ولذلك لا يشعر المواطن بالأمن فى البلدة الا اذا انتمى الى عشيرة ما وهذا يشبه اخذ الجنسية من البلد الذى يستقر به الانسان فى اى بقعة من العالم[6].

فالعشيرة اذا عبارة عن تجمع افراد نواته أسر تنتمى الى جد اعلى لها وكذلك من يندمج فيها بالولاء من أجل تنظيم التكافل الاجتماعى ، وصيانة افراد المجتمع وحمايتهم على أساس اداء الواجبات ، والتمتع بالحقوق ، واداء حقوق القرابة " وآت ذا القربى حقه " فالعشيرة بمثابة " تأمين الفرد "[7] فى التنظيم الاجتماعى الذى نظمه الاسلام على أساس الاخوة الاسلامية العامة ، وجعل كل من ينضوى تحت علمه أخا لصاحبه له ماله وعليه ما عليه[8] . فالنظام الاجتماعي فى الاسلام مما يطبق بـ " وادى ميزاب " بني على اساس العشائر بهذا الاعتبار الذى رعاه الاسلام .[9]

يبدو ان نظام العشائر عند الاباضية اقدم من نظام العزابة لما ثبت من حقيقتين تاريخيتين :

1) رعاية الايتام وكفالتهم . فالاباضية يوكلونها للعشيرة . والايتام موجودون فى كل زمن ومكان .

2) دفع الدية فى القتل الخطأ من اختصاص العاقلة وهي العشيرة تسندها لها الدولة الرستمية[10]

---

(1) دبوز: نهضة ... 1/ 234 .
(2) الحاج ايوب: رسالة ... ورقة 61
(3) نفسه
(*) العشيرة
(4) الحاج ايوب : رسالة ورقة 63
(5) ابو اليقظان: النظام الاجتماعى بوادى ميزاب" (الحلقة الثامنة) بحث نشر فى جريدة " وادى ميزاب " العدد 107 ، السنة الثالثة ، 18 جمادى الاولى 1347هـ 2 نوفمبر 1928 . الجزائر .
(6) (7) الحاج ايوب: رسالة ... ورقة 63
(8) (9) ابو اليقظان : النظام الاجتماعى ... 82
(10) الجعبيرى : النظام ... ص 114 .

يقوم النظام العشائرى فى " ميزاب" بجانب التنظيمات الدينية بدورهام على مستوى القاعدة والقمة لاستئصال جذور العداوة والفتن والقضاء على اسبابها [1] بفضل جهود العزابة والمصلحين أصبحت العشائر تقوم بواجباتها الاجتماعية والدينية [2]

ان دورومهام العشائر فى " ميزاب" لجد كبير بفضل التنظيمات والمنجزات الجبارة التى تقوم بها فصارت العضد الأيمن لهيئة العزابة ، والقوة التنفيذية لقراراتها [3]

فكيف يتم ذلك ياترى ؟

ان الاسلام لم يلغ مبدأ وجود العشائر فى المجتمع بل ألزم حقوق ذوى القربى وأرسى دعائم الاخوة فى الله تعالى تلك الأخوة الاسلامية العامة على أساس التفاضل بالتقوى ، فأزال بذلك مبدأ الجنسيات والعنصريات ، وما هو مثار الفتن والمشاحنات فاقر ما هو أساس التعارف والتناصر والتآزر والتعاون على البر والتقوى فعلق على هذا الاساس حقوقا [4] وفرض واجبات .

اثبت الشرع الاسلامي الحنيف سلطة عتيدة للعشيرة فحملها تكاليف ومسؤوليات ثقيلة تؤديها لأبنائها وخاصة القصر والأيتام والأرامل والعجزة وحق التوكيل ومصالح المجانين والغياب وجعلها مسؤولة على جناتها فيما هو غير عمد [5] .

كان النظام الاجتماعى بوادى ميزاب مبنيا على أساس العشائر بالاعتبار الذى راعاه الاسلام ، فان حق التمثيل فى هيئة العزابة ، وهيئة الجماعة ، وهيئة الحراسة وكذا اطار الأمناء (*) ينبثق من العشائر ، هذا ما كان عليه الوضع قبل الاحتلال الفرنسي 1882 بصفة خاصة . ولما احتلت فرنسا البلاد ضايقت مؤسساتها ونفوذها ومنها العشائر فكانت نواة تكوين نظام البلديات واخضاعها "القائد" لتنافس بها هيئة العزابة ومهامها وتقضى على نفوذها الى ان اصبحت البلدية خاضعة لنفوذ وقوانين الدولة [6] لكن نظام ميزاب الإجتماعي يعتبر رغم كل العراقيل والمضايقات سبب نهضته وسر قوته ومحافظته على دينه الاسلامى ولغته العربية التى يحذقها بحيث لم يقو الإستعمار على التأثير فيه برذائله وإباحيته [7] .

مجلس العشيرة : لكل عشيرة مجلس ادارى يتولى مهامها وادارة شوؤنها الخاصة والعامة وعلاقتها بالعشائر الأخرى وله مهام كثيرة .

يتكون مجلس العشيرة عادة من رؤساء العائلات فى العشيرة [8] ، فهو غير محدود العدد ، وهم زعماء العشيرة من ذوى الرأى الحصيف والفضل [9] او هم وجهاؤها وسراتها ذوو الحكمة والخبرة والدراية ، وحسن السيرة والعدل ، ويفضل من يتمتع فضلا عن ذلك بالعلم والورع والتقوى والصلاح والكفاءة العقلية والخلقية. [10]

---

(1) فخار ابراهيم : الجماعات الاباضية . . . 114 .
(2) (3) بيوض حديث شخصي ـ بكلى عبد الرحمن : حديث شخصي . الحاج ايوب حديث شخصي .
(4) ابو اليقظان : المرجع السابق ـ دبوز : نهضة . . . 1/ 232 .
(5) توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 121 ـ بيوض حديث شخصي .
(*) بمثابة الخبراء : سياتى الحديث عنه .
(6) ابو اليقظان : المرجع السابق .
(7) دبوز: نهضة . . . 1/ 149 ـ 234 .
(8) توفيق المدني : المرجع السابق ص 121
(9) على معمر : الاباضية . . . 4/ 547 ـ 8
(10) دبوز نهضة . . . 1/ 234 ـ عوض النظم . . . ص 47 ـ

يمكن الاستدلال على تأليف "مجلس العشيرة" وشرعيته ودوره من تأمل علاقة الانصار بالرسول (ص) بعد بيعة العقبة الكبرى لما قدم اليه سبعون رجلا وامراتان ، فقد أمرهما (ص) ان يخرجوا من بينهم اثنى عشر نقيبا يمثلون قومهم وينوبون عنهم فامتثلوا لذلك ، وأخرجوا " تسعة من الخزرج " و " ثلاثة من الاوس فخاطبهم (ص) قائلا لهم :
" انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي "(1)
يبين لنا هذا الموقف أن هناك نقباء ، أو رؤساء أو ممثلين عن القوم أو القبائل ، و اقرار ما هو واقع معيش هو وجود نظام اجتماعى عند العرب قبل الاسلام يتمثل فى القبيلة لكن غاية ما هنا لك أن تسير بمقتضى الاسلام من تنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه ، و ترتبط بعلاقات اسلامية على أساس مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتأدية حقوق ذوى القربى واليتامى والمساكين وصيانة الاهل والمجتمع. (2)

فقد طور ابو عبد الله محمد بن بكر نظام العشائر و وحدتها داخل كل قرية وانتخب رئيسا لها .

يقوم مجلس او ادارة العشيرة بمهام كثيرة داخل العشيرة و خارجها مما لا يتعارض مع اعمال وتوجيهات هيئة العزابة (3) . بل يعتبر اكبر عضو وعمدة اساسية ، ولها صلة وثيقة بها ، كما أن مجلس العشيرة يعتبر سلطة تنفيذية لمجلس العزابة ، ويسير بمقتضى توجيهاته (4) ، كما يعتبر مساعدا قويا لمجلس المكاريس (*) (5) تتلخص مهام مجلس العشيرة فيما يلي :

1) اختيار رئيس العشيرة تزكية عامة أفرادها و تنتخبه للرئاستها (6)
2) اشتراك مجلس العشيرة مع رئيسها فى المسؤولية عن مصالح العشيرة. (7)
3) دراسة جميع أحوال العشيرة و دخائلها .
4) دراسة جميع المشاكل التى تحدث داخل العشيرة واتخاذ الحلول لها .
5) معالجة الانحرافات التى تقع من بعض افراد العشيرة.
6) التعاون مع مجلس العزابة وابلاغ الحالات المستعصية اليه ليتخذ فيها قرارا.
7) التعاون مع المكاريس وتشجيع ذوى الكفاءة الى الانضمام اليهم .
8) جمع ما يفرض على العشيرة من أتاوات أو ضرائب أو غرامات . او التزامات باساليب تتفق والمستوى الاقتصادى لكل أسرة ثم ايصال ذلك الى الجهة المختصة (8)
9) مراقبة سير كل أفراد العشيرة فى الميدان العلمى والاقتصادى والاجتماعى الخ (9)

---

(1) الغزالى محمد : فقه السيرة . . . ص159 ، ط 7 ، مؤسسة عالم المعرفة بيروت 1976 م .
(2) التمينى محمد : مفهوم الشورى . . . ورقة 06 .
(3) عوض : النظم . . . ص 47 .
(4) النورى : نبذة . . . 1/ 171 .
(*) سيأتى الحديث عن المكاريس.
(5) على معمر : الاباضية . . . 4/ 548
(6) (7) دبوز نهضة . . . 1/ 234 .
(8) على معمر : الاباضية . . . 4/ 548.
(9) دبوز : نهضة . . . 1/ 235 .

10) الاشراف على المآتم والاعراس وتنظيمها حسب تعليمات وقوانين مجلس العزابة.
11) اصلاح ذات البين وفض الخصومات بين افراد العشيرة، وبين ابنائها وغيرهم من العشائر الاخرى بالاتصال بروسائها.
12) معالجة المشاكل والتوترات ومشاكل الاسرة والطلاق والحضانة وايجاد حلول مرضية بمقتضى الشريعة الاسلامية والاعراف التي لا تتصادم معها حتى لا تصل الى المحاكم وجهاز القضاء.[1]
13) تأديب المنحرفين ومعاقبة المصرين على ذنوبهم بالجلد والتعزير الخ [2]
14) الاهتمام بايجاد العمل ومحاربة البطالة.
15) رعاية الايتام والفقراء والمعوزين والارامل وكفالتهم.
16) الاهتمام بالقصر، وتعيين وكلاء عليهم، ومراقبتهم، ومحاسبتهم.
17) الاهتمام بالافراح وتنظيمها والاشراف عليها واعانة الفقراء وتزويجهم. [*]
18) الاهتمام بالتعليم اشد الاهتمام وكفالة الفقراء واعانتهم لمواصلة دراستهم.
19) تحريض ابناء العشيرة على التطوع في الاعمال الجماعية للمدينة كنظام السخرة.
20) محاربة الاسراف بالتحجير وتعيين وكيل على السفيه ومراقبته ومحاسبته.
21) صرف الزكاة على أربابها من فقراء العشيرة [3]
22) التعاون مع هيئة العزابة ورفع امر كل من لا ينصاع لها او يتمادى في جريمة الى هيئة العزابة. [4]
23) اعانة ومواساة من يتعرض للافلاس من ابنائها للتغلب على مصاعبه [5]

جنى" وادى ميزاب" فوائد جمة من نظام العشائر التي تسعى الى تحقيق التكامل الاجتماعي وانقاذ المجتمع من العوز والفقر، والاحتياج، وصيانة الاسرة. وتشجيع الزواج واعانته وتوفير كل وسائل نجاحه وسعادة الاسر. واصلاح ذات البين للقضاء على التوترات وانفصام عرى المجتمع، والوقوف امام الوسائل التي تؤدى الى الطلاق، وعملت على ارساء قواعد التعاون والايثار، وتعميم المحبة [6] وتشجيع كل انواع البر والاحسان فكانت أكبر معين لنظام العزابة والمكاريس وسببا لتقدم المجتمع كله بسرعة لاعتناء واهتمام كل عشيرة بابنائها وبناء نفسها [7] فأصبحت دعما قويا للمجتمع والدولة في مقاومة الآفات الاجتماعية، وتنظيم الانتخابات بجانب البلديات في الوقت الحاضر.

وتعتبر العشائر من أكبر أسباب نهضة ميزاب الحديث [8] والصمود في وجه الاستعمار [9]

---

(1) دبوز: نهضة... 1/ 236 الحاج ايوب رسالة... ورقة 63.
(2) نفسه - منعت العقوبات البدنية بقوانين وضغوط منذ العهد الفرنسي لكنه لم يقدر منع سياج البراءة، وتقديم العشيرة النصح والتوجيه أو التوبيخ. الخ..
(*) أصبحت الآن الأفواج جماعية تقيمها العشيرة لمجموعة ابنائها مرتين في العام في بعض القرى صيفا وشتاء، فتطورت الى عرس لكل ابناء البلدة وهو ما يعبر عنه بعرس المسجد لانه يقام فيه (كما في بريان).
(3) دبوز: نهضة... 1/ 238.
(4) دبوز: نهضة... 1/ 236 - عوض النظام... ص48 - الحاج ايوب: رسالة ورقة 63
(5) دبوز نهضة... 1/ 237.
(6) (7) دبوز: نهضة 1/ 233.
(8) (9) دبوز نهضة... 1/ 234 - الحاج ايوب: رسالة... ورقة 64 - 65.

ب مجلس العوام

ان اهم قسم او صنف من اصناف العوام هو ما يعبر عنه ب" مجلس العوام " فمجلس العوام يمثل ما يعبر عنه بمفهوم متعارف منتشر فى المغرب الاسلامى خاصة وهو" الجماعة " فنظام الجماعة يوجد بمنطقة الاوراس" و (" القبائل " وجهات من مناطق الوطن العربى ، فمن عادات وطبيعة الامازيغ " البربر" الخضوع للعائلة ، والتشبث بالنظام العائلى فمجموع العائلات يؤلف الخروبة ومجموع الخروبات يؤلف القبيلة ، والقبيلة وحدة متضامنة متآلفة [1] " لها عادات وتقاليد وأعراف تسير بمقتضاها ، تجتمع القبائل فى جد اعلى هو اصل العائلات والخروبات" [2] . و

وفى كل مدينة من مدن ميزاب مجموعة عشائر وكل عشيرة لها رئيس تنتخبه اذا توفرت فيه شروط معينة ، وهو اقدم عزابتها غالبا [3] ويسمى كذلك رئيس العشيرة المختار عرفا ب" المقدم" أو ب" الضامن" فى بعض القرى [4] . فمن مجموع هؤلاء المقدمين [*] و" الضمان " يتكون منهم مجلس أى من رؤساء العشائر . أو ممثليها فى كل قرية — فيسمى ب" مجلس العوام" و مجموعهم فى كل قرية او مدينة فى فترة من الزمن ليست ببعيدة جدا ما يعبر عنه ب" المجلس البلدى " او " الجماعة" يتكون هذا المجلس من اعضاء العشائر المقدمين اليه بالتساوى حسب عددها الموجود فى كل قرية [5] ومن بينهم ينتخبون رئيسا [6] .

للأمازيغ ما يشبه هذا النظام مما تعارفوا عليه وهو ما يعبر عنه ب " مجلس الجماعة" تتكون من رؤساء الخروبات ، والمشايخ والاعيان [7] ، يلقب اعضاؤه ب" الضمان " وينتخب هؤلاء كل سنة رئيسا ، يترأس" الجماعات العامة " ويتولى تنفيذ قراراتها [**] [8] .

ان نظام الجماعات المرتكز اساسا على التمثيل العشائرى ، لم يبتكره ابو عبد الله واصحابه بل هو نظام سائد فى كل بلدان المغرب [9] فكما هو موجود فى ميزاب او الصحراء بصفة عامة فانه يوجد فى الشمال و ما زال بنوع او بآخر ب" الاوراس" [10] و" القبائل " الخ . .

ان أهم تنظيمات ابى عبد الله و توجيهاته فى هذا الموضوع هو ادراكه لخطر النزاع العشائرى او القبائلى وما يحمله من تعصب وروح التفاضل والشنآن الخ . . .

فنظم هذا الجهاز تنظيما محكما . فركز على الدين الاسلامى عن طريق نشره بالدعوة والتعليم والتثقيف والتوجيه ليكون رباطها على أساس حق القرابة ، وتوحيد شمل كل قرية فيما بين عشائرها على أساس التقوى والاخوة فى الله ليجني المجتمع من ذلك كل خير فيتعاون على البر والاحسان ويبتعد عن الاثم والعدوان مصداقا لقوله تعالى : "

---

(1) (2) توفيق المدنى : كتاب الجزائر . . ص 107 .
(3) (4) الحاج ايوب رسالة . . . . ورقة 38 .
(*) واحيانا تطلق عليهم تسمية " المقاديم "
(5) الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 38 . - MERGHOUB : Le Developement...P.29
(6) الحاج ايوب رسالة . . . ورقة 38
(7) توفيق المدنى : كتاب . . . ص 108 .
(**) يسمى " امرار " الكبير" الامين " امقدما " دوره الذى يقوم به كدور رئيس البلدية وهو الراعى للرعية ، فهو رئيس الجماعة: انظر توفيق المدنى : كتاب الجزائر ص 108 .
(8) توفيق المدنى : كتاب الجزائر . . . ص 108 .
(9) (10) " ى : مفهوم الشورى . . . ورقة 05 .

" وتعاونوا على البر والتقوى و لاتعاونوا على الاثم والعدوان" (1)

صهر ابوعبد الله تلك العشائر على مبدأ التقوى والتضامن والتعاون الجماعى فعمق مفاهيم وعقائد المذهب الاباضى وفكره ، فوضع طرقا لنشر تعاليمه ، وتوسيع آفاق الثقافة الاسلامية ، واللغة العربية على كافة افرادها بنين وبنات ، رجالا ونساء لينتقي " من طلابها وطالباتها اعضاء مجالس العزابة الذين تتكون منهم السلطة الزمنية و الروحية" (2)

وحد ابوعبد الله محمد بن بكر العشائر فى كل قرية على اساس اسلامى باعتباره دين توحيد ووحدة ، واتخذ وسائل ، فى داخل كل قرية لانتخاب رئيس لها انتخابا ديمقراطيا وأسند كامل السلطة التنفيذية الى هذا الرئيس" (3)

علاقة مجلس العوام بالعزابة .

لمجلس العوام مهام كثيرة يكاد يكون مستقلا بها لكن اتصاله بمجلس العزابة قوى ومتين . فمنه يتلقى توجيهاته رأسا " فتخول له بطريقة سليمة وروحية " (4) القيام بتنفيذ قراراته (5) ، والعمل بتوجيهاته ، فهو لا يصدر قرارا او يتبنى عملا لا يتماشى او يتعارض مع رغباته أو اتجاهاته ، (6) واذا ما عجز عن حل مشكلة ما فانه يلتجيء الى مجلس العزابة للمداولة فيها والبحث عن الحل المناسب لها (7) كما ان مجلس العزابة لا يصدر قراراته التى تمس الجوانب الاجتماعية التى هي من اختصاص مجلس العوام الا باستدعائه ، او استدعاء بعض ممثليه حسب نوع القضايا واهميتها بالنسبة لكل قرية ، او بالنسبة لمجلس العزابة الأعلى فيناقشون القضايا والمواضيع التى تهم المجتمع الاباضي فى ميزاب عامة فيصدرون بعد ذلك قراراتهم حولها باتفاق ومراضاة .

فكم من اتفاقيات صدرت باسميهما معا تتخذ تعبيرا متعارفا يملأ وثائقها ، وهو " الطلبة والعوام" (*) او " جماعة المسجد والجماعة" (**) أو " اعضاء الحلقات والجماعات (***) او " اتفاق العزابة مع العرش" (****) . كما ان الطرفين معا يناقشان مسائل حيوية ، او قضايا من الاهمية بمكان تتعلق بتغييرات جذرية على صعيد المجتمع أو مصيره المشترك ، او مجابهة قضايا مستجدة تتطلب حلولا سريعة أو حتمية

---

(1) سورة المائدة الاية : 2 .
(2) التميمى : مفهوم الشورى . . . ورقة 06
(3) نفسه
(4) النورى : نبذة . . . ج 1 ، ص 171 .
(5) النورى : نبذة . . . 1/ 171 . ـ دور منغاهم : الذكرى . . . ورقة 09
(6) عوض : النظم . . . ص 49 . ـ الحاج ايوب : رسالة . . . ورقة 38 .
(7) عوض : النظم . . . ص 49 . ـ الحاج رسالة . . . ورقة 38 .=
LEWICKI: E.I. Art. HALKA , P. 109

(*) انظر وثيقة تحت عنوان " اتفاق فى المسجد الكرثى " فان طلبة واعوام خمسة قصور واد ميزاب . . . التعبير باللهجة العامية واضح فى العنوان والصحيح (عواما) (وادى) . وثيقة حول " الصلح بين أولاد مطهر وغيرهم من اهل مليكة . " فى روضة " ابى مهدى عيسى بن اسماعيل . . " عن اهل مليكة طلبة واعواما . . . " وملحق وثيقة رقم (18) ورقم (13) وغيرها ـ انظر : MILLOT
(**) انظر ملحق وثيقة رقم (18)
(***) انظر ملحق وثيقة رقم (13)
(****) انظر : ملحق وثيقة رقم (19)

لها تأثير مصيرى او ايجاد حلول ملائمة ولكن يكتنف نتائجها على المستقبل والاجيال غموض، أو تتطلب مغامرة تحت الامر الواقع رغم عدم الاطمئنان الى عواقب مجهولة في المستقبل القريب او البعيد ، فمنذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الى اواخر الثامن و أوائل التاسع الهجرى (الرابع عشر الميلادى) كان الاباضية يقيمون وحدهم (1) بوادى ميزاب " وكانو يقومون بتبادلات اقتصادية مع القبائل الرحل باستمرار فى الصحراء وللمرة الاولى فى القرن الرابع عشر الميلادى يستقبل الاباضيون عناصر ، اوعشائر من غير مذهبهم أو ملتهم تتمثل فى عشيرة يهودية قدمت من " جربة"(*) مختصة فى الصناعات المعدنية (2) . ثم استقبلت "ميزاب" مجموعة من "المالكية" طردت من طرف قبائلها . استقبلها الميزابيون لأسباب اقتصادية و/أو لتعزيز قواهم العسكرية . إلا أن هذا الاستقبال فى تلك الظروف لعناصر غير إباضية من جهة ، وعن الدين الاسلامى أيضا . تشكل بطبيعة الحال مشاكل حول ادماج يخشى منها انحلال الجماعة الاباضية (3) على ضوء هذا الوضع المستجد عقد مجلس العزابة مع مجلس العوام اجتماعات استمرت مداولاتهم حول الموضوع بغية تجنب المنطقة خطر حرب اهلية ، وتوقع اختلال فى التوازن يؤدى الى اضطرابات خطيرة ، وكان استقبال "ميزاب" لـ"بنى مرزوق" (**) ولنزالهم فى عشائر غرداية قد بدأ فى سنة 1429 م ، وفعلا تم ما كان متخوفا منه . اذ حدث فى سنة 1441 م ان حوصرت " غرداية " من طرف بعض القبائل الرحل القادمة من الغرب غانض" بنو مرزوق الذين انزلهم الاباضية فى عشائرهم بـ"غرداية " الى الرحل المعتدين ، ولما انتهت الحرب طردتهم "غرداية" ولم يعودوا اليها الا فى سنة 1445م لما اجتاح الفقر المنطقة ، وعانت من نقص فى اليد العاملة (4) . اضطرت "غرداية" تحت وطأة الظروف ان تتخلى عن سياسة العزلة بعد ان اقرت مبدأ الانفتاح على الشعوب الرحل بشروط معينة لتحقيق اهداف استراتيجية اقتصادية وعسكرية وامنية (5)

ان عقد الاجتماعات بين حلقات العزابة وجماعات العوام كان نتيجة التنظيمات المحكمة للتداول فى القضايا المشتركة ، وتنسيق الجهود لاتخاذ الاحتياطات اللازمة والضرورية للدفاع عن مذهبها وأخلاقها فاعتبرت تلك الاتفاقيات قوانين تسير عليها البلاد (***)

---

(1) MERGHUOB : LE DEVELOPPEMENT P. 36

(*) قيل ان عمى سعيد الجربى لما قدم من جربة استقدم يهوديا يقصد انعاش الصناعة الحرفية لأنها لم تكن موجودة فى ميزاب آنذاك ليطور اقتصاده .

(2) (3) MERGHOUB / LE DEVELOPPEMENT P. 36

(**) انظر عنهم ص

(3) (4) MERGHOUB / LE DEVELOPPEMENT P.36

(5) MERGHOUB/ LE DEVELOPPEMENT P. 40

(***) - أنظر [illegible]

مهام "مجلس العوام" :

يتمتع "مجلس العوام" بمهام كثيرة يكاد يكون مستقلا فيها نظرا لكونه يتولى السلطة التنفيذية [1]، فنفوذه اداري [2]. اد يتولى مهمة الدفاع الحربي عن المدينة اذا ما تعرضت لهجوم [3]، ويتولى الشؤون الداخلية والخارجية للمدينة ولا يتعدى فيها صلاحيات مجلس العزابة [4]، ويتولى استقبال رؤساء القبائل المجاورة عند مقدمها، وكذا البعيدة عند عبورها "ميزاب" ويقوم باستضافتهم، والاعتناء بدوابهم، وربطها في اصطبلات معدة للمناسبات مثل هذه، وغيرها، بجوار مقره وهو عبارة عن دار معروفة بدار "النزالة" مجاورة لسوق المدينة، أما مقر اجتماعاته ففي السوق بمحل معد لذلك [5]، يتحمل "مجلس العوام" كل مهام شؤون البلدة بالتنسيق مع "العزابة"، فهو مرجعه الاساسي في اعماله الكبرى الخاصة بتصريف شؤون المدينة، ويعقد معه اجتماعات في ظروف ومناسبات وتكون بمقر العزابة في المسجد، ويستعين بالعزابة في الخدمات التطوعية التي ينظمها ويقودها ويشرف عليها، فدور العزابة هو توجيه العامة، وارشادها وتحريضها [6] وبيان فضل العمل المخلص لله وما فيه من فائدة وثواب وفضل، وما ينجر من فوائد للمجتمع بالعمل التطوعي [+].

يعلن "مجلس العوام" عن قراراته في "سوق المدينة" عند انعقاده [7] تحت اشراف العزابة الذين يتولون افتتاحه بعد انتهاء صلاة العصر، وينصاعون لجميع ما يأمر به مجلس العزابة في كل الشؤون الدينية والدنيوية [8]، مثل "تعيين المواسم الدينية... وتقرير بدء العمل في المواسم الزراعية، ويشاركون في المشاريع الخيرية [9]، كبناء المساجد وتنظيف المدينة، وحفر الآبار، وبناء السدود [10]، وبناء أسوار البلدة وأبراجها الدفاعية أو ترميمها [11]، أو ترميم البناءات العامة [12]، الخ ...

---

(1) أبو اليقظان : بيانات... ورقة . — توفيق المدني : كتاب ... ص 119.

(2) الحاج أيوب: رسالة... ورقة 38 .

(3) نفسه .

(4) LEWICKI : E.I. Art. B HALKA" F; P. 100.

(5) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 38 .

(6) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 38 .

(+) ما زالت هذه الطريقة من الاعلان عن العمل في المسجد والتحريض عليه تطوعا وفضلا منذ قرون.

(7) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 38 .

(8) (9) الجعبيري : نظام ... ص 116 .

(10) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 38 . — الجعبيري : نظام ... ص 116 .

(11) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 38 .

(12) MERGHOUB : Developpement ...P. 29.

. يتعاون "مجلس العوام" مع المسجد للحصول على الموارد الضخمة اللازمة لتمويل مشاريع عمرانية تبني لصالح سكان المدينة كبناء مدرسة ، أو مكتبة (1) ، وغيرهما .

ويستلم " مجلس العوام" في غرداية من القبائل المالكية التي تنزل (+) في عشائر الاباضية ـ كبني مرزوق " مثلا سدس مداخيلهم بسبب ما وقع عليه الاتفاق للدفاع عن المدينة اذا وقع عليها اعتداء خارجي (2) ، وذلك ربما كان في بداية فترة حلولهم بالمنطقة .

يتمتع "مجلس العوام" بصلاحيات في كل ما يرتبط بشؤون القرية اذ هم بمثابة المجلس البلدى الآن ، فقد اهتموا بالوضع الخطير الذى بدأ يهدد ميزاب من طرف الاستعمار الفرنسي اهتماما كبيرا ، فاجتمع رؤساء هذه الجماعات لما أتصلت فرنسا بميزاب ابان احتلالها للأغواط ، فأرسلوا إليها وفدا يمثل كل القرى ، فعقدوا مع فرنسا معاهدة (3) ، تضمن لميزاب نوعا من الحرية ، وتضمن احترام العقيدة الاسلامية ، والتمتع بالحرية الدينية ، وعدم المساس بهــــا الخ (4) ...

يعين "مجلس العوام" "الأمناء" (++) على البناء وعلى الماء من بين أعضائه ، وكذلك أمناء مختصين لمراقبة بناء الدور وصيانتها وعدم تعدي قوانين العمران والشكل الهندسي الخاص لدور وأسوار وأبواب قرى ميزاب ، وحل كل المشاكل الخاصة بها ، وذلك بالتنسيق التام مع "مجلس العزابة" بشروط معينة مبنية على الأحكام الشرعية وفق المذهب الاباضي (+++) وغالبا ما يتم التعيين من مجلس العزابة، فسياتي المزيد من البحث في هذا .

ـ القـــائـــد :

القائد هو بمثابة "الحاكم" الذى يتولى السلطة التنفيذية في كل مدينة ، يرى البعض أن هذا المنصب كان موجودا قبل دخول فرنسا المنطقة (5) 1882م ، ولكن لا يعينه العزابة وانما يفرض نفسه فرضا من قبل الفريق الغالب في البلد (6) ، ولا يتخذ هذا التواجد أى صفة قانونية معترف بها ، فهو منبثق من احدى الصفوف اما شرقي أو غربي (++++) في المدينة أو على الصعيد الوسطي بين العشيرة والجماعة (7) ، وكثيرا ما يؤدى هذا الوضع الــى نشوب نزاعات وتوترات عند ضعف العزابة والجماعة فيؤول أحيانا الى حروب والى انتقامات بعدها من طرف الغالب ضد المغلوب بدافع الوصول الى الحكم (8) ولا يتزحزح الحاكم "القائد"

---

(1) MERGHOUB : Le devloppement P ~~XX/XX~~ 34

(+) المراد بالنزول هو طلب الجوار والايواء ، يقال "فلان نزيل عشيرة كذا " أى انخرط فيها .

(2) MERGHOUB : Le devloppement P 37/38

(3) الحاج أيوب : رسالة ...ص38 .ـ طلاى ابراهيم : مزاب ...ص49 .

(4) الحاج أيوب : رسالة ... ص38 .ـ طلاى ابراهيم : ميزاب ... ص49 .

(++) هم خبراء في هذين الميدانين لمراقبة سير الأمور فيهما حسب الأعراف والقوانين [illegible]

(+++) أنظر: الثميني ضياء الدين : الورد البسام في رياض الأحكام . وانظر الثميني ، التكميل لما أخل به كتاب النيل

(5) توفيق المدني : كتاب الجزائر ...ص119 .

(6) نفسه .

(++++) تقسيم اما على أساس السكان الأصليين للمدينة والقادمين الجدد اليها أو الى الجهة الشرقية والغربية للمدينة على الأول .

(7) MERGHOUB : Le devloppement P28

ان الصف عند الأمازيغ "البربر" هو بمثابة: "حزب سياسي داخلي ان صح التعبير يجمع جماعة من القبائل والقرى في صف واحد ضد جماعة أخرى من القبائل والقرى ، وتجد العداوة والبغضاء متمكنة بين الصفوف ، وأحيانا بل في أغلب الأحيان تجد هذه الصفوف نفسها جاهلة أسباب [illegible]

من منصبه حتى تدول دولته [1]، أو يتغلب عليه منافسه [2]. منصب هذا القائد مدني، كان يسمى قبل الاحتلال الفرنسي "برئيس الجماعة" أو "شيخ المدينة" [3] وبعد الاحتلال الفرنسي الذي فرض سلطته في البلاد، وسلط عليها كابوس "الحكم العسكري" جعل لأعيان البلد في عهده الأول حق ترشيح ثلاثة أشخاص منهم فيختار من بينهم واحدا، أطلق عليه لقب "شيخ الجماعة" [4] فصار يسلب أمنا السلطات تدريجيا حتى استغنى عنهم فظل في ضغوطه الى أن صار يعين الشخص الذي يريده هو، فألغى لقب "شيخ الجماعة" وأطلق على من يختاره اسم "القائد" [5] جعله عونا له يمثل نفوذه لدى الميزابيين رغم أنفهم [6] فكان وجوده شكليا، وحاول الاستعمار بواسطته القضاء على نظام العزابة فلم تنجح مساعيه تلك، وكل من يتجرأ منهم على المخالفات، وعدم طاعة العزابة الا وتحاربه بسلاح البراءة، وفي مقاومتها تلك مقاومة غير مباشرة للسلطات الاستعمارية، فقد حدث أن اشتكى أحد القواد الى الحاكم العسكري من البراءة منه، فاستفسره عنها، فلما أخبره أنهم لا يكلمونه، قال له: ارتحت من شكاوى الشعب ومشاكله، ثم وضح له ما يترتب عنها عند موته من عدم غسله، فقال له: أبعث لك فرقة من الجيش تتولى غسلك، فرجع خائبا، وحضر المسجد فأعلن توبته للعزابة والمسلمين أمام الملأ من المصلين فحد من كبريائه وعليائه [7].

فرضت السلطات الاستعمارية على الشعب في منطقة "ميزاب" كما في سائر الوطن هيئة "القياد" فجعلتهم واسطة بينها وبين الشعب، وأعطت لهم حق تمثيلها في حدود معينة عامة "كالمناقشة في ميزانية البلاد السنوية، وحضور المواكب الرسمية باسم البلاد" [8] وبعض المسؤوليات الأخرى، وجعلت لكل منهم نائبا ينتخبه "مجلس العوام" لمدة ثلاث سنوات بشرط أن يرضى به الحاكم العسكري والا رفضه اذا لم يكن مواليا للاستعمار [9].

- المكاريس:

هم جماعة أخرى بجانب "هيئة العزابة" و"مجلس العوام" ومفردها "مكروس" أي "الرجل البالغ القادر على حمل السلاح" [10] ويقوم بمهمة الحراسة" [11] ويرى علي معمر [12] أنها "محرفة عن كلمة محاريس جمع محراس، وهي تدل على المبالغة في القيام بالحراسة كقولهم مطعام لكثير الاطعام، وجمعها: مطاعيم، محاريس..." وقيل أنها "عامية"

---

(1) (2) توفيق المدني: المرجع السابق، ص 119.

(3) بيوض ابراهيم: نداء وبيان الى الشعب الميزابي النبيل، ص9، الجزائر: 1946.

(4) (5) توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص 119.

(6) نفسه.

(7) بيوض: حديث شخصي. - الحاج أيوب: حديث شخصي.

(8) توفيق المدني: كتاب الجزائر، 119.

(9) بيوض: نداء... ص9. - توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص120.

(10) T. LEWICKI / E.I Art "HALKA" T.3; P 100

(11) توفيق المدني: كتاب الجزائر... ص120. - الحاج أيوب: رسالة... ورقة 39. - علي معمر: الاباضية... 4 / 551.

(12) الاباضية... 4/ 0551.

وليست فصيحة ز وهي تعني الشخص القوى الفطن اللبق "(1) أو هم رؤساء الحراسة يختارون من قبل "مجلس العوام" بتقديمهم من عشائرهم (2)، ويرى علي معمر (3) أن هذه "المؤسسة ترجمت بها كلمة "أمسطوردان" لأنها تتكون من جماعات متعددة ..." ولكن "امسطوردان" تابعون للمحاضر التي تدار مباشرة من طرف "العزابة" أما المكاريس فيبدو أنها تعني جماعة مستقلة بنشاطها الذى لا يدار من المسجد مباشرة، فهم لا يخضعون لسلطته (4)، ولهم حدود لا يتعدونها، فاذا تجاوزوها وقف لهم العزابة بالمرصاد وتبرؤوا منهم (5)، فأعراسهم مستقلة عن المسجد لا يحضرها العزابة ولا يلبسون العريس "الحائك" ولا بالطريقة المعهودة في الأعراس، وانما يلبسون عريسهم "البرنس الأحمر القاني بالزرنة (6) ولهم مقر خاص لاجتماعاتهم بوسط السوق الخارجي (+) للمدينة ويرأس أكبرهم سنا جلساتهم فيقررون ما يقومون به من أعمال (7)، ربما كان هذا الوضع لهذه الدرجة راجع الى تشجيع فرنسا له لاضعاف نفوذ العزابة.

لما تواجدت عسكريا في المنطقة، بيد أن هؤلاء كانوا الى عهد قريب جدا ـ حتى بعد الاستقلال ـ موجودين في مدينة العطف حسب ما يروى الحاج أيوب: (8) أنه شاهد اجتماعا لهم عقدوه في السوق الخارجية للعطف فقرروا فيه احياء حفلة بالزرنة في السوق الخارجية نفسها أما في العشية فقد أقاموا حفلة بالبارود (9).

يظهر من خلال النصوص أن الفرق بين "امسوردان" و"المكاريس" غير واضح أو أن معناهما متداخلان، فعلي معمر يعتبر المعنى واحدا (10)، وكذا عوض (11) الذى ذكر أن "امسوردان" بمثابة القيادة العسكرية، وشباب المدينة جنود تابعون لها (12) بينما أطلق دبوز (13) على "امسوردان" أنفسهم حسب ما يبدو ـ اسم "شباب المدينة" ـ فأورد أوصافا لهم ظهر أنها تنطبق على "امسوردان" بالذات لأن هؤلاء ينطلقون من "المحاضر". يرى "طلاى" أن "المكاريس" هم "رؤساء القبائل ومقدموها" فأطلق عليهم اسم "أهل الفتوة" (++) ولكن هذا النظام في

---

(1) علي معمر: الاباضية... 4/ 552.
(2) توفيق المدني: كتاب الجزائر... ص120.
(3) الاباضية... 4/ 552.
(4) الحاج أيوب: رسالة... ورقة 39.
(5) نفسه.
(6) الحاج أيوب: رسالة... ورقة 39.
(+) يوجد ببعض مدن "ميزاب" سوقان: داخلية، وخارجية ويتصلان بممر صغير مسقف كما في "العطف" و"القرارة" أو يفصل بينهما شارع غير مستقيم كما في "ابن يسجن".
(6) الحاج أيوب: رسالة... ورقة 39.
(7) (8) رسالة... ورقة 39.
(9) الاباضية... 4/ 552.
(10) النظم... ص 114.
(11) النظم... ص 49.
(12) نهضة... 1/ 239 ـ 40.
(13) ميزاب... ص49.
(++) الفتوة نظام معروف منذ العهد العباسي وهو رعاية الشباب منذ ريعانه وتدريبه على أساليب القتال، أدخلته مصر وسوريا كمادة أساسية في كل مراحل الدراسة، وباعتباره كنظام الخدمة الوطنية كما في الجزائر.

"ميزاب" له طابع آخر ، يفسره "لويكي" (1) بالمراهق في عمر اثنتي عشرة سنة الى أربع عشرة سنة وهو ما تدل عليه كلمة "مكروس" جمع مكاريس ، أما في ميزاب فهو "الرجل البالغ القادر على حمل السلاح" ويحصر عددهم في أثني عشر رجلا يتمتعون بصلاحيات وسلطات خولتها لهم هيئة "العزابة" و "مجلس العوام" فهي تأتمر بأوامرهما (2) .

مهـام المكـاريس:

مهام المكاريس تشبه مهام "امسوردان" في المحافظة على الأمن وحراسة المدينة ولكن هؤلاء حسب ما يبدو - عسكريون أكثر منهم مدنيون فهم بمثابة الشرطة لحفظ الأمن (3) ، يقومون بالحراسة للحفاظ على الأمن العام (4) ، فالاشراف على الحراسة دائما من اختصاص العزابة وتنظيمها مهما كانت وسائلها أو نوعها داخل المدينة وخارجها أو في الغابات ليلا أو نهارا (5) كان بعض العزابة يتفقدون مراكز المكاريس ليلا ولا سيما بعد صلاة العشاء فاذا وجدوهم ساهرين يطمئنون فيعودون الى ديارهم ، فاذا لم يجدوهم قالوا "ان البلدة اليوم باتت بدون حراسة" (6) لا تنحصر أعمال جماعة "المكاريس" في الحراسة والمحافظة على الأمن وحده ، بل تشمل كذلك تنظيم كل ما يرتبط بالأشغال العامة كاصلاح الطرق والسدود ، وبناء الأسوار ، ومكافحة الفيضانات ، ومقاومة الجراد ، ووقاية أسوار المدينة من زحف الرمال عليها (7) ، وكذا من أى هجوم خارجي اذ هم بمثابة الجيش الذى يحمي المدينة (8) .

يشترط في اختيار جماعة "المكاريس" الصدق ، والأمانة والنزاهة ، والشجاعة والتفاني والاقدام (9)

هـ - الأمناء :

هم بمثابة خبراء مختصين في شؤون المجتمع ، يراقبونه ويحافظون على تقاليد البلد ~~الأمين~~ بمقتضى الأعراف والقوانين . الأمين يختار اختيارا بشروط معينة ، منها أن يكون :

1- مسلما . فالاسلام يركز على الأمانة وهي سبب فلاح المؤمن دنيا وأخرى "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون" (10) . يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) "لا دين لمن لا أمانة له" (11)

2- عاقلا: العقل شرط في التكليف عامة (+) ، فغير العاقل غير مكلف شرعا ولا قانونا اذ لا يؤتمن على حقوق المجتمع وقضاياه ، ولا يستطيع القيام بأعماله وواجباته من كان غير عاقل .

---

(1) E.I. Art "HALKA" T.3 P 100

(2) عوض: النظم . . . ص 49 . - والملاحظ أنه تأثر بالويكي فيما ذهب اليه في معنى "المكروس"

(3) T. LEWICKI E.I Art "HALKA" T3 P 100

(4) توفيق المدني: كتاب الجزائر . . . ص 120 . - عوض: النظم . . . ص 50 .

(5) بيوض: حديث شخصي .

(6) الحاج أيوب: رسالة . . . ورقة 39 . - منهم "الشيخ حمو بن باحمد والحاج محمد بن باحمد بكلي كان رئيسا للعزابة ، وتوفي سنة 1885م في طريق الحج . . ." الحاج أيوب: حديث شخصي .

(7) توفيق المدني: كتاب الجزائر ، ص 121 .

(8) الحاج أيوب: رسالة . . . ورقة 39 .

(9) توفيق المدني: كتاب الجزائر ، ص 121 .

(10) سورة المؤمنون ، الآية : 8 .

(11)

(+) ركب الله في البشر الذين خلقهم على أحسن صورة عقولا غريزية ميزهم بها عن كل الحيوانات على اختلافها "جعله الله تعالى أصلا لشريعته ، وجعل أحكام الدنيا مدبرة بواسطته ، ألف به بين خلقه ، وساوى بين أهله في التكليف وأداء الحق." الجيطالي: قواعد... 1/ 3 .

3 - راشدا : والرشد دليل النضج وأحقية تحمل المسؤولية .

4 - حافظا للاعراف والقوانين [1] والا لما استطاع أن يؤدى مهمته .

5 - نزيها وصادقا والا لما نجح في مهمته ، وأعماله، ولما استقامت أمور الناس [2] ، فالنزاهة والصدق تجعلانه شجاعا في القيام بمهامه وأعماله ، وانفاذ الأحكام حسب الأعراف والقوانين غير ميال لقريب أو صديق ، معتقدا محاسبة الله له ، مفوضا أمره الى الله راجيا منه الأجـر الأوفـــى .

يعين "الأمين" من قبل العزابة [3] ، وأحيانا يقترح من قبل "جماعة العوام" فيقدمون اسمه الى هيئة" العزابة" فاذا وجدوه لائقا رضوا به وزكوه فيعينونه "أمينا" [4] فيعلنون عن اسمه في المسجد ليعرفه الناس،كما يعلنون عن مهمته أو نوع ما يؤتمن عليه أو يتخصص فيه [5].

تنحصر أعمال "الأمين" في الاختصاص الذى هو مؤهل له ، أو المهام التي يعين فيها وهي كثيرة ، فهو خبير فيها باطلاعه على الأعراف والقوانين ، وما يكسبه من خبرة وتجربة في ميدان اختصاصه ، أو ميادين كثيرة ، وقد يعين "أمناء" في ميدان واحد ، أو يختصون في مهمة واحدة(6) كتعيين "أمين" على السوق مثلا توكل اليه مراقبتها، ومراقبة "الدلالين" وحسم ما يمكن أن يحدث من نزاعات بين المتخاصمين حسب ما يحفظه من الأعراف المتبعة ، وما يحكم به [7] ، أو تعيين "أمناء" على "سيل" معين مثل ما هو جار به العمل لحد الآن في غابات مدينة "غرداية" [8] وهو عمل يرجع بطبيعة الحال الى عهود قديمة حسب ما تشير اليه النصوص ولكن بدون تحديد مدقق لهذا القدم الا أنه لا يستبعد أن يكون منذ نشوء مدن "وادى ميزاب" وغاباتها ، لأنه لا يمكن أن تكون على شكلها وهندستها وفي التلال والمرتفعات بذلك النمط المشاهد دون أن تكون خاضعة الى دراسة دقيقة حيث خصصت الأراضي ذات التربة الصالحة للزراعة في سفوح مرتفعاتها بجوار المدن اذ اتخذت لها وسائل لاستغلال مياه الأمطار والسيول بهندسة احتار فيهـا المهندسون والمختصون الأجانب [9] لدقتها وبساطتها ونجاحها واستمرارها ، فما دامت طريقة استغلال تتبع العمران أو ما ينتج عنه العمران اذا فهي قديمة بقدم نشوء القرى ، ومن المؤكد أنه في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) كانت طريقة استغلال مياه السيول والأمطار موجودة اذ أن أهل بنورة ومليكة تفاوضوا مع أهل غرداية لانقاص ذراع ونصف من علو السد لما بنوه [10] حتى لا ينقص مياه السيل اذا حمل [+] .

---

(1) الحاج أيوب: رسالة . . . ورقة 102 . - اسماوى(ج) بكير بن باحمد : حديث شخصي . - بومريقة سليمان : حديث شخصي .

(2) الحاج أيوب: رسالة . . . ورقة 102 . - اسماوى (ج) بكير: حديث شخصي . - بومريقة سليمان: حديث شخصي .

(3) الحاج أيوب: رسالة. . . ورقة 103 .

(4) (5) نـفـــســـه .

(6) بومريقة سليمان : تفصيل . . . ورقة 33 ، 35 .

(7) الحاج أيوب: رسالة... ورقة 103 . - اسماوى الحاج بكير : حديث شخصي .

(8) بومريقة سليمان : تفصيل . . . ورقة 33 .

(9) الحاج أيوب : رسالة . . . ورقة 13 . - النورى : نبذة . . . س 1/ 146 .

(10) النورى: نبذة. . . 1/ 146 .

(+) جرت العادة والعرف في "قرى وادى ميزاب" أنهم يحدون انشاء البساتين وغرس النخيل في أعالي الوادى ، ويمنعون ذلك كي يوفروا الماء للبساتين الموجودة في أسفله ، فقد ثبت لهم ذلك بالتجربة اذ أن خزن الماء في أعالي الوادى توفير واد خار له في أسفله ، واستهلاكه في أعاليه انتقاص منه في أسفله ، فقد اتخذت مواقف وقرارات واتفاقيات حول اماتة ==

يهتم العزابة اهتماما كبيرا بشكل وهندسة الدور فيعينون "أمناء" مختصين بها وبقواعد البناء ، مراعين في ذلك حرمة الحريم ، وحق الجار ، والسترة ، وحق الشارع ، متبعين فيه قواعد الشرع الاسلامي في صيانة الأسرة والأبناء ، والقواعد الصحية ، منتهجين لسياسة التقشف ، فكل قرى "وادى ميزاب" ذات نظام واحد ، وقواعد الصحية/ منتهجين لا عامة متبعة بدقة " وهذا ما يوحي أنه كانت وحدة مسيرة لكل القرى . . . " (1) ، فشكل الدار واحد تقريبا لكنه يختلف اتساعا وضيقا حسب وضعية كل عائلة ماديا وعدديا ، اذ لا يظهر الفرق بين دار الغني ودار الفقير "مما يدل دلالة صادقة على مدى المساواة التي كانت منتشرة بين السكان " (2) على أن العلو واحد ، حسب موقع كل دار حيث يشدد في حق توفير الشمس لكل دار ، فلا يستطيع أى انسان أن يعلي بناءه على القدر المنصوص عليه ، فاذا أراد أن يعلي بنيانه ينص العرف والقانون أن يترك قدره من سطحه ، فدور الأمناء الارشاد والتوجيه والمراقبة ، فاذا خالف أى انسان العرف الجارى به العمل فان الأمناء يرفعون أمره الى هيئة العزابة اذا لم يمتثل لتعليماتهم فيعلن العزابة البزاءة منه في المسجد حتي يذعن ويرجع عن غيه ، فيتوب في المسجد ويمتثل للأعراف والقوانين الجارى بها العمل لرعاية المصلحة العامة للمجتمع ، ومنع الاعتداء وتجنب المشاكل حتى يتفرغ الناس لمهامهم .

نستنتج من هذا الفصل أن هناك هيئات ذات ارتباط وثيق بهيئة العزابة مباشرة ، واخرى غير مباشرة ، فالمباشرة منها على رأسها هيئة "اروان" وهم ("طلبة فنون العلم والأدب" الذين تشترط فيهم شروط للانضمام الى هيئة "اروان" وعلى رأسها تقوى الله ، والسلوك الاسلامي الرفيع ، واستظهار القرآن الكريم ، والطاعة والخضوع لنظم الهيئة ، وقوانينها الداخلية ، وتحمل المسؤولية وهي مدرسة تربصية تعد وتهيء رجال العزابة ، تنبثق هذه الهيئة من أصحاب المحاضر عادة ، وهم الذين يدخلون سلك التعليم لأول مرة ، ويرعاهم الفقيه الذى تشترط فيه شروط معينة تقوى وسلوكا وأدبا وحفظا للقرآن الكريم الذى يحفظه لأصحاب المحاضر مع

= أرض بيضاء في أعالي الأودية والشعاب في سبيل توفير المياه للأراضي المستغلة في أسفله أو للمحافظة على النخيل الموجودة فيه أولا ، كما حدث هذا بالنسبة الى "لايت امزى" ، (أى لآل ميزاب) بأعالي أجنة وغابات "تجنينت" العطف يقوم الأمناء حسب الأعراف والقوانين بهذه التنظيمات باشراف العزابة . ـ أنظر: قسم الملاحق (اتفاقيات رقم 9) . وهذا من باب "المحافظة على ما هو موجود " أو من باب "دفع المضرة قبل جلب المصلحة" فقد أرغم أهل "غرداية" "المذابيح" الموجودين في منطقة "الضاية" التي تقع في أعالي غابات "غرداية" على انتقاص مساحة الرى والاقتصاد في ماء السيل وعدم حجزه الا بالقدر الضرورى منه ليتوفر لغابات غرداية والقرى الأخرى نصيبها منه . أنظر: النورى: نبذة . . . 1/ 146 ـ 7 . ـ ومما يروى أن أهل "تجنينت" العطف اشتكوا للشيخ أطفيش عن حجز أهل غرداية ماء السيل عنهم ببنائهم سدودا في مجرى "وادى ميزاب" فأجابهم أن ذلك لا يمنع عنكم ارتفاع مياه الآبار في أسفل الوادى ، وهذا واقع معايش . اذا كان هذا بالنسبة لمياه السيول فانه بالنسبة للأنهار المشتركة تجرى اتفاقات بين الدول حول استغلاله مثل نهر الدانوب ، ونهر النيل بين مصر والسودان . . .

(1) الحاج أيوب : رسالة . . . ورقة 14 .

(2) نفس المكان . ـ أصبح الآن هذا الفرق يظهر نتيجة لتطور الحياة المادية عن عهد المجتمع الزراعي . . .

تعليمهم للخط، ومبادئ الدين وأصول العقيدة لدى المذهب الاباضي، والمستوى عبارة عن المرحلة الابتدائية في التنظيمات التربوية المعاصرة، ويشمل أصحاب المحاضر صنف آخر وهم طلبة كبار لم يستظهروا القرآن فيحفظونه ليستظهروه، ويقومون بأعمال اجتماعية تحت ادارة فقهاء المحاضر، وتديرها هيئة العزابة وهم "امصوردان" التي تقوم بحراسة المدينة وبساتينها كما تراقب السلوك العام، والآداب العامة، وهي الحصن الأمين للمجتمع من اللصوص والمجرمين.

لم يهمل أبو عبد الله الجانب النسوى فوضع لها تنظيمات خاصة بها فتكونت هيئة الغاسلات التي تقوم بتجهيز المرأة والصبيان دون سن البلوغ، كما تقوم برعاية شؤون المرأة وآدابها، ومراقبة أعمالها، وتثقيفها كي تحافظ على دينها وتقاليدها تلك الهيئات ترتبط مباشرة بهيئة العزابة التي تشرف عليها.

أما القسم الثاني فهم "العوام" بمختلف أصنافهم وتنظيماتهم وهي ذات ارتباط وثيق بهيئة العزابة، ولكن لها كيانها واستقلالها بشؤونها وممارسة مهامها يتم ذلك في حدود معينة وهي العشيرة ومجالسها، ومجلس العوام الذى هو عبارة عن تمثيل لكل العشائر، وبمثابة الهيئة التنفيذيه لهيئة العزابة في المجتمع، يتعاونان معا ويتشاوران فيما يهم المجتمع بجانب المكاريس الذين يقومون بأعمال خاصة وهم مستقلون عن العزابة، ولكن في حدود معينة، فاذا ما تخطوها تدخل العزابة لوضع حد لتجاوزاتهم، وكل أعمال الهيئات تنجز مجانا ابتغاء وجه الله، ويقومون بمهام اجتماعية والدفاع عن المدينة دون أى اعتداء خارجي.

هل لهيئة العزابة، والهيئات المرتبطة بها دور في المجتمع وتأثير فيه؟ ام انها مجرد تركيبات شكلية لا تجمعها رابطة، وخالية من فعالية ايجابية في الحياة الاجتماعية؟ هذا ما سوف يوضحه الفصل التالي.

الفصل الرابع

دور نظام العزابة في الحياة الاجتماعية بوادي ميزاب

- مهام العزابة .
  - أولا - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
  - ثانيا - الولاية والبراءة .
  - اغلاق المسجد .
  - اهتمام العزابة بالأعراس .
  - اهتمام العزابة بالأسواق .
  - اهتمام العزابة بالمولد النبوي الشريف .

- مهام الغاسلات ودورهن في الحياة الاجتماعية والثقافية .
  - أثر نظام الغاسلات في المجتمع .
  - مؤتمر "لا اله الا الله" .
    - سبب تسميته بمؤتمر "لا اله الا الله" .
  - اهتمام العزابة بعيد الزيارة .
    - برنامج يوم عيد الزيارة بالعطف .
  - موقف العزابة ودورهم في الجنائز .
  - المقابر .
  - أسباب عقد مجالس القرآن وتفرقة الصدقات في المقابر .

- بعض مهام أخرى .
  - الختان .
  - قطيع الماعز .
  - المجازر .
  - سوق اللحم .
  - الآبار .
  - السواقي .
  - السدود .
  - الغدير .

مهام العزابة

للعزابة مهام كثيرة تتناول مختلف جوانب الحياة العامة في المجتمع الاباضي، فهيئة العزابة تقوم بالشؤون الدينية والتعليمية، والاجتماعية، والسياسية (+) (1)، وكذلك الاقتصادية في اعتبارات معينة، ولكل من أعضاء الحلقة مهام محددة يتولاها وينفذها (2)، فهو مسؤول عنها أمام هيئة العزابة، وأمام المجتمع، ويعتبر العضو نفسه مسؤولا عن واجبه أمام الله تعالى بالدرجة الأولى، ولذلك يقوم بعمله ابتغاء مرضاة الله، ونيل ثوابه، ويعتبر تهاونه وتقصيره في آداء واجبه خيانة لما أؤتمن عليه، وتخليا عما التزم بآدائه، فهو عمل يخل بالمروءة، وأن كل من تهاون يؤثر سلبيا في مهام الأعضاء الآخرين، وبالتالي يعرقل سير عمل الجماعة، وهذا من شأنه أن يؤدي الى الفوضى والتفكك في الوحدة الاجتماعية، ومصالح المجتمع، وتعطيل الحياة العامة.

تعتبر هيئة العزابة بمثابة مجلس للامام أو عامله في مرحلتي الظهور والدفاع، أما في مرحلتي الشراء والكتمان فهي بمثابة الامام فتسوغ لنفسها القيام بكل ما يقوم به، معتبرة نفسها أنها تمثله بالنسبة الى هذه المرحلة (3). فسلطتها هذه هي نفس السلطة التي كان يقوم بها الامام في "تاهرت" بالنسبة الى الميادين الادارية والاقتصادية (4) بصفة خاصة وذلك للتحكم في وحدة المجتمع، وفرض الوجود للهيئة المسيرة له لما لها من مساس حساس في هذين الميدانين الظاهرين فهما يرتكزان أساسا على الادارة التشريعية، والادارة السياسية معا بدون فصل بينهما، ويتحدان في شخص مؤهل وعلى هذا الأساس أصبح الجامع مركزا لادارة المجتمع حيث يعقد فيه العزابة جلساتهم لان المبدأ لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر (5)

يعتبر الطلبة بمختلف هيئاتهم العمدة الأساسية في اجتهاد تطبيق الدين بدون (6) انحراف بحيث أصبحوا حماته الروحيين والدنيويين معا لارتباطهم أساسا بالشريعة الاسلامية (7)

وعلى ضوء ذلك ركزوا على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، واجتناب الاثم والعدوان ومحاربتهما بكل الوسائل، فتولوا القضاء والافتاء والتعليم والتثقيف، والامامة والأذان، وادارة الأوقاف وتنظيمها، وحفظ الآداب العامة، ومنع الغش وقمع المعتدين، ومقاومة البدع، والاسراف، وغسل الأموات، وصيانة كرامة المرأة والاسرة، ومقاومة الانحراف وما الى ذلك من جوانب أخرى. (8)

ان أهم ما يبين قيمة العزابة في المجتمع الاباضي هو ما يتمتع به العزابي من نفوذ واحترام ما دام مستقيما، ومواظبا على عمارة المسجد، ومتواضعا ومنصفا، فان قيامهم

(+) لم تبق للمجالس مهام سياسية بعد دخول الاستعمار الفرنسي "ميزاب" سنة 1882 عسكريا.

(1) علي معمر: الاباضية ... 1/ 97.

(2) علي معمر: الاباضية ... 1/ 79. -MERGHOUB:LE DEVELOPPEMENT;P:31.

(3) علي معمر: الاباضية ... 1/ 97.

(4) MERGHOUB:LE DEVELOPPEMENT;P:29.

(5) MELLIA:GHARDAIA; P:104.

(6) MELLIA:GHARDAIA;P.P:102-103.

(7) أنظر: ملحق رقم 5، الفصل الثامن.

(8) أبو اليقظان: بيانات ... ورقة 12 - بيون: حديث شخصي.

[illegible] بالقدا [illegible] انما يقومون [illegible]
[illegible] (1) [illegible] الا تخلوا جنازة من [illegible]
[illegible] في لحظاتها الأخيرة [illegible]
[illegible] الى حفلة [illegible] (+)
[illegible] تعلم من الليالي الأولى [illegible] الحرص
[illegible] الفقراء [illegible] يتسالون فيه [illegible] المراح [illegible] علي
[illegible] (+) [illegible] يتطاعون ويحضرون [illegible] احتفال العرس
[illegible]

[illegible] ويختتمه ولو [illegible] ليست
[illegible] حتما ، [illegible] مناقشاته
[illegible] حضوره مهما كانت الظروف (2) .

[illegible] في تلك القرارات التي [illegible] العزابة
[illegible] والتخوف من فسخه نتيجة [illegible]
[illegible] منه السياسة [illegible] في المستقبل
[illegible] وسمعة المجتمع [illegible]
[illegible] من الدين ، أو لا [illegible]
[illegible] بعد تها وسلوكها [illegible]
[illegible] على رأس تلك المجالس [illegible]
[illegible] في تدعيم [illegible] التخلي
[illegible] (3) [illegible] الحجاب [illegible]
[illegible] لأنهم [illegible]
[illegible] الاباحية والفساد ، [illegible] لما
[illegible] الناس فضلا عن [illegible]
[illegible] التطورات في المجتمعات [illegible]
[illegible] العواصم [illegible]
[illegible] الأخلاق [illegible] ويتتبعونها حركة [illegible] الأوضاع
[illegible] الا [illegible] من متاهات الحياة المعاصرة
[illegible] لا [illegible] العمال والشباب في [illegible]
[illegible] لسياستهم ، فكان [illegible]
[illegible] كبيرة من [illegible]
[illegible] قرارات [illegible] للعزابة ،
[illegible] محبذ [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] العزابة .
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاجتماعية . . . [illegible]
[illegible]

الامـر بالمعروف والنهـي عن المنكـر

من أهم ما اعتمد عليه العزابة " في سيرهم ، و ممارستهم للتربية العملية التطبيقية والتوجيه لهيئتهم ، وللطلبة ، و العوام، مبدآن : الاول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . والثاني الولاية والبراءة حسب ما امر به الله تعالى ، والرسول (ص) ومـا انتهجه من طرق لصيانة المسلمين و مجتمعهم، والمحافظة على اسلامه صحيحا دون ان تنال منه الاهواء فيصاب بالوهن والفساد . فهما مبدآن يتماشيان مع مرحلة " الكتمان " ويتناسبان معها تناسبا طرديا . فما هما ياترى؟ وما هي ادلة كل منهما ؟ وكيـف طبقهما العزابة؟ وما هو مدى اهمية تطبيقهما في المجتمع؟

اولا — الامر بالمعروف والنهي عن المنكـر

ا — الامر بالمعروف : ان اصل كلمة " المعروف " من مادة " عرف " التى تحمل معنى الظهور والارتفاع ... والمعروف هو اسم لكل فعل يعرف حسنه بالشرع أو العقل وهو المستحسن الذى هو ضد المنكر .[1] ف" الامر بالمعروف اسم لكل ما هو حسن في نظر الشرع و العقل " (2) ومعنى الامر هو " طلب الفعل و ارادته " (3) مما امرنا بـه شرعا من قبل الله تعالى ورسوله واولى الامر من المومنين الذين تجب طاعتهم فيمـا يأمرون به من المعروف[4] وما فيه مصلحة الدين والمجتمع.

ب — النهي عن المنكر : المنكر مشتق من مادة " نكر" التى تدل على الجهل ، و الصعوبة ، والاشتداد ، و الاستيحاش، والقبح ، و النفور ، وكراهية النفوس ...[5] يقال فلان " انكره اى : جهله اذا وجده على غير ما عهده ، ويقال : انكر فلان كذا اى كرهـه فلم يقره " (6). والمنكر هو الباطل لان العقول السليمة تنكره وترفضه ... ، ويحكـم الدين بقبحه ... (7).

امر الله تعـالى بالمعروف ، ونهى عن المنكر فوصف المتمثلين لذلك بأنهم هـم الناجحون المفلحون مصداق ذلك آيات قرآنية كثيرة كقوله تعالى : ((ولتكن منكم امـة يدعون الى الخير، ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحـون)) (8)

---

(1) الشرباصي احمد (معاصر) : موسوعة اخلاق القرآن، ج 3 ، ص207 ، ط 1 (1401 هـ / 1981 م) دار الرائد العربي ، بيروت.

(2) اسعد احمد على (معاصر) : تفسير الحديث النبوى في دروس عصرية ، ص463، ط 1، الرائد العربي ، بيروت (1979 م) .

(3) ابن تيمية احمد بن عبد الحليم (ت 728 هـ) ، تحقيق صلاح الدين المنجد : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص66 ، دار الكتاب الجديد ط3، (1404هـ/ 1984م)

(4) ابن تيمية احمد : الامر بالمعروف... ص 67 . اطفيش (القطب) ازالة الاعتراض عن محقي آل اباض ص 2 .

" النهي عن المنكر هو طلب تركه " [1] فالعقول السليمة تحكم بقبحه ، لان الشرع الاسلامي يقبحه ، ويحرمه او يكرهه . والنكر : الامر المنكر الفظيع الذى تكرهه النفوس لشدته [2] فيجب على المكلف انكار المنكر بمقتضى الشرع الحكيم ، فهو واجب على كل بالغ عاقل على قدر طاقته . " وذلك بمقتضى الكتاب والسنة والاجماع . . . وهما على الكفاية [3] .

وفرض كفاية على الجماعة الاسلامية لا بد ان تقوم به طائفة منها . هو نوع من التربية العامة فى البيئة الاسلامية ، واحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) تتوارد تترى فى التوجيه الى القيام بواجب التربية والتأديب . ((لأن يؤدب الرجل ولده خير من ان يتصدق بصاع . . ((ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من ادب حسن [4])) .

((عن الربيع قال : ابوعبيدة بلغنى عن رسول الله (ص) قال : ((لا يمنعن احدكم مخافة الناس ان يتكلم بالحق اذا شاهده . وينكر الباطل اذا قدر عليه [5])) . وقال (ص) : ((قل الحق وان كان مرا ، ولا تشرك بالله شيئا ، وان عذبت او احرقت)) [6]

" النهي عن المنكر " فضيلة يعقب اقترانها بفضيلة " الامر بالمعروف " فهما صفتان اساسيتان للامة المؤمنة [7] ((كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتومنون بالله)) [8] فهي صفة مثلى للامة المؤمنة المتعاونة بتكافل فى مرضاة الله ليرحمها الله . ((والمومنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم)) . [9] وهي صفة الصالحين الذين لا يفسدون فى الارض ، بل يسارعون فى الخيرات . ويعملون الخير ولا يندمون عليه ويبحثون عن الوسائل و الطرق للقيام به والتحريض عليه ، ويناصرون الحق انى كان ويحاربون المنكر بكل ما أوتوا من جهد ، وهذا ما اتصف به العزابة مصداقا لقوله تعالى : ((ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يومنون بالله واليوم الآخر ، ويامرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . وما تفعلوا من خير فلن تكفروه ، والله عليم بالمتقين)) [10] من كانت صفته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وابتغاء مرضاة الله معتزا بتطبيق احكامه لنصرة دينه ينصره الله ، ويثيبه بالاجر العظيم . ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور)) [11]

---

(5) ابن تيمية : الامر بالمعروف . . . ص 67
(2) اسعد احمد : تفسير الحديث النبوى . . . ص 465
(3) التميني عبد العزيز : النيل . . . 3/ 794
(4) سيد قطب : فى التاريخ فكرة ومنهاج . . . ص35 ط 5 ، 1402هـ/1982م دار الشروق بيروت
(5) (6) الربيع بن حبيب : (570هـ) : الجامع الصحيح ، ترتيب ابى يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى ج 3 ، ص8 ، ط2 ، (1349هـ) المطبعة السلفية القاهرة .
(7) الشرباصى احمد : موسوعة ٥ . . . 2/ 220
(8) سورة آل عمران : الاية 110 .
(9) سورة التوبة : الاية 71 .
(10) سورة آل عمران : الاية 114 — 115

وقال تعالى فى هذا الشأن مبينا مكافأته لعباده الذين ينصرون مبدأ الامر بالمعروف ، واصلاح ذات البين ارضاء لله . ((لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف ، او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، فسوف نوتيه اجرا عظيما)) . (1)

ان نظام العزابة فى الاصل قد قام على اساس مبدأ ' الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للمحافظة على الدين وتطبيقه وصيانة المجتمع ، ويعتبر ذلك تطورا لنظام الحسبة فى الاسلام (2(. الصفة الدينية بقيت مع نظام الحسبة فى المغرب باعتباره امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر .) (3) فالمجتمعات المحافظة فى ربوع المغرب كالاباضية والصفرية " لابد ان يحرص افراده على قضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة العادات السيئة والبدع ، والانحرافات حتى لوصدرت من اعلى سلطة فى المجتمع . . .) (4) فما نظام الاسواق القائمة فى ميزاب " تحت اشراف العزابة من تنظيم ومراقبة الا تطبيق لأسس نظام الحسبة القائم على مبدإ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " (5) فأمة محمد (ص) من اصلها " امة تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر " (6) فهما من اصول العقيدة لدى الاباضية " وندين بان الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجب فى كل زمان على قدر الطاقة . . " (7) كان مشايخ الاباضية يهتمون بهما فى حلهم وترحالهم ، فقد توجهت سنة 449 هـ جماعة من مشايخ نفوسة وجربة الى " اسوف " و " غلانة " و " تيماسين " و " وارجلان " فلما دنوا من " وارجلان " التأم المشايخ مع تلامذتهم ، ونهوا عن فعل ما لا يليق وحددوا خطة رسموها ، وهي الا يتكلموا فى امور وارجلان الا على وجه الزيارة من المواعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام بحق الله تعالى فنهوا عن الاخلاق الدنيئة واخلاق السوء ، وكل ما يدنس دين الله ، وما يجر الى تدنيسه من المطامع . . " (8) . " فاذا دخلوا منزلا اجتمع اليهم اهله فيامرونهم بالمعروف ، واتباع سيرة اوائلهم ، وباقامة حقوق الله عليهم . . .) (9) .

يتبين من خلال الوثائق والاتفاقات والقرارات الصادرة من المجالس الدينية (*) و قرارات العزابة بـ " وادى ميزاب " محاربة المناكر والبدع والاهواء والمخالفات ، واستنكار ذلك . كما يتبين من اعلان البراءة (**) من المخالفات التى ترتكب مدى محاربتهم اياها او للمنكر . فضلا عن هذا ما زالت قرى ميزاب الى الآن تقيم مظاهرة فى كل عام تحت مجلس العزابة ، قبل الشروع فى موسم " المقابر " للنهي عن المنكر ، يعلن

---

(1) سورة النساء : الاية 114 .
(2) بيوض : حديث شخصي . ـ بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة .
(3) لقبال : الحسبة . . . ص 17 .
(4) لقبال : الحسبة . . . ص 16 .
(5) بيوض : حديث شخصي .
(6) اطفيش (القطب) : كتابه ترتيب المعلقات . . . ص 40
(7) انظر : الشماخي عامر : متن الديانات ، اقتبسه CYPERLY Jean فى كتابه
(8) (9) ابو زكريا : سير . . . ص 185 ـ 186 .
(*) المقصود منها مجالس العزابة العليا " كمجلس الشيخ عبد الرحمن الكرثى ، و والشيخ عمى سعيد .
(**) مقاطعة مرتكبى الكبائر كما سياتى ، وكذا مخالفى الاعراف والقوانين ويسمى هذا ببراءة الهجران . بيوض : حديث شخصي .

العزابة عنها وينبهون عن موعد انطلاقها . ففى العطف يحدد انطلاقها بعد صلاة الفجر من يوم السبت (*)(1) يتقدم المؤذنون العزابة ثم " اروان " ف " العامة " .

ينطلق الموكب من المسجد العتيق مناديا " ننهى عن المنكر " بصوت مرتفع من قبل العزابة فتردد العامة ذلك بأعلى صوتها ، ويطوف الموكب البلدة (**) مخترقا السوق الداخلية ثم الخارجية حتى الباب الرئيسى للبلدة ، ثم يتجهون الى المسجد " ابى سالم " بأعلى البلدة دون انقطاع الهتاف بالنهي عن المنكر فيجتمع الحاضرون كلهم بالمسجد فيتقدم المرشد بدرس توجيهي يركز على النهي عن المنكر ويحرض على اداء الوصايا ، والاوقاف و يرشد الى استيفاء الكيل ، واختيار الجيد مما يقدم من الصدقات والاوقاف فى موسم " المقابر " ، وينبه الى ما يحصل عليه الموصى و المنفذ من الاجر عند الله حسب نيتهما ، ويختم حديثه بالدعاء ، ثم يفترق الجميع فتبدأ الاستعدادات بأداء الاوقاف لافتتاح موسم " المقابر " فى يوم الجمعة المقبل (2) . يتساءل المرء عن سبب تحديد المظاهرة قبل بدء " المقابر " باسبوع ، فيورد الحاج ايوب عن المشايخ الذين سألهم الجواب التالى : تفعل العزابة ذلك لتبرأ الى الله عن كل منكر وقع حدث فى الخفاء دون ان يعلموا به ، وليطمئنوا الى ما يقدمه لهم الناس من الصدقات والاوقاف للمقابر ، اذ ربما يوجد احد من بين المتصدقين قد جمع المال من غير حله ؟ فكيف اذا يمكن قبوله وانفاقه على الفقراء والمسلمين ؟ (3) فهم يفعلون ذلك ليعذروا الى الله (4) .

الغى الشيخ بيوض هذه العادة فى القرارة معللا ذلك : بان النهي عن المنكر يجب القيام به فى كل وقت يرى فيه فى حينه ، بل تغييره واجب باليد فى حالة القدرة عليه ، اما ما يقع فى الخفاء والزوايا دون علم العزابة به فالله تعالى " لا يكلف نفسا الا وسعها " ، وهو امر فوق طاقتها (5) . فاتخذ الشيخ بيوض طريقة اخرى ، وهو اتجاه موكب العزابة ومن خلفهم عامة افراد المجتمع الى عين المكان الذى وقع فيه المنكر بعد التبرؤ من مرتكبيه رافعين اصواتهم بالنهي عن المنكر ، فاستمرت قرى ميزاب بنفس الكيفية حتى منعها الاستعمار بتدخلاته معتبرا ان تلك المظاهرات ضد وجوده ونفوذه وقوانينه ، وتدخلا فى صلاحياته (6) " فقد اعتبروا البراءة ، او استعمال سلطة العزابة الزجرية ، او التنديد بهذه المظاهرة فى النهى عن المنكر امام اى دار يقع فيها ... تدخلا صريحا واعتراضا للسلطة " (7) فضايقت العزابة واضطهدتهم ولاسيما قضية محاكمة عزابة مدينة " بريان " بمحكمة الاجرام فى " البليدة " لا لشيء الا انهم عزروا رجلا ثبت عندهم ارتكابه لفاحشة الزنا فأقر واعترف فجلدوه فى صحن المسجد امام الملأ بعد اتخاذ كل الاحتياطات والاجراءات فى شأنه وبعد التبرأ منه فاعترف وتاب .

(*) هذا بالنسبة الى مدينة العطف ويمكن مشاركة مدن اخرى مثلها فى اختيار يوم السبت وهو موضوع يحتاج الى تقص وبحث .

(1) الحاج ايوب : رسالة ... ورقة 98 .

(**) يتجه عزابة كل بلدة فى طرق معينة ويقفون فى مواقع معينة ومحددة .

(2) الحاج ايوب رسالة ... ص 98–99 . الحاج ايوب : حديث شخصي . مشاهدتى للموكب وانا دون البلوغ .

(3) (4) الحاج ايوب رسالة ... ورقة 99 .

(4) نفس المكان .

(6) بكلى عبد الرحمن : حديث شخصي .

(7) الحاج ايوب : رسالة ... ورقة 100 — بكلى عبد الرحمن : مراسلة خاصة .

ابتدأت القضية سنة 1947 واستمرت خمس سنوات تداورت مرافعتها الى محكمة النقض والابرام فى " البليدة " وفى باريس تجندت فيها العزابة والاباضية متحدين السلطات الاستعمارية والحكم العسكرى فى الجنوب الى ان ظهر الحكم ببراءة عزابة بريان وشرعية عملهم .(1)

لا ينكر اثر وفعالية القيام العملي التطبيقى لمبدأ " الامر بالمعروف " والنهي عن المنكر " فى محاربة الرذائل والموبقات والآفات الاجتماعية ، وتوجيه المجتمع نحو تطبيق مبادئ الاسلام واحكامه وتغذية الروح الاسلامية ، والتعاون على البر والتقوى ، وما فيه صلاح المجتمع ، وتعزيز سلطة العزابة الساهرة عليه .(2) ولكن بعد محاربة الاستعمار لنفوذ وسلطة العزابة سلبها مقوماتها تدريجيا ، وعمل على عرقلتها ، وارهابها ، والتأثير فيها ولكنها صمدت ، وتحملت الكثير ، فهي ان سلبت ما كانت تتمتع به من نفوذ تغيير المنكر باليد ، فهي لم تتخلى عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان ، والاعتماد على طريقة الوعظ والارشاد التى لا ينكر مفعولها واهميتها فقد اعتبرهما الرسول (ص) جندين من جنود الله فقال : " من نصرهما نصره الله ومن خذلهما خذله الله " يترتب عن تركهما عقاب الله و تسليطه الاشرار على الاخيار فيدعو هؤلاء فلا يستجيب الله لهم . قال (ص) : لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، او ليسلطن الله عليكم أشراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم " . وعن حذيفة بن اليمان (+) ان النبيء (ص) قال : " والذى نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف . ولتنهون عن المنكر . او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم " (3) .

يترتب عن ترك الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فساد كبير ، وتحلل اجتماعي فظيع ، وتعطيل احكام الدين ، فتزول رقابة الضمير والاخلاق وتفقد حركة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سلطانها لانها لا تستند الى قوة تحميها ، ولا رادع اجتماعي يصونها ، وانما يقوم بها متطوعون لا نفوذ لهم ، والدواعي الى خلافها متوفرة قوية (4) .

ان تخلى المسلمون عن الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتناصح فيما بينهم يؤدي بهم الى الحرمان من رحمة الله ، والى انفصام عراهم ، وتلاشي وحدتهم .(5)

كان دأب ابى المنيب ( ) هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويردد قولته المشهورة " شملتنا اللعنة اذا سكتنا عن المنكر وقد تفرغ للحسبة ." (6)

---

(1) بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة ، وحديث شخصي . الحاج ايوب : حديث شخصي .

(2) علي معمر : الاباضية ... 4/ 455

(+) هو حذيفة بن اليمان العبسي ، والده هو " حسل " بكسر الحاء وسكون ثانيه ، هو ابن جابر العبسي ، من كبار الصحابة ، سمي والده " اليمان " لانه حالف اليمانية ، ولد حذيفة بالمدينة ، واسلم وابوه بها ، واراد شهود بدر فصدهما المشركون ، وشهدا احدا فاستشهد اليمان بها ، وشهد حذيفة " الخندق " وغيرها ، روى احاديث كثيرة عن النبيء (ص) . وعن عمر (ض) وروى عنه الصحابة والتابعون ، استعمله عمر على المدائن حتى توفي بعد مقتل عثمان (ض) ، ومبايعة علي (ض) باربعين يوما ، اى سنة ست وثلاثين . هو " صاحب سر رسول الله (ص) الذى لا يعلمه غيره . " انظر ابن حجر العسقلانى احمد بن علي (ت853 هـ) الاصابة فى تمييز الصحابة (باب : ح د) 1639 . (حذيفة) 1647 ج 1 ص316_317 دار الكتاب العربى بيروت .

(3) أخرجه أحمد وابن ماجة والترمذى

(4) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص : 134 دار الكتاب العربي بيروت (1385 _ 1965)

(5) حوى سعيد (معاصر) جند الله ثقافة واخلاقا ، ص : 256

(6) الدرجيني : طبقات ... 2/ 293، 297 .

ثانـــيـــا :

الولاية والبراءة : عما علم ينحصر مفهومهما في معرفة الذنوب الصغيرة والكبيرة ، وما يترتب على فاعلهما من كفر ، أو لعن ، أو تقبيح الذنب ، أو سخط الله تعالى على فاعله بسبب فعله [1] . كما في قوله تعالى : "أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله " [2] . "انه كان حوبا كبيرا " [3] "سبحانك هذا بهتان عظيم " [4] . وما يترتب عن رضى الله تعالى على المؤمن الموفي . "والله ولي المؤمنين " [5] "الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . . " [6] "الولاية والبراءة من الايمان ، لا يسع الناس جهلهما ، ولا تركهما ، وهما فريضتان على العباد . . "[7] وفرضيتهما واجبة كالصلاة . . . [8] .

ـ الولاية : لغة ، بفتحة على الواو واللام من: ولاه يليه وليا ، ومعناه: دنا منه وقرب[9] و" وليه" بفتحة على "الواو" وكسرة على "اللام" وفتحة على "الياء" فهي القرب والقيام للغير بالأمر والنصر ، والاهتمام بالمصالح ، والحفظ والاتصال [10] . الخ . . . ، والقرب ، وهو "مأخوذ من ولاية أمر اليتيم " [11] بمعنى "القيام بأمره ، والاهتمام بمصالحه [12] . وهو معنى ولاية الله لأوليائه ، وذلك معنى قوله تعالى "الله وليّ الذين ءامنوا" أى ناصرهم ومتولى أمورهم وحافظهم [13] "أما الولاية بكسر الواو فتعني الخطة" والامارة والسلطان . . . وقيل بجواز الفتح والكسر [14] .

ـ الولاية شرعا: هي أوسع معنى من المفهوم اللغوى الذى تنبني عليه الولاية الشرعية كما قال القطب "لأن هذا التعريف اللغوى خاص بولاية العباد " [15] . ومعنى "الولاية شرعا في ذاتها فتعني " الود بالجنان ، والثناء باللسان " [16] أى حب المؤمن الموفي الذى يتولاه أخوه المؤمن في الله فيدعو له ويترحم عليه ، وهو أمر واجب

---

(1) السالمي نور الدين ، أبو محمد عبد الله : (ت 1332هـ/ 1913م) كتاب شرح طلعة الشمس على الالفية المسماة بشمس الأصول ، ج 1، ص ص 174 — 175، مطبعة الموسوعات بمصر . بدون تاريخ . ـ السالمي : مشارق أنوار العقول، تعليق وتصحيح ، الخليلي أحمد ابن حمد ، ص 337، ط 2، (1398هـ/ 1978م) ، مطابع العقيدة . سلطنة عمان .

(2) سورة ، آل عمران : الآية 78 .

(3) سورة ، النساء ، الآية 2 .

(4) سورة النور ، الآية 16 .

(5) سورة آل عمران ، الآية 68 .

(6) سورة البقرة ، الآية 257 .

(7) أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (471هـ/ 1078 — 79م) التحف في الأصول ، "مخ" ، ورقة 4، المكتبة البارونية ، حومة الحشان ، جربة ، اقتبسه الجعبيرى في كتابه : نظام العزابة . . . ص 99 .

(8) درويش بن جمعة بن عمر المحروقي (ت ف 11هـ/17م.) الدلائل في اللوازم والوسائل ، تحقيق عامر عبد المنعم ، وهارون محمد الهادى، ص 31 .

(9) الجعبيرى : نظام . . . ص 99 .

(10) السالمي : مشارق . . . ص 338 . ـ أطفيش (القطب) الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، تعليق أطفيش "(أبو اسحاق) ، ص 32، ط 2 ، (1400هـ/ 1980م) مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر .

(11) الجيطالي أبو طاهر اسماعيل بن موسى (ت 750هـ/) قواعد الاسلام ، تصحيح وتعليق بكلي عبد الرحمن بن عمر ج 1 ، ص 45، ط 1(1976م) المطبعة العربية .

(12) (13) الجيطالي : نفس المكان . ـ أطفيش (القطب) : الذهب الخالص . . . ص 32 . الشريفي عدون بن بلحاج : (معاصر) : أصول الدين، (مخ) ورقة 20 ، كراس حجم عادى 22 ورقة . مكتبتي .

(14) أطفيش (القطب) : الذهب . . . ص 32 .

(15) الجعبيرى: نظام . . . ص 99 .

(16) أبو حفص عمرو بن جميع (ق 8هـ/ 14م) : مقدمة التوحيد ، 91، ط 2، (1392هـ/ =

على جميع المسلمين فيطلبون له الرحمة والمغفرة [1] وقد ثبت وجوبها بأدلة قطعية [2]، واقترن الأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات بالأمر بوحدانية الله تعالى، كما في قوله جل وعلا: "فاعلم أنه لا اله الا الله، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" [3]. والولاية واجبة على كل مكلف عندما يبلغ، وقامت الحجة عليه، وان لم تقم، فهو موسع عليه حتى تقوم، وتجب عليه أيضا البراءة من أعداء الله الذين كفروا به، أو الذين يعصونه [4].

والولاية على وجوه، وأقسام، وشروط ... [5] أما ولاية الله تعالى لعباده المتقين الموفين فتعني "توفيقه اياهم لطاعته وإعانتهم عليها، ونصرته لهم على أعدائهم الذين من جملتهم أنفسهم، وشياطينهم، وأصل الولاية هي: الموافقة في الدين، فكل من وافقك في الدين فهو وليك، سواء علمت بموافقته أو جهلتها .." [6].

ومن أدلة وجوب الولاية قوله تعالى "ان الذين ءامنوا، وهاجروا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذين آووا ونصروا، أولئك بعضهم أولياء بعض. والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين، فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعملون بصير" [7] دلت الآية على الزام النصر في الدين، "والنصر في الدين هو عين الولاية الشرعية" [8]. وقوله تعالى تتمة للآية السابقة "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" [9]، اذا خالف المؤمنون ما أمروا به من موالاة بعضهم بعضا، ومعاداة الكفار، ومباعدتهم تحصل الفتنة في الأرض بسيطرة الكفار ونفوذهم على المسلمين فيعم الفساد بتغلب الشرك على الاسلام [10] "يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم، ان الله لا يهدي القوم الظالمين" [11].

= 1973م) المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

(1) الجيطالي أبو طاهر: قواعد ... 1/ 45 — درويش بن جمعة: الدلائل ... ص 31. أبو زكريا يحي الجناوني (ت) كتاب الوضع، مختصر في الأصول والفقه، تعليق أطفيش (أبو اسحاق)، ص 32، ط1، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر. — أطفيش (القطب) شامل الأصل ... / 37. — أطفيش (القطب): الذهب ... ص 32. — السالمي: مشارق ... ص 339، الباروني أبو الربيع سليمان: مختصر تاريخ الاباضية، ص 71. — أشريفي عدون: أصول الدين: (مخ)، ورقة 20. — علي معمر: الاباضية ... 1/ 84.

(2) السالمي: مشارق ... ص 339.

(3) سورة محمد، الآية 19.

(4) أبو زكريا يحي الجناوني: المرجع السابق، ص 32. — أطفيش (القطب): الذهب... ص 32. أطفيش (القطب) ازالة الاعتراض، عن محقي آل اباض، ص 4، ص 54، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان. — أطفيش (القطب): شامل ... 57. السالمي: مشارق أنوار ... ص 336—7. — علي معمر: الاباضية ... 1/ 88. — شريفي عدون: (مخ) ورقة 20.

(5) أنظر: أبا حفص عمرو بن جميع: مقدمة ... ص 91 — 98. — درويش: الدلائل .. ص 31 — 33، أبو زكريا يحي: كتاب الوضع ... 32—33. — الجيطالي أبو طاهر: قواعد ... 1/ 45— 98.

(6) السالمي: مشارق ... ص 338. — أنظر: أبا حفص عمرو: مقدمة ... ص 94 — 95.

(7) سورة الأنفال، الآية 72.

(8) السالمي: المرجع السابق، ص 339.

(9) سورة الأنفال، الآية 73.

(10) السالمي: المرجع السابق، ص 339.

(11) سورة المائدة الآية 51.

يستدل بآية الأنفال أيضا على وجوب البراءة من أعداء الله ، سأل النبيء صلى الله عليه وسلم ابن مسعود قائلا: يا ابن مسعود أي عرى الاسلام أوثق ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : الولاية في الله والبغض في الله .[1]

حصل الاجماع على ولاية الجملة ، وبراءة الجملة [2] ، ولكن وقع الخلاف في ولاية الأشخاص وبراءة الاشخاص[+] ويقول بها الاباضية[3] ويطبقونها ، فما هي اذا يا ترى؟ "أو هي الولاية بحكم الظاهر ، وهي القصد بالولاية لكل شخص عرف بالخير ، مستقيما في دينه ، ولم يظهر منه ما يخل به والقصد بالبراءة من كل شخص عرف بالشر ، ملتبسا بالمعصية ولم يتب منها [4] " وهذه من الفروض الواجبة باستناد الى قوله (صلى الله عليه وسلم) : من أعطى لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، فقد استكمل الايمان [5] " . وقول عمر (رضي الله عنه) من رأينا فيه خيرا ، وظننا فيه خيرا توليناه ، ومن رأينا منه شرا ، قلنا فيه شرا ، وظننا فيه شرا ، تبرأنا منه [6] . وقوله تعالى " ومن يتولى الله ورسوله ، والذين ءامنوا فان حزب الله هم الغالبون " [7] .

تعتبر ولاية الأشخاص وبراءة الأشخاص من أهم ما يؤكده الاباضية ونظام العزابة لأنها أساس العشرة الحقة ، والتعاون النزيه في الله ، ويرى شيوخ الاباضية أن ولاية الفرد المخصوص باسمه اذا ثبت استحقاقه لها "فريضة واجبة " [8] ودليلهم على فرضيتها فضلا عما تقدم آنفا "أنها لما اتفقت علتها في الأصل وجب أن يتفق حكمها أيضا في الفرع ، لأن العلة انما هي الوفاء في كلا الوجهين " [9] . ويرى الاباضية أن ابطال ولاية الأشخاص تتسبب في عدم ايفاء المسلمين حقوق بعضهم من بعض [10] لأن القيام بها واجب بقوله (صلى الله عليه وسلم) : " للمسلم على أخيه ست بالمعروف: يسلم عليه اذا لقيه ، ويعوده اذا مرض ، ويستجيب له اذا دعاه ، ويشهده اذا توفي ، ويشمته اذا عطس ويحب له ما يحب لنفسه " [11] . فهذه الحقوق يراعيها العزابة ويسيرون بمقتضاها المجتمع ولذلك حافظ على تماسكه ، فهم بهذا لا يساوون " بين مؤمن تقي ، وعاص شقي في المعاملة .

---

(1) رواه أحمد من حديث البراء بن عازب بلفظ "أوثق عرى الايمان الحب في الله ، والبغض في الله " . أنظر: بكلي عبد الرحمن في كتاب: قواعد الاسلام للجيطالي أبي طاهر ج 1، ص 45، على هامش رقم 2 .

(2) الجيطالي أبو طاهر: قواعد . . . 1/ 45 — 46 .

(+) هو اعتقاد المكلف بولاية أهل طاعة الله من الأولين الى الآخرين حتى يوم الدين من أنس وجن وملائكة ، واعتقاد المكلف البراءة من جميع من عصى الله من الأولين الى الآخرين حتى يوم الدين من انس وجن ، وعبر عنه بعقيدة الانسان: أنظر: ا الجيطالي : قواعد . . . 1/ 56 . — السالمي : مشارق ... ص 343 . — أطفيش (القطب) ازالة الاعتراض . . . ص 4 . أطفيش: الذهب . . . ص 33 .

(3) الجيطالي : قواعد ... 1/ 46 . — الباروني أبو الربيع: مختصر ... ص 71 . — شريفي : عدون: أصول الدين ... ورقة 21 . — علي معمر: الاباضية ... 1/ 84 — 85 . — وسيأتي مبحث البراءة . . . . . .

(4) شريفي عدون: المرجع السابق، ورقة 21 .

(5) رواه أبو داود عن أبي أمامة، وعن أبي هريرة ... "من سره أن يجد حلاوة الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله " رواه أحمد . أنظر : الجيطالي : قواعد . . . 1/ 57 . وهامش رقم 2 .

(6) رواه الربيع عن أبي عبيدة . — أنظر: الجيطالي : قواعد . . . 1/ 57 . — بكلي عبد الرحمن: هامش قواعد ... 1/ 57، رقم 4 . — أبو حفص عمرو: مقدمة ... شرح الثلاثي : ص 15

(7) سورة المائدة، الآية 56 .

(8) الجيطالي : قواعد . . . 1/ 56 . — " وهي للموفي بدين الله " اعتقادا وقولا وعملا " . أنظر: أبا زكريا : الوضع ، ص 33 .

(9) نفس المكان . (10) نفسه .

(11) أنظر: كتب الصحاح . — الثميني عبد العزيز : النيل ... 1/ 254 — 55 .

(12) علي معمر: الاباضية . . . 1/ 86 .

بدراسة موضوع البراءة تظهر أهمية الولاية وفائدتها أكثر ، فقد اهتم شيوخ الاباضية وعزابتهم بالبراءة اهتماما كبيرا ، وطبقوها في المجتمع الاباضي ، وجعلوا اثارها في المحافظة عليه فكانت حسب ما يبدو من أهم العوامل في بقاء نظام العزابة وسلامة المجتمع من الانحراف والتفكك . فما هي البراءة ؟ وما أدلتها وأحكامها ؟ ومدى تأثيرها في المجتمع ؟ ذلك ما نشير اليه .

— البراءة لغة : هي "البعد عن الشيء والتخلص منه " [1] يقال : "فلان بريء من كذا اذا بعد عنه أو تخلص منه " [2] . وعلى هذا المعنى تبنى البراءة الشرعية [3] ، وعرفها الامام الجيطالي [4] بـ "البعد من الشيء والخروج منه " .

— البراءة شرعا : هي : "البغض ، والشتم ، واللعن للكافر لكفره " [5] . والبراءة هي : "هجرة مرتكبي الكبائر حتى يتوبوا " [6] . ان معرفة الصغائر والكبائر أساس علم الولاية والبراءة [7] فقد عرفت الكبائر بحدود كثيرة ، منها الذنب الذي يثبت على فاعله اقامة الحد ، يشير السالمي [8] الى ذلك بقوله :

والذنب [+] قسمان كبير وجبا   حد به والجاري منه غضبا
فأجب اللعن عليه أو سخط   أو قبح الرسول من به سقط

البراءة العامة واجبة على كل مكلف بالغ عاقل مثل الولاية ، فيجب عليه أن يتبرأ من كل أعداء الله من الأولين والآخرين انسهم وجنهم الى يوم القيامة [9] ومن الكافرين والعصاة جملة وتفصيلا سواء من وصفهم القرآن ، أو من نص عليهم باسمهم ، أو من سار في نفس النهج الذي سار عليه من بعده هم الخ ... وأدلة ذلك كثيرة من القرآن والسنة :

<u>أدلة البراءة من القرآن :</u>

قوله تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ... " [10] . نهى الله عن ولاية الكفار المغضوب عليهم ، فقال : ... " لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور " [11] فالنهي عن ولاية الكفار والذين غضب الله عليهم يدل على التبرؤ منهم ، وهناك من يرى أن الآيات الدالة على تحريم ولاية أحد لا تدل على وجوب البراءة منه لأن هناك "الوقوف" [12] .

---

(1) أطفيش (القطب) : الذهب ... ص 44 . — أنظر : السالمي : مشارق ... ص 340 .
(2) السالمي : مشارق ... ص 340 .
(3) أطفيش (القطب) المرجع السابق ... ص 44 .
(4) قواعد ... 1 / 69 .
(5) أطفيش (القطب) الذهب ... ص 44 . — عرفه الامام الجيطالي بـ " ايجاب الشتم واللعن للكفار " قواعد 1 / 58 .
(6) أطفيش (أبو اسحاق) على كتاب الوضع لأبي زكريا : ص 33 هامش رقم 4 .
(7) السالمي : الملحة الشمسي ... 1 / 174 .
(8) نفس المكان .
(+) يترتب عن تقسيم الذنوب الى قسمين "كبائر ، وصغائر" التخلص منها بأداء الكفارات اما مغلظة أو مرسلة مع شروط التوبة كالاخلاص فيها ، والندم ، والاقلاع عنها .
(9) الجيطالي ... قواعد ... 1 / 69 .
(10) سورة آل عمران ، الآية 28 — 29 .
(11) سورة الممتحنة ، الآية 13 .
(12) السالمي : مشارق ... ص 340 — 41 . — سيأتي معنى : " الوقوف " .

وكقوله تعالى : "ياأيهاالذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء" (1)
"لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان" (2)
وقوله تعالى : "لقد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ، ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده" (3) "لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ومن يتول فان الله هو الغني الحميد" (4) دلت الآية السابقة على وجوب التأسى بمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ومن لم يكن كذلك ولا يتأسى بابراهيم ومن معه في صفاته فقد أنذره الله بالوعيد ، والله غني حميد عمن تولى عن التأسى (5) .
وكل الآيات التي ترتب اللعن على الكفار والظلمة تدل على أن الله برئ منهم (6) .

<u>أدلة البراءة من السنة :</u>

كثيرة كقوله (صلى الله عليه وسلم) "لعن الله من أحدث في الاسلام حدثا أو آوى محدثا" (7) . وقوله "ليس منا من صلق أو حلق" (8) . وقوله (صلى الله عليه وسلم) : "ليس منا من غشنا" (9) . وقوله (صلى الله عليه وسلم) : "من غشنا فليس منا ، ومن لم يؤثرنا فليس منا ، ومن أحدث في الاسلام حدثا ، أو آوى محدثا فليس منا ، ومن لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا فليس منا" (10) .

فقد أجمعت الأمة على براءة الجملة "أى البراءة من أعداء الله جملة" (11) الا أنها اختلفت في ثبوتها تفصيلا في الأشخاص (12) . يستدل الاباضية على ثبوتها في الأشخاص بدليل "أن العلة التي لأجلها وجبت البراءة في الجملة انما هي الاخلال بشيء من أوامر الله تعالى ، أو ارتكاب شيء من مناهيه فاذا وجدنا هذه العلة في شخص بعينه وجب علينا أن نجرى عليه الحكم الذى أوجبته هذه العلة فثبت القياس قطعيا للقطع بأن علة الحكم في الأصل هي ما ذكرنا ، وهي مقطوع بوجودها في الفرع فثبت الحكم قطعا" (13) . وما موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الثلاثة (+) الذين

---

(1) سورة الممتحنة ، الآية 1 .
(2) سورة التوبة ، الآية 23 .
(3) سورة الممتحنة ، الآية 4 .
(4) سورة الممتحنة ، الآية 6 .
(5) (6) السالمي : المرجع السابق ، ص 340 .
(7) عن ابن عباس ، رواه الربيع .
(8) أنظر : بكلي عبد الرحمن: هامش رقم 7 من كتاب قواعد ... للجيطالي ، 1/ 67 .
"روى عن عبد الرحمن بن يزيد ، وأبي بردة قالا : لما ثقل أبو موسى أقبلت امرأته أم عبد الله تصيح برنة ، فقال لها : أو ما علمت أني برئ ممن برئ منه رسول الله (ص) ؟ وكان يحدثها رسول الله (ص) قال: "أنا برئ ممن حلق ، وسلق ، وحرق" رواه ابن ماجه . — "الصالقة التي ترفع صوتها بالنياحة ، الحالقة التي تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، الشاقة التي تشق ثيابها عند المصيبة"
نفسه هامش ص 68 .
(9) رواه مسلم .
(10) رواه الربيع ، وقال "معنى كل هذا البراءة منه" . أنظر: الربيع : الجامع الصحيح ، ج 3 ، ص 3 .
(11) أبو زكريا الجناوني : الوضع . . . ص 33 . — درويش: الدلائل . . . ص 342 . — السالمي : مشارق . . . ص 341 . — اطفيش (القطب) : ازالة الاعتراض . . . ص 2 . — أبو اليقظان: بيانات . . . ورقات 20 — 21 . —
(12) السالمي : مشارق . . . ص 341 .
(13) نفسه .
(+) هم : كعب بن مالك ، مرارة بن الربيع ، هلال بن أمية ، أما أبو خيثمة فقد لحق

تخلفوا عن غزوة تبوك " بالتبرؤ منهم ، واعلان مقاطعتهم الا دليل على ممارسة عملية تطبيقية للبراءة الشخصية ، والآية صريحة في هذا المعنى في سورة التوبة ، وهي قوله تعالى : "لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ،وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى ، اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم " (1) .

تبرأ أبونا ابراهيم (عليه السلام) من أقرب قريب اليه وهو أبوه لما لم يؤمن بدعوته لوحدانية الله تعالى ، فلم يستغفر له بعد أن واعده ، وكذلك النبيء محمد (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون لم يستغفروا للمشركين ، ولو أنهم من ذوى قرابتهم لما تيقنوا من غضب الله عليهم وبأن مصيرهم الى النار: " ما كان للنبيء والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها أياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم " (2)
وكذلك موقف سيدنا نوح (عليه السلام) مع ابنه الذى عصاه بعد أن دعاه وألح عليه ، وطلب منه أن يركب معه السفينة فأبى لأنه لم يؤمن به " ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سأوى الى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين " (3) وطلب سيدنا نوح ربه أن ينجي ولده لأنه من أهله فأجابه الله أنه ليس من أهله لعصيانه " ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح ... " (4) .

ومن أدلة براءة الأشخاص قوله تعالى "انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله " (5)
وقوله : " واشهدوا أني بريء مما تشركون " (6) " ولا تصل على أحد منهم مات أبدا " (7)

ان عصيان الله والرسول مخالفة صريحة للدين ، وخروج عنه بعدم اتباعه فتنتفي الحكمة منه فلا تتحقق فائدة التشريع ، ولا يجني المكلف ثمرته في الدنيا والآخرة ، ومن يعص الله ورسوله ، وبمخالفة آدم (عليه السلام) أمر الله ، وصفه بالعصيان فطرده من جنته ، فلما تاب الله عليه . فقال تعالى : "وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى " (8) والعصيان يستلزم العقاب بالعذاب الأليم "قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم " (9) . "ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا " (10)

= بالجيش والرسول (ص) قبل رجوعهم . أنظر: ابن هشام: السيرة النبوية ، تحقيق وشرح السقا مصطفى ،الأنبارى أبراهيم ، شلبي عبد الحفيظ، ج 2، ص351، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ـ جاد المولى محمد أحمد ، وآخرون، قصص القرآن ص399، ط3 ، مطبعة دار الكتب المصرية (1946م) ، القاهرة .

(1) سورة التوبة ، الآية 118 .
(2) سورة التوبة ، الآية 114 . ـ أنظر: جاد المولى وآخرون: قصص ... ص 36 .
(3) سورة هود ، الآيتان : 42 ـ 43 .
(4) سورة هود ، الآية 46 . ـ أنظر: جاد المولى وآخرون: قصص ... ص ص 18 ـ 19 .
(5) سورة الممتحنة ، الآية 4 .
(6) سورة هود ، الآية 54 .
(7) سورة التوبة ، الآية 84 .
(8) سورة طه ، الآية 121ـ122 .
(9) سورة الأنعام ، الآية 15 . ـ سورة الزمر، الآية 13 .
(10) سورة الجن ، الآية 23 .

للولاية الشخصية والبراءة الشخصية صور كثيرة قديما وحديثا[1] سنشير الى بعضها بعد بيان حالة من لم تثبت ولايته، ولا التأكد من البراءة منه، وهو ما يعبر عنه بـ"الوقوف".

الوقوف لغة: هو: "انتصاب القامة"[2].

الوقوف اصطلاحا: هو "الكف عن القدوم في أحد بولاية، أو براءة ..."[3]

كل امرئ بلغ دور التكليف ولا يعرف حاله أكان كافرا أم مؤمنا يجب التوقف عن اصدار حكم ولايته أو البراءة منه حتى يتحقق من حاله أنه من أهل الخير أو من أهل الشر فيتولى أو يتبرأ منه، ويهلك من يتجرأ على ذلك بدون علم به[4]. وكذلك أطفال المشركين والمنافقين يتوقف الاباضية عن توليهم أو التبرؤ منهم[5]. حتى يبلغوا الحلم ويتأكد من ايمانهم فيتولون وان لم يثبت فيهم يتبرأ منهم، ومن يصدر حكمه دون التأكد منهم فقد ارتكب محرما شرعيا.

أدلة الوقوف من الكتاب: "ولا تقف ماليس لك به علم"[7] "يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"[8] "قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون"[9] "فلما نهوا عن القول بغير علم دل أنه أمرهم بالامساك عنه" والنهي عن الشيء أمر بضده"[10].

أدلة الوقوف من السنة: قوله (صلى الله عليه وسلم): "وأمر أشكل عليك فقف عنه"[11] وقوله (صلى الله عليه وسلم): "المؤمن وقاف، والمنافق وثاب"[12].

وعلى هذا أجمعت الأمة الاسلامية، فوجوبه ثابت بالكتاب والسنة والاجماع[13].

للوقوف أقسام كثيرة[14]، فحكم المسلم ينبني على اليقين والتثبت من الأمر، والحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقرره الأصوليون.

حرص "العزابة" وشيوخ الاباضية حرصا شديدا على تطبيق مبدأ الولاية الشخصية، والبراءة الشخصية بمقتضى نصوصهما من الكتاب والسنة، فقد ورد فيهما تأكيدات في كتب ومؤلفات الاباضية[+]، وطبقوا الأحكام التي نص عليها واضع نظام العزابة الامام أبو عبد الله محمد ابن بكر سواء على العصاة أو المخالفين للأعراف والقوانين[15]، وكذا من جاء بعده،

---

(1) بيوض: حديث شخصي.
(2) السالمي: مشارق ...، ص370.
(3) نفسه.
(4) (5) أطفيش (القطب) الذهب الخالص ...، ص94 — درويش: الدلائل ...، ص34. — أطفيش (القطب): شامل ... 1/ 67.
(6) شريفي عدون: أصول الدين، ورقة 22.
(7) سورة الاسراء، الآية 26.
(8) سورة الحجرات، الآية 6.
(9) سورة الأعراف، الآية 32.
(10) أطفيش (القطب): الذهب ...، ص93.
(11) (12) (13) السالمي: مشارق ...، ص 370.
(14) أنظر: درويش: الدلائل ...، ص34. — السالمي: مشارق ...، ص ص370 — 373، أطفيش (القطب) الذهب ...، ص ص 58 — 60.
(+) وخاصة كتاب "عقيدة التوحيد" لعمرو بن جميع، وما ورد في "السيرة المشهورة" أي مراسلات الامام عبد الله بن اباض الى الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، فضلا عن نصوص أخرى.
(15) أبو اليقظان: بيانات ... ورقة 21.

واتخذوها أسلوبا منهجيا في المعاملات والعلاقات الاجتماعية لحماية المجتمع وصيانته.

تنحصر أهمية وفائدة الولاية والبراءة كأصل من أصول عقيدة المسلم في تحديد علاقته مع خالقه، ومع الناس أجمعين، ونوع معاملته مع المسلمين، لتحقيق الثمرة المرجوة من ذلك وهي التوصل الى نيل مرضاة الله تعالى "في موالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وهو الفوز الأكبر، والمقام الأفخر" (1)، ويتولد عن هذا ائتلاف المؤمنين، واجتماع شملهم، وبالتالي انتظام أمرهم، واستقامة أحوالهم، واعتزال الفساق، والحذر من مخالطتهم ما داموا على انحرافهم، واتخاذ موقف صارم ضدهم لردعهم، وارجاعهم الى حظيرة الجماعة الاسلامية كي لا يفسدوا المجتمع، وحتى لا يشجعوا على التمادى في غيهم وضلالهم، ان قاعدة الولاية الشخصية والبراءة الشخصية تعتبر الأداة الفعالة لقمع العصاة والمجرمين" (2) فقد ظهرت نتيجتها ماثلة للعيان في المجتمعات الاباضية منذ أن بدأوا في تطبيقها فسلم المجتمع من الأشرار وآفاتهم، وأذاهم فحافظ على نقاوته وطهره، وبالتالي ارتكزت عقيدة الدين في نفوس المسلمين، لكن متى ابتدأ تطبيقها ؟ وكيف طبقها الاباضية، وخاصة هيئة العزابة ؟ هذا ما سوف نحاول الاجابة عنه فيما يلي :

ليس من السهولة ضبط تاريخ محدد لبداية تطبيق عقوبة البراة على العصاة في المجتمعات الاباضية، ولكن لا يستبعد أن يكون ذلك قد حدث في القرن الأول الهجرى لما ظهر امام المذهب الاباضي جابر بن زيد الأزدى والذى ساهم باجتهاداته في مسائل "علم الكلام" التي أثيرت في الثلثين الأخيرين من القرن الأول الهجرى (3). وكذا موقفه من خرذلة الذى أهدر دمه (4) لأنه أوشى بجماعة المسلمين الى خصومهم الأمويين، ولا يصدر هذا الحكم الا بعد التبرؤ منه وظهر العمل بالبراءة الشخصية في عهد امام المذهب الاباضي الثاني "أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في القرن الثاني الهجرى(145هـ/ 762م) (5) والذى تخرج على يديه طلبة كثيرون منهم حملة العلم الى المشرق والمغرب، وأئمة فحول مثل أبي سفيان محبوب بن الرحيل (6)، الذى تبرأ من ابنه عبد الرحمن لما لم ينته عما نهاه عنه والمسلمون، فأعلنوا البراءة منه، وأطلعوا الناس على ذلك، وكان هذا في عهد الامام أبي عبيدة (7). وطبقت البراءة في فترة الامامة الأولى بليبيا (8)، وكذلك في امامة الظهور في عهد الامام عبد الوهاب

---

(1) السالمي: مشارق... ص337.

(2) أبو اليقظان: بيانات.. ورقة 21. — بيوض: خلاصة.. ورقة 12. — بكلي عبد الرحمن: مراسلة خاصة. — توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص112. — دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص207، ط1، (1383هـ/ 1963م)، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

(3) علي معمر: الاباضية... 1/ 55—56 . — الباروني أبو الربيع: مختصر... ص ص28— 29 .

(4) الشماخي: سير... ص ص75— 76. — الباروني: مختصر... ص30.

(5) الباروني: مختصر... ص30 .

(6) الدرجيني: طبقات... 2/ 281—83 . أنظر: العهد الذى كتبه الى الامام طالب الحق: الدرجيني: 2/ 279 — 290 . — ومما أورده أبو سفيان محبوب بن الرحيل وهو من الطبقة الرابعة في الخمسين الثانية من المائة الثانية (150—200) — في جملة ما يدين به أهل الدعوة ويدعون اليه ".. وفراق الناس جميعا على المعصية وانزالهم حيث أنزلوا أنفسهم، والسيرة فيهم على قدر منازلهم ... ولما استفسر أبو النظر عما يدعونه اليه أجابوه: "انا ندعوك الى ولاية من علمته أنه يقول الحق ويعمل به، وندعوك الى البراءة ممن علمت أنه يقول بخلاف الحق ويعمل به

(7) الجعبيرى: نظام... ص104. (8) الجعبيرى: نفس المرجع، ص105 .

ابن عبد الرحمن لما عارض امامته ابن فند ين موشعيب ابن المعروف المصرى وشقا عصا الطاعة أجمع رأى علماء الاباضية بالمشرق وعلى رأسهم الامام أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدى الأزدى البصرى على التبرؤ منهما ومن أتباعهما الا من تاب منهم ، وكان الامام الربيع يجهر بذلك في مجالسه ، ويوالي الامام عبد الوهاب [1]، وفي عهد الشيخ أبي صالح بكر بن قاسم [+] كان يشتد على الجناة ، والعصاة [2] لما توجه أبو الربيع سليمان بن زرقون الى جبل نفوسة التقى بالشيخ أبي القاسم البغطورى فوجده يوالي "نفاثا" لعدم ثبوت فعله عنده ، وجهله ببراءة الاباضية منه فتبرأ أبو الربيع من الشيخ أبي القاسم البغطورى ومن معه ، فلم يتولوا "نفاثا" منذ ذلك لجهلهم بما حدث [3].

وضع أبو الربيع سليمان بن زرقون مبدأ الخطة والهجران لحلقته التي أنشأها وطبقها في حق تلميذه أبي عبيدة وشق بسبب قول أفتاه في مسألة ، ودونها في كتبه ، فندم وتاب قائلا "تبت الى الله" فقال له "ارجع من فتيا تلك المسألة" [4]. لم يورد الشماخي المسألة ولا الرأى الذى أفتى به أبو عبيدة وشق ، وحتى بعض الكتب التي دون فيها مسائله !

وقد اتخذ الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر مبدأ : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية والبراءة — وخاصة الشخصية — من أهم أسس نظام العزابة [5]، وقد سئل "عن المشهور في الخبر فعل كبيرة يبرأ منه ، فأجاب بالنظيرة [6] سائلا سائله "ما تقول أنت في امام المسلمين اذا فعل كبيرة أيبرأ منه ؟ فأجاب السائل نعم ، فقال : الامامة أعظم من الاشهار وأفضل" [7] وفي عهد أبي عمار عبد الكافي [++] كان الاباضية يتبرؤون البراءة الشخصية ، فقد أورد في سير حلقة العزابة [8] أن "من فعل كبيرة من أهل الحلقة ، وظهرت عليه بالبينة العادلة فان العزابة يبرؤون منه في الحين ويخرجونه من ديوانهم ، ومن حلقتهم اذا كانت كبيرة واضحة من الأقوال والأفعال فيحكمون فيه حكمهم ولا يخافون في الله لومة لائم ..."

أوردت المصادر الاباضية أمثلة كثيرة عن بعض العهود طبق فيها مشايخ الاباضية براءة الهجران على العصاة ، وعلى كل من يخالف السير ، وما يعتقد أنه يخل بالمروءة [9]

قبل الاعلان عن أى انسان أنه في البراءة يتأكد العزابة من مخالفته في القول والعمل ، أو في ... عما ويتأكدون أنه لم يمتثل لأوامر الله ، ويثبتون أنه قد انتهك ما حرم

= ... عوك الى البراءة ممن علمت أنه يقول بخلاف الحق ويعمل به ، وندعوك الى الموقوف عمن لا تعلم حتى تعلم ..." أنظر : الدرجيني : طبقات ... 2/ 239 . — يبين النص أن الاباضية يطبقون الولاية والبراءة الشخصية منذ عهد مبكر.

(1) أبو زكريا ، ص 64 . — الباروني سليمان : الأزهار ، 2/ 112 .

(+) من رجال الطبقة الثامنة ، الخمسين الثانية من القرن الرابع (350—400هـ) أنظر الدرجيني : 2/ 353 .

(2) الدرجيني : طبقات ... 2/ 354 .

(3) الدرجيني : طبقات ... 1/ 112 .

(4) الشماخي : سير ... ص 382 .

(5) أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 20 .

(6) (7) أطفيش (القطب) : ترتيب المعلقات ، ص 44— 45 .

(++) عاش في المنصف الثاني من القرن السادس الهجري ، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشر .

(8) ورقات ، 1 — 2 . — الأعلى صالح بن عمر : أجوبة عن سؤال ، (مخ) ، ورقة 3 ، حجم .

(9) علي معمر : الاباضية ... 4/ 292 — 298 .

الله ، أو ارتكب كبيرة ، ويطبقون حكمهم حسب ما تعارفوا عليه "على كل من يخالف الاتفاقات الصادرة من المسجد ، سواء كانت المخالفة خطيرة أم حقيرة " ينتهج العزابة طرقا للتأكد من المخالفات والانحرافات منها ما يلي :

— العيان: يعني المشاهدة : ينبني عليه معاينة المعصية من قبل العاصي ، ولها أمثلة كثيرة .[1]

— الاقرار: العاصي يعترف بمعصيته ، ويقر بها اقرارا على ما فرط ، مهما كان الدافع

— شهادة عدلين أمينين متوليين على من ارتكب كبيرة أو مخالفة .

— الشهرة القاضية المحقة .[2]

قبل اعلان العزابة البراءة على شخص ما فانهم يتأكدون من مخالفته ويعاينونها جيدا بتحر ودقة وأغلب ما يعتمدون عليه هي : شهادة عدلين مسلمين حرين أمينين ، أو شهادة رجل وامرأتين مسلمتين حرتين أمينتين [3] ، أما ما يتعلق بشؤون النساء وأمورهن فان الهيئة النسوية من "الغاسلات" هي التي تتكلف بهن ، ولها طرق دقيقة للتحرى والتثبت من المعصية أو المخالفة ، والاعتماد على شهادة عدول منهن ، وعند استعصاء الأمر عليهن يبلغنه للعزابة .[+]

أو مايؤدى الى الحاق الضرر بأى فرد في المجتمع ، أو يسبب انحلالا وتفككا فيه ، وازدادوا تشددا أكثر على أهل العلم ، ومن يقتفي أثرهم خوفا من الحاق الذبذبة والحيرة والتشكك على عقائد الاباضية ، وبالتالي خروج الأتباع من المذهب [++] .

اتفق مشايخ "تونين" على هجران أبي يعقوب يوسف بن موسى لأنه لم ينته عما نهاه عنه صديقه أبو محمد عبد الله بن عيسى من مطالعة بعض الكتب الفلسفية ، فقدم اليهم وأعلن توبته [4] .

وضع المشايخ الشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي [5] في الخطة ، وهاجروه ، فاضطر أن يسافر الى "تينوال" فتاب بين أيديهم ، وأعتذر لهم ، فقبلوا توبته .

---

(1) السالمي : كتاب طلعة الشمس ..2/ 157 .

(2) نفسه ص158 .

(3) أبو الربيع سليمان بن يخلف : التحف في الأصول ، ص9 ، أقتبسه الجعبيرى في كتابه نظام ... ص106 — أنظر: أطفيش (القطب) : الذهب الخالص .. ص48 . يؤكد على شهادة "المتولى" أو متوليتين " وهو المشهور وبه العمل" الشماخي : شرح كتاب : مقدمة التوحيد لابن جميع ، ص 101 .

(+) أنظر: ما سبق في موضوع "الغاسلات" .

(++) فاذا ما ضبطوا أحد العلماء يطالع أو يدرس كتب المذاهب الأخرى نهوه فان لم ينته وضعوه في الخطة ، وقد كان ذلك في فترة ولكن كثيرا من علماء الاباضية المجتهدين لا يرون ذلك بل يهتمون بكل ما لدى غيرهم فيطلعون عليه ويذكرون آراء وأقوال علماء المذاهب في مؤلفاتهم ويناقشونها ، نجد ذلك في بعض المؤلفات الاباضية ، وبعضها يعبر عنها حسب بحثها ومنهجيتها بـ "الفقه المقارن" وذلك مثل كتاب "شرح النيل" و "الذهب الخالص" و "وفاء الضمانة " للقطب ، وكتاب "مشارق أنوار العقول" للسالمي ، وغيرها .

(4) علي معمر : الاباضية ... 4/ 292 .

(5) يظهر أنه من الطبقة العاشرة ، ومن الخمسين الثانية من القرن الخامس مادام معاصرا لأبي العباس ابن بكر كما ذكره الشماخي : سير ... ص 432 . — عالم له تآليف في العقائد ، دخل الحلقة أخذ عنه جماعة ...

وضع عزابة (تين باماطوس) [1] أبا يعقوب يوسف بن خلفون في "الهجران" لكثرة مطالعته كتاب "الأشراف" [2] فهو عالم متحرر واسع الاطلاع، مطلعاً على كل المذاهب [3]

قبل اعلان البراءة على مستحقها تراعي العزابة حالته، ونوع مخالفته أو معصيته، فقد تتبرأ منه أولا، وقد تجرى تحقيقا ان احتاجت الحالة الى ذلك، وقد تستتيبه أولا، اذا شوهد شخص وهو متلبس بجريمة أمام الناس وكانت شهادتهم مستفيضة فان وضعه لا يحتاج الى بحث أو تحقيق، ولا ينتظر الاعتراف منه [4]، اذا ارتكب الزاني فاحشة الزنى سرا فان مجرد قرينة تثبت فعله يكتفي بها، كأن يدخل الى دار غير محرمته، أو دار ليس فيها رجل، فان مجرد التهمة تخول التبرؤ منه [5]، فيعلن عن اسمه.

تشير المصادر الى وجوب الاستتابة أولا من ذنب صغير أو كبير، واذا لم يستتبه المكلف بالأمر صار مثله [6] بل يجب أن يحضر المتبرأ منه نفسه ولو شهد عليه الشهود ليدافع عن نفسه [7]. واستثنيت القاعدة عند بعض مشايخ المغرب الاباضيين أنه يتبرأ من الزاني في حين الفعل ثم يستتاب [8]، وكذا المرابي [9]، ولا تقبل التوبة الا بعد البراءة [10]، والتأكيد الشنيع هذا حتى لا تشيع الفاحشة في أوساط المسلمين، واصرار المصر على معصيته يبقيه في البراءة [11]. فكل المخالفات تقدر بقدرها وترجع بالنظر الى العزابة، ثم تتفق فيما بينها بالاجماع مع شيخ الحلقة لتتخذ قرارها النهائي في كيفية تأديب من يقوم بالمخالفات، أو يتبرؤون منه سواء كان عزابيا أم غيره، وعن كيفية هجرانه [12] يستعملون سلاح البراءة عقوبة على المخالفات في الحالات الخطيرة [13].

تتنوع صور المخالفات التي تستوجب البراءة أو الهجران، فضلا عن المعاصي والكبائر، وذلك عبر القرون الى الآن، منها: اقتراف جريمة منع الحقوق عن ذويها كمنع حق زوجة، أو يتيم، أو الطعن في الدين الاسلامي، أو سبه أو تمرد أحد أفراد العشيرة عليها، أو مخالفة للعرف الجارى به العمل، كأن يزيد في قيمة الصداق المقرر لكامل البلدة أو تعد على حقوق الغير، أو اقتراف احدى الكبائر [14]، أو تسليط عقوبة البراءة على من يخالف القوانين التي تشرع للأعراس وتحدد مهرها، وأنواع الطعام والولائم، أو على من ثبتت إدانته بتوجيه خطاب لامرأة في الشارع، عقوبة من تثبت عليه جريمة السرقة [15]. أو ترك الصلاة، والعبادات المشروعة.

---

(1) علي معمر: الاباضية ... 4/ 223 ؛
(2) الدرجيني: طبقات ... 2/ 496 . ـ الاعلى صالح: الاجوبة ... ورقة 8 . ـ من الخمسين الثانية بالقرن السادس الهجرى .
(3) علي معمر: الاباضية ... 4/ 223 ـ 24 .
(4) (5) الحاج أيوب: مراسلة خاصة .
(6) الجيطالي: قواعد ... 1/ 80 . ـ أطفيش (القطب): الذهب ... ص 50 ـ 51 .
(7) أبو الربيع سليمان بن يخلف: التحف في الأصول ص 7 . اقتبسه الجعبيرى في كتابه: نظام ... ص 107 .
(8) الجيطالي: قواعد ... 1 / 81 .
(9) بكلي عبد الرحمن: هامش رقم 1، من كتاب: قواعد = . الجيطالي، 1/ 81 .
(10) (11) أبو الربيع سليمان: التحف في الأصول ص 7، اقتبسه الجعبيرى في كتابه نظام ... ص 108 .
(12) الأعلى صالح: أجوبة ... ورقات 5 ـ 13 . ـ ذكر صورا وحالات وآراء المشايخ ...
(13) LEWICKI: E.I. ART, "HALKA" N.E, P: 101 .
(14) توفيق المدني: كتاب الجزائر ص 112 .
(15) النورى: نبذة ... ص 187 .

كل من يرتكب كبيرة ، يقال في حقه أو شأنه "ان فلانا في البراءة" أو "فلان في براءة المسلمين" [1] ، أما الخطة: فهي في حق من يخالف عرفا متفقا عليه ، في البلدة ، أو أصدره العزابة من أوامر تتعلق بالأعراس والمآتم فالمخالفة هنا ليست شرعية أولا ، أو مصادمة لنص شرعي ، كمن يقطف غلة قبل نضجها ، أو قطع تمره قبل أن يبدو صلاحها ، أو قبل موسمها ، فمن يقوم بهذه المخالفات ، وما على شاكلتها ، لا يقال فيه "فلان في البراءة" وانما يقال فيه "فلان محكوم" [2] على أنه كان في فترة ظهور نظام العزابة في عهد أبي عبد الله أن الخروج الى الخطة تشمل أمورا كثيرة ليست من الكبائر ، فقال الدرجيني : "الخطة والهجران ، والابعاد ، والطرد ألفاظ تترادف على معنى واحد . . . وكان خطة بينه وبين أهل الخير . . ." [3] يبدو أن هناك تفريقا دقيقا حسب ما سبقت الاشارة اليه وانما العقوبة واحدة تتمثل في مقاطعة الشخص الا أنها تخف أو تطول حسب نوع المخالفة والجرم وحسب الاصرار أو المسارعة الى التوبة . هذا واذا حدث منكر، ولم يظهر صاحبه كأن يسرق متاع أو يقع عطب في مرافق المسجد أو المرافق العامة دون معرفة القائم بذلك ، فان شيخ العزابة أو الواعظ يلقي درسا في الموضوع ، وينهى عن ذلك المنكر ، وان لم يظهر مرتكبه فانهم يدعون عليه في المسجد والمسلمون يؤمنون ، وينال هذا الموقف كذلك من يصر على الذنب ولا يتسارع الى رد المظالم ، وأداء الحقوق ، والتوبة .يعتبر هذا الموقف رادعا للعصاة كذلك لأن المسلمين اذا استنكروا منكرا ولو بقلبهم تلحق صاحبه عقوبة تلك الدعوات اذا ما ارتكب شخص مخالفة أو كبيرة ولم يجهر بها فان عشيرته تتخذ معه موقفا في أول الأمر فتعظه وتنهاه ليتوب الى رشده ، ويرد المظالم ان كانت ، أو يؤدى الحقوق ان قصر فيها تتخذ معه كل ما أمكن من وسائل التأديب وحتى التعزير ان استوجب ذلك واذا لم يرتدع فان عشيرته ترفع أمره ، أو قضيته الى هيئة العزابة ، فتتخذ معه مواقف أولية فان لم ينصح لها ، أو رأته لا يمتثل لها — هذا نادر — فانها تعلن البراءة منه [4] .

يتم اعلان البراءة بعد صلاة الجماعة بالمسجد من طرف أحد العزابة [+] ، فيسمي المتبرأ منه باسمه واسم أبيه ، ويبين الجرم الذى ارتكبه ، ويقول "ان فلان بن فلان في براءة المسلمين لأنه فعل كذا الخ . . . فاذا أعلنت البراءة منه استوجب حرمانه من الدلالة ان كان دلالا ومن الذبيحة ان كان جزارا ، فيقاطع بحيث لا يتكلم أحد معه، ولا يتعامل معه ، ولا يبيع ولا يشترى معه ، ولا يؤاكل ولا يشارب ، واذا كان من التجار لا يشترى الناس منه ، واذا كان عاملا لا يجد من يشغله [5] ، فيهاجر مهاجرة تامة حتى اذا سافر ، فان الخبر يصل أهل المنطقة التي يسافر اليها أنه في البراءة فيهاجر مؤأنى اتجه يجد الأبواب موصدة دونه" وحتى أهله وزوجته يقاطعونه ، فاذا كلمه انسان أو تعامل معه يعلن العزابة التبرؤ منه ، فان هذا الموقف مستمد من الشريعة الاسلامية يقول تعالى :

---

(1) بيوض : حديث شخصي .
(2) بيوض : حديث شخصي ، بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي . الحاج أيوب: حديث شخصي . علي معمر : الاباضية . . . 4/ 256 .
(3) الأعلى صالح : الأجوبة . . . ورقة 9 — علي معمر : الاباضية . . . 4/ 292 .— باجية صالح : الاباضية . . . ص 231 .
(4) دبوز : نهضة . . . 1/ 209 .
(+) الامام ، أو المؤذن ، أو الشيخ .
(5) دبوز: نفس المرجع ، ص210 .— توفيق المدني : كتاب الجزائر ، ص 112 .

" لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان ... "(1) لا يلقون عليه السلام ، ولا يردون عليه التحية ، ولا تقبل صدقاته ، ولا يحضر المسلمون أفراحه وأعراسه ولا يغسله العزابة اذا مات ، ولا يكفنونه ، ولا يصلون عليه ، وانما يأمرون من يحسن التجهيز من صغار الطلبة أو العامة أن يقوم به ، ولا يحضر العزابة جنازته ، وبعبارة أخرى يجرد من كل حقوقه المدنية ، والدينية ...

يحتاج موضوع البراءة الى استعراض حالات كثيرة قديما وحديثا ، وكذا أنواع العقوبات وكيفية تنفيذها ما عدا اقامة الحدود في فترة الكتمان ، تنص بعض الوثائق على بعض المخالفات والعقوبات قديما وحديثا ، وهو موضوع يحتاج الى بحث وتقص ، وعلى سبيل المثال في وثيقة بدون تاريخ تنص أنه حصل اتفاق من أهل جماعة القرارة طلبة وعوام أن من يدخل دار حريم فسرق منها ، أو يفعل فيها ما لا يحل له فانه ينفى الى بلاد بعيدة ست سنين ويقدم مائة ريال ، وكذلك من سرق من المسجد ، ومن أحدث ثقبة في جدار دار ، أو حجرة أو كسر بابا ، أو قلعه ليسرق فانه يحكم عليه بالنفي أربع سنين ، ويغرم خمسين ريالا ، وهكذا الحكم خاص للاباضيين أما غيرهم على نفس صورة دخول دار حريم ، ينفى من البلاد سنتين وخمسة وعشرين يوما .

تنص وثيقة وقع عليها الاجماع من طرف خمسة قصور برونة الشيخ أبي مهدي عيسى ابن اسماعيل بشهر شوال من سنة 1052هـ . تنص أن كل من يحمل حديدا (+) يعاقب بتغريم خمسة وعشرين ريالا ، واذا ضرب غيره بذلك الحديد ، فان عقوبته أن يدفع خمسين ريالا وينفى من البلاد ، وكل من يتعاطف مع الجاني يغرم خمسة وعشرين ريالا ، ومن طعن في الدين بالسب أو سرق ، يغرم خمسين ريالا وينفى الخ ...

تحمل الوثيقة أسماء الأشخاص الموقعين عليها وان كانت تنقصها بعض الدقة في تحديد مدة النفي ومداه . ولكن ربما كان ذلك متعارفا آنذاك . يبدو من ذكر الريال " أن فترة الوثيقة كانت قبل عهد الاستعمار . والموضوع يحتاج الى زيادة بحث وتحليل ، وانما هي اشارة الى موقف" العزابة والضمان" من المخالفات وتحديد العقوبات (++) .

اذا أراد المذنب أن يتوب فانه أولا يشترط عليه التخلص من المظالم وأداء الحقوق ان كان ممن تلزمه ، يتجه الى المسجد ليعلن توبته في أوقات الصلوات حيث المسجد غاص بالمصلين قبل اقامة المؤذن للصلاة يتخذ سرية غالبا ما تكون في نهاية المسجد . يكرر التوبة في أوقات الصلوات الجامعة ، تكون مرة واحدة اذا كانت المخالفة هينة ، وقد يستمر ثلاثة أيام وقد تمتد أكثر ، يقول : "(تبت الى الله وتبت الى المسلمين " اذا قرر العزابة العفو عن المتبرئ منه ، يسئله شيخ العزابة بقوله : " من يتوب هناك ؟ " فيجيب : (فلان) فيسأله ، ماذا فعلت حتى صرت في هذه الحالة وتبرأ منك المسلمون ؟ فيدلي بحقيقة ذنبه

---

(1) سورة المجادلة ، الآية 22 .
(+) ربما قصد به سلاح لأنه ترجمة حرفية له .
(++) يطول الحديث في ذكر أنواع المخالفات وأنواع العقوبات قديما وحديثا يحتاج الى مزيد من البحث ؟

أومخالفته معترفا بها أمام الملأ ، ويؤكد اخلاصه في التوبة . يفتتح شيخ العزابة درسا قارعا يبين له فيه خطأه وفظاعة ذنبه ، وخطر مخالفته للدين، وضرره على نفسه ، والمجتمع فيعظه وعظا بليغا يستفيد منه ما ينفعه دنيا وأخرى، ويتعظ منه جميع الحاضرين ، ثم يقول له : لا تعد مرة أخرى ، ثم فقد عفونا عنك [1] . بهذه الوضعية ترفع عنه البراءة . ويرجع الى حالته العادية .

تلعب المؤسسات الدينية دورا بارزا وفعالا في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة ، ووقاية الفرد والمجتمع منها قبل وقوعها [2] . لا يقل أهمية دور المؤسسات الدينية وفعاليتها وبعد أثرها عن الدور الذى تقوم به مؤسسات العدالة الجنائية في هذا المجال [3] .

ان البراءة أشد مضاء من أى سلاح آخر لقمع المخالفات ، ومحاربة الرذائل ، والآفات الاجتماعية ، وتجنب الكبائر والموبقات ، وصيانة المجتمع من الانحراف والفساد ، وما يؤدى به الى التهلكة ، وهو تطبيق لمبادئ الاسلام السامية في التكافل الاجتماعي ، وأداء الحقوق بطرقها الشرعية المنصوص عليها ، ويعمل على أن يظل المسلم يراقب سلوكه ، ويحذر من الزلل واتباع الأهواء ، واحداث البدع ، فيسلم ويسلم المجتمع من اللصوص والمجرمين ، ويتجنب كل ما من شأنه أن ينال من وحدة المسلمين وتضامنهم فيتربى المسلم على الاخلاق الفاضلة ، والاحترام المتبادل . ولكن دون ذلك صعوبات وعراقيل واهانات تعرضت لها هيئات العزابة بدخول الاستعمار الى البلاد كلما طبقت مبدأ البراءة ، وخاصة ضد من يأتمر بأوامر الاستعمار ، فقد طبق العزابة البراءة على حاكم المدينة في بداية القرن العشرين لأنه أقام عرسا خالف فيه قرارات العزابة ومجلس العوام ، وارتكب فيه ما حظروه فأعلن العزابة البراءة منه ، فاستنجد بحاكم الاستعمار الفرنسي العسكرى فقام هذا الأخير باعتقال أعضاء العزابة ، ونفاهم الى "تاعظميت" (+) سنة 1906 م ، وفرضت عليهم الأشغال الشاقة ، وحلقت لحاهم لالحاق الاهانة بهم [4] ، ولكن كل محاولات الاستعمار لم تجد نفعا الا أنها بمرور الزمن وطول مدته وأساليبه الماكرة الأخرى التي ابتكرها مع وجود شخصيات ضعيفة أحيانا قد ترك كل ذلك أثرا نال من فعالية البراءة . ولما لم يحسن بعض استعمالها أحيانا صار مفعولها أقل من ما كان عليه سابقا [5] . واذا ضعف هذا السلاح أو لم يستعمل كما يجب في محله ، فلا شك ينال من هيئة العزابة ، ومن المجتمع فتكثر فيه الرذائل والمخالفات لأن الله تعالى "يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" يمكن الجزم بأن حرص العزابة الشديد على تطبيق الولاية والبراءة والاعتام خصوصا بالبراءة حسب ما انتهجه أبو عبد الله هي سبب بقاء وتماسك المجتمع الاباضي عبر عشرة قرون منذ تطبيق نظام العزابة .

---

(1) انظر: أبا اليقظان : بيانات ... ورقات 21 — 22 . — دبوز : نهضة ... 1/ 211 . — علي معمر: الاباضية ... 1/ 109 . — توفيق المدني : كتاب الجزائر ... ص 112 .

(2) ابن سلامة عبد الرحيم : ندوة الدفاع الاجتماعي والسياسة الجنائية من خلال التشريع الاسلامي "مقال نشر في مجلة المنهل" ص 55 مج 44 سنة 48 (1402هـ/ 1981م)

(3) نفسه .

(+) منفى شمال الأغواط في عهد الاستعمار .

(4) بكلي عبد الرحمان : مراسلة خاصة .

اغلاق المسجد

هناك حالات نادرا ما تقع فهي معدودة تقريبا في تاريخ الاباضية يعبر عنها بـ "اغلاق المسجد [+] اما من طرف العزابة ، أو أحد العوام ، تتمثل صورتها في تعطيل الآذان ، وتأدية الصلاة جماعة في المسجد [1] . وهذا بسبب هضم حق من الحقوق أو في "أمور خطيرة" [2] ، ولا يطول هذا التعطيل ، وانما هو ضغط للتعجيل بانصاف حق مهضوم ، وسرعان ما ترجع المياه الى مجاريها لئلا تتعطل اقامة الصلاة جماعة في المسجد من طرف هيئة العزابة [3] ، فيتصل صاحب الحق بحقه ، وتحل مشكلته "بكل سهولة من غير وكيل ولا محام ، ولا ولا ، مهما كان ضعفه وقصوره عن الدفاع " [4] تتم صورة ذلك كما يلي : عندما يشعر الانسان بظلم أو غبن أو يعيش مشكلة عويصة لا يملك من ينصف له من حقه "كأرملة ، أو ضعيف في حق من قوى لا يلوى على شيء ، وليس له من ينصف له منه في حقه " [5] ، يأتي المظلوم الى المسجد قبل أداء صلاة الجماعة فيرفع صوته مناديا العزابة بقوله : "أيها المسلمون لا أسمح لكم صليتم ، أو زكيتم ، أو صمتم ، الا بعد أن تأخذوا حقي من فلان بن فلان " [6] سرعان ما يستجيب العزابة للمظلوم فيطمئنونه بمناداة الظالم ان كان بين الحاضرين فيناقشون معه قضية المظلوم ، فان انصف ورد المظلمة فذاك ، وتمت الأمور في حينها ، واذا كانت القضية تتطلب وقتا وتحقيقا وتحريا اقنعوا المظلوم بتبني قضيته وانصافه فيكونون لجنة في الحين تتولى القضية فيقيمون الصلاة جماعة وان لم ينصف المعتدى تبرأوا منه وأعلنوا باسمه في حكم البراءة . واذا لم يكن الظالم بين الحاضرين بحثوا عن وليه ، أو أحد أعيان عشيرته لينتصفوا للمظلوم حالا فان انصف وأدى الحقوق الى ذويه فذاك ، وان تمادى وتمرد أعلن العزابة البراءة منه في المسجد ، ولا يعفون عنه حتى يوفي بحق المظلوم ويتوب في المسجد أمام الملأ [7] .

قد يحدث أحيانا أن يقوم العزابة بما يعرف بـ "اغلاق المسجد " وهذا في صورة ما اذا تمردت العامة عليهم متكتلة كصف واحد ، ولا يحصل هذا الا في فترات ضعف العزابة [8] . مثل ما حصل لمؤسس نظام العزابة بالذات لما لم تجد نصائحه لأهل "ريغ" عندما كان بين ظهرانهم لرد اعتداءات "بني ورزمار" على المستضعفين في الأرض والعزابة والتلاميذ "

(+) الكلمة شائعة في الاوساط الأمازيغية بـ "ميزاب" أما في "بني يسجن" فيطلق عليها بـ "أرجال انتمسجذا" بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الجيم ، وسكون اللام ، وتخصص كوة في غرفة النساء الملتصقة بالمسجد منفتحة عليه تنادى به المرأة المهضومة الحق لينصف لها "العزابة" .

(1) توفيق المدني : كتاب الجزائر ص 113 .

(2) توفيق المدني : كتاب الجزائر ص113 .

(3) بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(4) توفيق المدني : كتاب الجزائر ، ص 113 .

(5) أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 22 .

(6) نفسه : توفيق المدني : كتاب الجزائر ، ص 113 .

(7) أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 22 — توفيق المدني : كتاب الجزائر ، ص113 .

(8) الجعبيرى : نظام ... ص112 .

فارتحل بأهله وعياله ونزل ايغران من قرى وارجلان [1] ، كما مر ، ولما ندم ، أهل "ريغ" وتابوا أمام أبي عبد الله بعد أن وضعوا حدا لـ"بني ورزمار" وفسادهم عند ذلك رجع أبو عبد الله الى "ريغ" [2] .

تمثل هذه الصورة مغادرة المنطقة كلها لا المسجد فحسب ، وربما كانت هي السند الأساسي للاعتماد على ما يعبر عنه بـ"اغلاق المسجد" يذكر أحمد توفيق المدني في كتاب الجزائر [3] ، أنه في "صورة ما اذا تمردت العامة على أمر من أوامر مجلس العزابة فان أعضاء العزابة يبقون في دورهم ، ويتركون المسجد فلا آذان ، ولا اقامة ولا صلاة الخ ... لكن لم يورد مصدره ، ويناقشه الجعبيري [4] في صورة ما اذا تمردت العامة على العزابة فيذكر "أن العزابة يلازمون المسجد دون أن يقوموا بأعمالهم المألوفة ، ويمتنعون عن دخول الأسواق والبلد حتى يستجيب الناس لحكمهم .

لا يقصد باغلاق المسجد احكام أبوابه وانما تعطيل صلاة الجماعة ما دام هناك مظلوم ، اذ كيف يمكن للمسلمين أن يقوموا بأداء هذا الركن ، جماعة كمسلمين وأخ لهم في الله مهضوم الحق ، فيضطرون الى رفع الغبن عنه حينا والا أصبحوا بسكوتهم عن المنكر شركاء له من باب "من رأى منكرا فلم يغيره كان شريكا له" [+] يبدو أن موقف العزابة من تعطيل صلاة الجماعة كاملة ، فيه تعطيل اقامة الفرض الكفائي ، ومن المعلوم أن عدم اقامة الفرض الكفائي فيه هلاك الجميع ، لكن هذا التعطيل لا يستمر حسب ما بلغ اليه علمنا ، وانما يؤخر أداؤه عن بداية الوقت ، يعتبر هذا الاجراء بمثابة ضغط يمارسه العزابة لانصاف المظلوم ، واحراج الظالم حتى لا يماطل أو يتهاون ، فيقيمون الحجة عليه كي يذعن حينا ، يتبرأون منه حالا ، فيؤدي العزابة الصلاة جماعة في وقتها حسب ما نصت عليه الشريعة الاسلامية

---

(1) الدرجيني : طبقات ... ص ص 386 — 7 .

(2) نفسه ، أنظر : الجعبيري : نظام ... ص112 ، يروى عن "الوسياني" أن أبا عبد الله لم يرجع الى "ريغ" الا بعد أن جاءه وفد من صلحاء "بني مخراوة" فتابوا بين يديه بعد أن هاجرهم ووضعهم العزابة في "الخطة" ، وقال نائبهم : "عيارنا ناقص" وعيار عزابتنا واف — يعني أنهم مفضلون عليهم في كل أمر — وفتوانا عند عزابتنا ، ورؤساؤنا هم عزابتنا ، ونحن لهم تبع ، فردوهم من الخطأ والحمد لله رب العالمين .

(3) ص 113 .

(4) نظام ... ص 112 .

(+) أنظر ص 124 وما بعدها .

- الــــــــزواج : اهتمام العزابة بالأعراس:

يهتم العزابة بتشجيع الزواج بمقتضى النصوص الشرعية فوضعوا له الترتيبات ، ابتداء من مقدماته حسب ما ينص عليه الشرع الاسلامي الى انتهاء مراسيمه ، ثم متابعة وضعية الأسرة في مراعاة حقوق أفرادها وواجباتهم نحو بعضهم البعض على أساس الاسلام والأعراف النابعة منه والمتجاوبة معه ، فسنو القوانين ، وأشرفوا على مراقبة الأعراس وتقاليدها ، وحفلاتها [1] .

فنظرا الى إلمام العلماء والفقهاء بالشريعة الاسلامية، واطلاعهم الواسع على أحكامها ، صار بأيديهم اصدار الترتيبات الخاصة بالأعراس والمتماشية مع روح التشريع ، وتخدم المصلحة العامة للمجتمع فيصبح في استطاعة كل أفراده العمل بها والتجاوب معها [2] .

ظل تشجيع الزواج من أكبر انشغالات العزابة فراعوا وضعية الفقير والمحتاج فكانت قوانينهم تحارب الاسراف والتبذير [+] ، وتشجع الفقراء على الزواج لأنها تراعي الحد الوسط، وحالة المحتاجين ،والتكافل الاجتماعي ، ومستوى المعيشة ، والدخل الفردي كي لا يقف الضعف الوضع المادي على الزوج في تأخير زواجه ، أو عرقلته ، أو منعه ، لأن الرسول (ص) يرغب في النكاح ويحرض عليه بالطرق البسيطة ، والوسائل المتوفرة ، فأحاديثه كثيرة في هذا الشأن كقوله (ص) "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء" [3] وقوله "تزوجوا الولود الودود ، فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" [4]

تجرى طرق اختيار الزوجين لبعضهما في حدود الشرع الاسلامي دون مصاحبة أحدهما للآخر كما في المجتمعات التي لا تدين بالاسلام ، أو المتمردة عليه ، ويقوم الوالدان أو الأولياء بدور مهم في هذا الشأن بعد الاختيار والتشاور والتوافق بين العروسين ، وبطرق شرعية ، دون ضغط أو اكراه ، وتجرى مراسيم الخطبة تحت نظر واشراف العزابة ومراقبتهم لكل ما يحددون مقداره ودفعه من لوازم ، وصداق [++] في جو عائلي ، تنظم كيفيته من طرف العزابة ، تشير الوثائق التي تحدد تكاليف العرس والمهر [+++] الى ذلك التطور في تنظيمها حسب الظروف . يحتاج تتبعها الى دراسة مقارنة لمعرفة ذلك والوقوف عليه ، واستنتاجات مهمة في الموضوع .

يشرف العزابة على مراسيم عقد الزواج ، وهي تختلف في كيفيتها من قرية لأخرى وقد يطرأ عليها تغيير، الا أن الثابت منه هو حضور العريس وأوليائه وولي العروس، وأقارب العائلتين فيجرى شيخ العزابة المراسيم الشرعية المعروفة في حفل العقد بين الزوجين وبعد تصريح الطرفين بالقبول ، يؤكد الشيخ على الصداق وشروط العقد بعد التأكد من رضا الزوجين ثم يتلو سورة الفاتحة ودعاء عقد الزواج .

---

(1) دبوز: نهضة ... 1/ 207 – 208 . — الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 60 .

(2) MARGHOUB :LE DEVELOPPEMENT...P.P: 153-54 .

(+) أنظر: ملحق رقم 11 – "تحديد المهر ومقاومة التبذير والاسراف" .

(3) متفق عليه .

(4) رواه أحمد وابن حبان وصححه .

(++) أنظر ملحق رقم 11 .

(+++) أنظر: سجلات "عمي سعيد" بمركز التوثيق بمحكمة غرداية . أنظر: MERGHOUB ET MILLIOT: LE DEVELOPPEMENT . – ملحق رقم 11 و 18 .

يفتتح العرس عادة باشراف العزابة بعد تحديد موعده ، ويتوج بحفل بهج يستفتحه شيخ العزابة أو من يحضره (+) منهم بالدعاء ، ثم تلاوة سورة الأنعام ، فيلبسون العريس لباسا خاصا أنيقا يرمز الى معان كثيرة بنوعه وشكله ، وكذا كيفية لبسه فيعقب ذلك دعاء الختم ، تليه كلمة ترحيبية وتوجيهية ،ثم تنصب الموائد لتناول وجبة الطعام (++) وبعدها دعاء الشكر، ثم تجمع كل الأواني فيتلوها تنظيم الحفل بالأناشيد في سهرة رائعة تقدم فيه أنشطة ثقافية وأدبية ، من العادة اختيار رفقاء (+++) للعريس يلازمونه من اللحظة الأولى لقيام العرس الى اختتامه ، تشترط فيهم شروط كالاستقامة والنزاهة والاخلاص والعمل ، كان يترأسهم في أزمنة ماضية أحد العزابة أو الطلبة فيما بعد يشترط فيه أن يكون فقيها زيادة على الشروط العامة ، ودوره هو تثقيف وتوجيه الزوج أو الأزواج اذا ما تجمع في عرس واحد أعداد منهم كما يجرى حاليا وخاصة في "بريان" (++++) يتلقى العريس أو العرسان دروسا توجيهية في الواجبات الزوجية وحقوقها وماله وما عليه الخ ... وكذا العروس لها رفيقاتها يقدمن لها التوجيهات الخاصة بالعرس فيوجهنها على ضوء الاسلام للحياة الزوجية للتقرب الى الله والسعادة في الدارين ،وليس معنى هذا جهل الأزواج الجدد بالثقافة الزوجية وحقوق كل على الآخر ، وانما من باب التذكير بالنسبة للعارفين ، والتثقيف بالنسبة للذين لم يبلغوا نصيبا من المعرفة في هذه الأمور ، كما يركز رفقاء العرس على تلقين العادات والتقاليد التي يجب اتباعها حسب ما تنص عليه قرارات وتنظيمات العزابة في هذا الشأن ،ويهتمون بمقاومة الاسراف حتى لا يُكلف الفقير والمحروم بما يرهقه ،أو لا يستطيع القيام به (+++++) ومراعاة الآداب العامة في الأعراس ليمكن التحكم فيها وتعميمها على كل أفراد المجتمع فلا يغبن الفقراء والعاجزون ، وحتى يتمكن كل الناس من التزوج واقامة الأفراح (1) .

ان أهم ما يلفت النظر مما تنتظم به الأعراس في "ميزاب" هو اختتامه بزيارة العرسان ورفقائهم "المقابر" وقراءة القرآن أثناءها ، وتفريق الصدقات المتمثلة في الخبز يهيأ في دار العريس، والتضرع الى الله بالأدعية ، ان التأكيد على هذه الظاهرة تشعر العرسان في أوج فرحهم أن وراء ذلك كله عالما آخر ليتذكروا ويعتبروا حتى لا ينساقوا وراء الدنيا ، فينسوا الآخرة ، وليدركوا أن حقيقة الزواج وسره ،هو احياء السنن الاسلامية ، والتقرب بها الى الله ،"وفي بضع أحدكم صدقة" ، وأن الله سن الزواج لبقاء النوع ، والمحافظة على النسل الى غير ذلك من المقاصد الشرعية ، ومما يلفت الانتباه أيضا في أعراس "ميزاب" هو حفل اختتامه بعد العصر في دار

(+) من العادة الجارية هو استدعاء كل العزابة لحضور الافتتاح فيزدان بهم العرس ويعطى له قيمة ورونقا ، أما اذا كان ولي العرس في براءة المسلمين فان عرسه يقاطع ولا يحضره أحد .

(++) يختلف هذا من حيث الوقت وتنوع الطعام بين قرية وأخرى...

(+++) يسمون بـ "الوزراء" .

(++++) يسمى بعرس المسجد لأنه تحت اشراف هيئة عزابتها ويفتتح في المسجد .

(+++++) ينص كتاب "اتباع الأسلاف وانكار الاسراف" للشيخ الثميني عبد العزيز على الأدلة المعتمدة لدى المشايخ والعزابة في اصدار القرارات والأحكام فيما يخص تحديد الصداق ، والاهتمام بأمور المسلمين الذى هو فرض محتوم لأن "الدين النصيحة" "ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم" ومقاومة الاسراف في مختلف صوره وأشكاله ، والتبذير لأنها منهي عنها شرعا ، ولا سيما في موضوع النكاح والهدايا والمدارك ، ويبين الأضرار اللاحقة من جراء ذلك ولا سيما للفقراء الخ ... وليس معنى هذا انعدام قرارات العزابة قبل عهد الشيخ عبد العزيز لأن اتفاقيات المجالس الدينية العليا تنص عليها .

(1) MERGHOUB : LE DEVELOPPEMENT... P.P: 153 -54 .

العشيرة تحت اشراف العزابة في اجراءات وتنظيمات معينة يطوف العريس أو العرسان مسلما على كل الحاضرين ابتداء من شيخ العزابة وهيئتها الجالسين الى يمينه ، ثم أقارب العريس وأصهاره الجالسين على يسار الشيخ ، ثم على عامة الحاضرين ، اعترافا بالجميل لما تلقاه العريس من خدمات وتبجيل واكرام للعزابة الذين توجوا العرس بالحضور منذ الافتتاح الى الاختتام ، وللآباء والأولياء والاقارب والرفقاء وكل الحاضرين . ثم يقدم أحد العزابة ، والوعاظ والمرشدون كلمات توجيهية مركزة ومختصرة للعريس أو العرسان تعرفهم بواجباتهم ومسؤولياتهم ، ويذكرونهم بما يجب أن يقوموا به من طاعات أزاء لخالقهم ولوالديهم ، ومراعاة حقوق الزوجية ، والتضحية في خدمة المجتمع الخ ...

كان هذا الحفل في دائرة أولياء العريس وأقاربه ، فأصبح الآن في السنين الأخيرة ، وبعد أن أصبحت الأعراس جماعية تعقد في دور العشائر .

ان موضوع اقامة الأعراس ذو جوانب كثيرة ، وطقوس جماعية في دار العريس والعروس يحتاج الى مزيد من البحث ، واستنتاجات مهمة ، وانتقادات بناءة يمكن افراده ببحث أوسع ، والمهم أن هذه الأفراح ينظمها العزابة ويشرفون عليها بحضورهم ، ومراقبتهم أياها على أساس الشريعة الاسلامية حتى لا يقع فيها اسراف ولا تبذير ، وتسهيل الزواج لكل أفراد المجتمع ، والتضامن الجماعي حولها ، ومساعدة الضعفاء ، ومراقبة حفلات الأعراس من طرفهم ، ومن قبل الغاسلات في المجتمع النسوي كي لا يقع في الجانبين ما يضر بالمجتمع ، ويخالف الدين الاسلامي (1).

---

(1) أنظر: دبوز: نهضة ... 1/ 203 ـ 208 . ـ الحاج أيوب : رسالة ... ورقات .

اشراف العزابة على الاسواق

يعتبر السوق اهم ملتقى اقتصادى وتجارى بقرى " وادى ميزاب " فكان امره يحتاج الى تنظيم ورعاية ، وقد روعي فى هندسة قرى ميزاب انشاء ساحة عامة فى اسفل كل قرية مرتبطة ببابها الرئيسى ، تتخذ كسوق للعرض والبيع ، واحيانا نشاهد سوقيـــن متجاورتين * فى بعض القرى كالعطف والقرارة مثلا يصل بينهما ممر مسقف. وتنفتح اليهما دكاكين القرية ، واخرى تجاورهما . وفى السوق محلات ، وحجرات عشـــائر القرية ، وتخصص بعض المحلات لخزن المؤونـــة السنوية ، وهي ملك لبعض الاشخاص وهذه من عادة الاجداد انهم يجعلون قرب السوق حجرات مسققة بقبة مربعة دون ان يفتح لها باب الى السطح الاعلى ، وهي فضلا عن خزن المؤونة تتخذ لضمان حاجاتهم . (1)

يلاحظ المتجول فى بعض القرى سوقا صغيرة بداخل المدينة كالعطف وغردايـــة امتد عنها العمران بمرور الزمن فاصبحت غير مستغلة .

عرفت مدن المغرب الاسلامى والاندلس نظام ولاية السوق وهي الحسبة فى عرف اهل الاندلس والمغرب (2) . وهي ترقى الى عهد مبكر فيها . وكان الاباضية يمارسونها فى " تاهرت " كما مارسها غيرهم فى " سجلماسة " و " افرقية " (3) .

اهتم العزابة بتنظيم الحياة الاقتصادية ورعايتها ، او الاشراف عليها كالاوقاف ، و وشؤون الزكاة وكيفية صرفها (4) والتى أصبحت من اختصاص العشائر التى توزعها علـــى فقرائها واراملها . ويهتم العزابة برعاية الفلاحة وتوجيه الناس اليها ولا سيما شجـــر النخيل الذى يعتبر تمره اهم عنصر غذائى فى الواحات ، وفى المجال التجارى ، واهـــم مادة غذائية فى اوقاف مساجدها حيث تملك اعدادا ضخمة يسيرها وكيل المسجـــد وينميها (**) . ولاهمية التمر كغذاء اساسي ، ومادة حيوية فى الاوقاف اهتم العزابة ببنـاء مطامير (***) فى ركن من اركان المسجد لخزن التمور بعد جنيها فيصرفونها بانتظـــام فى مجالاتها بالكميات المنصوص عليها من قبل واقفيها وفى الاوقات المعينة لها من طرفهم كليالى الجمعة مثلا، او اوقات الختمات ، وخلال شهر رمضان. ومن مهام العزابة تـــولى مجلسهم " الاشراف على حسن سير التجارة والبيع والشراء فى الاسواق العامة و الدكاكين (5) والتأكد من اعتدال الاسعار وضبطها ومراقبة دقة المكاييل والموازين وسلامتها ، وعـدم الغش فيها ، فقد استمر هذا الاشراف حتى العهد الفرنسى الاخير رغم تصرفه المطلـق فى هذه الامور ومحاولة اخضاعها لسلطته لانها تمثـــل سيادتـــه التى يعمـــل

(*) يطلق عليهما الرحبة الداخلية والرحبة الخارجية وتختص الاخيرة باستقبال القوافل والداخلية للبيع بالمزاد العلنى .
(1) الحاج ايوب : رسالة ... ورقة 104.
(2) لقبـــال : الحسبـــة ... ص 15 .
(3) لقبـــال : الحسبـــة ... ص 15.
(4) عوض خليفات : النظم ... ص 45 .
(**) اما الان فقد طبقت عليها قوانين الدولة ولم تبق بيد المسجد .
(***) جمع مطمور ، وتسمى " الخابئة " ما يبنى فى الارض بعمق متفاوت يصبر فيها التمر ويخزن
(5) عوض : النظم ... ص 45.

على فرضها فى كل ميدان [1] رغم ما نصت عليه المعاهدة .(*)

يعين العزابة من بينهم امينا مختصا فى المكاييل والموازين يفحصها و يراقبها فيعطى الاذن بصلاحية الاستعمال اذا كانت سليمة تؤدى وظيفتها و الا فانه يعطل استعمالها ، فما يقوم به المحتسبون فى الاسلام يقوم به العزابة بدورهم [2]. ف " الحسبة وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه ((المسلمون)) اهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ..." (3)

يعتبر عمل العزابة من حيث الاشراف على السوق امتدادا تاريخيا لما كان عليه الوضع من تنظيم الاسواق والاشراف عليها منذ العهد الرستمي فهو من مهام المحتسب عندهم فى شخص يسمونه " المشرف على السوق " يذكره "ابن الصغير" مرارا فى رسالته [4] لان اكثر نشاطه ينحصر فى الاسواق والاماكن العامة [5]. بل ان خاصية تعيين أمين على السوق يرقى الى عهد الرسول (ص) الذى عالج أموره بحكمة وتنظيم خاص لما بدأت تظهر المخالفات الكثيرة فعين سيدنا عمر (رضي الله عنه) امينا على سوق المدينة وسعد بن ابى وقاص (رضي الله عنه) على سوق مكة [6]..

يفتح السوق للبيع والشراء فى مدينة غرداية ومعظم مدن "ميزاب" مرتين تقريبا فى الاسبوع فلكل منها ايامها واوقاتها المعلومة ، فكان لا يفتح الا بعد خروج المصلين من المسجد بعد صلاة العصر . [7] يشرف العزابة على افتتاح الاسواق و مراقبتها بدقة . [8] يجلسون فى مصطبة خاصة بهم ترتفع قليلا على مستوى ارض السوق تسمى ب " درج العزابة" [9] فهي خاصة بهم لا يجلس فيها سواهم . [10]

---

(1) الحاج ايوب : حديث شخصي

(*) ابرم أعيان ميزاب معاهدة مع فرنسا فى الاغواط سنة 1853، ومما اكدوا فيها ممارستهم للدين، وعاداتهم .

(2) بيوض : حديث شخصي . الحاج ايوب حديث شخصي .

(3) ابن خلدون : المقدمة ... ص 255، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

(4) (5) لقبال : الحسبة ... ص 33 .

(6) لقبال : الحسبة ... ص 22 .

(7) بومريقة : حديث شخصي . كان السوق فى غرداية يفتح يوم الخميس والاثنين .

(8) بيوض حديث شخصي . ـ بومريقة : حديث شخصي . ـ الحاج ايوب : رسالة .. ورقة 101 .

(9) الحاج ايوب : رسالة .. ورقة 101

(10) نفس المكان . بومريقة : حديث شخصي .

اهتمام العزابة بالمولد النبوى الشريف

اهتم العزابة بالمولد النبوى الشريف كسائر المسلمين فاقتنعوا بضرورة احياء لياليه فى شهر ربيع الاول لما فيه من فضل فتنافسوا فى مدح خير البرية (ص) طيلة الشهر فانتظمت فى الدور الخاصة ودور العلم ، والمدارس حلقات احياء ليالى الشهر كمقدمة لليلة المولد التى تخص بحضور جميع العزابة للاشراف عليها و المشاركة فى انشاد قصائد البردة ، والهمزية للامام البصيرى وغيرهما من القصائد فى مدح خير الانام ، يتخلل ذلك اللقاء دروس فى شخصية الرسول (ص) ، وتحريض المسلمين على التأسي به وباخلاقه العظيمة ، تنفرد ليلة المولد بالسهر حتى الفجر فى كل المساجد حيث تمتلىء كلها ، كما تأخذ اجنحة النساء ويهيأ موضع خاص بالمسجد يفرش للاطفال دون البلوغ حتى لا ينجسوا المسجد بحيث لا يحرمون من المشاركة والتوجيه .

اذا اقترب طلوع الفجر ، وأذن الأذان الاول استدار القراء فى حلقة لتلاوة القرآن الكريم حتى طلوع الفجر فيؤدى المسلمون صلاة الفجر جماعة (1)

يزين المسلمون الشوارع والدور بقناديل الزيت والشموع الى الآن فى عصر الكهرباء لم يتخلوا عن الشموع . تمتاز ليلة المولد بصفة خاصة باتجاه الاطفال زرافات ووحدانا الى المساجد بعد صلاة المغرب ويحملون معهم القناديل والشموع ومعظمهم يحملون اوقاف الزيت الخاصة للمسجد فيستقبلها منهم الوكيل ليفرغها فى اناء خاص .

يخصص معظم الاباضية اوقافا معينة من الزيت للمسجد ليلة المولد فتتخذ لانارته " وهناك من يتبرع على حسب عدد اولاده فيعمر مقدار قنديل لكل واحد فيجمع ذلك الزيت فى اناء ليبعث به الى المسجد (2) " مازالت العادة مستمرة وبعد تجميع الزيت ليلة المولد يقوم الوكيل ببيعها ليسدد بثمنها قيمة الكهرباء المستهلكة (3) تعطر الدور بالبخور ، وتعلو فيها الزغاريد ، وتضاء بالاضواء فى كل ارجائها حتى الصباح ، يختص الابناء المحزونون والايتام بالاكرام البالغ ، واهداء الملابس الجديدة اليهم ابتهاجا بالمولد وادخال السرور الى قلوبهم ، يهيأ غذاء فاخر يوم المولد النبوى يتعالى بعده صوت ام العائلة بالزغاريد تعلن بعدها ان النبىء محمد (ص) قد ولد فى هذا اليوم المبارك منادية : " اسمعوا ذلك ياملائكة الدار

من عادة الاباضية انهم يمنعون الاطفال دخول مساجدها اذا كانوا دون البلوغ خوفا من تنجيسه ويمنع الصغار والدواب من الدخول فى المسجد خشية النجاسة وغيرها ، انظر : ابا عمار ، سير حلقة العزابة ورقة 5 .

1) الشيخ ايوب رسالة ورقة 81

2) الشيخ ايوب رسالة ورقة 81

3) نفس المكان

واسمعى ايتها الدار (1) . تتعطل الدراسة يوم المولد اى صبيحته فيقوم تلاميذ المحاضر معا بجولة فى داخل كل قرية بتتبع الدور الواحدة تلو الاخرى ، يتقدمهم كبارهم والكل ينشد نشيدا بمناسبة المولد بصوت واحد باللهجة العامية تنويها بشخصية الرسول (ص) واحياء للعلم ، وتشجيع الاولاد عليه ، كل ذلك بحماس وغبطة وانشراح يعلو محياهم الامل وترتسم فى وجوههم ابتسامة ، تريحهم من عنت اليوم .

تتكرر هذه التظاهرة عادة يوم عيد الاضحى تسمى " تاجروت " بفتح التاء بعدها مد وسكون الجيم ، والضم على الراء متبوعة بمد فسكون التاء " وهي من التجمع " اجروة " بفتحة على الهمزة وسكون الجيم وفتحة على الراء ، قيل لى انها عادة قديمة لكن دون معرفة بدايتها ، فقد عشتها وانا صغير ، اما الان فغير موجودة .

تتبرع كل دار بما يسعها من قمح وشعير و بيض ، وما لا يستغنى عنه لتحضير وجبات الطعام فيحمل الطلاب ما يجمعونه الى المحضرة ليجمع فيها ، ثم يقوم فقيه المحضرة بتوزيع القمح اقساطا على جميع الحاضرين كي يهيئوه خبزا . يرتب ذلك فى جدول زمني معين بدقة ، قد يستمر اكثر من شهر . واما ما يقدم لهم من شعير فانهم يخلطونه مع البر ليهيئوا منه طعاما ياتون به من ديارهم الى المحضرة فى موعد يحدده لهم فقيهها ليوزع على التلاميذ. اما البيض فهو من نصيب الفقهاء يوزع عليهم بالسوية . اما القصب المقدم لهم فيبرونه اقلاما ينتفع به التلاميذ ثم يرجعونه فى الحين الى فقيههم (2)

يتكرر الاحتفال بعد المولد وقد يستمر اسبوعا كاملا واحيانا يجدد بعد اسبوع يكثر فيه القاء الخطب والدروس حول السيرة النبوية ، وابراز خصائص وشمائل الرسول (ص)

اذا كانت كل قرى " ميزاب " تحتفل بعيد المولد النبوى احتفالا كبيرا فى مستوى شخصية الرسول يستغله العزابة للتثقيف الدينى ، وابراز شخصية الرسول محمد (ص) والتوجيه الاخلاقى فان مدينة بنى يزقن " تمتنى بذلك اكثر من القرى الاخرى ، يسمون مظاهر خاصة به ليلتها " البشير " تتخلص فى قيام كل اب عائلة باصطحاب أولاده معه الى المسجد قبيل المغرب وبعده يحمل بعضهم قناديل الزيت ليفرغوها فى المسجد ، والاخرون يحملون الشموع ، وعند عودتهم يطوفون شوارع البلدة ، وهم ينشدون باصوات شجية حنينة مدح خير البرية ." البشير البشير محمد المصطفى (3)

---

(1) الحاج ايوب : رسالة ... ورقة 80
(2) الخاج ايوب : رسالة ... ورقة 82
(3) الحاج ايوب : حديث شخصي

— مهام الغاسلات ودورهن في الحياة الاجتماعية والثقافية :

ان مهام الغاسلات كثيرة منها مراقبة العادات والأعراف ، وأوامر العزابة ، ومراقبة الأعراس في شؤون العروس وحقوقها [1] ومصاريف الأعراس ، وضبط ما يقدم للعروس لمقاومة الاسراف ، فمن لم تحترم القوانين تتعرض للعقوبات الحلقة [2] ، يحاربن الاسراف والتبذير ، وخاصة في المواسم والأفراح ، والمآتم ، ويراقبن المهور ، فلهن دور رئيسي في كل شؤون الأسرة ، ينظرن في الأحوال الدينية الخاصة بالنساء ، يقمن بغسل الأموات من النساء والفتيات والصبيان الذين لم يبلغوا السابعة ، يتحققن من علامات البلوغ للفتيات ليبتدئن الصلاة ان لم يشرعن فيها قبل [+] ، يتحققن في شؤون الحمل والولادة ، يقمن بتثقيف النساء والفتيات في شؤونهن وفي الحيض والنفاس ، خاصة ويقمن باصلاح ذات البين بين النساء والعائلات ، أو الأسر وازالة التوتر والخلافات اذا ما ظهرت حتى لا تؤدى الى مالا تحمد عقباه .

لا يتعدى مجلس "الغاسلات" نفوذه وسلطته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاربة كل بدعة في الجانب النسوى .

اذا ما تمردت أية امرأة ، وخالفت العرف الجارى ، والقوانين المسطرة أو تحدت القرارات المتفق عليها ، أو ارتكبت كبيرة فان "الغاسلات" يتحققن أولا من المخالفة أو الذنب بكل نزاهة وتحر فاذا ما ثبت لديهن ذلك الذنب أو تلك المخالفة يعالجنه بما يناسب وعلى حسب عظم المخالفة أو الذنب ، وكثيرا ما يقمن بتنبيه المخالفة وارشادها ووعظها ، فان لم يجد ذلك نفعا فيها ، أو لم تصغ الى التنبيه والارشاد فانهن يعلن البراءة منها في المسجد النسوى ، واذا ما نشزت زوجة عن زوجها وعقته ، أدبتها البراءة فترجعها عن غيها [4] . واذا اشتكت من هضم زوجها لحقوقها أو حقوق أولادها ردته البراءة الى الجادة فيوفي بالحقوق الزوجية والبنوة [5] .

اذا ما أعلنت الغاسلات البراءة من امرأة — وأكثرها براءة الهجران — [++] فان المتبرأ منها تسرع الى التوبة في دار الغاسلات بين مجموعة النساء ، فان استدعيت للتحقيق ولم تستجب أوتمادت ولم تتب تبرأن منها ، واذا ارتكبت جرما عظيما أو كبيرة يرفع أمرها الى مجلس العزابة ، وبعد التحقيق معها والتأكد من جرمها ، يعلن عن براءتها في المسجد فتصبح توبتها في دار امام المسجد بصحبة احد محارمه فهو الذى يصدر عفوه عنها فيحذرها مما ارتكبته ، ويعظها مبينا لها نهي الله عن فعلتها ومغبة جرمها ويحذرها

---

(1) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 57 .

(2) MERGHOUB :LE DEVELOPPEMENT... P:35 .

(+) جرت العادة باتباع السنة في بداية الصلاة قبل دور البلوغ لحكم بليغة

(3) أطفيش (أبو اسحاق) : وادى ميزاب ... ص 333 . — أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 7 .

(4) أطفيش (أبو اسحاق) : وادى ميزاب ... ص 333 . — أبو اليقظان : بيانات ... ورقة 15 . — دبوز: نهضة ... 1/ 228—9 . — توفيق المدني : كتاب الجزائر ... ص ص 108 — 9 . — بيوض: حديث شخصي . — مطهرى : المجالس ... ورقة 5 .

(5) دبوز: نهضة ... 1/ 226 . — بيوض: حديث شخصي . — بكلي : حديث شخصي .

(++) عندما يرتكب الانسان مخالفة ، أو يخالف عرفا ، أو يخل بالآداب العامة ... أو قانونا متفقا عليه أو أتى بما هو محرم شرعا ، فيقال في المرتكب الذى يستحق البراءة ، (فلان محكوم) أو (فلان في براءة الهجران) وهو تقريب ما يعبر عنه ب(الخطة) فعمله ليس بالكبيرة . — بيوض : حديث شخصي . — بكلي عبد الرحمن: حديث شخصي . — الحاج أيوب : حديث شخصي .

من خطر الرجوع للذنب [1] أو المخالفة .

واذا ما ارتكبت بنت ما مخالفة فان أمها هي المسؤولة عنها وتتحمل عواقب ذلك ، وقد يبلغ الأمر الى اعلان البراءة من الأم بسبب ارتكاب بنتها للمخالفة أو العصيان [+] .

لقد ترك هذا الاجراء آثارا حميدة في السلوك الاجتماعي فصارت الأم حريصة أشد الحرص على مراقبة بنتها بنفسها ومراعاتها أشد الرعاية حتي لا تتحمل عواقب الاهمال و والتفريط وحتى تنشئها تنشئة صحيحة لتكون عضوا صالحا في المجتمع تدرك ما لها وما عليها من حقوق وواجبات لتكون أما صالحة وفاضلة في المجتمع لأنها نواته ، فلولا ما تقوم به الغاسلات من مراقبة وتوجيه، وحرص وتكوين في سبيل الله — لضاعت الأسرة وانحلت عراها [++] ، لكنهن الآن يواجهن تحديات العصر ، ومنافسة بعض البرامج الخطيرة على الأسرة في الشاشة الصغيرة ، الأمر الذى جعل مهمتهن صعبة في هذه الحقبة الأخيرة .

فمن المسؤول اذا على مستقبلهن؟ لا شك أن المسؤولية الأولى على الوالدين وأولي الأمر، والمجتمع . وبفضل ما تقوم به " الغاسلات " من دور تنظيمي في اليوم أو الأسبوع بغرفتهن في المسجد أو الدار الخاصة بهن فقد ساهمن في صيانة المرأة ، وحفظ كرامتها ، وتوجيهها وتثقيفها فحفظت حصصا من القرآن الكريم ، والأدعية المأثورة ، وما يعلم من الدين بالضرورة ، وما يرتبط بأمور العبادات ، والاقتصاد المنزلي ، هذا فضلا عن انشغالهن بعمل الصوف في نفس الوقت بتلك الدورة فصارت ترى في طاعة زوجها ، والاخلاص له ، والصبر معه نيلا لرضاء الله " وقد يكون معهن شيء من الجمود الا أنه لم يضر بأثر عن الحميد " [2] .

والآن يتمتع الجيل الصاعد منهن بالتعليم العصرى في مدارس مهنية ، يتعلمن الشؤون المنزلية، والخياطة العصرية والطرز ، وأساليب تربية الأبناء بالقدر الضرورى والمعتبر هذا فضلا عن حفظهن للقرآن وتعلم اللغة العربية ، والفقه ، والدروس العصرية .

أثر نظام الغاسلات في المجتمع .

لمجلس الغاسلات آثار بارزة وفضل كبير في توجيه المجتمع ، يظهر في المحافظة على الجنس اللطيف من كل عبث بالدين ، وبالفضيلة أو من انحطاط الأخلاق ودون ذلك ، محاربة المناكر والآفات الاجتماعية ، التي أشاعت روح المودة بين أفراد المجتمع وخاصة النسوى منه ، فشعرن بالتضامن وتقوية أواصر الأخوة الاسلامية والتعاون على البر والتقوى ففرضت المرأة وجودها كعنصر حي ومنتج في المجتمع، فأصبحت تتمتع باحترام الرجل لها فنالت حقوقا معتبرة منها ما يظهر في عقد الزواج الذى تملك فيه طلاقها بيدها اذا ما أخل الزوج بالشروط التي تحميها كزوجة [+++] وأم للأولاد فاتضحت قيمته وأهميته في

---

(1) مظهرى : المجالس . . ورقة 5 .— بيوض : حديث شخصي .— الحاج أيوب : حديث شخصي .

(+) أنظر : الملحق رقم 17 .

(++) أنظر : ملحق رقم 13 .

(2) أطفيش (أبو اسحاق) : وادى ميزاب . . . ص 333 .

(+++) عقد الزواج من هذا النوع هو الجارى به العمل في وادى ميزاب حينئذ تختار الزوجة اما البقاء في عصمة زوجها أو تبين عنه . يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : المومنون عند شروطهم . . . — علي معمر : الاباضية . . . 4/ 292 .

تطبيقه بصدق في الميدان الاجتماعي لصيانة الأسرة وهنائها ، ومحاربة الانحراف والاهمال وهو أمر عجزت عنه كثير من النظم الاجتماعية ، ومؤسساتها رغم ما يتوفر لديها من الوسائل المادية والعلمية ... (1)

مؤتمر "لا اله الا الله" ودوره في الحياة الاجتماعية :

هو عبارة عن لقاء سنوى للنساء الاباضيات في قرى" وادى ميزاب" تحت ادارة واشراف هيئة "الغاسلات" ومعيناتهن بصحبة المرشدات الصالحات اللائي لهن نصيبهن من الثقافة والمعرفة .

ينعقد في فصل الربيع من كل عام في المدن الخمس بالتناوب أما مدينة القرارة وبريان فتعقدانه منفردتين كل على حدة ، وهذا بسبب بعد المسافة بين كل منهما وبينهما والمدن الخمس البعيدة ، ولكن يبدو أنه يمكن للمدينتين أن تنظما المؤتمر مع المدن الأخرى نظرا الى توفر وسائل المواصلات ، وظروف الايواء ، الأمر الذى كان صعبا قبل هذه الفترة ، فانضمامهما للقرى الأخرى لا شك أنه يحقق فوائد كبيرة ، ونتائج أحسن .

— سبب تسمية المؤتمر بـ" لا اله الا الله" :

انها تسمية تدعو الى التساؤل فما الداعي الى اختيار جملة التوحيد التي صارت عنوانا للمؤتمر ؟ قيل أن امرأة في زمن غابر بـ" مليكة " سمعت مولودها يردد دعوة السوء لوالديه ، فاستفسر أولياؤه شيخ المسجد في الأمر ، فنصحهم بتأليه الله سبعين ألف مرة ، فذكر كل ولي من أولياء المولود الله ألف مرة ، فسكت المولود ودعا لوالديه بالجنة (2) .
ومهما يكن أمر هذه الأسطورة فان هذا المؤتمر يتوج افتتاحه ويختمه بترديد "لا اله الا الله" .

يفتتح هذا المؤتمر في "روضة الشيخ عبد الرحمن الكرثي" (+) الكائنة في بسفح جبل مدينة "مليكة" واختيار المكان حسب ما يبدو راجع الى مناسبة تقتون عالم "مليكة" عن الحكاية السالفة الذكر أو ربما للعادة المتعارف عليها منذ القديم من امامة امام مدينة "مليكة" للصلاة أثناء اجتماع مجلس عزابة القصور (3) ولاحياء ذكرى الشيخ عبد الرحمن الكرثي في المقبرة بالذات للتذكير بالآخرة وما ينتظر الانسان من حساب على أعماله حتى تكون كل خطوات الحاضرات وأعمالهن لوجه الله لنيل سعادة الدارين .

ينعقد في فصل الربيع من كل عام وغالبا في النصف الأخير من شهر ماى يفتتح فيه بدعاء الاستفتاح وتلاوة سورة الفاتحة وبعض سور القرآن الكريم (4) .

هذا اللقاء يعتبر تمهيديا يناقش فيه جدول تنظيمي لبقية الأيام في القرى الأخرى من طرف هيئة غاسلات كل قرية فيناقشن المسائل المستجدة والطارئة على ضوء الدين

---

(1) توفيق المدني : كتاب الجزائر ... ص 115 . — أنظر: شروط عقد الزواج هذه في وثيقة رقم 16 . — يتعهد الزوج بتنفيذه وهو لصالح الطرفين والأسرة دون التفكك والضياع ، فالزوجة تصبح به متحكمة في سيرة زوجها ومسؤولة .
(2) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 37 .
(+) من أجل علماء "ميزاب" ومشايخها ، عاصر الشيخ أبا عمار عبد الكافي وله مراسلات مهمة معه من علماء الخمسين الأولى من المائة السادسة . — أنظر: (القطب) : الرسالة ... ورقة 55 . وتسمى المنطقة الآن بـ" 20 أوت 1955" .
(3) الحاج أيوب : جواب عن رسالة حول الموضوع . — الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 37 .
(4) الحاج أيوب: مراسلة خاصة ، وحديث شخصي . — مطهرى : حديث شخصي .

والأخلاق والسلوك العام يتخذن اجراءات أساسية بعد استعراض الحالة الراهنة للمرأة الاباضية في "ميزاب" وما طرأ عليها من تحديات واغراءات وفتن في دينها ولباسها ، فيحددن جدولا لأيام اللقاءات حتى تتهيأ كل مدينة لاستقبال النساء الوافدات اليها زرافات ووحدانا .

يستغرق اللقاء هذا يوما كاملا منتظما لتلاوة الذكر الحكيم والتوجيه والتذكير وتوزيع الصدقات (1) تتخلله فترة استراحة لأداء الصلاة .

بعد أسبوع من هذا الاجتماع التمهيدي تبدأ الملتقيات في أيام الاثنين ويوم الخميس ابتداء من مدينة "غرداية" واختتاما بـ"العطف" ، يفتتحن الملتقيات هذه بتلاوة سورة من القرآن الكريم فسلسلة من الأذكار وترديد : "لااله الا الله " ألف مرة فيسبحن ويذكرن الأذكار كثيرا ثم يلقين كلمات توجيهية في الوعظ والارشاد والتحامل على البدع المستحدثة وبعد الغذاء تنصرف النساء كل الى دارها للصلاة ويرجعن بعد العصر لسماع القرارات حول عوائد الأعراس والمآتم . ثم يفترقن بالدعاء والتهليل وهذا دون التدخل في كل ما يرتبط بالأعراس في كل قرية ولكن يركزن على محاربة الاسراف والتبذير والعادات السيئة والبدع الضارة بالأسرة والمجتمع ومقاومة ما يقوم به الاستعمار من . . محاربة المسلمين .

يبدو أن أهم دور لعبه هذا المؤتمر منذ ابتدائه هو تقوية الايمان بالله ، وتقوية أواصر الأخوة الاسلامية ، واشاعة روح المحبة والمودة بين المجتمع النسوي ليحسسن بالتضامن ، وتضافر جهود النساء لمقاومة البدع الضالة ، وتوعيتهن بشؤون دينهن ، وتوجيه العائلة الى ما فيه صلاحها الدنيوي والأخروي ، فتمكنت بذلك من المحافظة على المجتمع أمام كل الأساليب التي كانت تقوم بها فرنسا وما تركته من رواسب ، والحذر من مغريات الدنيا . لمجالس الغاسلات أثر بارز في المحافظة على الدين ولا ينكر هذا الا جاحد مغرض (2)

— عيد الزيارة — أو عيد الشكر :

يهتم العزابة اهتماما كبيرا بـ"عيد الزيارة" فيشرفون على تنظيمه ، وهو عبارة عن مهرجان شعبي كبير يلتئم بعد طلوع الشمس في مصلى الجنائز بالمقبرة لأداء صلاة الاستسقاء (++) ، تتجه بعدها مجموعات منتظمة يتولى العزابة وعرفاء المحاضر توجيهها بانتظام الى زيارة جهات معينة ، وتضم هذه المجموعات طلاب المحاضر الصغار والكبار بجانب الراغبين من الشباب والكبار ، يزور هؤلاء أماكن ذات آثار تاريخية ، ومقامات للمشايخ والأولياء الصالحين المستجابي الدعاء ، ومقابر المسلمين ، وأضرحة الشهداء (+++) ، يطلق على هذه التظاهرة اسم "الزيارة" وتسمى في بعض القرى أحيانا بـ" عيد الربيع " أو "عيد الزهور" فهو العيد الوحيد الذي يحتفل به الميزابيون بالاضافة الى الاعياد الدينية والوطنية .

---

(1) الحاج أيوب : رسالة . . . ورقة 37 . — النوري : نبذة . . . ج 1 ، ص 176 .
(+) هذا ما كن يقمن به رغم ظروف الاستعمار الفرنسي في عهده ، وأما قبله فموضوع يحتاج الى زيادة بحث .
(2) أطفيش (أبو اسحاق) : وادي ميزاب . . . صفحة 333 .
(++) تؤدى ولو في أوقات الخصب في مثل هذه المناسبة .
(+++) كل من استشهد في سبيل الله والوطن منذ تأسيس القرى بـ"وادي ميزاب" .

يعلن العزابة في المسجد على موعد "عيد الزيارة" قبل حلوله بنحو أسبوع تقريبا فيحرضون المسلمين على القيام به ، ويذكرونهم ببرنامجه اليومي ، وفوائده ، وأهدافه .

يحدد موعده في أوائل الربيع بالاثنين الأول من أفريل كل سنة (+) .

ان اسباب اختيار "عيد الزيارة" في أوائل الربيع يرجع حسب ما يصرح به المشايخ الى الظروف الزراعية (1) . فالنخيل الذى يعتبر أهم وأغلب أشجار وادى ميزاب وعمدة قوت سكانه منذ نشأة قراه يكون قد أبر في هذا الفصل ، والزرع الذى يعتبر أهم عمدة أساسية في الغذاء ، قد شرع يسبل ، والأشجار قد بدأت تتفتح وتزهر ، وفواكه الصيف قد شرعت في اظهار بواكيرها ، فالمؤمن مطلوب منه أن يشكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة ليبارك له الله فيما أنعم ، وليزيده من فضله ، "لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم أن عذابي لشديد" (2) ولضمان استمرار هذه النعم ، رأى "العزابة" ضرورة الابتهال الى الله ، والتضرع اليه ليرحم المسلمين بالمياه الكافية لفصل الربيع والصيف بصفة خاصة داعين الله حفظ المزروعات والغلال والفواكه والخضر لينميها ويحفظها من كل الجوائح والآفات والأمراض والجفاف ، وتؤتي أكلها في موسمها لينتفع بها المسلمون ويدخروا منها ما يحتاجون اليه لضمان معيشتهم ، فرغم تطور الحياة في السنين الأخيرة فان "عيد الزيارة" ما زال يقام ويحرص على الاحتفال به ، فهو مرتبط بالمجتمع الزراعي خاصة لما كانت الزراعة هي المورد الأساسي ، والعمدة الرئيسية في الاقتصاد .

ان هذه الظاهرة قديمة بقدم المجتمع بحيث لم نعثر على تاريخ ابتدائها ، وربما كانت من التحسينات التي أدخلها "الشيخ عمي سعيد" لما حل ب"وادى ميزاب" في القرن التاسع الهجرى و (الخامس عشر الميلادى) (3) لكننا لا نستطيع أن نجزم بذلك لافتقارنا الى الأدلة ، والموضوع يحتاج الى بحث وتقص .

— <u>برنامج يوم "عيد الزيارة" بالعطف :</u> (++)

يتجمع السكان كبارا وصغارا منذ طلوع الشمس في مصلى مقبرة "عمي حمو" (+++) حيث تصلى صلاة الجنائز ، وبعد انتشار الشمس بقليل تصلى صلاة الاستسقاء جماعة بعد استغفار جماعي سبعين مرة ، ويدعو الامام دعاء طويلا كله تضرع وابتهال وهو يقلب كفيه (++++) باطنهما نحو الأسفل وظهرهما الى الأعلى ، ويقلب رداءه ، وبعد الدعاء ينتظم الناس جماعات جماعات تقصد كل جماعة المزارات والمشاهد تحت مسؤولية واشراف أحد العزابة وبعض كبار "اروان" ويصحبهم "عريف" القرآن أو "العرفاء" لمراقبة الصبيان وتنظيمهم ومراعاتهم ، وتوجيههم بعد صلاة الاستسقاء ، والكل يردد الدعاء عقب العزابي مباشرة بالتناوب (+++++)

(+) يحدده عزابة بعض القرى كـ "غرداية" بيوم الجمعة من أوائل أفريل مراعية العطلة الاسبوعية ، وهذا التغيير حديث في هذه الأعوام الأخيرة .

(1) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 88 .— الحاج سعيد : حديث شخصي .

(2) سورة : ابراهيم ، الآية : 7 .

(3) P.CUPERLY :APERÇUS...132 .

(++) لا يختلف عن بقية قرى وادى ميزاب الأخرى الا في بعض الجزئيات .

(+++) تقع في قمة جبل يرتبط بالمدينة عند بابها المسمى ب"العست" المتجه نحو الجنوب ، وبالعطف مقابر قديمة وحديثة ، وعددها كثير ذات تاريخ خاص ...

(++++) قبل أن يكبر الامام تكبيرة الاحرام يقلب رداءه ، وفي الدعاء يقلب كفيه كما هو صحيح في السنة .

(+++++) صيغته هكذا : "باسم الله يا الله يارحمان ، ويا رحيم يا الله ارحمنا" بصوت مرتفع ونغمة شجية مؤثرة تعلو عنان السماء ، ويرجعها صدى شعاب المرتفعات عند بلوغها .

ولا ينقطعون الا لضرورة قصوى كأن يصلوا بئرا أو مركز ماء ليشربوا منه ، أو عندما يصلون مزارا أو مشهدا ، أو قبور الشهداء ، فيقوم العزابي أو أحد الرواد بتقديم شرح مختصر حوله ، فيتضرع بالدعاء والكل يؤمنون ، ثم يجلسون مستديرين فيجمعون ما أتوا به من تمر وخبز وحليب ، وحتى الصبيان يتسابقون الى الاتيان بهذه المواد وبالماء فيتعلمون البذل والمشاركة الجماعية ، ومحاربة البخل ، ويتحملون الأتعاب وحرارة الشمس والعطش ، ثم يوزع كل ما يجمع من الصدقات على كل الحاضرين بالسوية فيحس الفقير الذى لا يملك ما يأتي به مثل الآخرين يشعر بالتضامن والمساواة مع كل الحاضرين ، ثم يدعوا الجميع الله ، وهكذا حتى تنتهي الفترة الصباحية في الزوال ، فتتجمع كل الجماعات في احدى مصليات المقابر .

يعين مكان التجمع بمدينة العطف في مقام الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (+) حيث تصلى فيه صلاة الظهر جماعة وقبلها : يجتمع كبير عرفاء القرآن مع عرفاء آخرين فيحضر مجلسهم الصبيان أى طلاميذ المحضرة فيسئلون التلاميذ عن رسم القرآن ، وكيف تكتب بعض حروف الآيات القرآنية ، وأنواع الآيات المتشابهة ، ويختبرون كل تلميذ منفردا أمام الحاضرين (1) فاذا نجح التلميذ فانه يخول له حق حضور مجلس تلاوة القرآن اذا لم يكمله ، وليعيد حفظه كتابة على اللوح اذا ختمه (2) .

قبيل انتهاء هذه التظاهرة القرآنية يلتحق من تبقى من الناس بمقام الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر فتؤدى صلاة الظهر جماعة ثم يحلق (++) الجميع ، ويجلس الصبيان صفوفا وسط الحلقة ، والجميع يقرأون القرآن ، وفي نفس الوقت تجمع الصدقات (+++) من الحاضرين وتكدس أمام هيئة العزابة ، ثم تفرق على الحاضرين ، وبعدها يدعو كبير العزابة دعاء ختم القرآن ، ثم دعاء قبول الصدقات (++++) ، والكل يؤمنون ، ثم ينفض الجمع فمنهم من يرجع الى داره ، ومنهم من يتجه مع الطلبة صحبة أحد المشايخ الى جميع المقابر فيقفون على قبور العلماء والمشايخ والعزابي يبين لهم مآثرهم ، وتراجم حياتهم وأعمالهم وأنواع الكرامات التي يتمتع بها بعضهم ابتداء من المقام الذى يجلسون فيه وهو مقام الامام أبي عبد الله محمد بن بكر الذى أنشأ نظام العزابة ونظم الحلقة بالعطف .

وبعدها يتوجه بهم الى مقبرة "بايوب بن قاسم" فيقرؤون سورة الأنعام كاملة (3) . وبعدها يختمون بالدعاء ، ثم يتوجهون الى بقية المقابر حتى يبلغوا مقبرة "عمي حمو" [illegible] كان [illegible]

[illegible]

(+) هو عبارة عن مصلى مستدير الشكل مرتفع عن سطح الأرض يصعد اليه بدرج ، يقع بالعطف على الجانب الأيمن من ضفة "وادى ميزاب" في منعطف الطريق المعبد للدخول الى المدينة ، وفي هذا المكان بعينه كان الامام أبو عبد الله محمد بن بكر يعقد حلقاته ، فأقيم فيه مقام له فليس فيه قبر ولا مقبرة .

(1) الحاج اسعيد محمد بن الحاج محمد : حديث شخصي . ــ الحاج أيوب: حديث شخصي.

(2) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 89 . ــ أما في الوقت الحاضر فان هذه الظاهرة غير موجودة .

(++) أي يجلسون على شكل حلقة .

(+++) أساسها : التمر والخبز والحليب ، أما في العهد الأخير فيقتصر على الأولين فقط أما الحليب فيصحب في الرحلات الى المزارات والمشاهد ، ويكرم به في الدور أثناء الزيارة بالمدينة .

(++++) هي أدعية مأثورة يحفظها كل البالغين ذكورا واناثا المواظبين على حضور مجالس الذكر والختمات في المساجد والمقابر ، أنظر : مجموعة ستة كتب .

(3) [illegible]

"عمي حمو" (+) فيصلي الجميع هناك صلاة العصر ، بعد أن يلتحق اليها اثر الآذان من كان في المدينة فيخرج الجميع منها ولا يبقى في البلد الا الشيوخ والعجزة والمرضى وبعد صلاة العصر يتجه الجميع الى مقبرة "أبي عبد الله" في أسفل مدينة العطف (++) متبعين طريقا خارج سورها ، ثم يلتحق من كان في المدينة فيلتئم الجميع ويحضر معهم كثير من الصبيان الأحداث (+++) ، فيتلو الجميع ما تيسر من القرآن الكريم من السور القصار ، وتجمع الصدقات من الحاضرين ، ثم توزع على الجميع بالسوية ابتداء من شيخ العزابة ، بالاتجاه يمينا (++++) ، ولا يشرع في الختمة الا بعد رجوع المجموعة التي اتجهت الى مقام معروف ب"بابا وانجي" (+++++) ، وعند وصولها يشرف العزابة على ختم القرآن الكريم (++++++) ، ثم يدعو شيخ العزابة دعاء اختتام القرآن ، فدعاء الصدقات بعده ، والكل يؤمن ، وأحيانا يدرك المغرب الحاضرين فيؤذن المؤذن للصلاة فتصلى جماعة في عين المكان حتى لا يفوت وقتها على الحاضرين .

هل للنساء نصيب في الزيارة مثل الرجال ، أم هن محرومات من "عيد الزيارة" ؟ كلا لا يحرمن ، وانما لهن عادات خاصة بهن في داخل المدينة منذ فترة قديمة جدا يصعب معرفة بدايتها وأسبابها ، فمن عاداتهن في هذا اليوم هو التزين وأداء الزيارات في داخل المدينة ، أما العرائس اللائي تزوجن في نفس عام الزيارة فانهن ولو في غياب أزواجهن يستعددن لاستقبال الزائرات ، فتستضيفهن عائلتهن بالتمر والحليب ، وقد يحضرن الشاي والحلوى أحيانا ، وبعد ساعة من العصر تزدحم شوارع المدينة بالنساء يزرن العرائس الجدد ، وجميع المتزوجات ، ولكن قديما (+++++++) يتجولن في

= الحاج اسعيد يواظب عليها وحده أحيانا ، وأخرى يصحب معه شخصا أو شخصين فيقرؤون سورة "الأنعام" .

(+) وقد انطلقوا منها في الصباح الباكر بعد أن صلوا فيها صلاة الاستسقاء كما سبقت الاشارة اليه .

(++) توجد هذه المقبرة ومصلاها الى يمين الداخل الى المدينة عن باب "الخراجة" فهي مقابل مدرسة النهضة ، والمستوصف حاليا ، كان اللقاء في التجمع العام للمدينة بعد العصر يتم في "تاجرويت" خارج المدينة قبل نحو عشرين عاما فتحول نتيجة اتساع العمران اليه .

(+++) جرت العادة أن المدينة كلها تخرج عن بكرة أبيها و لا يبقى فيها الا الهرم العاجز أو المريض الذى لا يستطيع أن يمشي ، وتغلق كل أبواب المدينة بعد العصر بقليل ، أما الشيوخ العجزة الذين لا يتمكنون من الوصول الى مصلى المقبرة فانهم يتجمعون في الباب الكبير ، أو السوق الخارجي ، وتتخذ الحراسة في أبواب المدينة .

(++++) تلك عادة متبعة ، أما اذا كان عدد الحاضرين كثيرا جدا ، والوقت ضيق نتيجة فريق آخر يسار المجلس .

(+++++) يوجد قبلة مدينة العطف فوق جبل صخري عالي شرقا ، وهو ولي صالح كما يقال ، وتروى حوله أقاصيص وكرامات ، منها أنه كان يعمل في بستانه ببلدة أعمره فرأى الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر مارا فلحقه ليهدي اليه بكارا بطيخ ، ففطن به لما وصل العطف فقدم له الفأل ، ولما استفسره عن قصته أمره أن يغمض عينيه ، فقرأ عليه فوجد نفسه في بستانه ، وضع في المقام مرسومين من الحجر بارزين من البعد كحد للقبلة يهتدى اليها ، اسماوي الحاج بكير : حديث شخصي .

(++++++) يتلون جماعة بعض السور القصار ، يبدأون عادة الختمات من سورة "عم" فاذا بلغوا سورة "التكاثر" أعادوا الجلوس باعتدال دون حركة أو استناد والكل في تدبر وخشوع أبلغ من السابق حتى المعوذتين .

(+++++++) لا يمكن أن نعرف بداية هذه الظاهرة ، فهي تحتاج الى بحث وتقص دقيق ، وقد ابطلت منذ ما يزيد عن عشر سنين فقط ، وذلك راجع للظروف .

الشوارع داخل المدينة مكشوفات الوجوه فيزرن الدور، ويدخلن السوق الداخلي ويقصدن مكتب القائد — الذى كان مركز الحكم في عهد الاستعمار — فيضربن بابه بأيديهن وأرجلهن ، وربما كان ذلك "احتجاجا على وجود محل واحد يمثل تسلط الأجنبي" (1)

أما في "القرارة" فبالنسبة للاجتماع العام ، أو التجمع فانه يقع في "التوادر" (+) بشكل يختلف عما يقع في "العطف" وهو تجمع كل أب للعائلة مع أولاده الذكور و والاناث (++) في حلقة مصطحبا معه التمر والحليب ، وفي حالة استعداد لتلقي الزيارات من أى رجل أو شاب ولو أجنبي عن العائلة فيلقي السلام والتحية ويجلسون دون حرج فيكرم بالتمر والحليب فيدعو لهم الله بالمثوبة والقبول (+++) .

لكل مدينة من مدن "ميزاب" عادات وتقاليد ولكن لا تختلف في أصولها كثيرا عن بعضها البعض ، فهذه التظاهرة في "عيد الزيارة" يشرف عليها العزابة ويرعونها ، فهي تترك في نفوس المشاركين فيها آثارا ايجابية من ذكر الله ، والتوجه اليه بالدعاء لحفظ النخل ، فكأنه عبارة عن عيد للفلاحين من ناحية أخرى لما في الفلاحة من أهمية في توفير الغذاء وبناء الاقتصاد ، واعطاء وزن للفلاح حتى يتشجع أكثر في مضاعفة الانتاج ، فيغتبط بمباركة العزابة لعمله ، وهو بدوره لما يلاحظ الباكورة الأولى من "فقوس" (++++) وتمر فانه يقدمه هدية لامام المسجد ، فيعلن هذا في المسجد عنه ويصلي بالحاضرين ركعتين شكرا لله ، ويدعو الجميع له وللنخل بالبركة والحفظ ، ويشعر المشاركون في "عيد الزيارة" بالتضامن الجماعي ، والمشاركة الوجدانية مما يقوى أواصر الأخوة والترابط في الله ، ويشعر الفقراء والمحتاجون بالرعاية ، والتقرب اليهم فلا يحسون بالحرمان والغبن ، فالزيارة مناسبة عامة في إحياء ذكرى العلماء ، والعزابة ، والشهداء ، ومعرفة مواقفهم ، ومآثرهم التاريخية وأعمالهم ، وتضحياتهم ، وتفانيهم في الصالح العام وأعمال الخير والبر والاحسان مما يدفع الخلف للعمل كالسلف لمناصرة دين الله ورعاية المجتمع كي يبقى صالحا .

ان قراءة القرآن ، وكثرة الأدعية والاستغفار لمما يقوى الصلة بالله ، وتوحيده ، وتركيز العقيدة في النفوس ، والرجاء في الله والاعتماد عليه لنيل الثواب والهداية .

— موقف العزابة ودورهم في الجنائز :

جرت العادة منذ فترات تاريخية طويلة أن يتطوع العزابة للقيام بحقوق الميت وتجهيزه (+++++) . أن موقف العزابة من الميت غير المتولى (++++++) قد لعب دورا كبيرا في محاربة الموبقات والرذائل وتطهير المجتمع من كل ما من شأنه أن ينشر فيه الفساد والانحلال والاباحية بهذا الموقف حفظ العزابة على دين كل فرد وأخلاقه

---

(1) الحاج أيوب: حديث شخصي .
(+) ساحة واسعة بشرق المدينة متصلة بالغابات أصبحت الآن تزين .
(++) الاناث غير المتزوجات وهن متسترات محتجبات ما عدا الوجه والكفين بالطريقة الشرعية .
(+++) يقال أن هذه التظاهرة من أهم الفرص التي يتأكد فيها الخطيب من خطيبته فيراها حتى يطمئن اليها أو يعرض عنها ، وكذا للأب الذى يبحث عن خطيبة لأبنه ، وهذا أمر جائز شرعا .
(++++) بداية تكوين البطيخ ، أحيانا يؤكل قبل أن يصير بطيخا .
(+++++) أنظر الغسالين الفصل الثاني .
(++++++) العاصي الذي مات على غير التوبة اذا تبرأ منه المسلمون .

وتكافله فسلم من الآفات الاجتماعية رغم كل التيارات الزاحفة التي تعمل على تقويض أركانه ، وتفكيك وحدته وانسجامه ، فصار المسلم العاقل النزيه يعمل الصالحات ، ويتجنب الموبقات ، وكل ما يؤدي به الى البراءة حتى يسلم من سخط الله عليه ، وعدم رضا المسلمين عنه ، وحتى يخرج من الدنيا مسلما طاهرا تقيا ، امتثالا لقوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون " (1) ، وبنفس مطمئنة راضية كي يتولى الأطهار تجهيزه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين . (+)

بعد دعاء التحليق مباشرة وقبل الافتراق يتقدم المرشد بدرس توجيهي والحاضرون واجمون فيستغل تلك اللحظات المؤثرة بالموت فيؤكد على عظمة الله القهار والايمان بدينه الذي ارتضاه لعباده ، وتجنب الموبقات ومعصية الله ورسوله ، واتباع الهوى والانسياق وراء الدنيا ونسيان الآخرة ، ويؤكد على حسن المعاشرة والمسارعة الى التوبة قبل الافتراق والرحيل الحتمي ، ويعالج مشكلة اجتماعية ان حدثت في ذلك الأسبوع أو تلك الأيام وما الى ذلك مما يقتضيه المقام ، فيحرض على تنفيذ الوصية ، ورعاية الأرامل والأيتام وحقوق الضعفاء والمحتاجين ، وما الى ذلك مما يخدم المصلحة العامة والتعاون والانسجام بين أفراد المجتمع لتحقيق التكافل الاجتماعي الى غير ذلك مما يقوى العزائم ، والايمان بدين الله تعالى وانتهاج سيرة الرسول (محمد صلى الله عليه وسلم) فاذا كان الميت عالما أو شيخا للعزابة فان كل قرى الوادي تشارك في جنازته ، فتتخذ الاجراءات الكفيلة باستقبال الوافدين فيتحول الموكب الجنائزي الى مهرجان (++) توديع يستمر ساعات طوالا كثيرة يتقدم الخطباء نيابة عن حلق العزابة والمساجد في كل قرى الوادي لتقديم التعازي ، و ذكر مناقب وأعمال وتضحيات الفقيد والترحم عليه ، وتشييد الهمم والعزائم لتكوين الأخلاف لأولئك الأسلاف ، فاذا كانت الشخصية الراحلة تتمتع بسمعة واعتبار فان الدوائر الرسمية في الولاية والبلدية والدولة توفد ممثلين عنها للمشاركة بالحضور والقاء الكلمات نيابة عن هيئاتها ووزاراتها وخاصة الرئاسة كما حدث لمهرجان توديع الامام الشيخ بيوض (+++) رحمه الله ، وأشبه به توديع الشيخ يوسف حمو علي (++++) والشيخ عبد الرحمن بكلي رحمهم الله الى مثواهم الأخير (+++++) ، هذا ما عليه الوضع حاليا لكن من المؤكد أن الكلمة التوجيهية عادة قديمة ، جرت العادة في قرى ميزاب منذ أمد أن يقرأ العزابة والطلبة

---

(1) سورة آل عمران : ص 102 .

(+) هذا متوارث منذ قرون ، ومرتبط بموضوع "الولاية والبراءة" .

(++) يظهر والله أعلم أن التجمهرات الضخمة مثل هذه ، لم تكن تحدث بهذا الشكل الأخير في عهد الاستقلال لتوفر عوامل موضوعية كوسائل الاتصالات والمواصلات فيفد اليها القاصي والداني بسرعة فائقة ، أما قديما فتلك الوسائل غير متوفرة اذ لا تصل الأخبار بسرعة ، بالاضافة الى ما يتخذه الاباضية كما ينص عليه الفقه من أن من السنة "تعجيل دفن الميت" الا أنه بعد الدفن تصل الوفود تباعا لتقديم التعازي ، وفي هذا عادات وتقاليد في الاستقبال ...

(+++) توفي بمدينة القرارة مسقط رأسه يوم 8 ربيع الأول 1401هـ/ 14 يناير 1981م ، أنظر : ناصر محمد : العلماء لا يموتون ، مقال نشر بمجلة : العصر ، عدد السنة 18 ربيع الأول 1402هـ/ 14 يناير 1982 .

(++++) 28/ديسمبر 1984م. عين نائبا أولا للشيخ بيوض في رئاسة مجلس "عمي سعيد" وأصبح رئيسا له بعد وفاة الشيخ بيوض يوم 8 ربيع الأول 1401هـ/14 يناير 1981.

(+++++) توفي بمدينة بريان يوم 3 جمادى الأول 1406هـ/13 يناير 1986م. وكان رئيس مجلس "عمي سعيد" بعد وفاة الشيخ يوسف

القرآن في دار الميت منذ الليلة الأولى من وفاته بعد أن كانت العادة تتم على قبره ليلا وكان يتولى ذلك قارئان أو ثلاثة لمدد متفاوتة بين قرية وأخرى ، فأصبح الآن في دار الميت من ليلة الى ثلاثة الى سبع ليال ، وهناك من يوصي فيحدد الأيام ، وهناك من يوصي باتباع ما يقرره المسجد في كل ذلك (+) ، وهناك أقلية قليلة جدا توصي بعدم القراءة، اختلف العلماء في موضوع القراءة على الميت ، ولكن الاعتقاد السائد في ميزاب أن القراءة للأحياء لا للميت وذلك تسلية لأقاربه ، وموعظة لهم بجانب الموت ، تماشيا مع حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الشأن كما قال : " تركت فيكم واعظين ، ناطقا وصامتا أما الناطق فهو القرآن وأما الصامت فهو الموت . . " وتستغل المناسبة لتقديم الصدقات على الحاضرين ، والترحم على الميت ، والاكثار من الأدعية ، والقاء كلمات توجيهية من طرف العزابة ، أو الوعاظ ، ومن هو في المستوى لذلك فكان كذلك لمن في سلك الطلبة والمعلمين مناسبة لالقاء خطابة ، أو كلمة توجيهية ، أو ذكر مآثر الفقيد ، وفي نفس الوقت التدرب في مثل هذه المناسبات على الوعظ والارشاد بالنسبة الى المستجدين منهم في هذا الميدان لأن العادة جرت كما في "السير "أنه لا يتصدر الاجتماع أو مجلسا ما الا العزابي فهو الذى يفتحه بالدعاء ويختمه لا غيره ، وهو الذى يسير الجلسة ، فاذا لم يكن في مستوى تسيير الجلسة أو بعيداً عن موضوعها فانه يتولى افتتاحها واختتامها ~~هو الذى يتولاه~~ ، وان لم يحضر العزابي فيتولى ذلك بالترتيب حسب الأقدمية أحد طلبة فنون العلم والأدب ، وان لم يكن موجودا فأحد طلبة المحاضر حسب الأقدمية .

وجرت العادة أن تقرأ " الوصية " في جوعائلي بعد الدفن مباشرة كما في بعض القرى ولا يمنع هذا أن تكون قد قرئت قبل الدفن من طرف الوكيل ان علم بذلك والا فمن طرف أقرب قريب وولي للهالك ليعلم ما فيها قبل اتمام اجراءات التجهيز .

— <u>المقابــــــر :</u>

تجاور كل قرية من قرى " وادى ميزاب " مقابر ذات أسماء مختلفة معظمها تسمى بأسماء المشايخ والعلماء ، والأولياء الصالحين يدفن فيها الاباضية موتاهم كغيرهم من المسلمين يتخذ الاباضية في كل مقبرة مصلى ، أو يبنون فيها مسجدا للصلاة على الميت ، وأداء الصلوات المفروضة في مناسبات (++) ، ويبنون فيها غرفة خاصة لغسل الأموات .

وضع شيوخ الاباضية وعزابتها في "ميزاب" تقاليد خاصة بالمقابر وهي عبارة عن تنظيم مجالس (+++) خاصة لقراءة حصص من القرآن الكريم في مقابر معينة ، يجمعون فيها

(+) تقوم بعض هيئات العزابة ببعض مساجد قرى الوادى بتنظيم هذه العادة ، والتقليل من المصاريف التي تصرف فيها لمقاومة الاسراف فيحددونها بقرارات يصدرونها فقلصوا لياليها الى ثلاثة كالمسجد العتيق في العطف ، ومسجدى بريان ، أما القرارة فالى ليلة واحدة ، كما صاروا يحددون بالتقريب ولائمها ويقلصونها الى أقل ما يمكن لمحاربة الاسراف فيحددون وقتها ليحضر جم غفير تلاوة القرآن وسماع الموعظة والارشاد .

(++) مثل الأعياد كما كان في بعض القرى قديما ، وكما هو الآن في مقبرة "بابهون" بالقرارة وفي مناسبة "قراءة القرآن الكريم في المقابر والختمات فيها "، أو مناسبة "الزيارة" الخ . . .

(+++) المجلس أى حلق مدورة : ومن حق المجلس " التدوير بلا خلل ، والسكينة ، والاصغاء ، وترك التناجي ، والكلام في دنيوى ، والضحك فانه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه " . _ أنظر: الثميني : النيل . . . ج 1 ، ص 267 . — " . . . قيل من ضحك في مجلس الذكر أو تكلم فيه كلام الدنيا ، فقد حبط أجر ما قبل الضحك من المجالس فان خرج وبدل النوى ورجع كان له أجر ما بعده ، وقيل يتوب وهو في مجلسه ويبدل النية . . . " الوسياني : سير . . . ج 1، ورقة 82 — 83 .

الأوقاف (+) المخصصة لها والصدقات ، وتفرق بكميات محددة على من في مجالس الذكر ، والحاضرين خارجها ، وللموضوع تفصيلات مدققة تحتاج الى بحث ، هكذا يسمى هذا النظام عرفا بـ "المقابر" تعقد بأيام الجمع بالذات لما ورد في شأنه من فضل عظيم ، وحق حضور مجالس الذكر (1) ، وساعة الاستجابة (2) .

نظام المقابر قديم جدا في "ميزاب" منذ أن كان مستقلا تمام الاستقلال وغير تابع لأى سلطة ، بل معتمدا على نفسه اعتمادا ذاتيا وكليا في مختلف المجالات وخاصة في الدفاع عن نفسه ضد كل المغيرين عليه ، ولم يكن يهتم آنذاك بالتجارة في مدن الشمال (3) وهي فترة ما قبل العهد العثماني : القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، فطريقته تدل على قدمه ، ربما امتدت جذوره الى عهد واضع نظام العزابة أبي عبد الله لما كان يزور "ميزاب" مع طلبته في ربيع كل سنة (4) . أدخل العزابة تنظيمات وتغييرات الى نظام "المقابر" وحسب ما روى عن مشايخ "ميزاب" "... أن واضع "المقابر" والأوقاف وطريقة توزيعها هو المرحوم الشيخ محمد بن الحاج ، المعروف بالشيخ بلحاج "دفين بن يسجن" (5) .

حدد العزابة أيام الجمع بالذات لعقد نظام المقابر ، لما ورد في شأن يوم الجمعة من فضل عظيم وحق حضور مجالس الذكر (6) ، وساعة الاستجابة (7) .

اختار العزابة لنظام "المقابر" مواسم معينة في السنة في فصول الشتاء والخريف والصيف أطلقوا عليها تسمية "مقابر الشتاء ، ومقابر الخريف ، ومقابر الصيف ، وهي محدودة ومعلومة حسب كل قرية الأن معظمها وأطولها هي مقابر الشتاء ، أما الأخريان فمحدودتان وقليلتان ، تدوم مقابر الشتاء في كثير من القرى شهرين متتابعين ، عددها في كل من "غرداية" و"العطف" ثلاثة عشرة ، أما في "مليكة" و"بنورة" فسبعة ، وفي "بني يسجن" فثمانية ، وفي "القرارة" و"بريان" فمقبرتان في جمعتين (8) .

أما في فصل الربيع فلا تعقد فيه "المقابر" لعل ذلك بسبب مراعاة جهود الفلاح الذى ينشغل بفلاحته في هذا الفصل أكثر من الفصول الأخرى (++) .

أما في فصل الصيف فان معظم الناس ينتقلون الى البساتين ويبقون فيها الى أواخر الخريف (+++) بعد جني التمر ، أو قطع عراجينه . ولذلك يتمكنون بعد عمل النهار

(+) تحبس الأوقاف في الدور الموروثة ، وفي العقارات العينية ، أو البساتين لمن يرث كل ذلك أو بعضه ، فيلتزم بتنفيذ ما حبسه الواقف بعينه ، وحسب نوعه وكميته في وقته المخصص له ، ولما عين له ، فلا تخلو وصية من وصايا المسلمين الا ويخصص صاحبها فيها نوعا من الوقف ، أو صدقة معينة بكمية مخصصة لوقت أو موسم معلوم يحدده ، فيستمر الوقف ، أما [illegible] أوقاف المقابر على تحضير طعام بكميات تحدد بنوع من الحبوب ، وعلى قطع من اللحم والخبز والتمر .

(1) (2) الجيطالي : قواعد ... 2/ 226 - 7 . - الثميني : النيل ... 2/ 267 .

(3) بالي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(4) طلاى : ميزاب ... ص 77 .

(5) نفسه .

(6) (7) الجيطالي : قواعد ... 2/ 225-7 . - الثميني : النيل ... 2/ 267 .

(8) الحاج أيوب : حديث شخصي .

(++) فهو فصل تأبير النخيل ، وغراسة الأشجار ، وشتل البقول ، وزرع بعض غلل الصيف وحصاد القمح والشعير ، ودرسهما . - الحاج أيوب : حديث شخصي .

(+++) هذا قبل التعليم العصرى وافتتاح الموسم الدراسي الذى أصبح الآن فترة الرجوع الى المدينة .

الطويل من حضور " نظام المقابر" في العشي ،

ينبه العزابة في المسجد بعد صلاة العشاء غالبا عن موعد وموسم المقابر بأسبوع قبل افتتاحها، ويكرر التنبيه اثر صلاة الجمعة (+) ، ثم يعاد أخيرا ليلة الجمعة ليصبح الناس حاضرين وقتها، أما بالنسبة إلى الذين لهم أوقاف محددة فيهيئونها في موعد ما حسب كل مقبرة .

أسبـــــاب عقد مجالس القرآن وتفريق الصدقات في المقابر .

1 — اختيار فصل الشتاء بالذات لاشتداد حاجة الفقراء والمساكين فيه الى الطعام لشدة الجوع والبرد ، ولانقطاع الخضر والفواكه فيه عن الصيف ، فالشتاء أقسى على الفقراء والمساكين ، فصاروا يترحمون على الصيف رغم شدة حره وخطر عقاربه وحشراته (1)

2 — ممارسة معظم الرجال الفلاحة في قرى " وادى ميزاب " لأنها مورد قوتهم وتمعشهم ولا سيما العزابة والطلبة ، فالفلاحة في هذا الفصل لا تحتاج يوميا الى سقي الماء كالصيف فاذا ما تخلف فلاح عن عمله يوما في الأسبوع فانه لا يضرها (2) ، ويحتاط لذلك ،

3 — قراءة القرآن الكريم في المقابر بالذات بقصد الترحم على كل المسلمين عامة ، والمدفونين في عين المكان ، وعلى المشايخ والأولياء ، والصالحين والعلماء خاصة .

يبدو أن هذا العمل يتماشى مع ما ذكره الرسول (محمد صلى الله عليه وسلم) ، لفت الانتباه اليه قوله " تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً ، أما الناطق فهو القرآن وأما الصامت فهو الموت" فيجمعونهما في عين المكان ،

4 — الاجتهاد بالتقرب الى الله بتلاوة القرآن المتعبد بتلاوته ، والخشوع لمعانيه ، والاتعاظ بانذاراته .

5 — تزويد الفقير، والمحتاج ، وعابر السبيل بمؤونة لبعض أيام الأسبوع مما يوزع عليهم من صدقة حسب ما ورد في الحديث؛ يستعين بها على فاقته وفقره ،

6 — التجمع على الخير، والتعاون على البر، والتكافل الاجتماعي ، والتضامن الجماعي فيما يحب الله ورسوله ،

7 — تنفيذ تعاليم الشرع الاسلامي فيما يخص الوقف والحرص عليه لنيل الأجر .

8 — اختيار التجمع في المقبرة بالذات وتلاوة القرآن الكريم فيها لتذكير الانسان بمصيره المحتوم فيعمل لليوم الآخر وليقصد بأعماله وجه الله تعالى ومرضاته ، ويتذكر الآخرة وكأنه يموت غـــدا (++) .

(+) بعد أن صار الاباضية في " ميزاب" يصلون صلاة الجمعة لما أفتى الشيخ بيوض بوجوب صلاتها بعد استقلال الجزائر على أساس أن الكفر قد ولى بدحر الاستعمار وللموضوع تفاصيل ...

(1) بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(2) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 95 . ابن العاص

(++) وهذا مصداقا لقوله : (~~صلى الله عليه وسلم~~) : "أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا " وكما قال تعالى : " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما ومدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا " ..

9 - تطبيق حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، علم ينتفع به ، ولد صالح يدعو له " وحتى لا ينقطع الخلف عن السلف ، فيكونوا عرضة للتفسخ ، والأهواء .

10 - التحريض على الصدقة والبذل والسخاء للتقرب الى الله تعالى بها ، ولأنها تدفع البلاء كما قال (صلى الله عليه وسلم) (1) .

11 - تقديم القربات الى الله في يوم مبارك وهو يوم الجمعة أخفى الله تعالى ساعة في يوم الجمعة يستجاب فيه دعاء المؤمن (2) لعل المسلم يصادفها باجتهاده فيها .

في صبيحة الجمعة المحددة يتجه العزابة والطلبة وبعض العوام "الى مصلى المقبرة عند طلوع الشمس فيستفتحون قراءة القرآن في مجلسين أو ثلاثة مجالس ، أحدها يبدأ من سورة البقرة ، والآخر من سورة مريم ، والآخر من سورة الرحمن (+) ، وهذا الأخير مخصص لتلامذة المحاضر ليتنافسوا على حضوره فيراجعوا سورهم ، ثم أجريت تعديلات في بعض القرى على هذا الأخير ، فصار يفتتح من سورة يس نظرا لكثرة من يبلغ هذه السورة من الصبيان ، يفسح المجال لكل من أراد أن يلتحق بالمجلس أو يأتي متأخرا بعد افتتاحه ، لكن اذا قرأ المجلس ثلاثة أحزاب أغلق دون من يأتيه بعد ، فلا يفسح له بالجلوس فيه ، وهذا لضبط الوقت ، والتشجيع على حضوره مبكرا لنيل الثواب ولا يأخذ من الوقف من لا يقرأ نصيبا معينا من القرآن لأن أصحابه خصصوه لمن يحضر مجالس القرآن منذ افتتاحها صباحا ، ولا يأخذ من وقف المساء من لا يحضر مجلس الصباح ، وهذا بخلاف الصدقات الأخرى فالناس متساوون فيها ولو جاءوا في آخر الوقت عند ختمة العشي قبل المغرب .

ضبطت طريقة خاصة للدخول الى مجلس القرآن الكريم (++) بعد افتتاحه .

بعض مهام أخرى .

- الختان :

يهتم العزابة بتطبيق السنن الفطرية في الاسلام ، ويرفعون ببعضها الكلفة على الناس مثل تولية من تتوفر فيه الشروط الشرعية للختان أبناء المسلمين ، وذلك كالاسلام والطهارة ، وحسن السيرة ، والمعرفة التامة ، والعقل ، والأمانة والثقة ، فهذه هيئة عزابة "القرارة " تعين شخصا توفرت فيه تلك الشروط للختان أولاد المسلمين على الوجه الشرعي نظرا لكفاءته ولياقته ... (3) (+++) فرفعوا بذلك كثيرا من الحرج على المسلمين ،

---

(1) أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبيء (صلى الله عليه وسلم) قال: " اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فان الصدقة تطفيء النار " . ومن طريق ابن عباس عنه عليه السلام قال : " تصدقوا فان الصدقة تقي مصارع السوء ، وتدفع ميتة السوء " . أبو عبيدة قال : بلغني عن النبيء (صلى الله عليه وسلم) قال : من أطعم مسلما تمرة أطعمه الله من ثمار الجنة ... أنظر: الربيع ابن حبيب: الجامع ... ج 1، ص 68. باب (59) في الصدقة .

(2) الثميني عبد العزيز : النيل ... 1 / 267 .

(+) هناك بعض القرى كانت تخصص مجلسا للصغار يستفتح من سورة "الملك" كابن يسجن ثم جعلته من سورة "الرحمن" .

(++) عقد مجالس تلاوة القرآن جماعيا طريقة متوارثة منذ عهود قديمة على شكل حلقات مستديرة بشرط الترتيل ، وهي طريقة عامة في المغرب الاسلامي وبعضهم يضبط الترتيل بالوقف .

(3) أشريفي عدون بن بلحاج : حديث شخصي .

(+++) أنظر (وثيقة رقم : 15) .

وسهلوا الأمر لا سيما على الفقراء والمعوزين،وذلك كله لوجه الله تعالى ، فمن أراد اختتان ولده يخبر الأمين المعين من طرف العزابة ، ويضرب له موعدا فيقوم باختتانه ، وتتخذ أحيانا مناسبات جماعية في المواسم أو الأعراس لاختتان مجموعة من الأولاد ويحتفل بهم وبكل من يختتن ولو منفردا بالولائم ، والهدايا (+) ، ويقام حفل لذلك وخاصة في دار المختون تحضره النساء فينشدن أناشيد احياء للسنة الفطرية ، وتفاؤلا للمختون أن يعيش ويصلب عوده ، ويكون عضوا نافعا وصالحا في المجتمع ... وتقام وليمة احتفالا بذلك ، ويلبسون المختون لباسا خاصا خاضعا لتقاليد البلد .

أصبح الناس الآن لا يتقيدون بالأمين الخاص للاختتان وانما يتم ذلك بيد طبيب بوسائل علمية متطورة ، أو بيد ممرض مختص ، ثم تجرى للمختون العادات والتقاليد المألوفة .

— قطـــاع الماعـــز :

اعتاد أفراد المجتمع منذ العهود القديمة اقتناء الماعز لما استقروا في منطقة "وادى ميزاب" بجانب عمل فلاحة الأرض التي تستدعي امتلاك المواشي والدواجن فلكل دار معزة أو اثنتان وأحيانا ثلاث معزات ، ففكر أولو الأمر في اختيار رجل تتوفر فيه شروط "أساسية لرعي مواشي البلد يؤتمن عليها يتجه بها في كل صباح للرعي ويرجع بها في المساء مقابل حقوق وضمانات يتمتع بها لقاء عمله ورعايته ، يصل عدد الرعاة في بعض المدن الى أربعة حسب عدد القطيع والحاجة .

يشرف "العزابة" و"مجلس العوام" على القطيع ، ويتفقون على جملة شروط وتنظيمات في مقابل الرعي وحقوق الراعي ، تعلن في المسجد من طرف العزابة (1) ، ويسهرون على ما يهم القطيع والرعاة لضمان سلامتهم ، وحقوق الراعي وما يجب أن يدفعه اليه كل من له معزة أو أكثر وأهم هذه الحقوق التي أصبحت عرفا منذ أزمنة قديمة ، وهي قابلة للتعديل حسب الظروف هي كالآتي وهذا حسب ما أورده الحاج أيوب ابراهيم . (2)

أ — "عرقوبا" (++) من كل أضحية عيد الأضحى بالنسبة لكل من يملك معزة في قطيع البلد .

ب— نصف حثية (+++) من طعام في كل عرس ، وفي كل مأتم ، وفي كل مقبرة من مقابر الشتاء .

ج —أن يقدم صاحب أى معزة تلد للراعي مدا من شعير أو تمر ، أثناء سعيه الى صاحبها يحملها اليه كبشرى .

د — يحق للراعي حلب كل معزة لأخذ نصف حليبها في فصل الصيف مقابل سقيه للقطيع .

ه —على الراعي مراقبة "التيوس" وما يلزمها من أكل وشرب (++++) .

و —على الراعي أن يقدم أمارة على صدق ادعائه بموت أية معزة كسلخ جلدها .

ز — البلدة كلها مسؤولة على نجدة الراعي والقطيع اذا وقع عليهما اعتداء .

(+) أغلب ما يقدم من هدايا تتلخص في لحمة أو لحمتين وبيضتين أو أكثر بيد المختون .

(1) النورى : نبذة ... ص170 .

(2) رسالة ... ورقة 108 .

(++) جزء من الشاة المذبوحة يسمى "كراع الراعي" وهو الفخذ .

(+++) "الحثية" بالكيل الجديد : "ديكاليتر" بكلي : تعليق على الجيطالي : قواعد ... 2/ 30 .

(++++) نوعه يقدم من طرف "العزابة" أو "مجلس العوام" .— بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .— الحاج أيوب : حديث شخصي .

يهتم المجتمع بقطيع الماعز أشد الاهتمام لأنه المصدر الأساسي للحليب والجبن باعتبارهما غذاء أساسيا . كان الحليب والتمر هما الوجبة الأساسية في التغذية لمختلف الأعمار فكان الاهتمام بالنخيل والماعز كبيرا ، ولا سيما في ظروف المجاعة والحروب ، ولذلك سنوا في شأن النخيل أو البساتين وقطيع الماعز قوانين معتبرة لا يدرك أهميتها الا الذى عاش تلك الفترات فلذلك اهتم العزابة بهما أشد الاهتمام .

اصطلح على تحديد كثير من المواعيد بعد رجوع الماعز الى البلدة وهذا بعد العصر بقليل كافتتاح الأسواق مثلا ، أو تنصيب قطعة من "الخيمة" كما في العطف فوق سطح الدار التي ستقيم العرس من الغد ، فاذا لم يرجع القطيع تتعطل كل الأعمال لبدء البحث عن القطيع وانقاذه ، فاذا اعتدى على الراعي أو القطيع فالبلدة تتجند كلها لرد العدوان ، وكثيرا ما وقعت حروب من أجل حرمة المال ، أو اعتداء على المرعى والماشية ، وهو وضع منتشر في البلاد العربية .

من خلال دراستنا لموضوع قطيع الماعز هذا تتضح أمور منها : التعاون والتضامن الذى يسود المجتمع من أجل المصلحة العامة ، وكذلك دور المسجد أو العزابة الذى يراعي المصلحة العامة فأشرف على تنظيم المجتمع وقطيعه بدون مقابل ولذا يعفى العزابة وكذا رؤساء العشائر من آداء الحق على المعزة الواحدة الى الراعي .

لما كان قطيع الماعز حيويا في اقتصاد البلدة في تلك الظروف الشاقة فقد بذل المحسنون ما استطاعوه من تبرعات للراعي تتمثل في تقديم الطعام له في مناسبات الأفراح والأتراح وكذا الملابس أحيانا كالأعياد أو الإياب من الأسفار ليتشجع أكثر في آداء مهمته .

— المجـــازر :

يهتم العزابة بذبح المواشي فيجرون عليه السنن الشرعية وشروطها وأحكامها (1) أى فيما تجوز ذبيحته ، وما لا تجوز ، وطهارة الذابح فقاموا بالاشراف على المجازر (2) ، وينتدبون من العزابة من يقوم بذلك بدون أجرة أو مقابل وانما تطوعا في سبيل الله فيراعي احتياجات المدينة وما يباع في سوقها فيذبحه بيده يوميا ، وكذا يراقب الدكاكين التي تبيع اللحم ، ويزودها بما تحتاجه اليه وعند اتمام الذبح يطبع بطابع يحمل اسم العزابة (3) ، يخضع اللحم للمراقبة وهي من مهام المحتسبين ، لأن [illegible] العزابة تقوم بأعمال الحسبة الشرعية في الاسلام (4) ، فان وجدوا لحما يباع بدون طابع العزابة كما في بعض القرى فانهم يرفعون أمره الى العزابة لينظروا فيه (5) ، وما زال الاشراف على الذبح الى الآن يتولاه أحد العزابة أو من يعينونه ولو أنه الآن يخضع [illegible] لتنظيم البلدية .

— ســوق اللحـــم :

اللحم عمدة أساسية في حياة المرء تجارة واستهلاكا ، اهتم العزابة بسوقه حسب احتياجات البلدة ووضعيتها ، ومستوى الحالة الاقتصادية لمجتمع يكابد ويكد ويعاني

---

(1) عن الشروط والأحكام وكيفية الذبح وما الى ذلك . — أنظر : كتب الفقه منها : الثميني عبد العزيز: النيل . . . ج 1 ، ص 235 . — المحروقي درويش بن جمعة . — تحقيق عامر عبد المنعم . — هارون محمد الهادى : ص ص 199 — 200 . مطابع سجل العرب ، 1980 ، القاهرة .

(2) بيوض: حديث شخصي . — بومريقة : حديث شخصي . — دبوز: نهضة ... 1/ 223 .

(3) النورى : نبذة . . . ص 170 .

(4) بيوض: حديث شخصي .

(5) النورى : نبذة . . . ص 170 .

مشاكل في هذا الميدان فمتوسط الدخل لدى رب العائلة لا يتمكن به في غالب الأحيان من شراء شاة كاملة ، كما أن البدو الرحل الذين يملكون المواشي يقصدون المدن في "ميزاب" لبيعها في أسواقها أو يبيعونها عند مرورهم عليها أثناء ترحالهم بحيث لا يتمكنون من بيعها بالتفصيل حتى لا يتعطلوا أكثر من المدة التي تسمح لهم بها الظروف ابتكر العزابة نظاما كحل وسط بين الطرفين وذلك بتعيين أمناء خاصين للحم يسمون بـ"العدادين" (+) فالعدادون بذلك كل واسطة بين البدوى وبين أرباب العائلات الذين يريدون شراء الماشية أو اللحم ، يعلن العزابة بأسماء "العدادين" رسميا في المسجد حسب احتياج البلدة فيقصدهم أفراد المجتمع ، فيقومون بتسجيل أسمائهم وطلباتهم في دفتر خاص بترتيب زمني محكم فيشترون الشياه على حسب الطلب ويقومون بتقسيمها على الطالبين المسجلين عندهم فيأخذ كل منهم نصيبه حسب طلبه من الشياه بعد ذبحها (1) بثمن التكلفة .

يعلن العزابة عن أسماء العدادين مرة واحدة في كل سنة (2) ، واذا انحرف أحد المعينين عما التزم به أو ارتكب ما يسيء الى سمعته ، أو أتى محرما فان العزابة يعزلونه ، فيعلنون عن اسمه في المسجد لئلا يتعامل معه الناس ، واذا ما اضطر العزابة الى زيادة عضو فانهم يعلنون اسمه في المسجد ليقصده الناس (3) .

يحدد العزابة أجرة من يعينونه في هذا العمل ، ولا يأخذون أى ثمن من الذين يسجلون أسماءهم عند العدادين اللهم الا سعر التكلفة كما مر ، ولكن يحدث أحيانا أن يحصل المسجلون أسماؤهم على ما يطلبونه من اللحم ومن النقود معا بسبب مبيعات الرأس والجلد والاحشاء الداخلية وما يجز من الصوف لأن هذه لا يمكن عدها فيطرح منها ثمن التكلفة والمصاريف . انتشرت هذه الطريقة أكثر في القرارة وبني يسجن (4) حتى العهود الأخيرة وهي بمدن "ميزاب" منذ عهد بعيد (5) .

حقق العزابة بتنظيم سوق اللحم فوائد اقتصادية واجتماعية من توفيره ، وحسن تدبيره وتمكين ذوى الدخل المحدود من العيش دون الحرمان من فوائد اللحم ،

— الآبـــار :

يقول تعالى : "وجعلنا من الماء كل شيء حي" والماء سبب الحياة وخاصة في الصحراء حيث الجفاف الشديد ، وندرة الأمطار والسيول ولذلك اتخذ الاباضية اجراءات متنوعة لاستغلال مياه الأمطار ، وحفر الآبار ، وفلاحة الأرض ، أو انشاء البساتين ، فراعوا هذا الجانب في توزيع بناء قراهم على مساحة عشرين كيلومترا من أن يبنوها مدينة واحدة كبيرة يتجمعون فيها (6) ، وهذا بسبب الحروب وعدم الاستقرار لأنهم لا يأمنون على أنفسهم فهم في حالة دفاع ، فاختاروا بناء قراهم على رؤوس المرتفعات ليتحصنوا فيها دون أعدائهم ،

(+) "العدادون" هم الذين يقسمون لحم الشياه بعد ذبحها على عدد المشتركين فيها فيحددون لهم الثمن حسب نصيب كل واحد منهم . يسمى العمل محليا "أعدى" بفتحة على الألف والعين وكسر الدال المشددة ، ويسمى في العرف الجزائرى في الشمال بـ"الوزيعة" .

(1) الحاج أيوب: رسالة ... ورقات 105 — 106 .

(2) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 106 .— بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(3) بيوض: حديث شخصي .

(4) (5) الحاج أيوب : حديث شخصي .

(6) الحاج أيوب : رسالة ... ورقة 13 .

فتسهل عليهم مراقبتهم ، وليوفروا الأراضي للزراعة ، وتجمعهم في مكان واحد يجعل المسافات بين مدينتهم ومزارعها بعيدة الأمر الذى يسبب اضاعة الوقت للفلاح يوميا (1) ، ولذلك بنوا مدنا متقاربة في أعالي المرتفعات لتسهيل الدفاع عنها ، ولتوفير الأراضي الزراعية ولتشتيت القوى المهاجمة عليهم حتى لا يعطوا لها فرصة القضاء عليهم بتجمعهم في مدينة واحدة كبيرة الى غير ذلك من مقاصد .

ولتموين القرية بالماء حفروا آبارا في أعالي المرتفعات (+) ، وأطرافها وبداخل كل قرية لضمان وجود الماء في حالة حصار ، ولما يحتاجونه للشرب والغسيل فنظموا توزيعها ، فبنوا بجانب المسجد بئرا رئيسية في أعلى قمة الجبل ، وقسموها نصفين في أعلاه ، قسما خاصا للرجال والآخر خاص بالنساء ، أصبح الآن ينتفع به ولا يستغنى عنه رغم امتداد شبكة المياه في داخل كل مدينة لكن انقطاع الماء الفجائي أو المنتظم أحيانا يجعل سكان القرية في مأمن أمام انقطاع الماء .

فأصبح لآبار المسجد محركات كهربائية وخزانات لا ينقطع منها الماء ليل نهار ، وهذه الآبار الملاصقة للمسجد يشرف عليها العزابة ، وينظمون أوقات استغلالها لأنها هي التي تضمن توفر المياه لميضة كل مسجد ، وفي كل سوق من أسواق المدينة بئر ، كما تحفر الآبار بجوار كل قرية ، وتغرس خلفها نخلة لتمتص المياه الضائعة من جراء السقي وما تدره تلك النخلة يكفل مصاريف حبل البئر وأدواته (2) وما زال هذا المنظر من وجود نخلة خلف البئر موجودا . فهذه الآبار العامة يشرف على حفرها ورعايتها ، وما تتطلبه من صيانة ، وتنظيم استغلالها هيئة العزابة في كل قرية (3) وقد يضطر العزابة الى الغاء بئر وتعويضها بأخرى اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك ، وقد يشركون "جماعة" العوام في اتخاذ القرار (++) في هذا الشأن .

يحتاج موضوع الآبار وتاريخها وتتبع مراحلها الى دراسة مستفيضة لما له من علاقة وطيدة بحياة ميزاب وعمرانه ، وازدهار واحاته والجهود الجبارة في كل ذلك ، قال أحد علماء الاجتماع "ان ملوك الميزابيين هي الآبار" (4) وتساءل "بورديو" في دراسة اجتماعية حول "ميزاب" عن ظاهرة الآبار الغريبة حسب ما اطلع عليه ، تساءل قائلا : "كيف أن أناسا دخلوا عالم الاقتصاد الحديث من أوسع أبوابه وهم يحذقون الأساليب الفنية في هذا الميدان" (5)

— السـواقـي :

يهتم العزابة خاصة ومجلس العوام وكل أفراد المجتمع في المنطقة القاحلة باغتنام كل قطرة من المطر عند نزوله لسقي البساتين ، وحجز المياه في أحواض حسب الحاجة فأحاطوا كل مرتفع صغيرا أو كبيرا ، طويلا أو قصيرا بحزام مرتفع لتجميع مياه المطر فلا يرتفع أكثر من خمسين سنتمترا تقريبا بحيث ينزل تدريجيا الى سفوحها ليلتقي مع الآخر الموجه له في مجرى واحد فيتجه الى البساتين في سواقي ، فتروى كل البساتين حسب

---

(1) نفس المكان .
(+) ما زالت موجودة ، بنيت لها أبواب لتغطيتها ، وينتفع بها في وقت انقطاع المياه .
(2) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 20 .
(3) نفســـه .
(++) أنظر : (وثيقة رقم 18) .
(4) الحاج أيوب : ورقة 23 .
( )

اتساعها وكبرها أو ضيقها وصغرها ، بانتظام عجيب ، وفن غريب ، كما تبنى كذلك بقرب هذه السواقي أحواض لخزن المياه السائلة (+) وهذا الوضع متوفر في كل الأجنة والبساتين الموجودة في سفوح المرتفعات في كل مدن ميزاب ما عدا القرارة بسبب موقعها وانعدام تلك المرتفعات . ولكن لها تنظيمات خاصة للمياه حسب طبيعة بساتينها تشبه في أصولها ما هو" ميزاب " يرسل العزابة "أمناء السواقي " لمراقبتها من حين الى آخر ، فاذا ما وجدوها تحتاج الى صيانة أخبروا بذلك العزابة فينبهون في المسجد على المتطوع من أجل صيانتها فيحملون معهم المواد الضرورية لذلك وقرب الماء فيتتبعون تلك السواقي المحيطة بالمرتفعات فيسدون الثلم ، ويبنون ما أصيب بالعطب وينزعون منها الرمال المكدسة أو التي تسد فوهاتها حتى اذا ما نزل المطر ، فانه ينساب بكل سهولة دون أن يضيع فيستغل كله للارواء والسقي والخزن لوقت الحاجة .

أثناء اتجاه المتطوعين للعمل يرفعون أصواتهم مرددين ما يقوله العزابي من تكبير وتهليل (++) وطلب الغيث ، ومن حين الى آخر يتوقفون ويدعون الله رافعين أكفهم الى السماء متوسلين ومتضرعين اليه بالغيث ، وحفظ الغلل ، ورعايتها وصونها من كل الآفات والهداية والتوفيق ، وقبول العمل الخ ... كل ذلك في منظر رهيب ، ويحملون معهم الماء والتمر والحليب فيتناولونه جماعيا بعد الانتهاء من العمل أو أثناءه فيشكرون الله على نعمه الظاهرة والباطنة (+++) .

— السـدود :

منذ اللحظات الأولى من تواجد الميزابيين في " وادي ميزاب" وهم يقيمون السدود على فروع أوديتها أو روافدها ، ومناطق شعابها ، بل حتى في مجرى "وادي ميزاب" نفسه ، "ان هذه السدود ، والمواقع التي بنيت فيها ، والمواد التي استعملت فيها ، ومقدار الجهد الذي بذله الميزابيون في تشييدها كل ذلك يدل دلالة صادقة على مقدار ما كانوا يتمتعون به من روح التنظيم ، والتضحية ..." (1) فالمتأمل في "سد إحباس" بأجنة العطف يرى كيف أنه يجمع واديين معا ، وأنه في موقع حصين تلقائيا بحيث لا يعترض السيل مباشرة بل يصطدم الوادي بالجبل وبعدها يتجه الى السد بجانب معين فيكون مريحا ولذلك سلم من التصدع رغم سنين عديدة ، وللسد منفذ للتنفيس تلقائيا فاذا اقتضت الضرورة حجز مياه أكثر وضعوا فوقه أكياسا من الرمل والحصى ، ولهم طرق وكيفيات للفتح والربط ، والصيانة وما الى ذلك حسب الاتفاقات والاعراف لرعاية المصلحة العامة وفائدة الجميع ، ومن أهمها ما اتفق عليه العزابة و"جماعة العوام " أو "العرش" حول قوانين فتح السد والغلق بالقرارة (++++) أخيرا حرره الشيخ بيوض (رحمه الله) في شعبان (1338هـ/أوت 1937م) فان ما يرتبط بمرافق المدينة وأحوالها الهامة ، وأمورها العامة يتشاور فيها العزابة مع العرش ، ولا يستقلون بالأمر والقرار وحدهم كما هو الحال قبل .

(+) تستغل الآبار في البساتين لريها ، وحول المدن ليسقي منها الناس ، ويخزنوا الماء في دورهم . رواه عن الحاج أيوب .
(++) " باسم الله ، يا الله ، يارحمن ، يا رحيم ، الله أرحمنا .
(+++) كانت هذه الأوضاع الى عهد قريب وقد عشتها وأنا دون الحلم .
(1) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 23 .
(++++) أنظر : وثيقة رقم (12) هي مهمة جدا وفيها خلاصات رائعة ...

- الغـــــديـــر:

ان طريقة تقسيم المياه وتوزيعها بعد نزول المطر وانسياب الشعاب والأودية والسيول غريبة في بابها ، وعجيبة في هندستها ودقتها ، وضعت منذ قرون في مختلف قرى الوادي وما زالت ماثلة للعيان ولا سيما في غرداية الى يومنا هذا وهي أدق في تقسيم المياه الجارية لأنها ترى ، ويعلم مقدار قوتها وغزارتها (1) عكس الجوفية ، كل بستان ينال مقداره بالقياس الى الآخر سواء كان قريبا من مجرى الوادي أو بعيدا عنه ، صغيرا أو كبيرا ، كل حسب مساحته بدون اجحاف وتظهر عدالة التوزيع واضحة عند ما يكون الماء قليلا فانه يستغل بالسوية دون اجحاف أو ضياع ، أما اذا كان السيل جارفا قويا فلا تظهر عدالة توزيعه لأنه يغمر كل المنطقة .

يصعب معرفة مخترع هذه الطريقة في تقسيم المياه ، وبناء السواقي والكوى أو تاريخ بدايتها بالضبط " وهل هي مستوردة أو ابتكرت في عين المكان لشدة الحاجة الى الماء في صحراء قاحلة أو هل هي من باب الحاجة أم الاختراع " ؟ وهل هناك بعض أسماء رجال لامعة في هذا الميدان منذ بداية عمران "ميزاب" ؟ يتردد أن اسم واضع هذا النظام ومنظمه هو الشيخ "حمو والحاج " حسب ما ورد في بعض التقييدات (2) لكنها لا توضح التفاصيل عنه ، ويذكر "بومريقة سليمان (3) أن حمو والحاج كان رئيسا للجماعة ، ومن المؤسسين لهذا النظام "منذ أربعمائة عام (+) . أما في العطف فقد قام الشيخ "بابه نادي" بتقسيم مياه مجرى شعبة "لايت امزاب" (4) (++) تقسيما محكما ما تزال كثير من تقسيماته موجودة ، ولهذا الموضوع أصول وتنظيمات وقوانين مدققة متوارثة وأعراف متداولة يحترمها أمناء المياه (+++) الذين يشرف عليهم العزابة ويعينونهم في هذا الميدان الحساس (++++) حتى يفضوا كل نزاع ، ويقضوا على كل خلاف كي لا يستفحل خطره نتيجة الصراعات حول الماء وهو أمر منتشر بين العرب منذ العهد الجاهلي وتقوم من أجله حروب طاحنة تستمر أعواما طويلة، رغم أن الاسلام قد وضع أسس وقواعد المعاملة وحلولا للمشاكل .

ان موضوع تقسيم المياه مهم جدا ولا يزال يحافظ على جدته لعدم الاستغناء عن مياه المطر رغم توفر بعض حاجيات الناس من مياه الآبار والقنوات ويستحق تخصيص الدراسات حوله .

---

(1) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 25 ،

(2) نفسه . — بومريقة سليمان : (معاصر) تفصيل الجواب عن تقاسيم مياه السيول بوادي ميزاب "خ" ورقة 9 (حجم : 13 ، 5 سنتم 21 سنتم) 51 ورقة (بدون تاريخ) ، عدية

(3) بومريقة: تفصيل ... ورقة 9 . — من المؤلف يوم 25 جمادى الأولى 1402 هـ / 20 مارس 1982 م . عين السيد بومريقة الحاج سليمان ابن يحي أمينا على الساقية التحية لسيل "توزوز" بغابة غرداية باجماع الأمناء يوم 29 ذو القعدة 1367 هـ / 2 أكتوبر 1948 ، وزكاه العزابة ، التقيت به في عين المكان فأفادني بالمعلومات حول الموضوع

(+) يوافق الحاج أيوب في ما ذكره أن الشيخ حمو والحاج قد عاش في القرن الحادي عشر الهجري فيوافق السابع عشر الميلادي اذا كان قبل أربعمائة سنة حسب ما ذكره بومريقة ، ويرى الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 25 ، أنه ربما كان مجددا للتوزيع ولعل هناك من سبقه اذ لا يمكن أن تعيش غرداية خمسة قرون بدون تنظيم للمياه .

(4) الحاج أيوب: رسالة ... ورقة 25 . — ابن يوسف سليمان : حديث شخصي .

(++) ربما أصلها "غابة ميزاب" .

(+++) عن هذا الموضوع انظر: بومريقة : تفصيل ... — أنظر : وثيقة رقم (14) ، قرارات الأمناء حول السواقي .

(++++) يتم تعيين الأمناء من قبل الأعيان والعزابة ، وأحيانا يعين عزابي مباشرة فيشرف على أمناء السواقي ، وتعلن التعيينات من قبل العزابة في المسجد ، بومريقة : حديث شخصي .

ـ يعتبر هذا الفصل ميدانيا عمليا تطبيقيا لمهام العزابة ، وما يقومون به من دور فعال في المجتمع يتلخص في تطبيقات تنظيمية للعلاقات البشرية على ضوء أحكام الشريعة الاسلامية، فكان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي القاعدة الأساسية في هذا الجانب والتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الاثم والعدوان ، والحرص على تقوى الله ،والقيام بالفروض الكفائية لصيانة المجتمع، ومحاربة الآفات الاجتماعية ، وحفظ الاداب العامة .

اهتم العزابة باتخاذ مواقف صارمة أزاء المذنبين والمتمردين و ذلك بتطبيق ما نص عليه الدين بالتأكيد على مبدأ الولاية والبراءة وخاصة الشخصية منها فطبقوا ذلك بدقة لترسيخ العقيدة الدينية والمحافظة على الاسلام وقيمه وصيانة المجتمع .

لم يهمل العزابة الجانب النسوي للمرأة لما لها من دور حيوي وحساس في المجتمع فتمتعت بدورها بجهاز ينتظم في هيئة الغاسلات للقيام بتجهيز المرأة ، هو بمثابة هيئة العزابة في شؤونها ، ويخضع الى هيئة العزابة لتنسيق شؤون المجتمع ، فتركن اثارا توجيهية فيه ويقمن بمؤتمر " لا اله الا الله " لتوعية المرأة بدينها ومهامها ودورها في الحياة .

ـ اتخذ العزابة تنظيمات وترتيبات معينة في المواسم وحرصوا على الأوقاف ، وعمارة المساجد واتمام إجراءات الجنائز واستغلال خشوع الانسان في الجو الرهيب أمام الموت بتذكيره بتقوى الله ومصيره ليقوم سلوكه ويعد له لكي يسعد دنيا وأخرى ، فنظم العزابة كيفية مراسم الجنازة ، وعقد مجالس القرآن في المقابر والمساجد وكيفية تنفيذ الأوقاف والصدقات فيهما ، كما وضعوا البرنامج اليومي لعيد الزيارة ، وتولى العزابة تنظيم الأعراس على شريعة الله وسنة المصطفى (ص) ومقاومة التبذير والاسراف فيهما ، ومحاولة تسييرها بقواعد الاسلام في الخطبة والعقد وافتتاح الأعراس بتلاوة القرآن واختتامها بزيارة القبور لتحقيق رسالة المسلم في الحياة التي تتطلب الاعتدال حتى لا ينسى الآخرة في غمرة الأفراح ، لم يهمل العزابة مهام أخرى ذات أهمية في شروط الاسلام كالختان ليرفعوا الكلفة على الفقراء والمعوزين ، وأشرفوا على تنظيم قطيع الماعز الذى كان العمدة الأساسية في حياة قرى الوادي ونظموا المجازر ليتمتع المسلم بالذبيحة الشرعية ، فنظموا أسواق اللحم ليجد الفقراء والضعفاء بغيتهم في تناوله كغذاء أساسي ، ولما كانت منطقة ميزاب صحراوية والماء فيها نادرا اتخذوا كل الأسباب لتوفيره ، ووضع هذه المسؤولية بيد أمناء يشرفون على حفر الآبار وبناء السواقي والسدود ولاستغلال الأمطار والسيول بمقتضى قواعد وقوانين وأعراف لتنظيم الحياة الاجتماعية =

وهل للعزابة دور كذلك في الحياة الثقافية التي تعتبر أساس الحياة في بناء المجتمع وحضارة الانسان هذا ما سوف يبينه الفصل الخامس الموالي .

الفصل الخامس

دور نظام العزابة في الحياة الثقافية

- مفهوم الثقافة ودورها .
- هل نظام العزابة بميزاب حاليا هو عينه منذ تأسيسه .
- اهتمام الاباضية بنشر العلم .
- تنظيم الزيارات والتنقلات .
- اهتمام المشايخ بالتحريض على كسب العلم .
- الاهتمام بالتأليف .
- اهتمام العزابة بالدعاء والمواظبة عليه في كل ظرف .
- توجيه الولائم لنشر الثقافة .
- اهتمام العزابة بسنة توديع المسافر .
- نقد نظام العزابة .

مـفـهـوم الـثـقـافـة ودورهـا :

مما تقدم في الفصول السابقة تبين لنا أن لنظام العزابة ومواقفهم دورا أساسيا في مختلف مجالات الحياة ، وأنه مستمد من روح الشريعة الاسلامية،وما دام كذلك فانه لا شك قد ترك آثارا وتأثيرا في الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية الا أن هذا يعتبر نتيجة للدور العلمي والثقافي فيهما وهما بدورهما يساعدانه على تطوير المجال الاجتماعي والاقتصادى وبالتالي تفاعل هذه المجالات وتأثير كل منها في الآخرى ليتولد عنها ازدهار المجال الحضارى لكن هذا الانعكاس يتوقف نموه على نوعية الأفراد ولا سيما المشرفين على التنظيم والتسيير وتجاوب القاعدة الشعبية معهم والا كان الشلل والتوقف ، والحياة لا تتوقف ، ومن توقف أمامها داسته فيحرم أسرارها .

ان ما يتخذ من قرارات من طرف هيئة العزابة سواء الدينية منها أو الاقتصادية أو الاجتماعية مستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراعى فيها المصلحة الاجتماعية لذلك كان لها دور كبير في سير الحياة وأثرها في نواحيها المختلفة ، فمعظم المظاهر الاجتماعية ناتجة عن قرارات وقوانين حلقة العزابة مثل أساليب وطرق اقامة الأعراس والأفراح ، وكذا الأتراح ، ومظاهر الحياة العامة كأعمال الصخرة مثلا بالنسبة لكل قرية من قرى ميزاب ، وطرق وأساليب التعليم في مراحله المختلفة ، وعقد حلقات الذكر، أو مجالس القرآن ، والقيام بوظيفة الوعظ والارشاد الى غير ذلك مما يساهم فيه العزابة ، يعتبر ذلك كله مساهمة فعالة في الحياة الثقافية وآثارا لها ، وللثقافة مفاهيم نتيجة تعاريفها الكثيرة ويمكن تلخيص مفهوم الثقافة لغويا من قول الرسول (ص) " هو غلام لقن ثقف " " أى ذو فطنة وذكاء ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه " (1) في الفهم السريع للكلام ،وادراك معاني الأشياء ،وبالتالي يصبح الانسان بذلك حاذقا مدركا للأمور متفهما أياها وفطنا ، وثابت المعرفة فيما يحتاج اليه من الأمور، وما ينتفع به من الأشياء بالقدر الضرورى ، فيكون له تصور واضح يسير بمقتضاه في الحياة وما يعتقد به ويعتد به استعدادا لليوم الآخر اذا كان مؤمنا حقا ، فيحدد علاقته مع المؤمنين على ضوء مفهومه للدين الاسلامي المبني على ايمانه بالله الواحد الأحد ،وعلاقته به ،يظهر ذلك كله في صور معبرة في الأنماط السلوكية ، والحياة العملية .

فالمعنى اذا ينحصر في المفاهيم ، والادراك ،والأفكار مما يحتاج اليه الانسان ليعيش ويتفاهم مع من معه ، ويتجاوب مع محيطه ، وهذا يتطلب الانتظام في الأفكار ، والتجاوب معها ،وانسجامها في تطبيقها ، فالمعرفة بطبيعتها يقتنع بها الانسان بعد أن يتفهمها لما تدخل في محك التجربة فيصبح لها مفهومها وتصورها ، " فاذا ما نظمت هذه المعرفة تبعا لقواعد الفكر أخذت صفة العلم بسبب هذه القواعد (2) ، فقد اهتم العزابة بالتعليم والثقافة الدينية ، وتنشيطها ، " وتطبيق معالم الدين الاسلامي في المجتمع ، والتفاني في خدمته (+)

---

(1) مالك بن نبي (ت 1393هـ/1973م) مشكلة الثقافة ، تر " شاهين عبد الصبور، ص ص 19 ــ 20، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

(2) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة . . . ص 25 .

(+) أنظر: ملحق رقم (5) ، الفصل الثاني .

– هل نظام العزابة بميزاب حاليا هو عينه منذ تأسيسه :

ان نظام العزابة كغيره من النظم يخضع لتأثيرات معينة وبيئية مختلفة ونوع علاقاته بمن يحتك به المجتمع، وطبيعة تلك المجتمعات بالذات عبر الأزمان والعصور فتاريخ "وادى ميزاب" منذ بداية نظام العزابة في بداية المنتصف الأول من القرن الخامس الهجرى (العاشر الميلادى) الى القرن الخامسعشر الهجرى (العشرين الميلادى) قد طرأ عليه تبديل وتغيير كبير اذ خلال عشرة قرون طرأت تبدلات وتغيرات جذرية ، وعلاقات منطقة "وادى ميزاب" مع القبائل والأعراش في حالة السلم والرخاء ، والتوترات والحروب لا شك أنها تحدث تغيرات في الوضعية الاجتماعية والاقتصادية ، وهذه بدورها تحدد نوع العلاقات السياسية والروابط معها ، واذا ما ألقينا نظرة خاطفة خلال هذه الحقبة التاريخية الطويلة نجد أن علاقة ميزاب مع الدول القائمة في المنطقة التلية بالشمال الافريقي لها أهمية كبيرة في وضعيتها الداخلية أو الاجتماعية سواء كانت تلك العلاقة سلمية أم حربية ، أو حسنة أم متوترة فنوع علاقة قرى "وادى ميزاب" "وورجلان" مع المرابطين غيرها مع الموحدين ف"الميورقي" الذى قام بحملات تخريبية (في ق 7هـ/ 13م) قد أثر تأثيرا كبيرا فيما سببه من تدهور خطير نتيجة أعماله والقضاء على كثير من سكان المناطق الاباضية بالصحراء الجزائرية والتونسية فقد انتصر للمرابطين ، وانتقم من الموحدين ومن الاباضية الذين تعاطفوا مع الموحدين فشملهم سخطه وخرب كثيرا من قراهم ، ولا شك أن لهذا الخراب تأثيرا سلبيا على الأوضاع الاجتماعية والثقافية فضلا عن الحياة الاقتصادية .

كما كان للغزو الاسباني في المناطق الساحلية أثر وتأثير على الأوضاع في "ميزاب" بالذات فلم يبق مكتوف الأيدى فقد أرسل المتطوعين لمجابهة ومحاربة الأسبان في المناطق الساحلية بالجزائر وجربة ، ولعب الشيخ "بحيو موسى" [+] دورا قويا فقد أعلن الجهاد في سبيل الله على الكفار ، فاتجه من ميزاب وتصدى للحملات الاسبانية في "جربة" خاصة" وترك مآثر كثيرة ومنها في المرسى الكبير بوهران ، وتصدى فدائيون من قرى "ميزاب" لحملة "شارلكان" على الجزائر سنة (1542م) فأنقذوا الجزائر مع اخوانهم فيها من نقمته وراح يجر أذيال الخيبة بعد معركة "بورج بوليلة" [1] ولا تزال قرب "البليدة" مقبرة لشهداء "ميزابيين" [2] استماتوا أمام الصليبيين [3].

وكانت لهم علاقة واتفاقات مع العثمانيين ، كما كانت لهم مواقف بطولية أمام هجمات الاستعمار الفرنسي للجزائر سواء في قسنطينة أو مع مقاومة الأمير عبد القادر [4] ولهم مواقف مع فرنسا عندما توغلت في الصحراء حتى أدى الأمر الى امضاء معاهدة معها ، ونظرا للمشاركة "بني ميزاب" ضد الحملات الاستعمارية ، ومساعدتهم للمقاومة ضدها وايوائهم للثوار في "قرى ميزاب" ألفت نظر الوالي العام الفرنسي على الجزائر الماريشال "تيرمان" الى ارسال رسالة تهديد يذكر فيها الأسباب التي حملت فرنسا على ارسال حملة للاستيلاء على ميزاب [5] رغم المعاهدة المبرمة 1853 ، بين "بني ميزاب" وفرنسا في مدينة "الأغواط" .

(+) عالم اباضي من مدينة العطف بوادى ميزاب عاش في القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، شاعر ، أديب ، عالم ، مجاهد وفدائي ، له مآثر كثيرة ، وألف قصيدة في معركة الاجربة وكان فيها قائدا لفرقة فدائية . ابن يوسف سليمان : حديث شخصي . — النورى: نبذة ... 1 / 221 — 25 .

(1) (2) بكلي عبد الرحمن : فتاوى ... 2 / 374 .

(3) نفس المكان .

(4) بكلي عبد الرحمن : فتاوى ... 374 .

(5) نفس ... أنظر ملحق رقم (18) MERCHOUR: op. cit. P 166

ان أكبر التغيرات التي طرأت على نظام العزابة بل على نفوذهم كانت كبيرة في عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر .

انه من غير المعقول أن يظل نظام كامل كما هو دون تغيير ولو طفيف ، فحوادث الزمن تلعب دورا كبيرا في التغيير والتحسين والتطوير ليتلاءم مع العصر المعاش ، فالنظام نفسه وضع لمسايرة الوضع السائد آنذاك كما تبين ذلك في هذا البحث اذا فغير مسلم أن يظل نظام استمد مادته من ظروف زمان ومكان على حالة واحدة قرونا متطاولة لدى أقوام يتكيفون مع الحياة بؤسا ورخاء قوة وضعفا ، حربا وسلما ، غنى ، وفقرا ، وتطويراً في مناحي حياتهم المختلفة ، لا جرم أن يتطور نظام العزابة بدوره في ميزاب تطورا تدريجيا في اتزان تبعا للمصلحة العامة فأصبح اليوم وكأنه غيره بالأمس لا يشبه أصله الا في بعض القواعد ، والمبادئ والأهداف ، أو في بعض النقاط ، وسواء ذلك من حيث وظائفه ، أو من حيث عدد أعضائه ، أو من حيث حرية المشاركة ، وابداء الرأى ، و والتصرفات ، فالتعديل هي الصفة المميزة ، ومراعاة الظروف هو الطابع السائد حسب ما يبدو ، ويظهر هذا من خلال الوثائق الصادرة من المجالس الدينية العليا كمجلس "عمي سعيد" مثلا ، هذا وأن التعديل بصفة عامة لا يشمل مدن ميزاب على السواء ، فهناك فرق كبير بين حالتنا اليوم ، وحالة آبائنا الأولين ، فالحياة ، والظروف ، والأوضاع ، ووسائل الحياة والعيش وامكانياتها قد تبدلت كثيرا ، وهذه سنة التطور والتغير التي تطرأ على كل المجتمعات وحتى بالنسبة إلى أوضاع العالم قديما وحديثا ، وخاصة اذا ما قورنت بين الأحداث التاريخية الكبرى ، أو كما يطرأ اليوم في الحياة المعاصرة ما بين عهد الاستعمار وعهد الاستقلال ، فبالنسبة إلى أسلافنا الأوائل كانت حياتهم ضيقة ، ومحصورة في رقعتهم الضيقة بسيطة ، وعسيرة في نفس الوقت ، نظرا إلى صعوبة المواصلات ، وعدم استقرار الأمن في البلاد حيث تعرضوا للهجومات والاعتداء [1] ، وكانت أسباب الدفاع لديهم قليلة ومحدودة ، فصبروا على شظف العيش ، وقسوة الطبيعة مضطرين ، سواء في مطعمهم أو ملبسهم ومسكنهم ، فاقتصروا على أسبابهم الخاصة المحدودة من منتجاتهم الوطنية الهزيلة ، فكان تطورهم مع هذه الأوضاع وئيدا [2] . ولكن في عهد الشيخ عبد الرحمن الكرثي [3] (6هـ/ 12م) انتعش نظام الحلقة بعقد المجالس العلمية التي أعطته نفسا وخلال القرنين (8و9هـ/ 14و15م) ظهرت نهضة علمية بجبل نفوسة فكانت حركة التأليف في العلوم الدينية والشرعية كقواعد الاسلام للشيخ اسماعيل الجيطالي وتسربت الى ميزاب فأنعشته [4] بعد أن سادته فترة انقطاع العلم فظهر العالمان في الفترة الأولى أو النصف الأول من القرن (9هـ/ 15م) الشيخ أبو مهدى عيسى ابن اسماعيل ، والشيخ أبو القاسم بن يحي الشيداوى [5] ، فأنعشا الدين ، وأعطوا حيوية لحلقات العزابة ، وترك أبو القاسم وثيقة تاريخية مهمة حول " سير حلقة غرداية " [6] (+) جدد فيها تنظيم

---

(1) دبوز: نهضة . . . 1/ 249—50 . — بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(2) بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .

(3) الشماخي : سير . . . ص 325 ، 597 . — القطب: رسالة . . . — دبوز: نهضة . . . 1/ 151

(4) (5) LEWIEKI E.I. Art " HALKA " T.3 P.100

(6) ترجمت الى الفرنسية ، تعتبر وثيقة أساسية أنظر ملحق رقم (5) حسب ما يبدو .

(+) صادق عليها عزابة غرداية فأصبحت مرجعا آخر بجانب سير أبي عمار عبد الكافي بالنسبة إلى ميزاب

حلقة عزابة غرداية مشيرا الى ماكان عليه الوضع قبل عهده ، من جهل وخلافات كادت تقضي على الدين وحلقات العزابة ، وبين أنها موافقة للتقاليد الموروثة عن الأسلاف ، فأعطى نفسا جديدا لنظـــام العزابة فانتعش عما كان عليه قبل ، وازداد انتعاشا في عهد الشيخ عمي سعيد الجربي الذى وفد الى "ميزاب" بطلب من سكانه لما ساده الجهل فأرسلوا الى اباضية "جربة" يستنجدونهم بعالم يحي الدين في "ميزاب" فلما وصل "ميزاب" الشيخ عمي سعيد" أدخل تعديلات مهمة أعطت نفسا جديدا في عهده ، وبعده لنظام حلقة العزابة فازداد انتعاشا وقوة .

أما الحياة المعاصرة للأجيال الأخيرة فكانت تعكس حياة أوائلها تماما بل حتى بالنسبة لأوائـــل القرن ، وما قبل الاستقلال فوسائل الحياة وامكانياتها قد تطورت ، وطرق العيش قد توفـــرت والاحتكاك بالعناصر المختلفة متبادلة باطراد ، ووسائل الاعلام ربطت المنطقة بمختلف أنحاء البلاد والعالم ، فالثقافة بين مختلف فئات الشعب منتشرة فعم معها الماء والنور الكهربائي ووسائـــل المواصلات الخ ... فهذه كلها أثرت في السلوك والأفكار وأنماط الحياة جريا على سنة التطور .

فرغم أن أصل نظام العزابة متحد في سائر مدن ميزاب ، فان لكل منها تعديلات تجريهـــا حسب أوضاعها ، وامكانياتها ، وحاجياتها ، اذ لا سلطان لغيرها عليها ، فهي كلها خاضعة الى لمجلس أعلى وهو مجلس عمي سعيد .

يبدو أن المعلومات عن تاريخ حلقات ميزاب في قرونه الأولى غير متوفرة وربما غير معروفة ، ربما ضعفت ، وربما لم يكن لها نشاط في عهد الدرجيني أوائل (ق 7هـ/ 13م) [1] ولكن هذا يحتاج الى دليل والى بحث دقيق ، ويرى "ميسكرى" أن التقاليد المحلية تتكلم عن بعض العلماء والثقاة المتأصلين في ميزاب منذ النصف الأول من القرن (6هـ/ 12م) ، وظهر أن من يرغب في الدخول في الحلقة من "ميزاب" يتجه الى "وارجلان" كما قام بذلك" أبو يزمو الميزابي" الذى دخل حلقة "وارجلان" ولما التحق بها الدرجيني وهو صغير السن أفادنا بوجوده فيها .

يتقوى نظام حلقة العزابة والمجالس الدينية بوجود شخصيات قوية ، لأن هذا النظام كما هو ملاحظ يتقوى ويضعف حسب شخصياته ، وقوة شخصية شيخ الحلقة وبالاضافة الى قوة شخصية شيخ عزابة المجالس الدينية ، ونوع التنظيم والتنسيق ما بين العزابة والعوام ، فيلاحظ اجتماعهما معا في بعض جلسات المجالس الدينية ، فكانت القرارات تمضى من الطرفين [2] ، وأحيانا تطغى شخصية من العوام أو "المكاريس" فتسيطر على العزابة ، كما حدث في القرارة لما سيطرت جماعة العوام المكونة من شخصيات طموحة على العزابة اثر النزاعات الداخلية الأولى في أواخر القرن 18م وبداية ق19م [3] ، ولكن سرعان ما رجعت السيطرة للعزابة في ما بعد منذ أوائل القرن [4] ، وقد كانت مهام شيخ العزابة قبل الاحتلال كرئيس حكومة ، وكانت مدن "ميزاب" كجمهوريات كل منها مستقلة عن الأخرى بحلقها وبعض قوانينها ، لكن النفوذ الاستعمارى قضى تدريجيا وبأساليب ماكرة عـلى صلاحيات ونفوذ العزابة [5] ، فقضى على نشاط "مجلس عمي سعيد" باصدار قرارات وقوانين في

---

(1) LOC ,CIT. - LEWICKI:E.I.ART,"HALKA" N.ET3 , P:99 .

(2) أنظر: قسم الملاحق .

(3) LEWICKI:E.I.ART,"HALKA"N.I.T3,P:100.

(4) دبوز: نهضة ... 1/ 250 .

(5) بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة . ـ بيوض: حديث شخصي . ـ الحاج أيوب: حديث شخصي .

شأن القضاء واصدار الأحكام ، فحول قضية استئناف المرافعات اليه الى محكمة الاستئناف بالبليد[1] وفي سنة 1944 جمّد نهائيا بقرارات "دغول" تحول اصلاح القضاء ، من وجهة نظر الاستعمار ومصالحه [2] ، ولما استقلت الجزائر اعترفت به رسميا كمجلس أعلى لهيئات عزابة قصور" وادى ميزاب وورجلان " .

هـ — اهتمام الأئمة الاباضية بنشر العلم :

ان أهم ما يمكن ابرازه بعد معرفة نشأة المذهب الاباضي وبعض أئمته هو الاهتمام بالعلم ونشره وتفقيه المسلمين أمور دينهم ليتمسكوا بتعاليمه وليحيوا سنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فرأوا أن ذلك لا يمكن تحقيقه بجهل أحكام الشرع الاسلامي الحنيف ، لأن الله تعالى لا يعبد عن جهل ، ورأوا أن مسألة الخلافة الاسلامية مسألة حيوية وحساسة بها يحيا المسلمون كأمة خيرة أخرجت للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، والى الامامين أبي عبيدة بعد جابر أرسيت التنظيمات السرية الدقيقة في نشر تعاليم المذهب الاباضي الوهبي ، ومقاومة الظلم والملك العضد ، هذا وان ما يرتبط بموضوعنا في أصوله الأولى هو تمحوره في أسلوب حلق التعليم التي تطورت بعد التأرجح حسب الظروف التاريخية ، ومرحلة ضعف المسلمين ، وتنازعهم ومحاربتهم لبعضهم البعض ، وتفكك العالم الاسلامي الى ظهور تنظيمات الامام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي ليعيش المجتمع مسلما حقا ويلتزم بأوامر الدين علما وقولا وعملا

طور أبو عبيدة مجالسه العلمية ، فصنفها ورتب طبقاتها ترتيبا دقيقا اذ قسمها الى ثلاثة أنواع حسب ما أورده عوض محمد خليفات [3] .

أولا — المجالس العامة :

يحضرها أى فرد من الاباضيين ، ولكنها كانت في بيت أحد مشايخ المذهب ، وفي سراديب أرضية أعدت لذلك ، وأحيانا أخرى يرتدى أحدهم ما تستر به المرأة جسمها تشبها بهن في هذا ، والآخر يمثل صفة الباعة المتجول حتى يصل المكان المعد ، يعقد المجلس على شكل حلقة دائرية يتصدرها كبار المشايخ وأحيانا يتلقى الحاضرون أوامر من مشايخهم لتنفيذها . وتحكم حراسة شديدة حتى لا يكشف أمرهم ، فاذا ما اشتبه في أمر أحد الحاضرين تكون عاقبته الطرد ، أما اذا طعن أحد في أمرهم وكشف أسرارهم فانهم يتأكدون من صنعه كأول اجراء ، فاذا ما تيقنوا منه ذلك هدروا دمه [+] .

ثانيا — مجالس المشايخ :

وهي خاصة بزعماء أهل الدعوة على فيبحثون نوع السياسة التي يوجبون أتباعهم التقيد بها ، كما حصل في عهد أبي عبيدة .

---

(1) توفيق المدني : كتاب الجزائر . . . ص117 — 18 . .
(2) مطهرى: المجالس . . . ورقة
(3) التنظيمات . . . : ص ص 6 — 7 .
(4) كما فعل الامام "جابر بن زيد" مع "خردلة" .

ثالثا — مجالس حملة العلم :

هي مدارس خاصة بهم ، وأمكنتها هي السراديب المعدة بكل احتياط، تتعمق في الأرض ، وتتمتع بمنافذ عديدة ، لا يعلمها الا الامام وأبرز المشايخ الموثوق بهم .

أما مواد هذه المدارس الخاصة فهي : التحصيل العلمي "وأصول الدعوة وتعاليمها مباشرة من الامام أبي عبيدة نفسه " (1) وكان أبو عبيدة يتخذ كل الاحتياطات مبالغة في السرية فيتظاهر بصنع القفاف ، ويربط سلسلة من خارج السرداب الى داخله يحركها الحارس للتنبيه على وجود الخطر أو أحد المارة ، أو ذهابه . . . وتعتبر هذه المجالس مدارس ناجحة في تخريج حملة العلم ، وأثمرت باعلان الامامة في المغرب الاسلامي ، والمشرق بعمان بعد أن اخفقت المحاولات الأولى التي ذهب ضحيتها علماء أفذاذ ، ولكن بفضل الحنكة والصبر والعمل بحزم وعزم تمكنوا من تأسيس دول حكمت بكتاب الله وسنة رسوله في عمان ، والجزائر ، وزنجبار بجنوب شرق افريقيا .

تنظيم الزيارات والتنقلات :

أكد الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر ضرورة القيام بزيارة مناطق الاباضية ، وما فتئ يوصي بذلك ويحرص عليه في جولاته وزياراته الذي أراهم من نفسه ذلك فجنوا ثماره ، وامتثل العزابة والمشايخ لوصايا أبي عبد الله فنظموا الرحلات والزيارات والتنقل بالتلاميذ كما كان يفعل تحت اشرافهم ، استمرت خاصة بين جبل نفوسة ، وجربة ووارجلان ، ووادي ميزاب تقوية لأواصر الأخوة وتدعيمها ، وانتعاش العلم والثقافة بعد نشرهما لترشيخ المذهب الاباضي حتى لا يجهله أتباعه .

كان الاتصال مستمرا بين مناطق الاباضية في مختلف الاتجاهات كتبادل الزيارات ، وارسال الرسائل ، وتبادل الكتب ، والتأكد من القضايا العلمية ، وأخذ رأى العلماء فيها ، ومناقشة بعض القضايا ، والحصول على الفتوى ، وطلب الرأى ، وخاصة اذا تعقدت الأمور (2) ، وكان العزابة يتنقلون جماعة الى القرى كنفزاوة ، وجربة بتلاميذتهم (3) ، اقتفاء لأثر الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر المعروف بتنقلاته مع طلبته الى مواطن الاباضية لنشر العلم ، وحلقات العزابة فقلده تلميذه الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (4) فقد قصد "جربة" بعد أن أخذ علم الأصول عن شيخه أبي عبد الله ، ليأخذ الفقه من مشايخ "بني يهراسن" كأبي محمد ، وأبي زكريا ، ويونس وأبي بكر بن يحي فأكرموه ، واستفاد منهم (5) ، فقد أوصى أبو الربيع بدوره تلامذته سنة احدى وسبعين وأربعمائة قائلا لهم : "امضوا بالسلام ، فاذا وصلتم ان شاء الله منازلكم فاياكم والدنيا أن تستقبلوها بوجوهكم ، فان من استقبلها أغرقته ، ومن استدبرها فلا بد أن تأخذ منه ، وعليكم بالألفة ، والنصيحة ، والتزاور ، وحفظ مجالس الذكر ، وأياكم وأمور الناس والتقصير فيمن يرد عليكم من أهل دعوتكم ، والسلام " (6) تؤكد هذه الوصية ما عليه العزابة من سيرة التزموها ،

---

(1) عوض: التنظيمات . . . 7 .

(2) لواب بن سلام : شرائع . . . ورقة 36 .

(3) الدرجيني : طبقات . . . 2 / 425 .

(4) أبو زكريا : سير . . . ص 184 . صنفه الدرجيني ضمن الطبقة العاشرة (450 — 500) طبقات . . . 2 / 425 .

(5) أبو زكريا : سير . . . ص 184 .

(6) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 426 — 7 .

وتشجيع التزاور لما فيه من منفعة وفوائد ونيل الأجر ، وتأكيد مبادئ ووصايا الشيخ أبي عبد الله .

ومن الدعاة السائحين الرحل القائمين بالزيارات والتعليم والدعوة الشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني (+) ، استقر بـ"سوف" (++) لموقعها بمركز يتوسط مناطق الاباضية العامرة كان كثير التنقل اليها ، يرتحل منها الى الغرب حيث "أريغ" و"وارجلان" و"بادية بني مصعب" و"جبال أوراس" وما ولاها . وبعد عودته الى مركزه بـ"سوف" ليستقر قليلا يتجه نحو الشرق حيث يقصد "الجريد" و"نفطة" و"توزر" و"درجين" و"الحامة" و"جربة" و"جبال دمر" (+++) الى أن يبلغ "جبال نفوسة وما والاها ثم يعود الى "سوف" يجتمع حوله الطلبة في حلق ، ويقصده المشايخ فيجلسون اليه ، وكان العوام ينجذبون لسماع حديثه ، وما انفك يسعى لحل مشاكل القوم فأحبوه ، من أهم شيوخه أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر (1) ، ترك تآليف كثيرة أهمها كتاب : السؤالات . . (2) لا تقتصر زيارات العلماء بانفراد بل أحيانا ينظمون رحلات وزيارات لبعضهم البعض وذلك لتعميم الاستفادة ، وتنمية معلوماتهم ، ومناقشة الآراء العلمية والفقهية ، وتحقيق رأى واضح فيها ، ولرفع اللبس عن كل ما غمض لتتضح المعالم ، والآراء السديدة ولذلك عقدوا اللقاءات والمؤتمرات لمناقشة المسائل المختلفة كالشراء والبيع وكتابة العقود مثلا ، فطرحوا قضايا ، وأجمعوا القول والرأى فيها ، وقد دعوا مرة الى اجتماع كبير كالذى انعقد بين علماء جربة ، وعلماء نفوسة (3) وهذا بطبيعة الحال مما يقوى الروابط ، ويوسع آفاق المعرفة ، ويعمق الثقافة الخ . . .

حدث في منتصف القرن الخامس الهجرى (سنة 449هـ) أن قامت جماعة من أهل طرابلس بليبيا بأداء زيارة لأهل "وارجلان" بجموع كبيرة فصارت تطلق عليها تسمية "سنة الزيارة" (4) ربما أحيوا بذلك ما كان يجتهد فيه الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر لما اجتمع مع مشايخ أهل الدعوة في حلقة كبيرة بـ"وارجلان" في المسجد الكبير وكان فيهم : أبو عبد الله بن زورزتي — محمد بن يسدرين — وعبد الله المديوني (5) فيناقشون المسائل العلمية ويجيبون على ما يرد اليهم من الأسئلة (6) .

يبين "الوسياني" . (7) بعض المرامي من الزيارات الجماعية التي يقوم بها المشايخ الكرام فيذكر ذلك أنها من أخلاقهم اذ يتزاورون بأعداد ضخمة ليتفقد بعضهم البعض في أوقات الشدة ، ودراسة ما عليه أسلافهم ، وما صنفوه من كتب ، وما تبادلوه من رسائل لمن لم يمكنه أن يزور .

بجانب تنقلات المشايخ فرادى وجماعيا هناك ظاهرة أخرى وهي تنقلات المشايخ مع طلابهم

(+) من علماء القرن السادس الهجرى صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الحادية عشرة (500—550هـ) طبقات . . . 2/ 457 . — وذكره الباروني في الطبقة الحادية عشرة . — أنظر: علي معمر . . . الاباضية . . . 4/ 231 . الهامش : رقم 1 .

(++) منطقة كانت عامرة بالاباضية بشمال شرق الصحراء الجزائرية .

(+++) أنظر: ملحق ، رقم (4) .

(1) علي معمر: الاباضية . . . 4/ 234 . — عنه أنظر الدرجيني : طبقات . . . 2/ 483 .

(2) علي معمر : الاباضية . . . 4/ 234 .

(3) سالم بن يعقوب: حديث شخصي باذن منه ، جربة (22شوال 1401هـ/ 22أوت 1981م) .

(4) البرادى: فهرست . . . ورقة 41 .

(5) (6) الدرجيني : طبقات . . . 2/ 399 . — البرادى: فهرست . . . ورقة 43 .

(7) سيــر : . . . ورقة 98 .

الى البادية أوان الربيع عادة لتحقيق مآرب كثيرة منها الدعوة الى الله وتفقد أحوال المسلمين، واصلاح شؤونهم ،والتكيف مع خشونة العيش ، والتعود على الصبر والتحمل [1] .

ترقى هذه العادة الى عهد أبي القاسم وأبي خزر وغيرهما من المشايخ حيث خرجوا في سنة من السنين الى البادية ليعلموا أهلها ما ينبغي أن يعرفوه من أمور دينهم ، وينبهوهم الى ما غفلوا عنه أو نسوه ،وفي نفس الوقت يتفقدون أحوالهم ، ويشدون من أزرهم حتى لا يضلوا [2] ، و كان مع هؤلاء "المشايخ جماعة من الطلاب الأحداث" [3] . يذكر الدرجيني [4] أن أكثر خروج المشايخ حسب عادتهم الى البادية أوان الربيع نحو "مزاتة" "وكانت مزاتة بافريقية في قوة عظيمة من مال ورجال وخيل ، وقالوا : انهم كانوا اذ ذاك في اثني عشر ألف فارس، وأما الرجال فلا يحصون كثرة ... " [5] .

كان أبو عبد الله محمد بن بكر يختار فصل الربيع للخروج بحلقته الى بوادي بني "مصعب" لتحقيق أغراض معينة منها راحته النفسية وكذا راحة طلابه ، وتجديد عزمهم ، وقوة أبدانهم لأن هواء "ريغ" ردئ ، وماء غير سائغ ، ومناظرة واصلية "بني مصعب" فنجح بطريقة التفهيم والاقناع الى أن يرجعوا اباضية وهو القصد من التنقل [6] .

ـ اهتمام المشايخ بالتحريض على كسب العلم :

أولى أبو عبد الله جهودا كبيرة في لتنظيم الحلقة لنشر العلم، وتثقيف الطلبة ، والمجتمع فعمله هذا يعتبر أهم انجاز في اطار الحركة العلمية والفكرية ودعمها على أسس ثابتة ومنظمة ، فقد أوتي حسن التدبير ، وجميل الرأي [7] فالحلقة كما مر بنا يمكن أن نجزم "أنها جمعت ما بين التربية والتعليم ، والتكوين، وبين العبادة والسلوك ، والتوجيه، والجوهر والمخبر، والشكل والروح" [8] فعمم نظام حلقته ما بين جربة وجهات ريغ حتى وارجلان [9] فضلا عن جبل نفوسة وبادية بني مصعب . تمتعت هذه الجهات بالحركة العلمية والثقافية بفضل جهود أبي عبد الله محمد بن بكر وتلامذته ، ومن أتى بعدهم من الشيوخ العاملين ، فمهمة الشيوخ تجلت في تكريس جهودهم للتعليم وغرس العقيدة ، وهذا يعني التطبيق العملي لنصوص القرآن بعد محاولة الفهم الحقيقي لها [10] ، والا كان الانسان خاسرا كما نصت عليه سورة "العصر" وغيرها من الآيات والسور . يعلم شيوخ الاباضية أتباعهم الحاضرين أمامهم أو الذين يستمعون اليهم الآداب والأخلاق بصلابة ،ويربطونهم بشوق وحماس لديانتهم [11] ، وتختلف طرقهم عن الخوارج الأخرى كالصفرية مثلا فامامهم عبد الله بن اباض يعتمد على طريقة الحوار والاقناع فكون اتجاها جديدا بطريقة بارعة [12] وهو نفس اتجاه وطريقة أبي عبد الله [+] كان منذ العهد الأول للاباضية في البصرة أئمة في العلم والدين ، معروفون في عهد التابعين [13] "ممن يشار اليهم بالبنان، وكانت لهم مجالس العلم ، ومجالات العمل لكل ما يعود على المسلمين بالخير والسعادة، ولم يقفوا

---

(1) بكلي عبد الرحمن : مقدمة على طبقات للدرجيني ج 1، ص ـ
(2) (3) الدرجيني : طبقات ... 1/ 121 . صالح باجية: الاباضية ... 156 .
(4) (5) طبقات... 1/ 124 .
(6) الدرجيني : طبقات ... 1/ 183 .
(7) (8) النامي عمرو: ملامح ... ورقة 8 .
(9) الدرجيني : طبقات ... 1/ 186 ـ 7 .
(11) (10) MERCIER MARCEL: LA CIVILISATION...P:15 .
(12) MERCIER: LA CIVILISATION... P:15 .

عند العمل للدين فقط ، بل كان منهم من انقطع الى العلم بجد واجتهاد ، والى صون الدين من كل عبث فألفوا وجمعوا علوم الدين والسنة والأدب . . . " (1) تزخر كتب الاباضية ومؤلفاتهم بالعلماء والمؤلفين ، والتحريض على التعلم والتفاني في طريقه ، ونشره لأن الله تعالى لا يعبد عن جهل ، والمجتمع لا يترقى الا بالعلم ، فكثير من "متون" (+) أبواب العلم ، وفنونه تخصص فصولا كاملة لكسب العلم والتحريض عليه وبيان فوائد وأجر متعاطيه والعاملين به ، والتأليف فيه الخ . . . فهذا مثلا الشيخ سعيد بن سليمان الدرجيني ينظم قصيدة ، ويبعثها الى نجله الشيخ أحمد بن سعيد مؤلف كتاب الطبقات يحرضه فيها على التعلم والفضائل (++) فقد ازدهرت مواطن الاباضية بالعلماء ، والزهاد ، والصالحين ذوى الكرامات (2) ، فقد شهد مرة عامل صنهاجة ازدهار العلم وكثرة العزابة والحلق ، وضيق المكان لشدة ماراى فدار في المكان وما حوله " فلم يظفر بشيء مما تكرهه عينه ، وتعابه نفسه وقال : وقد مد يده بسيفه : (ما يخاف الناس الا من هذا أو من الله) (3) ، ان أمثلة التفاني في سبيل العلم والتحريض عليه كثيرة في المؤلفات وكتب السير منها على سبيل المثال ماروى عن أبي خليل اليدركلي (4) أنه كان يحرض التلاميذ بالسير الى الحلقة والبحث عنها أنى كانت وملازمتها ، فأورد قصة رجل اتجه من "جبل نفوسة" الى "فزان" والى "غدامس" (+++) والى "الساحل" (5) "رغبة في الحلقة ، وفيما يستفيده ، فلقيه في الطريق قطاع الطرق ، فدافع عن نفسه حتى جرح سبعة عشر جرحا ، فظنوا أنه قد مات فتركوه ، فوجد من نفسه القدرة على النهوض فنهض" ويروى عن الشيخ أبي عمران المزاتي (6) أنه يبين فضل العلم في مجالسه باستمرار ، ويحرض على تعلمه ونشره ، ومما قاله في هذا الصدد مايلي : " تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثماني مسائل في علم الفروع ، وتعلم مسألة واحدة كعبادة ستين سنة ، ومن حمل كتابا الى بلد لم يكن فيه ذلك الكتاب فكأنما حمل ألف حمل دقيقا ، وتصدق

= لصاحبيهما محب الدين الخطيب ، وعبد الفتاح قتلان ، مج 1 ، سنة 1343هـ نسخه الحاج أيوب ونسخته منه .

(1) نفسه .

(+) نظم فنون العلم وأبوابه في أبيات وقصائد شعرية .

(++) نسخها الشيخ أبو معقل عمر بن داود الوارجلاني ، وبعثها الى الشيخ الحاج سعيد محمد بن باحمد امام مسجد أبي سالم . فنسختها منه ، بمطلعها بعض عينات فيما يلي :

مضت سنة واستقبلت بعدها أخرى	فيا ليت شعرى ما تجيء به البشرى
أبا لعلم فزتم أم الى اللهو ملتم	ونحن نعد العام والفصل والشهرا
الا انها تحصي عليك لياليها	فما الترك والاهمال للحر بالأحرى
فحاسب أبا العباس نفسك جاهدا	وناقش ولا تنس الصغيرة والكبرى
وواظب طلاب العلم لا تسأ منه	وان كان لا تغني المواعظ والاغرا
وشيخك والحفاظ حاذر عقوقهم	ووقرهم كلا وكن لهم برا
وسيدك الحبر الذكي فواظبن	مواعظه تظفر بفائدة كبرى
الا فانتهزها يا أحيمد فرصة	فمن لك دأبا باستقامتها دهرا

(2) (3) بكلي عبد الرحمن : مقدمة على طبقات الدرجيني : ج 1ص (ز) .

(4) من مدينة "يدركل" بجبل نفوسة ، وهو شيخ جماعتها الخيرة ، وأول من أخذ العلم عن الخمسة حملة العلم رويت عنه السير والاثار ، صنفه الدرجيني في الطبقة الخامسة (200-250) أنظر: الدرجيني : طبقات . . . 2/ 299-300 .

(+++) مناطق وقرى في جنوب غرب ليبيا ، وجنوبها حاليا بالنسبة لفزان " وتقع "غدامس" قرب الحدود الجزائرية .

(5) المنطقة السهلية الساحلية بشرق تونس حيث توجد بها مدن تاريخية كثيرة هامة .

(6) هو موسى بن زكريا المزاتي ، اشتهر بلقب "أبو عمران" صنفه الدرجيني ضمن الطبقة التاسعة (450-500هـ) ومما قاله عنه: "رأس من رؤوس المذهب وأعلم علمائه . . . العلم والأدب حليته . . . أدرك المشايخ وروى عنهم العلوم والاثار ، وساد تلامذته فكل منهم منير في =

بها على أهل ذلك البلد "(1) فهو يؤكد على تعلم اللغة العربية لأنها تعرف المسلم على دينه وأحكامه بسهولة وبدقة ثم يقارن بين العلم والعبادة فيرجح العلم على العبادة لأن العلم نفسه عبادة وبه يعرف الخالق، وكيف يعبد حق العبادة ليكون المؤمن على بينة من أمره وعمله، فتعلم مسألة واحدة توازى عبادة العمر تقريبا، وهذا بدوره يحرض على تعلم المسائل، ويشجع على نشر الكتب ويراعا من حيث القيمة والأهمية والفضل مثل حمل ألف حمل من الدقيق والتصدق بها على كل سكان البلد، فهي مقارنة ما بين كتاب واحد وألف حمل من الدقيق، والفرق واضح بين الغذاء الفكرى والروحي والغذاء المادى، فالجهل يؤدى الى الردة، والفساد والاباحية.

من أشهر علماء الاباضية الذين تركوا المؤلفات ونظموا شعرا سلسا فائقا وخاصة في العلم والتحريض على كسبه، ومواضع أخرى كالأصول والعبادات والفقه الخ ... هو العالم الشيخ أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي الذى عاش في أواخر القرن السادس الهجرى(2) وأخذ العلم من خاله أبي يحي زكريا بن ابراهيم "وله عليه مرثية" (3) أشار الشماخي (4) الى أهم انتاجه فقال: "... له النونية في أصول الدين، وشرحها الشيخ اسماعيل بن موسى في ثلاثة أسفار، وله الرائية في الصلاة، ولم يوضع لها شرح في زمانه، وله النونية في الرد على من قال بخلق القرآن، وبقية القصائد في الوعظ." شرح الشيخ محمد بن يوسف بن محمد المصعبي (5) القصيدة الحائية المسماة ب"تحريض الطلبة" على اكتساب العلم، وشرح الشيخ عبد العزيز الثميني (+) القصيدة "النونية" المسماة ب"النور" للشيخ "أبو نصر فتح بن نوح كانت قصائد أبي نصر من المواد الأساسية التي يدرسها الطلبة، ويحفظونها ليتفانوا في سبيل العلم والتحصيل.

أما "أبو النظر" (++) فهو صاحب الديوان المشهور عند الطلبة ب"الدعائم" (6) يذكره

= الدين ومنار له كرامات مذكورة، وبركات مشهورة، وهو من علماء غار أمجماج السبعة". أنظر: طبقات ... 2/ 409، سبقت الاشارة اليه في الفصل الأول.

(1) الدرجيني: طبقات ... 2/ 411.

(2) يضعه أطفيش (القطب) ضمن أهل الخمسين الأولى من المائة السابعة: أنظر: الرسالة ... ورقة 95.

(3) الشماخي: سير، ص 548. - CUPERLY: UNE APERÇUE ... P: 123.

(4) السير: ص ص 548-9. وكذا البرادى: الجواهر... ص 219.

(5) أصله من قرية "مليكة" ب"ميزاب" عاش في "جربة" مع والده "تولى منصب والده في جميع الامور من رئاسة مجلس العلم والحكم، والتدريس والفتوى بمدرسة "الجامع الكبير" رسالة ابن تعاريت، ص 108. اقتبسه الجعبيرى في كتابه: نظام ... ص 231. رشحه مجلس العزابة لقيادة الوفد الجربي بعد انعقاد المجلس الشورى الى تونس لمناظرة علمائها بحضرة الباى فتبينت للباى آنذاك حقيقة الاباضية. - أنظر: الجعبيرى: نظام ... 231.

(+) عالم اباضي من مدينة "بني يسجن"، ولد سنة (1130هـ وتوفي 1223هـ) ترك مؤلفات جد قيمة منها "النيل وشفاء العليل" ثلاثة أجزاء و"التكميل لما أخل به كتاب النيل" و"الورد البسام في رياض الأحكام" و"معالم الدين" في أصول الدين، و"التاج" وغيرها كثير. أنظر: ترجمته في مقدمة على "التكميل..." وعلى "الورد البسام" لحفيد الشيخ محمد بن صالح الثميني.. المطبعة التونسية، 1345هـ تونس.

(6) أبوا اليقظان الحاج ابراهيم: سليمان الباروني باشا في أطوار حياته ج 1، ص 24، المطبعة العربية (1376هـ/ 1956م)، الجزائر.

(++) هو أبو بكر أحمد بن سليمان بن عبد الله بن أحمد بن الخضر بن سليمان من بني النظر السموئلى، اشتهر بابن النظر وهو اسم قبيلته لشهرتها، تعلم عند الشيخ مبارك بن سليمان ابن دهل فاحتذى حذوه في قريض الشعر في الشريعة، قيل فيه أنه "أشعر العلماء، وأعلم الشعراء"، اشتهرت تصانيفه وهو ابن أربع عشرة سنة، آخر ما جاد به "الدعائم" له قصيدة في "الولاية والبراءة" غير اللامية، أكثر من أربع قصائد في الصلاة والأحكام، ونحو مائة بيت في الضاد والظاء، قتله "خردلة بن سماعة بن محسن سلطان عمان الجائر عن =

البرادى[1] وينسبه الى أحمد بن النظر، يقول في شأنه أنه "من التأليف القديمة" فقد رتبه قبل كتاب "مدونة أبي غانم الخراساني".

- الاهتمام بالتأليف:

أهتم الاباضية بالتأليف منذ عهد مبكر بل قبل ظهور هذا اسم "الاباضية" عليهم، فقد ألف امام المذهب الاباضي جابر بن زيد[+] (رضي الله عنه) ديوانا سمي بديوان جابر وهو في الفقه[2] استفاد منه الناس في حياته وبعدها، وكان في مكتبة بغداد فأخذ منها وأحرق قيل أغرق[3]، وقد استنسخه "نفاث"[++] من الخليفة ببغداد بحيلة وبأعجوبة وتمكن من نقله الى المغرب رغم كل محاولة لأخذه منه، وقد ألف في التفسير، ودونت له بعض الأقوال في الزهد تناولها "ابن النعيم في كتابه" الحيلة"[4] فشاع ضياع هذا الديوان منجملة ماضاع من المؤلفات الاباضية الثمينة.

اهتم أهل الدعوة "الاباضية" بالتأليف منذ عهد مبكر لما ظهروا كمذهب ابتداء بالامام جابر بن زيد الذى ترك "ديوانا" وخلفه الامام أبو عبيدة الذى صنف ما رواه عن جابر عن الصحابي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) تلميذه "الامام الربيع ابن حبيب الفراهيدى في مسند يحمل اسم "الجامع الصحيح" الذى رتبه الشيخ أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم ان تتبع تأليف الاباضية بدقة يتطلب دراسة مستفيضة مع أنه يمكن سردها أو نقلها كما أورد ها البرادى[5] لكن هذا لا يعطي توضيحا كاملا، حسبنا أن نشير الى ظاهرة فريدة من نوعها تجلت في عصر مبكر، فترة ظهور نظام العزابة وهو ذلك التأليف الجماعي الذى يعبر عنه في العصر الحاضر بـ "الموسوعات العلمية" وهي "ظاهرة حسنة بل مغخرة انفردوا بها في ذلك الوقت المبكر"[6] عرف المشايخ الذين ألفوا الموسوعة بـ "أهل غار "أمجاج"[7] وقال عنه الشماخي[8] أهل غار الجماج، وذكره الجعبيري[9]

= عمر خمس وثلاثين سنة في القرن الخامس الهجرى فأحرق داره بعد نهبها مع خزانة كتبه فضاع كثير من شعره. أنظر: الرواحي سالم بن محمد بن سالم، مقدمة على كتاب "الدعائم" لابن النظر عمان ص ص ٤-٩، وزارة التراث القومي والثقافة، المطبعة الشرقية (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، مسقط، عمان.

(1) الجواهر... ص 218.

(+) أزدى عماني ولد سنة 18هـ/ 628م، وتوفي سنة 93هـ/ 711م بمدينة البصرة بالعراق، فهو تابعي التقى بكثير من الصحابة وروى عنهم العلم وشوهد له بالسبق فيه، أنظر ترجمته

(3) نفس المكان.

(++) هو فرج بن نصر النفوسي المعروف بنفاث أنكر امامة الامام أفلح بن عبد الوهاب فخرج عن طاعته كخلف بن السمح، وابن فندين الذى أنكر امامة عبد الوهاب. - أنظر: الباروني: مختصر، ص 39-43. - ومنهم ظهرت فرق النفائية، والنكارية الخ ... الباروني: الأزهار... 2/ 195. أنظر: أبو زكريا: سير... ص ص 94-95. - الدرجيني: طبقات ... 1/ 80-81. - الشماخي: سير... 214.

(4) نويهض: معجم... ج 1، ص 123.

(2) الباروني: مختصر... ص 28-29.

(+++) يقال بأن الامام غالب بن علي امام عمان سابقا، والذى أصبح لاجئا سياسيا في السعودية يملك نسخة منه.

(5) أنظر: الجواهر... ص ص 218- 221.

(6) بكلي عبد الرحمن: الدرجيني: طبقات... ج 1، المقدمة ص — هـ —

(7) الدرجيني: طبقات... 1/ 9. - لعلي صالح بن عمر: جواب لسائل، مخ، ورقة 1، حجم 21 3 أوراق. نقلها الحاج سعيد. الوسياني: سير... 2/ 69.

(8) سير... ص 403.

(9) نظام... ص 167.

ب "جماعة غار " مجماج " وأورده أبو الفضل قاسم البرادى [1] ، ب "علماء غار " أمجماج " ويظهر أن " مجماج " هي اللفظة الشائعة حسب ما ذهب اليه الجعبيرى في توضيح مدلولها بقوله : " مجماج بفتح فسكون ففتح ومد ، تنطق الجيم حاليا حسب اللهجة المصرية " [2] ومكانه في " غرب الحارة الصغيرة " [3] بجزيرة جربة وهو في مرتفع وعر [4] ومفاد اللفظة " البربرية " هي : جماعة مختلطة " كأنهم شخص واحد ، ويبدو أن أول من اختلط هناك هم السبعة المذكورون في كتب السير " [5] ومفردها في اللهجة الميزابية " اتمجموج " وتجمع على " اتمجموجن " [6] وبجنوبه بخمسة أمتار مسجد يحمل اسم " جامع النار " أو " جامع ابن بيان " نسبة الى أسرة تكفلت به أخيرا [7] سقف الغار بالطين فهو متواضع وصغير يحمل نحو عشرة أشخاص ، لا يتعدى امتداده من الشمال الى الجنوب أربعة أمتار ، ولا يزيد عرضه عن مترين ، ويرتفع نحو مترين [8] ، ومع صغره وتواضعه تولد منه عمل جبار لا ينساه الرجال .

يبدو أن ظروف النصف الأول من القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى العامة وما عليه الاباضية بصفة خاصة من ضعف وتفرق هي التي دفعت نخبة من المشايخ الغيورين على المذهب مثل الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الى التفكير في نظام وطريقة تحفظ الاباضية وتجمع شملهم ، وتوحد فكرهم بمقتضى مرحلة الكتمان ، وربما تلتقي مع جل العوامل والأسباب لظهور نظام العزابة ، اشتهر ما ألفه العلماء السبعة ب " ديوان الأشياخ " أو " ديوان العزابة " [9] الذى تم في القرن الخامس الهجرى [10] ، ويقال أن من أسباب التأليف الجماعي هو خوف انقراض المذهب الاباضي بذهاب رجاله والجزيرة آنذاك كانت في حصار من أعدائهم فأسرعوا الى وضع الديوان بتعاون جماعي لينجزوه في ظرف وجيز ، وليبقوه للأجيال اللاحقة حتى لا تنقطع بهم سلسلة المذهب فينقرض [11] .

تجمع المصادر الاباضية أن عددهم سبعة ، وهم كالآتي :

1 — أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهوارى .

2 — أبو عمران موسى بن زكريا المزاتي الدمرى .

3 — أبو عمرو النميلي الزواغي .

4 — أبو مجبر توزين المزاتي .

5 — أبو يحي زكريا بن جرناز النفوسي .

6 — جابر بن سدرمام .

7 — كباب بن مصلح المزاتي [12]

---

(1) فهرست مشايخ . . . ورقة 2 .

(2) (3) الجعبيرى : نظام . . . ص 167 .

(4) الحاج أيوب : حديث شخصي .

(5) (6) (7) (8) الجعبيرى : نظام . . . ص 167 .

(9) (10) بكلي عبد الرحمن : مقدمة على كتاب الدرجيني ، ج 1 ، ص هـ — . الجعبيرى : نظام . . . ص 168 .

(11) الحاج أيوب : حديث شخصي .

(12) الوسياني : سير . . . 2/ 69 . — الدرجيني : طبقات . . . 1/ 9 . — لم يذكر أبو عمرو النميلي صنفهم الدرجيني في الخمسين الأولى من المائة الخامسة . — الشماخي : سير ، ص 401 . — البرادى أبو الفضل : فهرست . . . ورقة 2 . — الثميني : الورد البسام . . . ص ج

دون أبو عمران موسى ما ألفه المشايخ لبراعة خطه فنسب اليه (1) ، والديوان هذا موسوعة فقهية تحتوى على اثني عشر جزءا (2) بقي منه أحد عشر جزءا (3) .

أصبح "ديوان العزابة" عمدة التأليف ومرجعا أساسيا لها ، فصار المعول عليه ، ظل مادة خاما ومرجعا أساسيا للتأليف ، والتدريس، انتفع به العلماء واستفاد منه الطلاب.

تنقصنا المعلومات المدققة عن تاريخ ونشاطات حلقات العزابة بمنطقة "وادى ميزاب" في عهودها الأولى بعد الشيخ أبي عبد الله وتلامذته، الى أن ظهر بعض العلماء والثقاة المتأصلين منذ المنتصف الأول للقرن السادس الهجرى ، الثاني عشر الميلادى (4) . لم نعثر على أسماء شخصيات لامعة في مؤلفات من أرخوا للاباضية في فتراته الأولى مثل الوسياني ، والدرجيني ، والشماخي مما يدل على أن النهضة العلمية والثقافية لم تظهر بعد الا في جبل نفوسة أثناء القرنين 8هـ/ 14م والقرن 9هـ/ 15م (5) حيث بدأت تظهر من جبل نفوسة نهضة زاخرة في العلوم الدينية والتشريعية، وظهرت كتب مختلفة معتبرة علمية ودينية (6) وتشريعية أصبح لها تأثير قوى في ظهور النهضة الثقافية بوادى ميزاب حيث تبادل الزيارات ، وتسرب الكتب من "جبل نفوسة" و"وارجلان" الخ ...

ومع هذا فان هيئات العزابة الموجودة قبل النهضة العلمية والثقافية كانت تهتم بالتنظيمات والاصلاحات الاجتماعية (7) .

لما بدأت نفوسة تنتج الكتب صارت تتسرب الى "ميزاب" فأصبحت تعتمد عليها مثل: كتاب أبي مسألة في فقه العبادات والمعاملات ،وكتب الشيخ أبي العباس أحمد ،وكتاب النكاح للشيخ أبي زكرياء ،وكتاب الوضع في فقه العبادات للشيخ أبي زكريا يحي بن الخير الجناوني ، وكتاب الايضاح في فقه العبادات والمعاملات للشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي من جبل نفوسة، وكتاب القناطر والقواعد للشيخ اسماعيل الجيطالي والدعائم للشيخ أبي نصر ، وكتاب نوازل نفوسة لمؤلف نفوسي (8) أصبحت هذه الكتب تغذى في "ميزاب" الفكر الديني وتنعشه فظلت العمدة الأساسية للتداول بين العلماء (9) .

— اهتمام العزابة بالدعاء والمواظبة عليه في كل ظرف :

اهتم الاباضية — ولا سيما عزابتهم — كغيرهم من المسلمين ب"الدعاء" الذى شرعه الله تعالى وأكده ، ورغب اليه، وكيف لا وهو العبادة" واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما" وقال ربكم ادعوني استجب لكم" (10) أى اذكروا ربكم ،وادعوه واسألوه من فضله فان الله يحب أن يسأل" (11) والدعاء المطلوب هو أن يتوجه العبد الى خالقه بسؤاله ، ويطلب حاجته منه بالقول

---

(1) الوسياني : سير... 2/ 69 . — الدرجيني : طبقات... 2/ 409 . — الشماخي : سير، ص 401 . — الثميني : على الورد البسام ...ص ج — . محمد بن صالح : (ت مقدمة .
(2) الدرجيني : طبقات ... 2/ 409 .
(3) الوسياني : سير ... 2/ 69 .
(4) LEWICKI: ~~########~~ .E.I. "HALKA"N.E ,P:99.
(5) (6) LEWIEKI:IBID ,P :99 .
(7) بكلي عبد الرحمن : حديث شخصي .
(8) (9) أبو اليقظان: سليمان الباروني ... 1، ص 44 .
(10) سورة غافر . الآية 50 .
(11) طاحون أحمد بن محمد : مرشد الدعاة الى الله "دراسة وتطبيق"، ص 347، جدة، 1402هـ، السعودية .

مع القصد الى الله بالقلب اثر الشعور بالحاجة اليه فيذكر عظمته وجلاله [1] فقد أمر به الله تعالى ، وجعله من القربات اليه ، وشرعه فقال: "وقال ربكم ادعوني استجب لكم ". [2] "ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب العتدين " " ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ". [3] فقد بشر الله تعالى باستجابة الداعي والمضطر اذا دعواه نعما عليهما الا أن يكونا مؤمنين به ممتثلين لأوامره فهو قريب اليهما "واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون". [4] وقال صلى الله عليه وسلم : "سلوا الله تعالى من فضله فانه يحب أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج ". [5] "أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض أإلاه مع الله قليلا ما تذكرون " [6] .

ـ دعـــاء الســـلام (+)

اهتم شيوخ الاباضية وعزابتهم بتنظيم الأدعية والأوراد ، والتسابيح والاستغفارات ، واختيار أوقات لها حسب ما ثبت في سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآثار الصحابة والسلف الصالح فالمواظبة عليها في المساجد خاصة بعد دبر الصلوات المكتوبة لما في كل ذلك من فضـــل كبير ، وتوجيه سديد ، واحياء السنن ، وثواب جزيل ، فكان من جملة ذلك دعاء يعبر عنه فـي أوساط العوام بـ" السلام الكبير " (++) يحفظ مع جملة أدعية الطهارة والغسل والوضـوء ونية الصلوات ، وأدعيتها ، الخ ... يتلى "السلام الكبير" بعد دعاء صلاة الصبح مباشـرة من قبل كل المصلين جماعة باشراف هيئة العزابة التي تلازم موضعها خلف الامام أثنـــاء الصلوات مباشرة وبتوجيه امام الصلاة في كل مساجد قرى "وادى ميزاب" فاذا دخل أحـــد المسجد أو مر بجانبه سمع صوت المصلين مرتفعا بالدعاء فيعلم أنهم قد صلوا ، يروى عن ابـــن عباس رضي الله عنهما أنه قال : "ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الا بالتكبير". [7] وقال أيضا :

---

(1) المراغي احمد مصطفى : تفسير المراغي ، ج 2 ، ص 76 .
(2) سـورة غـافـر ، الآية 60 . كما مر آنفا.
(3) سـورة الأعـراف ، الآية 55 ــ 56 .
(4) سـورة البـقـرة ، الآية 186 .
(5) رواه الترمـــذى .
(6) سـورة النمـل ، الآيـة 62 .
(+) رتبه الشيخ عمي سعيد الجربي . واظب عليه العزابة في المساجد الى الآن ، يتلوه المصلون ولا يزال الى الآن .
(++) تمييزا بينه وبين "السلام" المعبر عنه بالصغير الذى هو دعاء خاص يدعو به الامام بعد صلاة الصبح . أنظر: ملحق رقم ( ) . أساس الطاعات ... ص ص 20 ــ 21 .
ــ دبوز محمد علي : أعلام الاصلاح ... 3/ 157 ــ 159 .
(7) النووى : صحيح مسلم ... 5/ 83 .

"كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالتكبير" (1) يرى النووي "أن هذا دليل على ما قاله بعض السلف أنه يستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقب المكتوبة" (2) وهذا ما يقوم به العزابة .

يعتبر دعاء السلام قيما لما يشتمل عليه من الآيات القرآنية المختارة والوقت الذي يتلى فيه ولما ورد عن ذلك من فضل كبير على لسان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مع أن القرآن كله فضل لأنه كلام الله الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" (3) ولكن اختلف بعض العلماء في هذا التفاضل ورأى بعضهم تفضيل بعض الآيات والسور وأسماء الله على البعض ، وقال آخرون ان التفضيل في الأساس خطأ "لأن الأفضل يشعر بنقص المفضول ، والذاتية في الكل واحدة ، وهي كلام الله وكلام الله تعالى لا نقص فيه (4) وانما التفضيل يميز "بالمعاني العجيبة وكثرتها" (5) وما تتضمنه الآيات من عقائد وأحكام ، أو قصص وأخبار الخ . . . ليس واحدا فآية الكرسي (6) ، وسورة الاخلاص وآخر سورة الحشر تدل على وحدانية الله تعالى وصفاته الكمالية وتنزيهه عن صفات النقص والعجز مما لا يتوفر في قوله تعالى "تبت يدا أبي لهب" (7) و"لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ..." (8) صح عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن الآية الكرسي شأنا عظيما ، وأنها أفضل آية في كتاب الله تعالى (9) . عن أبي بن كعب أن النبيء (صلى الله عليه وسلم) سأله ، أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، فردد ها مرارا ثم قال : آية الكرسي ، قال : "ليهنك العلم يا أبا المنذر ، والذي نفسي بيده ، ان لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش" (10)

هذا التفاضل يبين مدى الاهتمام ببعض الآيات مثل هذه وليس ذلك استنقاصا لغيرها أو حصول الأجر عليها أقل أو أكثر من غيرها لأن القرآن متعبد بتلاوته ولقارئه بكل حرف عشر حسنات.

يشتمل "السلام" على بعض أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) المنتقاة ولا سيما التي ورد فيها فضل كبير ، وأجر عظيم ، وخاصة الأدعية المأثورة عنه .

يفتتح هذا الدعاء بالسلام على ملائكة الله ، وأنبيائه ورسله وأوليائه وعلى المسلمين أجمعين بما فيهم قارؤوه ، ويستفتح بذكر الله ، وءاياته ، ويشهد قارؤوه ويقرون أن الله تعالى خير الفاتحين ثم يتلى دعاء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مكررا أربع مرات كما نص عليه لما فيه من فضل تحرير رقبة قارئها كلها أربعا أربعا (11) ، ونصه كما يلي :

"اللهم اني أشهدك ، وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وأنبياءك ورسلك ، وجميع خلقك أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن سيدنا محمدا (ص) عبدك ورسولك وما جاء به حق من عندك" (12) .

---

(1) (2) النووي : شرح صحيح مسلم . . . 5/ 84 .
(3) سورة فصلت الآية 42 .
(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ) : التذكار في أفضل الأذكار ، ص 33 ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ .
(5) نفسه .
(6) سورة البقرة ، الآية 255 .
(7) سورة المسد الآية 1 .
(8) سورة المائدة ، الآية 78 .
(9) ابن كثير : تفسير . . . 1/ 541 .
(10) رواه مسلم . أنظر: ابن كثير : تفسير . . . 1/ 541 . ـ أنظر: أطفيش: شامل ... 2/ 152 .
(11) (12) "قال أحمد بن يوسف أيما رجل قال بعد صلاة الصبح ، وذكر الحديث . . . فاذا قال ذلك مرة واحدة عتق منه الربع ، وان قاله ثانية عتق منه النصف وان قاله ثلاثة عتق منه ==

وهناك بعض المساجد يتلى فيها نفس الدعاء كما ورد في حديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل المسجد العتيق بالعطف، والقرارة، ومليكة، وبريان، وأضافوا ما لم يذكر في الأول وهو ما ضمن في "السلام الكبير" باضافة" أصبحت" في اللهم اني أصبحت ...(1) يلازم المصلون أماكنهم بعد التسليم من صلاة الصبح ودعاء الامام وقراءة دعاء "السلام" دون أن يتزحزحوا عنه باستثناء من له عمل أو اعترض له عائق فانه لا ينهض من مكانه الا بعد الانتهاء من تلاوة حديث أنس مكررين أياه أربع مرات، كما ينهض الامام أيضا ليأخذ مكانه يمين الشيخ بالصف الاول(+) على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد نهى عن قيام الرجل ليجلس الآخر مكانه لكن قيل بجواز ذلك (2) "للامام العدل والوالد والمعلم ... وقد ورد الأمر بالتفسح مجملا عاما وورد في المجلس ولا سيما ان اعتيد للامام بلا تشويش" (3)

ان مكوث المصلي في موضع صلاته دبر الصلاة فيه أجر عظيم، واستغفار الملائكة له ما دام في مصلاه على وضوئه، واقتداء بسنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الذى ثبت عنه ذلك(4) وبشر به ولا سيما اذا طلعت الشمس على المصلي فصلى ركعتين بعدها أو شغل نفسه بالذكر والتسبيح، عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة" (5).

---

(1) عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "من قال حين يصبح أو يمسي اللهم اني أصبحت أشهدك، وأشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك، أنك أنت لا اله الا أنت، وأن محمدا عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله تعالى ثلاثة أرباعه، فان قالها أربعا أعتقه الله تعالى من النار". أنظر: النووى: الأذكار...ص 74. وقد أورد القطب في "شامل... 2/ 153. حديث أنس مع تغيير في بعض الألفاظ أو زيادة ونقصا: "عن أنس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "من قال حين يصبح أو يمسي، ا اللهم اني أصبحت أو أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله الذى لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك .... بقية الحديث.

(+) عندما يقوم الامام من مصلاه يستدير الى جهة شماله فيقبل بوجهه نحو الصف الأول ليأخذ مكانه يمين الشيخ العزابة مباشرة أو حسب درجته من العزابة الجالسين فيه فيتزحزح من بيمين الشيخ أو من هو أقل منه درجة حسب الدخول للحلقة، هذا كله بعد الانتهاء من الدعاء، ولما يجلس يفض الجميع الا اذا كان "دعاء السلام" فان الامام يقوم غالبا ليجلس في الصف الأول بعد حديث أنس.

(2) (3) أطفيش (القطب): شامل...ص 155.

(4) أطفيش (القطب): شامل...ص 155– 156.

(5) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن. – أنظر: النووى: الأذكار...ص 70. – ابن القيم: زاد المعاد ... 1/ 300.

= ثلاثة أرباعه، وان قاله أربعة عتق جميع جسده من النار. أنظر: أطفيش (القطب): ترتيب المعلقات، ص 80.

- توجيه الولائم لنشر الثقافة :

اذا أقام الانسان وليمة ما سواء في الأفراح أو الأتراح فانه يتشرف باستدعاء العزابة كلهم ، أو بعضهم على حسب نوع الوليمة التي يقيمها فيتصدرونها ، كما أنه يستدعي أيضا العلماء ، وكبار الطلبة من التلاميذ "اروان" فاذا حضر هذا الاطار ازدانت الوليمة بهم ، وأصبح لمجلسها رونق وجلال ، وكلما اكتمل حضور العزابة كلما أعطى قيمة وأهمية للوليمة فتكون مناسبة للحاضرين بالقاء أسئلتهم واستفساراتهم ، والمطالبة بتقديم درس أو فائدة ، فيتتبعون الحديث بشغف وتعطش ، وهذا اجلالا للعلم والعلماء وحب المعرفة والاستفادة ، تركت أمثال هذه اللقاءات تأثيرا كبيرا في نشر الثقافة والمعرفة ، والتزود بالعلم ومعرفة الأحكام ، فكان الجمع بين الغذاء الصحي والغذاء الروحي والفكرى ، ينظر المجتمع الى العلماء نظرة اكبار وتقدير واحترام ، الامن كان في قلبه مرض فيكيد كيدا ، فلا يخلو منهم زمان ولا مكان ، ولكن قلّما يسمع بشرهم ومكائدهم على العلماء ، فالله تعالى حرض على العلم والجلوس للعلماء فقال تعالى : "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتو العلم درجات".(1) وقال (صلى الله عليه وسلم) "العلماء ورثة الأنبياء" .

---

(1) سورة المجادلة ، الآية 11 .

- اهتمام العزابة بسنة توديع المسافر :

حرص الاسلام المسافر على وداع الأهل والاقارب والأصحاب والجيران والمؤمنين ، واستحب ذلك [1] ، فعن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "اذا أراد أحدكم سفرا فليودع اخوانه ، فان الله تعالى جاعل في دعائهم خيرا" ويستحب للمسافر أن يسأل من يقوم بتوديعه أن يدعو له ، كما يستحب له بدوره أن يدعو لهم ، ومن السنة أن يقول له كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لابن عمر (رضي الله عنه) "استودع الله دينك وأمانتك ، وخواتيم عملك" [2] ، وعن قزعة قال : قال لي ابن عمر (رضي الله عنهما) تعالى أودعك كما ودعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" [3] .

من أعمال البر والاحسان وسنن السفر أن يطلب المسافر من مودعه النصيحة والدعاء كما جاء في حديث أنس (رضي الله عنه) قال : "جاء رجل الى النبيء (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله اني أريد سفرا فزودني ، فقال : زودك الله التقوى . قال : زدني ، قال: وغفر ذنبك ، قال : زدني ، قال: ويسر لك الخير حيثما كنت" [4] .

اهتم شيوخ الاباضية والعزابة كغيرهم من المسلمين باحياء سنن السفر وتطبيق آدابه من ذلك توديع المسافر، وتبادل النصائح ، وتزويد المسافر بصفة خاصة بالنصائح والاكثار من الأدعية المأثورة والمرغوب فيها لأن الدعاء في السفر مستجاب ، وذلك لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده" [5] والله تعالى قد جعل في أدعية من يلتمسها منهم في السفر خيرا [6] ، ومن اهتمامات العزابة بالمرأة أن وجهوها وبينوا لها فروضها وواجباتها ، من ذلك توعيتها بشؤونها ، وتربية أبنائها ، والاعتناء بهم على ضوء ما تأمر به الشريعة الاسلامية فصارت تزود أبناءها بالنصائح الغالية ولا سيما في اللحظات الأخيرة من وداعهم أثناء أسفارهم ، وتدعو لهم بكل دعوات الخير، من ذلك قولها المأثور: "يابني قم بأداء صلواتك بطهارتها على الوجه المطلوب ، وفي أوقاتها بدون تهاون أو تراخ ليحفظك الله ويرعاك ، وكن مؤتمنا في الآمانات والودائع والأوقات ليبارك الله سعيك وتكسب ثقة الناس، والمال الحلال، وتزود بالدين في كل علاقاتك فان خير الزاد التقوى وتجنب الأشرار وقرناء السوء والا صرت مثلهم فتفقدك أمك وأمتك . . . لهذه النصائح أثر بالغ في سلوك الانسان، وكسب ثقة الناس بأمانته واخلاصه في العمل وأداء واجباته الخ . . .

ومما اهتم به العزابة هو توصية المسافر بالتطهر وأداء صلاة السفر ركعتين يركعهما المسافر في داره قبل أن يهم بالخروج ، وبعدهما يتوجه الى الله بالدعاء [7] ،جرت

---

(1) النووي: الأذكار. . ص 195 .ـ الغزالي : احياء . . .3/ 61 .
(2) رواه أبو داوود . أنظر: النووي : الاذكار . . ص 196 . ـ الغزالي : احياء . . . 3/ 62 .
(3) النووي: الأذكار . . ص196 .
(4) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . أنظر : النووي: الأذكار . . ص 196 .
(5) رواه الترمذي باسناد حسن . أنظر: أبو بكر جابر الجزائري: مفتاح السنة ، ص125 .
(6) الغزالي : احياء . . . 3/ 61 .
(7) أنظر: الغزالي : احياء . . . 3/ 62 . وأدعية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في السفر ذهابا وأيابا . كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرغب في صلاة الاستخارة قبل السفر .

جرت العادة بتشييع المسافر من طرف أوليائه وذويه وبعض العزابة يتجمعون في رحبة السوق بحذو المركوب وهم متجهون للقبلة ، يقوم المسافر بتفريق الصدقة التي تتكون من تمر وخبز على الحاضرين تعقبها الأدعية ثم يودع المسافر، أو المسافرون مشيعيهم ، والكل يتبادل النصائح و التوجيهات (+) ، ثم يمتطي مركوبه ، وقد كان العزابة بـ"العطف" مثلا يرافقون المسافر الى مقام الشيخ عمي امحمد (++) فيشيع هناك (+++) . تقلصت هذه السنة الاسلامية تدريجيا حتى اضمحلت تقريبا بسبب تطور العمران ، واكتظاظ المدن ، وكثرة مهام الحياة المدنية والأسفار الى غير ذلك من شؤون الحياة المعاصرة وتطور وسائل النقل ، واكتفى بتوقف المسافرين في مكان بأعلى جبل "بوهراوة" المطل على "غرداية" والمسمى "المستجاب" والتضرع فيه الى الله بالأدعية ، بل صار البعض وهم كثرة الآن — لا يتوقفون وانما يبتهلون بالأدعية بمجرد المرور على "المستجاب" وبقيت التظاهرات بتشييع واستقبال الحجاج في موكب رهيب خاشع مما يحتفل به تحت نظر وتوجيه العزابة .

(+) حالات وأوضاع شاهدتها بالعطف في صباي .
(++) وهو الامام الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر.
(+++) بنفس الكيفية والطريقة التي أصبح يشيع فيها في رحبة السوق .

نقد نظام العزابة

تمكن نظام العزابة من البقاء عشرة قرون في وادى ميزاب بسبب وجود سر في قوته لاعتماده على أسس قوية في التنظيم المحكم المبني على قواعد التشريع الاسلامي ، فلم يبق في مناطق الاباضية الأخرى التي كان قائما فيها رغم قوته واستمراره قرونا فانحل بانحلال أهله نتيجة لعوامل داخلية وخارجية، ولكنه ما زال محدودا وضعيفا في "وارجلان" حسب ما يبدو بالمقارنة الى ما كان عليه في عهود مضت .

يمكن ارجاع سر قوة نظام العزابة الى عوامل تنحصر في :

قوة التنظيم المحكم ، وسلامة قواعده، والدقة التامة في اختيار أعضائه الذين يستوفون الشروط المطلوبة ،وفي مقدمتها التقوى والورع ، وترشيح ذلك على العضو الحافظ للقرآن والفقه اذا كان ضعيفا فيهما ، فقوة الشخصية جعلت هذا النظام حيويا يؤدى واجباته على أحسن وجه ، فنال رضا الاباضية ، فتفانوا في نصرته ، وأنزلوا شخصياته منزلتها ، وانصاعوا لأوامرها ، وانتهوا لنهيها دون ضغط أو اكراه ، وانما عن طواعية واقتناع ، وعملوا لكسب رضاها وتفانوا في نصرتها فتمتعت هيئة العزابة بمكانة مرموقة في قلوب الاباضية ، فسر قوتها في وضوح تنظيماتها وأهدافها وفي رجالاتها المقتنعين ذاتيا بالنظام ، والموفين بواجباتهم لأنهم يقصدون بكل أعمالهم نيل رضا الله ، ونصرة دينه ، لا يدفعهم طمع دنيوى، أو تحقيق رغبات شخصية ، أو مادية لأنهم لا يتقاضون أجرا على أداء واجباتهم ، وانما يقومون بها تطوعا وتضحية ، فان حدثت نفس أحد أعضاء العزابة برغبة في حب الظهور ، فانه سرعان ما ينكشف أمره ، فيفقد احترام المجتمع له فضلا عن افلاسه من ثواب الله الذى يعتبره العزابة المخلصون أكبر انهزام مع معركة النفس، وبالتالي كارثة تحطمه نفسيا ومعنويا فيعيش معقدا الخ ... وسر قوة نظام العزابة واستمراره تكمن في تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومبدأ الولاية والبراءة التي ترجع كل غوي عن ضلاله الى الجادة، وتهدي كل طائع الى طريق ربه ، وتخلي العزابة عن ذلك يعني تخليهم عن النظام ومحاربته . هذا وان الاجتهاد في تطبيق الاسلام عقيدة، وقولا ، وعملا، من أهم وأصول ومبادئ المذهب الاباضي لأنه يحقق العمل الصالح، والتآزر على البر والصلاح ، والتقاء النوايا الحسنة في أهم المظاهر التي تتجلى فيها الروح الجماعية مجسمة في تعاون وانسجام ، وذلك في الأفراح والأتراح أو الأعراس والمآتم ، وأعمال التطوع الجماعي كحملات النظافة ، أو بناء السدود ، والطرقات ، أو سد ترعة حائط ، أو حفر بئر، وأعمال الحرث والحصاد ، أو رعاية الأيتام والأرامل ، والعجزة، هذا فضلا عن مقاومة الرذائل ، ونشر الفضائل ، واصلاح ذات البين ويظهر التعاون على البر والتقوى، ومحاربة الاثم والعدوان ، والانصياع لتعليمات المسجد ، وتطبيقها والامتثال لها ، واعتبار ذلك تقربا الى الله وأن يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ في النار ، فكان من أبرز ميادين ذلك هو تطبيق مبدأ الولاية والبراءة الشخصية الذى يعتبر كسلاح حاد لمقاومة الانحراف

والآفات الاجتماعية ،فأنقذ المجتمع من كل ما يهدده بالتفكك والاضمحلال ، فتولد في هذا المجتمع بدافع الايمان وحب الخير ذلك التعاون الذى يظهر في السراء والضراء ، والاهتمام بالسلوك العام والآداب العامة ، وتتبع الشخص في مظاهر حياته من كل نواحيها، فيُعتز به اذا نجح في المجال الاجتماعي ، ويشمئز منه اذا ارتكب ما يخل بالشرف ، والقيم الشخصية،فيعده المجتمع مجرما، فينأى عنه اذا ظل في عناده وضلاله وعدم تقبل نصائح اخوانه ، فيعزل عن المجتمع وفي ذلك وضع حد للعدوى حتى يسلم بقية أفراد المجتمع، فالروابط الاجتماعية روحية لتماسك المجتمع على الطاعات وعمل الخير ، ولذلك ظل قويا اجتماعيا رغم السنين العجاف التي مرت به،فزادته تضامنا و تساندا. أما اذا انحرف عن الطريق ، وانغمس في حب الدنيا ،ونسيان الآخرة ، تنفك عراه ، وتتلاشى قيمه، فلا تزيده الأنانية الا انغماسا في الملذات،وبالتالي زواله بتآكله من الداخل فينفسح المجال للبدع ، والأنانية والمحسوبية،وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

يرجع استمرار أى مؤسسة أو أى نظام في المجتمع البشرى الى فعالية أفراده،، وبالدرجة الأولى الى أولي الأمر فيه ، والى المنفذين ، فنفوذ العزابة يقوى ويضعف في المجتمع حسب العوامل والأوضاع ونوع التجاوب الشعبي ، أو انقطاع العلم والثقافة فركود الفكر ، وانتشار الجهل كما سبقت الاشارة اليه قبل عهد الشيخ عمي سعيد الجربي ، وقبل القرن الثاني عشر الهجرى لأن هذا القرن يمثل عصر تجدد النهضة العلمية ب" وادى ميزاب " (1) ، فقد تعاقب على رأس هيئات العزابة علماء أجلاء ازدهر بهم عهدهم (2).

ان كل شخص له فعاليته ودوره في المجتمع وتأثيره فيه مع نوعية تجاوبه معه وخاصة اذا كان منظورا اليه ، فبعض العزابة سيروا المؤسسة ولكنهم غير مثقفين ولا مؤهلين فأضروها بضعفهم ، أو عدم قدرتهم على التسيير ، أو جهلهم بالسير (+) .

ان بعض شروط العضوية تلفت النظر ولو أنها في حد ذاتها مهمة وأساسية لكنها تحتاج الى تدعيم بأخرى مهمة أيضا حتى تكون متوازية معها لأن ضعف أحدها ينال من نظام العزابة ، أو يسبب له مشاكل ، أو يهدده بالزوال تقريبا منها مثلا أن شرط عمارة المسجد والمواظبة عليه ، وحفظ القرآن ، وملازمة مجالس الذكر ، أو اشتراط التقوى والورع في العضو المختار كلها مهمة جدا في حد ذاتها ، لكن عدم اشتراط نصيب من العلم (++) أو مستوى ثقافي بجانب الشرط الأساسي وهو التقوى ولا سيما اذا كان صاحب مسؤولية ان صادف أن حملها لأنه أقدم في الحلقة ممن أتى بعده وهو أقوى كفاءة من الأقدم هجرة (+++). فان هذا العضو يصبح بعيدا عن تحمل مسؤولية ادارة التسيير ، وبعيدا عن تفهم أوضاع المجتمع وبالتالي يؤدى الأمر لا محالة الى انعدام التجاوب ، فاجتماع المؤهلات العلمية في العضو ، ولا سيما المسؤول أكثر مع التقوى والورع ، زيادة على التكوين ، والكياسة ، والمقدرة الشخصية ، وما الى ذلك من المؤهلات ، فانه يجعل العضو أو شيخ العزابة مؤهلا بجدارة واستحقاق لتسيير نظام الحلقة ، ورعايتها بنجاح لما يتمتع به من مقدرة وكفاءة ، ومرونة ، والا أصبح جامدا ، أو متحجرا فيتجاوزه الوقت فيفقد ثقة المجتمع وبالتالي عدم التجاوب معه ، فينال من هذا النظام الذى أثبت وجوده على أنه حسب ما يبدو وقياسا على ما حدث في المنتصف الأول من هذا القرن تبجيل العالم ، ولو كان صغير السن ، وحديث العهد بالحلقة ، وترشيحه شيخا لها بتنازل ممن هو أقدم منه تقديرا له كما حصل في القرارة ، وبريان اذ تنازل الشيخ أبو العلا عبد الله بن ابراهيم عن منصبه للشيخ بيوض كما فسح المجال للشيخ بكلي عبد الرحمن أن يتبوأ مكانته في الحلقة رغم حداثة سنه ودخوله لها جديدا ، ويمكن حصول مثل هذا اذا ما قوى في العضو الأقدم في الحلقة

---

(1) (2) بكلي عبد الرحمن : مراسلة خاصة .

(+) أى قوانين الحلقة كما سبقت الاشارة اليه .

(++) اذا لم يشترط العلم والجد في طلبه مع الآداب يعتبر ذلك اخلالا بأحد الشروط الأساسية لصفات أهل الحلقة كما نص عليه أبو عمار: سير . . . ورقة 1 .

(+++) يعبر عن العضو السابق على غيره دخولا في الحلقة بالأقدم هجرة . - بيوض: حديث شخصي .

حب الايثار ، والتواضع ، وتبجيل العلماء الخ ...

يبدو أن عدم كتابة محاضر جلسات العزابة ونشاطات هيئاتهم قد ترك ثلمة كبيرة من الفراغ التاريخي فافتقدت حلقة جوهرية في الميدان الاجتماعي والثقافي أو الحضاري لمنطقة "وادي ميزاب" يصعب معها معرفة أوضاع الحلقة ، وتقييمها بدقة وضبط كل فتراتها هذا ما عدا ما تركه مجلس عمي سعيد من سجلات واتفاقات مازالت محفوظة (+) والعمل يحتاج الى تنقيب وتقص وبحث !

يظهر أن الاهتمام الكبير الذي يوليه العزابي لتأدية مهامه بحرص شديد وبدقة متناهية كان من أسباب بقاء حلقة العزابة الى هذا العهد ، ولكن من ناحية أخرى جعلته يخل ببعض واجباته نحو أسرته وأولاده والتي لاشك بدورها لها تأثير سلبي في النهوض الاجتماعي شأن ما نراه من بعض أطر التعليم ، الكفأة المخلصة التي تقوم بواجباتها أحسن قيام فتكون الأجيال ، وتضحي بكل ما تملك من جهد ولكن من ناحية أخرى تهمل أبناءها فيرسبون في امتحاناتهم الخ ...

يبدو أن الشروط والمقاييس التي وضعت منذ قرون لا يستغني عنها في الوقت الحاضر لأنها أثبتت فعاليتها ونجاحها ولكنها أمام التطور العصري وثقافته ومعارفه ، والتطور العلمي والتكنولوجي ، وما الى ذلك من أوضاع العصر الحاضر ، وما ظهر فيه من أساليب ومناهج ومخططات لمحاربة الاسلام والمسلمين ، وظهور نظريات فلسفية مادية والحادية لبث البلبلة والتشكيك وبالتالي ، ضرب العقيدة الاسلامية في الصميم ، وتفكيك الأسرة المسلمة والمجتمعات الاسلامية كل ذلك يتطلب اضافة شروط أخرى مكملة تمتاز برصيد علمي وثقافي واسع ، واطلاع كبير على البرامج التربوية الحديثة في الشرق والغرب للاستفادة منها ، والوقوف على ما فيها من مساوئ . وما يهدد الحضارة العربية الاسلامية لمقاومته ونبذه ، وما الى ذلك من شروط أخرى كالتفتح ، والمرونة ، والكفاءة ، والمقدرة ليصبح أعضاء حلقة العزابة في المستوى العصري المطلوب يعيشونه بتفاعل ايجابي كبير ويطورون الحلقة دون أن يفقدوها خصائصها ومميزاتها ، فيطورون بالتالي المجتمع رغم الظروف القاسية .

حدث أن ادعى البعض في العهد الأخير وهم قلة — أن شيخ العزابة يتمتع بسلطة مطلقة ، فيتصرف كما يراه ويريد ، وليس لأحد حق التدخل في شؤونه ، ولكن هذا لا يتماشى مع مفهوم الشورى ، وفهم النصوص ، والمصلحة العامة ، وأسرار التنظيمات الاجتماعية .

وحدث أيضا أن ادعى البعض أن لأعضاء " المجلس الخاص " حق التصرف المطلق حسب ما يرونه دون الرجوع الى أعضاء الحلقة ، فسبب هذا الوضع في متاعب ومشاكل لحلقة العزابة في العهود المتأخرة بالنسبة الى هذا القرن ولعل الخطأ جاء من سوء فهم للنصوص ، أو عدم مقارنتها ، أو التمسك ببعضها واهمال أخرى من طرف بعض العزابة ، فقد وردت في " سير حلقة العزابة " حسب ما حكاه بعض تلاميذ الشيخ أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني (1) ما يلي : " والمشورة كلها راجعة الى الشيخ ، والباقون من العزابة ساكتون ينظرون بأعينهم ، ويحفظون ما تقول تلك الأربعة هم وشيخهم " ولعل عبارة : " والباقون ساكتون

(+) يوجد بمكتب التوثيق في محكمة غرداية أحد عشر سجلا كانت محفوظة بمحكمة الاباضية بني يسجن قبل أن تحول إليه مكتب الموثق .

(1) سير ... ورقة 4 . — بيان ... ورقة 8 .

ينظرون الخ ... " هي نفسها تفيد معنى حسن الانضباط وتقدير الشيخ حين يتكلم
واستيعاب ما يقوله الاربعة الكبار، أو المجلس الخاص" واذا فهم من العبارة معناها الظاهرى
أصبحت متناقضة مع مفهوم "المشورة كلها راجعة الى الشيخ "، أو لعل تلاميذ أبي عمار
هم الذين وضعوا العبارة بما فهموه من شيخهم ، فحسب أسلوب رسالة أجوبة أبي عمار
عبد الكافي فانه ليس من وضع ونسخ أبي عمار الذى ظهر في مؤلفاته ، ومنها كتابه " الموجز"
فالتركيب مخل ، والربط مفكك، وادماج الالفاظ العامية صفة ظاهرة فيها .

* يتلخص أن مفهوم الثقافة تعني ثبوت المعرفة بما يحتاج اليه الفرد حتى يعيش فطنا ، ويدرك معاني الأشياء فيصبح بذلك انسانا حاذقا مدركا للأمور ، متفهما أياها لينتفع بالقدر الضرورى من الأشياء ، فيكون له تصور واضح يسير بمقتضاه في الحياة ،وما يعتقده ويعتد به استعدادا لليوم الآخر بالنسبة الى المؤمن الحق ليحدد علاقته مع اخوانه المؤمنين على ضوء تحديدها مع الله تعالى فيظهر ذلك في سلوكه ، وأنماط حياته ومعيشته .

اهتم الأئمة الاباضية منذ نشأة المذهب الى بنشر العلم ، فأحكموا تنظيمه حسب ظروفهم ، واتخذ الامام أبوعبيدة الغار مصدرا لذلك فتخرج منه حملة العلم الذين أقاموا امامة الظهور، فلم يهمل العزابة نشر المعرفة التي تؤهل المجتمع الى رفع مستواه الثقافي فيتكيف مع بيئته ومجتمعه ، ويحدد علاقاته مع من حوله دون أن تنال منه ، للحفاظ على وجوده وقيمه ، ولذلك نجد أن نظام العزابة حاليا ليس عينه منذ تأسيسه، وانما أصوله وقواعده واحدة ، وهذا تماشيا مع تطور وسير الحياة عبر القرون ، وتحديد علاقات المجتمع في "ميزاب" مع الدول القائمة في الشمال الى أن أثر فيه الاستعمار الفرنسي الذى حارب نظام العزابة بطرق مباشرة وغير مباشرة ليسلب منه نفوذه ، فحد من نشاط المجلس الديني الأعلى "عمي سعيد" فجمده .

رأى شيوخ الاباضية منذ عهد الامام جابر بن زيد أهمية التأليف في تركيز المعرفة ونشر الثقافة وألف ديوانه لكنه ذهب ضحية الأحداث كغيره من المؤلفات الاباضية القيمة وما حوته المعصومة وليترك مشايخ الاباضية معالم مذهبهم وأصول دينهم ، وفقههم ألفوا في أحلك الظروف واشتداد الفتن في القرن الخامس الهجرى ديوانا للعزابة ، أو ديوان المشايخ في غار "أمجماج" بحربة ليتركو للخلف عصارة فكرو علم السلف وهم يواجهون تحديات الابادة حتى لا يعفى على الدين الذى يؤمنون به .

استغل العزابة مناسبات التجمع في الولائم لتغذية الأفكار، وتوجيه المجتمع بما ينفعه دنيا وأخرى ، فاهتموا كذلك بالأدعية والأوراد بما فيها من توجيه عقائدى وفكرى ، وما يتركه من تهذيب للنفس فرتبوا الأدعية والأوراد وخاصة عقب صلاة الصبح بدعاء عبروا عنه بالسلام ، فطبقوا بذلك السنة ، وما من أجله خلق الله الانسان وهو الخضوع لله وعبادته ، وطبقوا سنن السفر في التضرع الى الله بالدعاء ، واهتموا به في مناسبات يوم الجمعة وتوديع واستقبال الحجاج .

بتلك التنظيمات استطاع نظام العزابة أن يكون ثقافة واضحة للمسلم .

الخاتمة

1 — اتضح من خلال دراسة نظام العزابة في الفصول الخمسة أن الحالة العامة للمجتمع الاسلامي خلال القرن الرابع والخامس الهجريين مفككة نتيجة الخلافات والنزاعات التي أدت الى حروب ، وانفصام عرى وحدة المسلمين فسيطرت الروح المذهبية في علاقاتهم السياسية والاجتماعية فلم تسمو المذهبية الى مستواها في التشريع والأحكام ، وترابط المسلمين، وانما انحطت الى سوء التفاهم، وروح الإقتتال ، ففقد الاباضية في هذا الأتون إمامة الظهور، وهم بدورهم لا يريدون إقامة أحكام الله ، لبناء المجتمع المسلم، وعبادة الله بإخلاص فقرر شيوخهم الاعراض عن السياسة وتجنب الاصطدامات مع الأنظمة السياسية الطموحة وذلك للمحافظة على وجودهم ، وبقاء مذهبهم ، فقرروا الدخول في مرحلة الكتمان ، وانشاء نظام حلقات التعليم لمعرفة الأحكام ، وعبادة الله ، ونصرة دينه ، والمحافظة على المجتمع المسلم سليما لا تعبث به الأهواء ليعيش مقتنعا اقتناعا ذاتيا بذلك .

2 — لم تظهر تلك الطموحات دفعة واحدة ، وانما سبقتها محاولات تنظيم حلقات التعليم التي تعني التقاء الطلاب مع مشايخهم في شكل دائرى بعيدين عن الأنظار والرقباء مثل ماكان عليه أئمة المذهب الاباضي في أول عهودهم أمام بطش الحجاج بالبصرة، وخاصة في عهد الامام أبي عبيدة .

3 — تطور مفهوم الحلقة وتلقي العلم اثر اخفاق الثورات وانتفاضات شيوخ الاباضية بعد أن دالت الدولة الرستمية (296هـ/ 908م) فتجلى ذلك في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفراني النكارى على الفاطميين انتهت بفشله بعد أن أوشك على الانتصار فقتله الفاطميون شر قتلة سنة (336هـ/ 947م) ، وفشلت كذلك انتفاضة أبي خزر يغلى بن زلتاف الوسياني ضد المعز الفاطمي لما قتل الشيخ أبا القاسم يزيد بن مخلد رفيق أبي خزر "عندما توجس منه القيام بثورة عليه ، ولكن انتفاضة أبي خزر ، أو ثورة باغاى 23 شوال (358هـ/ 990—991م) على المعز أخفقت فحمل هذا الأخير أبا خزر الى مصر لتخوفه منه ، وقرر أبو نوح سعيد بن زنغيل زميل أبي القاسم يزيد بن مخلد بعد أن احتال على المعز بهروبه الى وارجلان ليؤسس فيها الحلقة ، فدرس العلوم على غرار أبي القاسم ، وقد تأثرا معا بشيخهما أبي الربيع سليمان بن زرقون، وسحنون بن أبي أيوب امتازت* بالسرية في التدريس والارتكاز على تعليم القرآن وعلوم اللغة العربية ، وأصول الدين والفقه والسيرة النبوية، وأصول المذهب الاباضي وتاريخه ، وتاريخ أئمته وأخبار أهل الدعوة .

4— أدخل أبو نوح تعديلات على حلقة أبي القاسم فازدادت الحلقة تطورا في عهد أبي مسور وابنه أبي زكريا فصيل وقد تخرج فتى أحيا به الله العلم والدين بعد جهود شيوخه وهو أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي الذى حقق تفرسات شيوخه، وتفاؤلهم فيه بتفانيه في كسب العلم والارتحال إليه فصقلته الأسفار والتنقلات فبلغ مرحلة الاجتهاد، وشأوا في الكياسة وتفهم الأمور، ودماثة في الأخلاق ، والتضحية، فكثرت في شأنه الأوصاف ، وامتاز بالصبر والعفة والتفاني في سبيل الدعوة، وكل ما يؤهله للأمامة في مستوى شروطها ، فقد تأثر بشيوخه ، وما تعرضوا له من أذى وخاصة أبا نوح سعيد بن زنغيل " وأبا زكريا فصيل، فبعد الحاح الأخير على أبي عبد الله بواسطة نخبة انتقاها ، فوجهها اليه ليقعد للحلقة ، التقت به بعد أن أضناها البحث عنه ،

فلم يقبل طلبها الا بعد الالحاح الشديد، ثم تردد وتريث، فطلب مهلة اختلى فيها مع نفسه أربعة أشهر، قنن أثناءها نظام الحلقة، ووضع أسسها، بعد ذلك فضل نشرها، فأعد العدة والاحتياطات التامة لها، فأسسها في غار بضواحي "تقورت" حاليا، وفضل الغيران لعمله لئلا يقضي خصومه عليه في المهد، وقد أدرك ما للغار من أهمية وذكرى، وتوحيه في التاريخ الاسلامي منذ عهد نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد (ص) الذى كان يتعبد في غار حراء، بعيدا عن الأنظار، فنزل عليه الوحي، فشاع منه نور الاسلام في العالم، ومن غار "ثور" استطاع أن يصل المدينة ليقيم الدولة الاسلامية . وكأن أبا عبد الله قد اختار العمل في الغيران اقتداء بنشاط الامام أبي عبيدة في سراديب البصرة، فتخرجت منه نخبة من حملة العلم أعدها لاقامة امامة الظهور، فكان غار "تنيسلي" بجنوب شرق "تقورت" من نصيب أبي عبد الله ليؤسس نظام العزابة الذى أحكم قواعده على أساس الدين الاسلامي، وقواعد تشريعه، فضبط قوانينها التي عرفت تاريخيا لدى الاباضية بـ"السير" وهي من مستلزمات الحلقة والتنظيمات الخاصة بها .

5 — قام نظام العزابة على أساس العزوب عن الدنيا وعن زهراتها، والانقطاع للعمل الأخروى على أساس طاعة الله، وتجنب حب الدنيا، والتفرغ لنصرة الدين، وليس معناه الرهبنة والتبتل، وانما لا يجعل العزابي غايته هي الحياة الدنيا، والانشغال بها لأنها تصرفه عن خالقه، أصبح معنى العزابة أوسع دائرة من سير الحلقة لأنه كما يشرف من أول أمره على سير الحلقة، يشرف كذلك على تسيير شؤون المجتمع وفق ما يأمر به الدين الاسلامي الحنيف، فأصبح في اصطلاح عصرنا يراد به الجانب الادارى .

6 — قد طور أبو عبد الله الحلقة فوضع لها برنامجا توقيتيا، طبقه عمليا، راعى فيه امكانيات الطلاب واعمارهم

7 — لم يستقر أبو عبد الله في مكان واحد، وانما صمم على تعميم نظامه، فانتقل الى أماكن الاباضية المختلفة وركزه فيها، وخاصة في منطقة درجين، ومناطق ريغ، ووارجلان، وسدراته، وبادية بني مصعب، ولا سيما بعد مؤتمر "وادى ريغ" 420هـ حيث استقر الرأى على الاهتمام بها لأهميتها، فتولى أبو عبد الله بنفسه تركيز نظام الحلقة بها لاكمال جهوده في اقناع واصليتها بالمذهب الاباضي فاعتنقه بعض علمائهم فساهموا بدورهم في تثبيت حلقة نظام العزابة كالشيخ ابراهيم بن مناد المزاتي والشيخ عبد الرحمن الكرثي .

8 — أما عن نظام العزابة في مناطق الاباضية الأخرى غير المغرب الاسلامي كزنجبار فلا نملك شيئا عن وضعهم ولعل مزيدا من البحث والدراسات الميدانية في عين المكان تكشف عن أشياء كثيرة، وهو أمر يلح على الباحثين لكشف معلومات عن جنوب شرق افريقيا النائي عنا .

أما عمان فلم يؤسس فيها نظام العزابة كما في المغرب الاسلامي نظرا لوضعيته الخاصة لأنه عاش امامة الظهور، ولكنه مر على فترات حكم بعض الجبابرة، فأثرت في أوضاعه فصححت في مناسبات، وظهر فيه علماء فطاحل، وأئمة مجتهدون، اجتهدوا في اقامة العدل، فكان أهم جهاز — حسب ما يبدو — لم يتأثر بالأحداث هو جهاز القضاء الذى ما زال قائما على القرآن والسنة والفقه الاباضي، ولتقويته وتطويره طالبت عمان من الجزائر حاليا أن تتعاون معها في هذا الميدان بارسال اباضيين جزائريين لهذا الغرض .

أدخل الشيخ أبو عمار عبد الكافي تعديلات على نظام أبي عبد الله حسب التطورات التي

عاشها في زمانه دون المساكنة به ، فقدم له توضيحات يبدو أن جانب الزهد بارز فيه .

9 — يبدو أن ما يشاع عن انشاء أبي عبد الله لنظام العزابة في ميزاب سنة 402هـ غير صحيح لأن أول نشأته له تمت في سنة 409هـ بغار "تينيسلي" أما انعقاد مؤتمر "وادى ريغ" فقد تم في سنة 420 هـ حسب ما رواه أبو اليقظان ابراهيم، ومتياز ابراهيم في ملخصهما ويرى دبوز أن المؤتمر انعقد في "سدراته" ولكن دون أن يورد سندهما ، وبالتالي يصبح تحديد سنة409هـ لمؤتمر "وادى ريغ" أنها مضبوطة تحتاج الى تدعيمها بالأسانيد الموثوقة ، ومهما يكن فان ظروف الاباضية وما هم عليه قد دعا الى عقد مثل ذلك المؤتمر لوضع حل للمشاكل الاقتصادية التي حلت بهم ، والأوضاع الاجتماعية التي تدعو الى البحث عن بيئة ملائمة فوجدوها بين أظهر اخوانهم ببادية "بني مصعب" بعد البحث والمعاناة ، والصبر على المكاره ، وقد قرر المؤتمر دراسة المنطقة لعلها تصلح لتنقل الاباضية اليها، ويمكن على ضوء ذلك ، الجزم ببداية اتصال أبي أبي عبد الله "ببني مصعب" كان قبل سنة 420هـ ، ويمكن أنه قد بدأ يكون نواة نظامه بها منذ وقتئذ ، ومهما يكن لا يمكن التصديق بانشاء أبي عبد الله لنظامه بوادى "ميزاب" سنة 402هـ لأنه كان في التنقل لغرف العلم حتى تاريخ 409هـ لما قرر تأسيس الحلقة .

10 — ان أهم ما يلفت النظر هي تلك الشروط الموضوعية لنظام حلقة أبي عبد لله بحيث يلزم الآداب والأخلاق لكل الطلبة، ويعتبرها أساسية للتحصيل فركز على تنشئتهم بمقتضاها وتعويدهم عليها منذ النشأة الأولى مما يكون به قد سبق عصره في اعطاء الأهمية البالغة لأسس الدور الثاني من المرحلة الأولى للطفل ، والسير به بما يتماشى مع اعداده في المرحلة الثانية منها وتدرج بذلك الى مستوى الكبار. يعد اعدادهم في طي مستوى أصحاب اللويحات ، فجعل شروط الترقية هي حفظ القرآن واستظهاره كي يتأهل الطالب الى مرحلة عالية أساسها تفهم — كتاب الله والعمل به .

11 — امتاز نظام العزابة بنوعية التشكيلة الخاصة بتركيبها الهيكلي الذى وضعه مؤسسه راعى فيه توزيع المهام والأعمال بدقة وتكامل وانسجام .

وانتخب من بين الأعضاء حسب المسؤوليات والشروط مجلسا استشاريا خاصا لشيخ الحلقة ، وهم جميعا بمثابة هيئة ادارية مسؤولة ولكن القرار النهائي راجع الى الشيخ الذى اشترط فيه أبو عبد الله شروطا مثالية، وكلفه بمهمات لا يستطيع أن يقوم بها الا من كان مؤهلا لها .

12 — وظائف العزابة دينية، واقتصادية، واجتماعية حسب توزيع المهام ، ولذلك أشرفوا مباشرة على هذه الميادين فسعوا الى التكافل الاجتماعي ، وبتكاملها تتكامل الوحدة الاجتماعية لأن الامور تسند الى أهلها، فكان ذلك التنظيم من أسباب نجاح العزابة.

13 — يلاحظ أن كل تنظيمات العزابة متماشية مع احترام أوقات العبادة، وخاصة الصلوات فلا يكاد ينتهي الآذان حتى يكون كل واحد في مكانه من الصف سواء من العزابة أو التلاميذ أو العوام ، وكذا تخصص دروس الوعظ والارشاد أو دروس التعليم بدقة مع صلوات الجماعة كي يحضره كل الطلاب والفقهاء ، حتى يعودوا تلاميذهم المحافظة على المكتوبات، واحترامها ، ولا شك أن هذا التنظيم يترك أثرا فعالا في نفسية أصحاب اللويحات أى التلاميذ الصغار الذين هم دون سن البلوغ فينشأون على حب العبادة ، وآدائها في أوقاتها ، وتقدير قيمتها عندما يشاهدون مواظبة معلميهم على الصلوات .

14 — يلاحظ اهتمام العزابة بالمرأة فلم يهملوها ، فاعتبر أبو عبد الله والعزابة أن للمرأة دورا حيويا وحساسا في الأسرة والمجتمع، تسعد بها أو يشقى بها ، فانتهجوا التعاليم الشرعية في صيانتها واحترامها ، واتخذوا كل الاحتياطات من أن ينالها سوء أو تخدش كرامتها ، فأنشأوا لها جهازا من النساء الصالحات يتولى شؤون المجتمع النسوى وتجهيز النساء والصبيان عند الموت ولذلك سموا هذه الهيئة باسم "الغاسلات" .

— يلاحظ انتظام وظائف العزابة ومهامهم لرفع الكلفة عن المسلمين الباقين فنظموا الاذان، والجماعة والتعليم ، والتوجيه والارشاد ، وصيانة الأوقاف ، ورعايتها .

— فوضعوا قوانين تراعى الآداب والأخلاق العامة .

— اهتم أبو عبد الله بالوضع العشائرى المتوارث فوجهه بتنظيماته الدقيقة الى ما فيه التعاون والتكافل والمصلحة العامة ، وجعله مرتبطا أشد الارتباط بنظام العزابة ، وركز عمله على قاعدة آداء حقوق القرابة كما نص عليه الشرع الاسلامي ، وبالتالي أدى خدمات جلى في الميدان الاجتماعي والاقتصادى فراعى حقوق القصر، والعجزة والأرامل والايتام والضعفاء والوقوف بعزم بجانب العزابة فتناسق جهود الطرفين فيما فيه المصلحة العامة، وتداول قضايا المجتمع، وذلك بجهاز هو مجلس العوام الذى يمثل كل نواب العشائر، وينتخب رئيسا مسؤولا عنه، ويرتبط هذا المجلس أشد الارتباط بهيئة العزابة ، فيتداولان معا القضايا العامة التي تهم المجتمع أما مهام القضاء ، والتشريع والأحكام فمن اختصاص العزابة، وللعزابة نفوذ أعلى على مجلس العوام، والأمناء الذين يتم تعيينهم من الطرفين، وأحيانا يكون على رأسهم أحد العزابة، فقد أدى هؤلاء الأمناء وهم بمثابة الخبراء خدمات جلى في المراقبة والتفقد وحل كثير من المشاكل في عين المكان حسب القوانين والأعراف فكان المحافظة عليها محافظة على سلامة المجتمع من النزاعات والخصومات، وأولوا اهتماما كبيرا للمحافظة على قوانين استغلال المياه ، والغدير ، والسواقي ، والسدود ، ومراقبة قواعد العمران.

— يشكل الأمن العام ومحاربة الآفات قضية أساسية في الحياة فقد تولاها ، قسم "امصوردان" التابعين لهيئة المحاضر، بوضعية خاصة وهم تحت نظر العزابة ولهم أعراف خاصة، كما كان لدور "المكارية" مهمة الدفاع عن المدينة، وهو جهاز مستقل لكن اذا تعدى اختصاصاته ، فان العزابة له بالمرصاد في وضع حد لتصرفاتهم للمحافظة على الأخلاق العامة وسلامة المجتمع .

— اهتم العزابة بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمارسوهما قدر الجهد ويعتبر هذا تطويرا لنظام الحسبة في الاسلام وعلى أساسه قام نظام العزابة وبجانب ذلك مارسوا الولاية والبراءة على أساس أنها أصل من أصول عقيدة المسلم وأساس تجديد علاقاته مع خالقه، ونوع عشرته ومعاملته مع الناس جميعا فركزوا على ولاية الأشخاص وبراءة الأشخاص مستندين في ذلك الى نصوص شرعية وأدلة قوية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس المعبر عنه بالرأى لدى بعض علمائهم فبرهن تطبيق الولاية الشخصية والبراءة الشخصية تاريخيا على مدى نجاعتهما وفوائدهما فلم يسلم منهما أى انسان جليل أو حقير .

ــ ظهرت أسماء لعلماء ومشايخ لامعين وضعوا في البراءة والخطة كابن خلفون الذى اشتهر بتحرره في فتاواه، فأذعنوا للقرار الجماعي وأعلنوا توبتهم ، ومنهم من وضع خطأ في الخطة أو البراءة فلا يلبث الا أن يتوب ثم يدافع عن صواب رأيه ، وفرق العزابة بين المخالفة الشرعية والمخالفة للعرف أو لقوانين اجتماعية فاستلزم ذلك عدم المساواة بينهما في كيفية التوبة والعفو عنها ،ثبت تاريخيا أن تطبيق العزابة للولاية الشخصية والبراءة الشخصية آثارا مهمة في السلوك الخاص والعام وسلامة المجتمع فحققت انتظام أمر الاباضية، ونشر الفضائل واجتناب الرذائل، ومحاربة الآفات الاجتماعية، فويل لمن نبذه المجتمع، وفقد فيه ثقته فانه لا يلبث أن يرجع الى الحق ويتوب توبة نصوحا ليكسب ثقة الناس من جديد لأن من تاب من ذنبه كمن لا ذنب له .

ــ ان سر بقاء نظام العزابة واستمراره الى اليوم يرجع الى عوامل كثيرة أهمها :

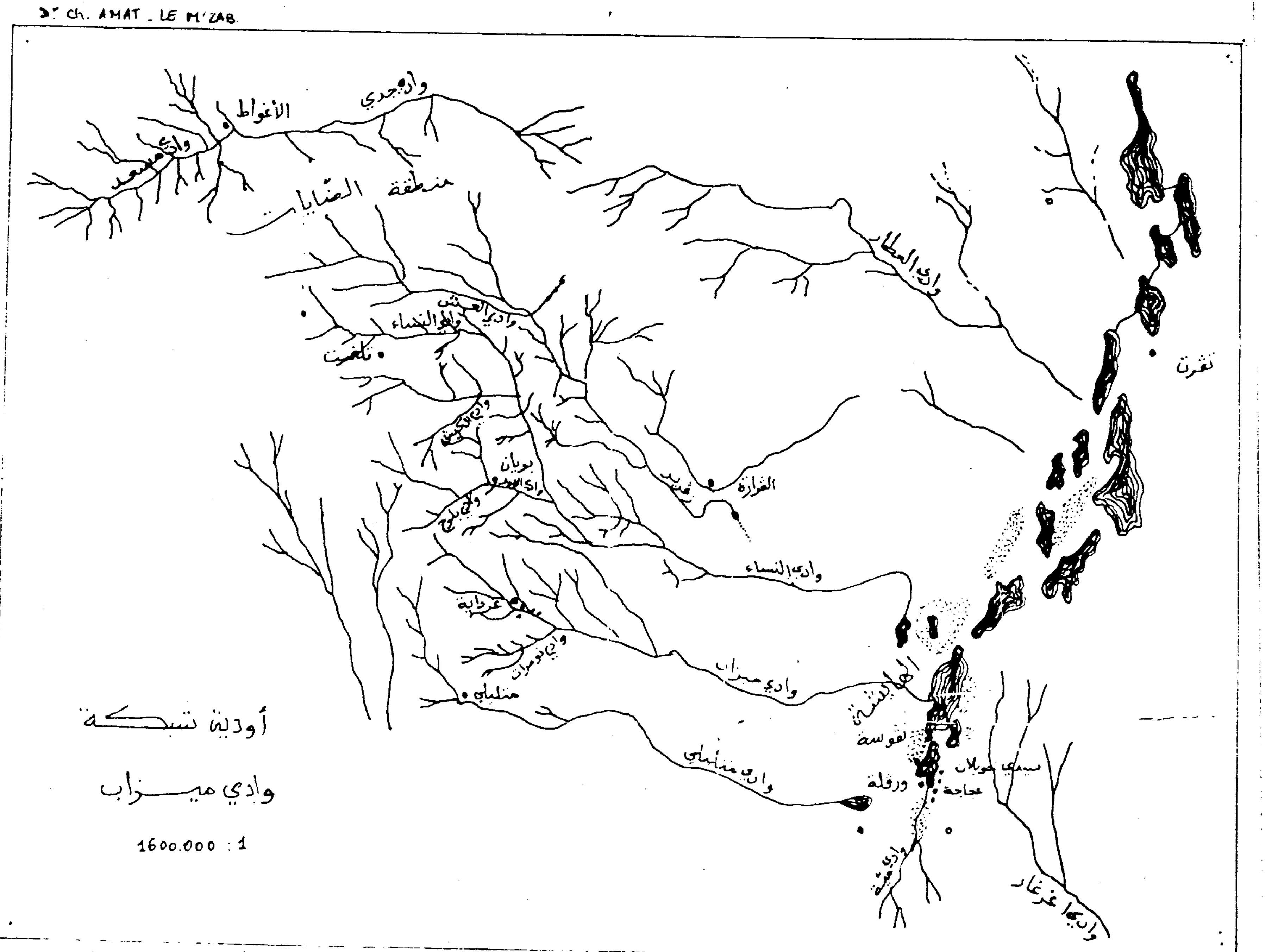
1 ــ العمل بدون مقابل مادى الا رضا الله تعالى .

2 ــ تعيين العضو الجديد من طرف الهيئة نفسها اذا توفرت فيه المقاييس .

3 ــ القيام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

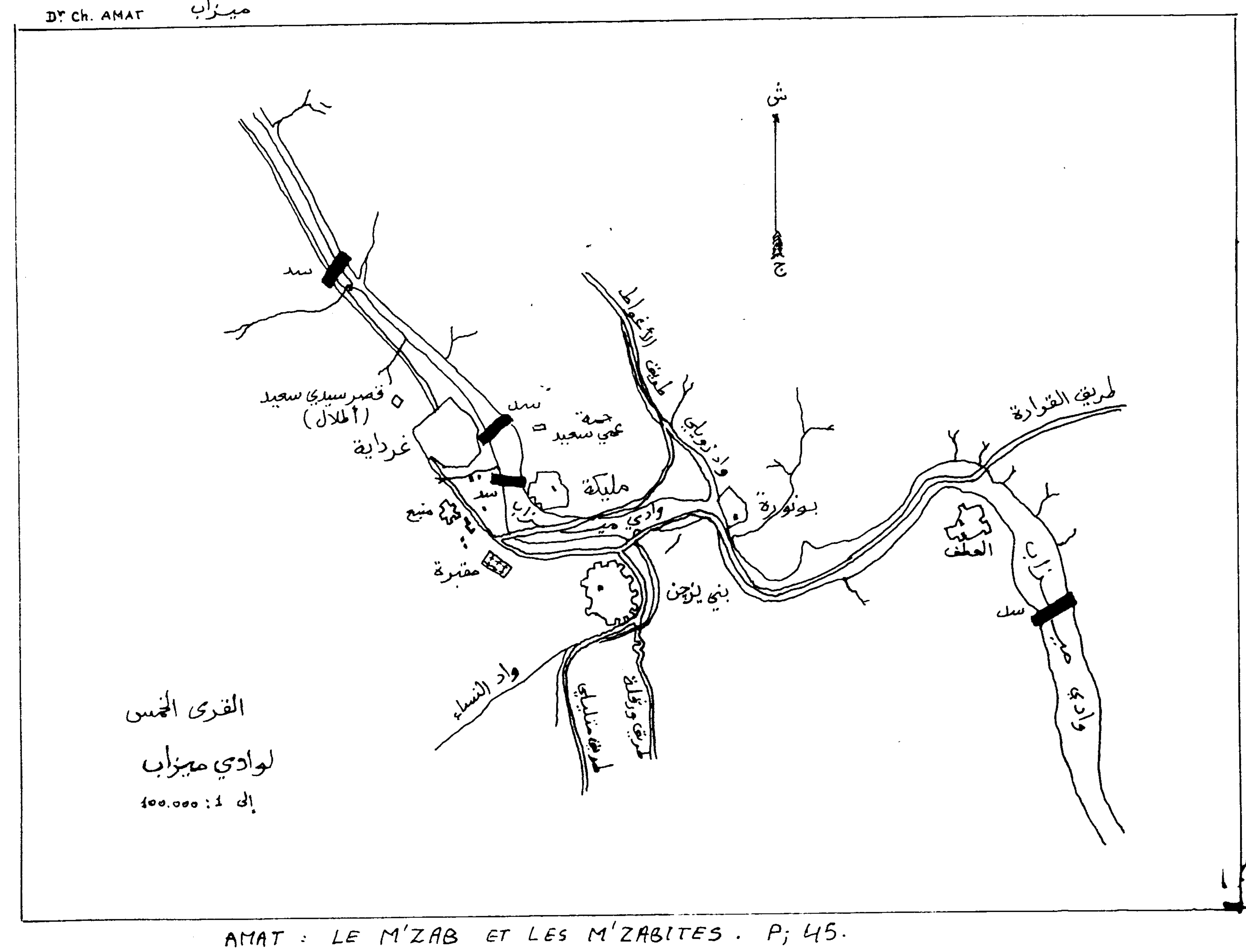
4 ــ تطبيق حكم البراءة .

ملحق رقم (1 و 2)



AMAT : Le M'ZAB et Les M'ZABITES , P;53

تابع ملحق رقم "1-2"



ملحـــق رقـــم (3)

مواطـــن الاباضية بالجـــزائر في العهد الرستمي

1 – وادى ســــوف

2 – وادى ريــــغ

3 – وادى ميــزاب اوجبال بني مصعب

4 – بـــاغـاى

5 – جـبل اوراس

6 – الـــزاب

7 – وارجـــلان

8 – تاجـــريــت *

9 – آجلـــو **

10 – الـرمـــال

11 – متليـــلي

12 – الاغـــواط

13 – المنيعـــة

---

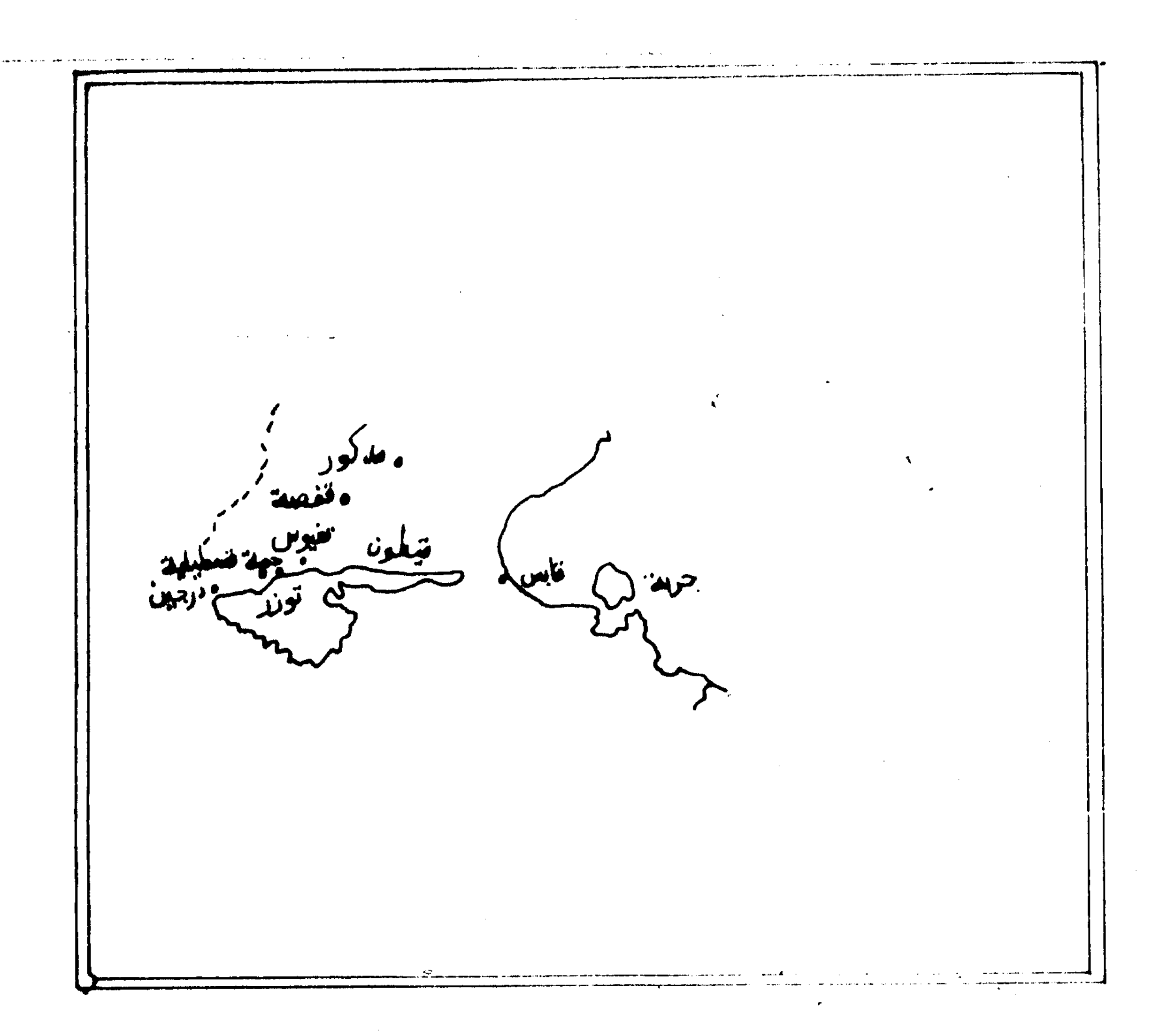
* " تاجـريت " ربما تجديت ، وهي بلدة قبالة "وادى ريغ". انظـر الباروني : سلم العامة . . ص24
وهي " توقورت " حاليـا .

** " آجلــو " بليدة اعمــر .

ملحق (4)

افريقة التونسية (الجنوب)

من الفتح العربي الى القرن الخامس الهجرى



أنظر: باجية صالح: الإباضية ... ص 192

ملحق رقم (5)

القانون الأساسي لحلقة العزابة

المقدمة

منذ القرن الخامس الهجري عمل الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر مؤسس سير حلقة العزابة على أن توجد في كل مدينة هيئة تشرف على نظام وحراسة المدينة، وتوجيه الرأي العام، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاشراف على سير الثقافة، وتطبيق معالم الدين الاسلامي في المجتمع، فأنشئت هيئة دينية تسمى بهيئة العزابة تحت رئاسة شيخ. فوضع الشيخ ابو عبد الله محمد بن أبي بكر وتلاميذه أنظمة تلزم الحلقة بالسير في نهجها وهي المسماة بسير الحلقة. ويمكن اعتبار هذه السير هي القانون الأساسي بلغة العصر، ويمكن اجماله في الآتي :

الفصل الاول : تتألف هيئة العزابة من اثني عشر عضوا وشيخ يترأسهم، ولكل مهمة يؤديها داخل الحلقة، وان اقتضت الضرورة زيادة عدد الاعضاء روعيت في ذلك المصلحة العامة.

الفصل الثاني : هدف هذه المنظمة هو أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعلان ببراءة من أخل بواجب أو ارتكب منكرا، والسهر على تنشيط الثقافة الدينية، وتطبيق معالم الدين الاسلامي في المجتمع، والتفاني في خدمة الأمة : كالقيام بوظائف المسجد والتعليم والسهر على توفير الأمن بالمدينة، ويخول لها ان تتخذ الوسائل الضرورية لذلك في حدود امكانياتها وصلاحياتها، ومن شأن هذه المنظمة الاشراف على المجازر، وعلى أن تكون المعاملات في الاسواق تبعا لمتطلبات فقه المعاملات.

الفصل الثالث: تتوزع الوظائف داخل الحلقة كما يلي : امام ومؤذن للصلاة وثلاثة يشرفون على التعليم الديني المعاصر، ووكيل عن ممتلكات المسجد ونائبه، والخمسة الباقون يتولون تجهيز الموتى، وجميع العزابة يعتبرون تلاميذ لشيخ الحلقة.

الفصل الرابع: يشترط في كل العزابة والشيخ التقوى والصلاح وحفظ القرآن، واعطاء المثال اللائق في السلوك والآداب والنوافل، والابتعاد عن الموبقات وما شاكلها وعن كل ما يمكن أن يدنس شرفهم كما يجب عليهم تجنب المشاركة في الفتنة والفوضى، وان اتهم أي عضو بمخالفة ما ذكر أو بعضه فانه يعزل ان أصر بعد الانذار.

الفصل الخامس: يجب أن يكون الشيخ حاذقا عادلا متضلعا في العلوم الدينيـــة ويتعهد بالتدريس وترجع اليه الفتوى في المدينه ، واليه الكلمة النهائيـــة في جميع القضايا التي تهم الحلقـه .

أما الامام فيختار كما يلي :

يجتمع الشيخ بالاربعة القدامى من العزابة لتقديم من هو أفضل في العلم والسلوك والورع للامامة .

أما المؤذن فيجب أن يكون عارفا بأوقات الصلاة مواظبا عليها في أوقاتها ويقدم كذلك من طرف الشيخ والاربعة القدامى في الحلقة .

أما الوكيل عن ممتلكات المسجد فعليه الحرص على أموال المسجد وصرفهـا في وظائفها وله نائب يخلفه ويعينه ويراقبه في اعماله .

الفصل السادس: تعطى الاولوية داخل الحلقة في التسيير والاعتبار لذوي الأسبقية على الترتيب، وللأربعة القدامى في الحلقة مع الشيخ العمدة في القضايا التي تهم الحلقة ويرجع اليهم اختيار عضو جديد أو عزل أحد من العزابة ان ظهر فيه ما يبرر ذلك .

الفصل السابع: يجب على كل عضو أن يتفانى في خدمة الأمة والوطن وان لا يصرف أغلب أوقاته في أغراضه الشخصيه وأن يكون مواظبا على عمارة المسجد ، وراغبا في التعلم ، كما يجب عليه حضور الجلسات، وان تغيب عن ثلاث جلسات متواليـه بدون عذر مقبول. يعتبر مفصولا عن الحلقـــة كما يعتبر كذلك معزولا من سافر بدون اذن .

الفصل الثامن: يعتبر المسجد الرئيسي بالمدينة مركزا للحلقة ، وفيـه تعقد اجتماعاتهـا .

الفصل التاسع: ان حدث (لا قدر الله) خلاف جزئي داخل الحلقة بحيث يتعذر على أعضائها القيام بوظائفهم مجتمعين يخول للشيخ أو رئيس الحلقة أو وكيل المسجد على اختلاف ما يجري به العمل في المساجد أن يستدعي من يراه صالحا من شيوخ أو أعضاء الحلقة من المدن الأخرى لتسويـة الخلاف وايجاد الحلول المناسبة لها .

الفصل العاشر: يشرف الوكيل على تنظيم موارد المسجد وصرفها فيما يعود بالنفع له .

تتكون أموال المسجد من تبرعات المحسنين والوصايا والهبات والأوقاف العقارية والمنقولية، وتصرف هذه الاموال فيما يؤول بالنفع مثل تجهيز المسجد أو اصلاحه أو توسيعه أو توسيع المدارس القرآنية التابعة له أو زيادة مسجد متى اقتضت الظروف ذلك ، ويصرف قسم من أوقاف المسجد على شكل صدقات داخل المسجد في كامل السنة أو خارجه في المواسم المعينة لذلك، ويراعى في ذلك نية المحبسين، وللأربعة القدامى في الحلقة محاسبة الوكيل .

الفصل الحادي عشر: تنعقد الجلسات الاسبوعية العادية للحلقة في المسجد، وقد تنعقد جلسات استثنائية ان دعت الحاجة الى ذلك وباقتراح من المسئول حسب ما يجري به العمل في كل مسجد .

الفصل الثاني عشر: جميع اعضاء الحلقة والشيخ يعملون تطوعا لوجه الله تعالى فلا يتقاضون أية أجره. انتهى .

ملاحظة :

جدد الاتفاق بين جميع أعضاء حلقة العزابة والشيخ بمدينة غرداية يوم 3 ذي القعدة عام 1381 الموافق يوم 8 افريل سنة 1962 على احترام السير الجاري بها العمل منذ القديم وسجل هذا الاتفاق في محكمة غرداية يوم 13 أفريل سنة 1962م تحت رقم = 67/261 انتهى .

ملحق رقم (6)

دعاء بعد دعاء صلاة الصبح

وهو المعتبر عندنا السلام .

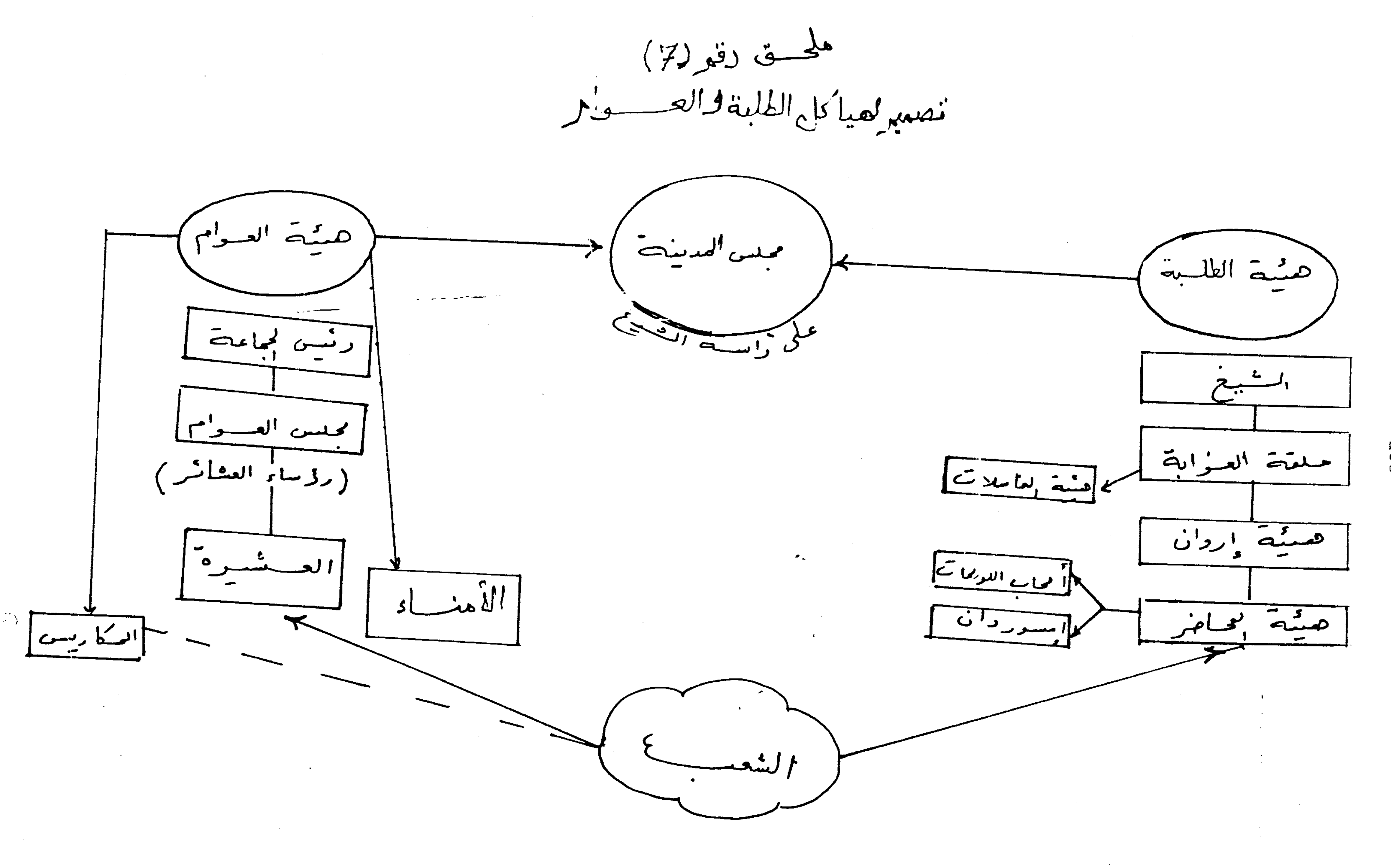
سلام على ملائكة الله وعلى أنبيائه وعلى رسله وعلى أوليائه وعلينا معهم السلام أجمعين ، السلام على الملائكة الكرام الحافظين البررة الكاتبين الذين يكتبون أعمالنا ويحصون آجالنا ، استفتحنا بذكر الله وآياته وهو خير الفاتحين ، اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك وما جاء به حق من عندك . (تكرر : اللهم اني أصبحت ... الى : حق من عندك بذلك أربع مرات) .

رب ارحمني بترك المعاصي كلها وارحمني ما أبقيتني ، ارحمني اذا توفيتني وارحمني بترك ما لا يعنيني وارزق قلبي حفظ كتابك كما علمتني واجعلني أتلوه على النحو الذي ترضيه ويرضيك عني ، نور به بصري واشرح به صدري واطلق به لساني واستعمل به بدني ، فانه لا حول ولا قوة الا بالله يا أرحم الراحمين ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ، أصبحت لا أملك ما أرجو ولا أدفع ما أخشى الا بك ، أصبح الأمر بيدك ، أصبحت مرتهنا بكسبي فلا فقير أفقر مني ، لا حول عن معاصي الله الا بعصمة من الله ، ولا قوة على طاعة الله الا بعون من الله ، أصبحنا بالله وبالله أمسينا وبالله نحيى ونموت ، والى الله النشور . اللهم اجعلنا من أفضل عبادك نصيبا في كل خير تقسمه من نور تهدي به ورزق تبسطه ودفع بلاء تدفعه وضر تصرفه ، اللهم انشر علينا رحمتك وأنزل علينا بركاتك وأتم علينا نعمتك وألبسنا عافيتك وأعذنا من النار ومن الشيطان الرجيم انك أنت السميع العليم ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، واهدنا الى الحق والى الطريق المستقيم ، ونجنا من النار ومن عذاب الجحيم وأدخلنا برحمتك جنة النعيم يا أرحم الراحمين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم ملك يوم الدين ... (الخ السورة) ، والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم . آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا .الخ...

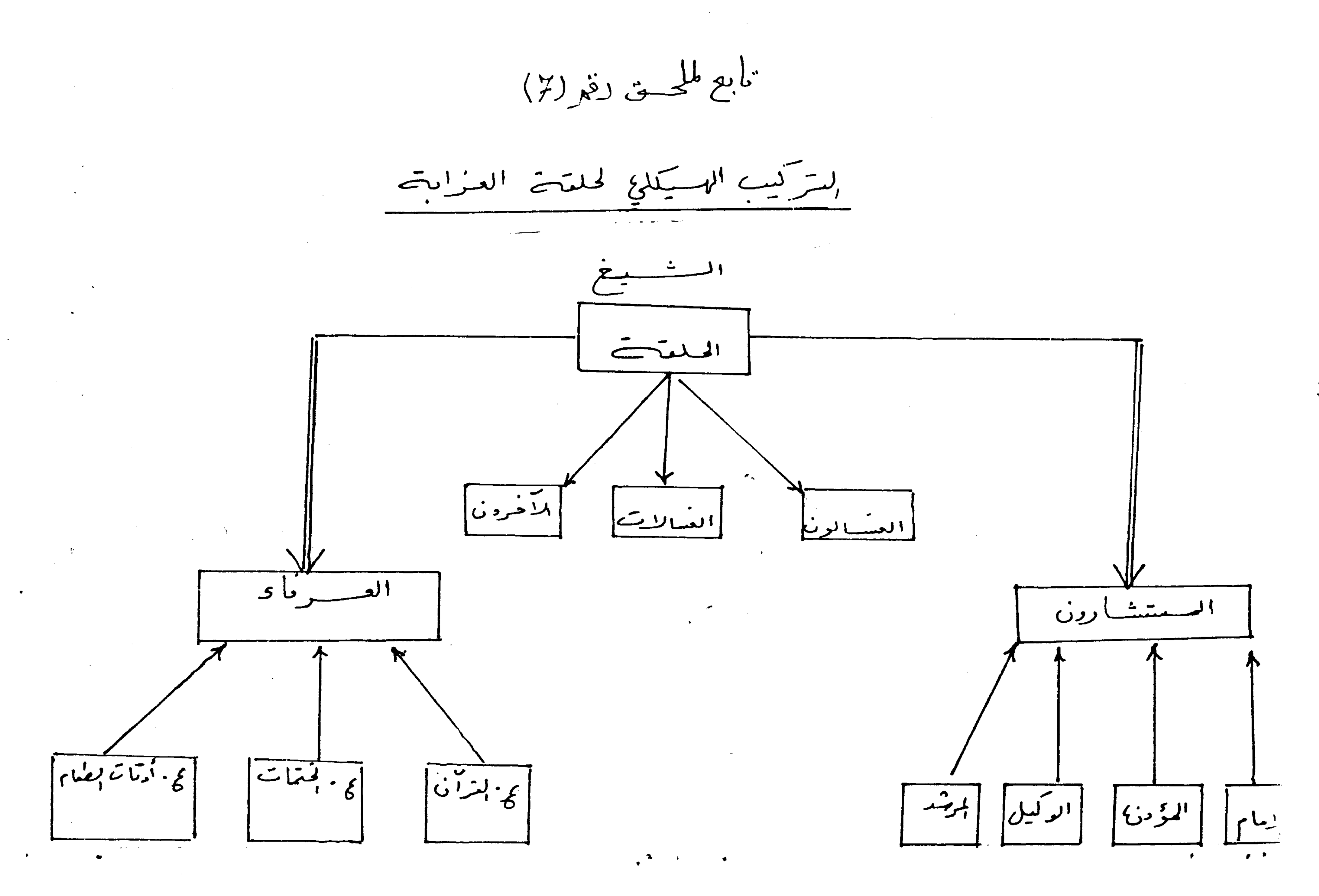
ملحق رقم (7)

تصميم لهياكل الطلبة والعوام



تابع لملحق رقم (٧)

التركيب الهيكلي لحلقة العزابة



وثيقة رقم (8)

الحمد لله وحده في شهر شوال عام 1052 اجتماع خمسة قصور في روضة أبي مهدي عيسى بن اسماعيل ، اتفقوا في اثنائها أن من يحمل الحديد ، فغرامته عقوبة ، خمسة وعشرين اريال ، والذي ضرب به ، خمسين اريال ، والنفيان ، والحامية غرامتها خمسة وعشرين اريال ، والذي عاقبته الجماعة على غرامة ، وتاف عليه احدا او شاء يغرم خمسة اريال ، والامامة والحرفة ، وهو ان يجعل له امامه من يقطع الطريق عليه ، أو يتسبب له بضرر ، فغرامة المرسل خمسة وعشرين اريال ، وللعارض بالعاراي ، بالسبب لاحد ، خمسة اريال ، ذكرا كان أو انثى ، وكذلك الطاعن في الدين ، أي سب الدين أو سرقه ، فغرامته خمسين اريال ، والنفيان ، وذلك سواء في القصر ، أو في الغابة فسواء . ومنال بزيادة الماء في الغابة ، اي ماء السيل لغابته أو لساقيته زيادة عن القيام الموجب له ، فغرامته خمسة وعشرين اريال ، والنفيان ، ومن غضب من بني عمه ، وصار يسوس بين العشاير ، فغرامته خمسة وعشرين اريال ، والنفيان ، ومن تاف عليه ، مثل ذلك . ومن تسبب للبلد بجلب غرامة من الأمناء ، يخرج من رأسه وحده ، لا غيره وأما أولاد مطهر فهم عشيرة لأنفسهم من اوى احدهم من جملة العشائر ، فلا يلوم إلا نفسه ، وحضر فيما ذكر من أهل مليكة ، عيسى بن ابراهيم ، باحمد بن بابه ، يحي بن زوزو ، بعامر بن عيسى ، اسماعيل بن عيسى ، الحاج سليمان ، باحمد بن الحاج ، موسى بن حمو ، بحمو بن باحمد ، حم بن كاسي ، ابراهيم بن عيسى ، موسى بن باحمد ، ووقع ذلك [2]

1 - 23 (صص ، 194 - 195) لوحة 10

2 - 24 Clichés Giacobetti - Milliot

n° 22-23-24 (VIII)

بخط بابه بن ابي القاسم ، ونقله من خطه الحاج احمد بن بابة بن حي بن الحاج بن يحي بن نادي بن أيوب بن حم بن الحاج انتهى

انتهى [3]

3 - 25.

تابــع للــوثيقــــة رقـــم (8)

أ ـ الصحيح : اجتمعت

ب ـ " : ريالا

ج ـ " : فخمسون

د ـ " : والنفي

هـ ـ " : وعشرون

و ـ " : وغـرامة

ز ـ " : نــاف

ن ـ " : أحد أو أوشاه

ح ـ " : وأوشاه

ط ـ

ى ـ

1 ـ ربما يقصد بها، الحمية : أى يتعصب مع المغرم ، ويرادفه معنى " ناف عليــــه "

2 ـ شرحت بما تلاها بعد . . .

3 ـ القرية أى غير البستان أو البساتين ألف الناس السكنى في القرية شتاء فمعظم الذين يملكون البساتين ينتقلون اليها في فصل الصيف .

من يرتكب المخالفة في القصر أو البستان يجرى عليه الحكم اذ لا فرق بين كونه في الوسط الاجتماعي أو بعيدا عنه .

4 ـ ربما يتناسب اضافة (يقم) مكان الكلمة الساقطة حتى يستقيم المعنى ، ان الشخص الذى يتخذ كل وسيلة ليأخذ الماء أزيد في جدوله على المقياس الموضوع له يكون متعديا على الحق العام فتفرض عليه عقوبة كما هو منصوص عليه ، ويلحق به من يتحمس معه أو يكون بجانبه في هذا الباطل فيناله نفس العقاب .

5 ـ يبدو أن كاتب الاتفاقية من أهل قرية "مليكة" لأنه ذكر من حضر منها فقط ولأن المجلس لا يختص بهم وحدهم وانما يحضره جميـــع القصور كما ورد في بداية نص الاتفاقية .

وثيقة رقم (9)

الاتفاق على إماتة أرض بيضاء

الحمد لله وحده. ليعلم من يقف بان اهل تجنينت اجتمعوا في المسجد تحت الصمعة واتفقوا على اماتة ارض بيضاء في لينمز وذلك من حائط قناة السيل غابة كل بن يحي الى الجبل المتعرض الى الواد الكائن فوق نخلة الواد قبلة الواد وشرقه لا يذكرا احد ولا يقدر على احيائها ما دامت الدنيا حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وما ذلك الا لاماتة البلاء والفتن والمشاجرة والمنازعة لمصالح العباد ودفع الحاج يحي بن كلي واخوه عيسى للجماعة من تلقاء انفسهم ثلاثين ريالة لاجل ذلك وقاموا متفقين راضين بذلك بطيبة الانفس وللذكر من حضر لموضعها من عزابة ذلك الزمان اولهم كاسي بن ابراهيم وداد حمو بن احمان وسليمان بن احمد ويوسف بن الحاج سعيد وبهون بن علي والحاج احمد بن موسى وموسى بن يوسف وعلي بن حمو بن علي وعلي بن حمو بن الحاج احمد وباله بن سليمان وحمو بن كاسي ومن العوام الحاضرين لموضعها سليمان بن حمو واسماعيل بن الناصر وكاسي بن حمو بن علي وحمو بن باله واحمد بن ابراهيم وعلي بن راني وصالح بن داد حني وابراهيم بن الحاج يحي وكاسي بن باحنه وغيرهم والكاتب داود ابن يوسف وتاريخ اماتتها اواخر شهر الله ذي القعدة عام 1199 من الهجرة وكفى بالله شهيدا

الوثيقة بمكتبة ابن يوسف سليمان بن الحاج داود في تجنينت «العطف» بولاية غرداية.

تابع للوثيقة رقم (5)

الاتفاق على إماتة أرض بيضاء

1 — أي من يطلع على هذه الوثيقة .

2 — ((تجنينت)) اسم أمازيغي قديم لأقدم قرى وادي ميزاب تسمى الآن ((العطف)) ، تبعد عن غرداية بـ 08 كلم .

3 — إسم لشعبة من شعاب السيل الواقعة في أجنة العطف من جهتها الشمالية الغربية تسقي أجنّة غابات العطف عند حلول الأمطار فتنال قسطها باعتدال بواسطة كواة ذات مقاييس خاصة .

4 — ((كل)) لقب عائلي صار ينطق الآن ((بكلي)) وتوجد بقرية العطف ، وهي عائلة شريفة ، انجبت علماء أكفاء مثل : ((الحاج عمر بن حمو)) و ((الحاج سليمان)) والشيخ ((عبد الرحمن بن عمر)) (معاصر) ، وهم شيوخ العزابة .

5 — الصحيح أعطى .

	في الأصل		الصحيح	
أ —	في الأصل	: الصمعة .	الصحيح	: الصومعة ، أي منارة المسجد ، وهو مكان يسمى ((تامنايت)) يعقد فيه العزابة اجتماعاتهم .
ب —	//	: المتعرض .	//	: المعترض .
جـ —	//	: الواد .	//	: الوادي . وكرر في الأصل ((الواد)) عدة مرّات .
د —	//	: أنفسهم .	//	: أنفسهما .

وثيقة رقم (11)

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

التشاور حول وكيل

أما بعد : | علام[أ] على[ب] عزابة القرارة .

الكاتب :

من (   )[ج] غاردابة[د] ومن شيخ بني يسجن .

نعلمك أن[هـ] في وهران أرضا ومقبرة لبني ميزاب فأراد الحكام أن يجعلوها طرقا وغير ذلك فنحب نوكل وكيلا على ذلك ، اعطوا[و] لنا الادن[ز] ، وبعثوا[ح] واحدا يخم معنا على ما يصلح أو فوضونا[ط] . والسلام من الكاتب عن الدنهم[ي] ، اليوم 8 من ربيع الأول 1298 .

صالح بن كاسي بن عدون الشيخ صالح

أ — في الأصل	: علام .	والصحيح	: ((إعلام)) .
جـ — "	: من ( ) .	"	: غير واضح ولعله : [عزابة] ؟ .
ب — "	: على	"	: ((الى)) .
د — "	: غاردابة .	"	: غرداية مع أن الأصح ((تغردايت)) .
هـ — "	: ان .	"	: تضبط بالهمزة ((أن)) .
و — "	: اعطو .	"	: ((أعطوا)) .
ز — "	: الادن	"	: وبالذال المعجمة ((الإذن)) .
ح — "	: اوبعتو	"	: وبالثاء المثلثة ((أو ابعثوا)) .
ط — "	: اوفوضونا .	"	: ((أو فوضونا)) .
ي — "	: ادنهم .	"	: والذال المعجمة ((إذأنهم)) .

وثيقة رقم (14)

الحمد لله وحده،

تحديد المهر ومقاومة التبذير والإسراف *

"...... ولذلك لا يسوغ لأحد أن يقول من أين لكم النهي عن المباح لأنه ولو فرض أنه مباح لكنه مؤد إلى ما هو حرام من نحو الإسراف وتضييع حقوق الضعفاء المحتاجين ولو حكم المقاصد ولقد وقع النهي والتحجير على مثل ذلك ممن لا يجهل فضلهم من الـ السابقين فإننا وجدنا اتفاقا وقع بين أهل بلد يسمى بحضرة علامة ذلك الوقت الشيخ عبد العزيز على هذا الشأن بخط العلامة الشيخ الحاج يوسف بن حم وحررم بعد البسملة والتصلية: الحمد لله الذي بيده اللطف والتدبير وفي قبضته التيسير والتعسير إلى أن قال فاتفقوا الآن ومعهم شيخنا وقدوتنا عمنا عبد العزيز حفظه الله وأبقى تلك المحرمات على ما هي وكيف هي قبل حسبما سطر في تلك العقود إلى أن قال ومن كسر الحجر في شيء مما حجروه فإن العزابة ينفذون حكمهم السابق في العقود السابقة فإن قال قائل هذه أفعال مباحة كيف يأتي فيها الحكم والطرد والهجران والبراءة أجيب بأن الشيء يكون مباحا وحلالا فمهما ظهر للعلماء فيه ضرر فلهم أن يحجروه على فاعله ويؤدبوا من كسر حجرهم ويكون الشيء مباحا وحلالا فيرجع حراما بإجماعهم على حرمته وظهور ضرره لقوله عليه الصلاة والسلام لا تجتمع أمتي على ضلالة وكذا أيضا يد الله مع الجماعة ولقوله ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء الخ. فإنه موجود عندنا ذلك الاتفاق منقولا بخط العلامة الحاج يوسف المذكور ومما نقلناه من خطه أيضا بعد كلام فيه اتفاق آخر على إبطال أمور وقع فيها إسراف بين المتناسبين ما نصه هذا ما اتفقت عليه جماعة المسلمين متفقة على العام والخاص لحصول ضرر على وعدم نفع للآخرين والبلاد ضعيفة بقلة الماء والجدب فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسنا وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء إن لم تحصل في اتباعهم لم تحصل في مخالفتهم فمن صدر منه شيء من ذلك فإنهم يحكمون فيه بالبراءة والهجران والطرد والبعد فإن كان عزابيا فإنه ينزع وإن كان غيرهما فهو بما ظهر لهم فيه من الحكم والله على ما نقول وكيل وإن لم يكن الشهود وثبوت التهمة على الفاعل فإنه يحلفون من اتهموه في ذا
• ومما نقلناه من خطه أيضا بعد كلام مذكور فيه اتفاق آخر على إبطال ما وقع بين المتناسبين من الهدايا المعقبة للضرر العظيم ما حاصله فمن كسر ذلك وفعل ما أبطلوه فإن كان عزابيا فإنهم يخرجونه من جماعتهم وإن كان تلميذا فإنهم يخرجونه من مجالسهم وإن كان غيرهم فإنهم يخرجونه إلى الهجران والبراءة لقول

---

* عن كتاب «اتباع الأسلاف وإنكار الإسراف» لم يذكر مؤلفه. خ [illegible].

** نفسه ورقة 3

تابع : تحديد المهر ومقاومة التبذير والاسراف

لقوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله من خالف المسلمين ولو في شراك نعله فهو هالك
واتفقوا جميعا على جميع ما ذكر من الامور ولا يخالف واحد فانهم يحلفون
ويدعون عليه بدعوة السوء وصبا ومن تقدم شيئا من المحجور او اخره بالحيلة فالحكم
لازم له والله على ما نقول وكيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ووقع هذا الاتفاق في اواخر
المحرم سنة 1184 فلاجل ما تقدم كله اتفق اولوا الأمر والصلاح على ان بعض الصداق
الذي يقدمونه ويسمونه افاول لا يكون الا ثلاثة نفاصات زيتا وست حثيات
او قيمة ذالك ولا يعطى فيه من الملبوس الا ملحفة وجلباب وحزام ومحرمة وقيمة
هذا الملبوس لا تكون اكثر من ثلاثة ادوار ولا يعطى فيه من الدراهم اكثر من عشرة
ادوار وان جعل اهل الزوجة طعاما لاهل الزوج بعد اخذهم هذا البعض
من الصداق فلا يجعلوا اكثر من الحثية ونفاصة سمنا ونصف شاة لحما ويعطى
بعد ذالك شاة وبقية الصداق وتفصيلها عشرون دورا دراهم وكذالك جميع
مصوغ الفضة من الخلاخل والاساور وغيرها لا يجاوز به عشرون دورا وكذلك
جميع مصوغ الذهب من مثل شنوف وقروط اعنى ما يعلق في الاذن لا يجاوز به
عشرون دورا ايضا وملبوس الزوجة مع ما يعطى لامها لا يجاوز به عشرون دورا ايضا
فلا يعطى شيء لغير امها وعادة الرفيس من حثيتين ونفاصتين فما دون ولا يعطى
للام من رفيس او طعام الا في وعاء يسع اربعة امداد فما دون واما غيرها فلا وعادة
الطعام من حثيتين ونفاصتين ونصف شاة فما دون ولقد منع منعا كليا الطعام
الذي يواسى في الايام التي بعد يوم وليمة العرس واما اليوم السابع من يوم
الابتناء فلا يعطى اهل الزوجة الا مقدار حثيتين خبزا فما دون واما العطر والسكر
والبيض والفول فممنوعة منعا كليا لا تذكر كالاوعية التي يحمل فيها من ذالك
لاقارب الزوج لا تذكر وكذالك الزوج لا يعطى شيئا غير ما تحتاج اليه الزوجة من نحو
الحنا والرايحة واما ما يجعل في القفف ونحوها فممنوعة بالكلية ولا يجعل من الطعام
اكثر من ستة امداد في المواسم مثل المحرم وشعبان والعيد والفطر ومن السفر
والولادة ولا يحمل شيء ما وقت السلي من زوج ولا زوجة ولا يحمل الخبز اللين الذي
يسمى الملين فانه ممنوع بالكلية ولا يرد الزوج ولا غيره شيئا من الدراهم في المنديل
ولا في غيره وكذالك الثريد والطعام المسمى بالبركوكس بعد العرس في اليومين
والاربعة ايام ممنوعان بالكلية فلا يذكران فما تقدم في الصداق كله والهدايا للبكر
واما الثيب فنصف ذالك ولا يجاوز احد حدا من تلك الحدود ولو كان غنيا جدا
ومن نقص مما ذكر فحسن فعل قدر ما يزاد النقص يزاد الحسن والصلاح والنجاح

* - نفسه ورقة 3

تابع : تحديد المهر ومقاومة التبذير والاسراف 3

والربح ودعوة الخير من المسلمين كما انه من زاد على ذالك فعليه دعوة السوء والشر والخسارة
من المسلمين ويبرءون منه ويطردونه وتعطل حقوقه فلا يعقدون له النكاح في بيوت ويرجع
إلى ما قاله المسلمون وان زاد خفية فالله عالم به ينتقم منه انتقامه من الاولين والاخرين
فلا يربح ولا ينجح امره في ذالك النكاح ببركة دعوة اولياء الله الصالحين والعياذ بالله
من مخالفة اولياء الله الصالحين وان علم به بعد طرد وبرئ منه وان غويت لكهمته
حلف يودعي عليه بالسوء على الوصف والشرط كأن يقال عليه دعوة الشر والسوء
فلا يربح لأن كسر حجر المسلمين وخالفهم حسبما فعله من سبقنا من ساداتنا الذين
لا يجهل فضلهم هذا وقد وقع هذا الاتفاق 28 [ ] الاخرة 1328 عام من جماعة
عزابة الوقت وقاضي الوقت وعدوله وقائد الوقت و[ ] جماعة الواضعين
خطوط ايديهم احمد بن ابي احمد بن صالح بن أبي احمد بن بابه بن موسى
باحمد بن بلحاج ابنبراهيم ونه داود بن ابراهيم بن داود بن سعيد بن قاسم بن سعيد
بن عمر بن باحمد بن الناصر بن احمد ؛
داود بن الحاج ابراهيم بن ابي نوح ؛ ابوبكر بن داود حواش ؛ عمر بن احمد بن الشيخ
بابه بن داود ؛ داود بن الحاج بكير ؛ محمد بن بكير ؛ ابراهيم بن يحي مصباح
باش عادل قاضي عادل قائد

تابع لوثيقة رقم (11)

أ ــ في الأصل : "مود" . والصحيح : مؤد .

ب ــ " " : "وللوسايل" . " : وللوسائل .

ج ــ " " : "فافروا" . " : فأقروا .

د ــ " " : : الجملة مفسوخة غير واضحة وربما : بطرد من الحلقة .

هـ ــ " " : : الكلمة مفسوخة غير واضحة تماما ولعلها : واذا اتهموا أحدا .

و ــ " " : "أفاول" . والصحيح : الخطبة ، وتنطق كذلك "لمقيولت" بفتح اللام وسكون الميم وكسر القاف والسكون على الواو والفتحة على الألف وسكون التاء ، وتعني مجموع ما يقدم للمخطوبة أثناء الخطبة بعد التوافق والتراضي فتمسكه ليتأكد لدى الخاطب صحة رضى المخطوبة فان ردته ولم تقبله يعتبر جواباً صريحاً عن عدم رضا وفسخها لما وقع .

ز ــ في الأصل : "وام" . والصحيح : وأما .

ح ــ " " : "العطر" . " : العطر .

ط ــ " " : "والرايحة" . " : الرائحة .

ى ــ " " : "اوليياه" . " : أوليائه .

ك ــ " " : " مفسوخ وربما الصحيح جمادى .

ل ــ " " : مفسوخ غير واضح .

والله اعلم ١٢٣

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا
محمد النبيء الامي الامين وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحابته اجمعين ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين
اما بعد فان بلدة القرارة المحروسة اصيبت بسنوات شديدة متتابعة
قلت فيها الامطار واحتبست عنها السيول فاجدبت ونضب معين الماء منها
فنزحت الابار وما عادت تبض بقطرة الا قليلا مما ابقاه الله لحفظ حياة
الانسان والحيوان ويبست الاشجار وماتت من النخيل والفسيل ما لا يعد
مما لم يعهده الشيوخ من ذوي السنين والمائة وضاعف البلية واعظم النكبة ان ارسل
عليها في اثناء تلك السنين جيوش جرارة من غوغاء الجراد ودباه احتلت البلاد
واجنته وغابه لما الحماق فيها بمكث اشهرا والناس معها في حرب عوان وما برحت
حتى كادت تبيد كل خضراء وكان ذلك في ربيع ١٣٥٢ هجرية ١٩٣٣ ميلادية وما عهد
امر هذا الجراد في هذه البلاد . وكان آخر سنة من تلك السنين واشدها سنة ١٣٥٥
هجرية يوافقه ١٩٣٦ ميلادية وفي شهر اكتوبر من غربها فتح الله ابواب رحمته فنزلت
الامطار بشدة على رؤوس الاودية ولم يمطر على البلد فسال وادي زقرير الى القرارة وحمل
حملة متوسطة ملأت الاجنة والابار واحييت النخيل والاشجار وانعشت النفوس
وبعثت الامل في القلوب الا انها كانت دون ما يملأ خزائن الارض الفارغة
ثم لما كان يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر مارس ١٩٣٧ م تلبدت السحب
فوق البلد واكفهر الجو واظلمت السماء حتى عاد النهار ليلا وسمع للرعد دوي عظيم
متصل ثم فتحت ابواب السماء بماء منهمر وبرد عظيم قطعه عاصفة شديدة وما هي
الا دقائق معدودة ذعر فيها الناس ذعرا شديدا حتى كفت العاصفة فاذا بالزوبعة
تنجلي واذا بالعاصفة تسكن واذا بساقية (العين) وساقية (الجنانية) تحملان
على الغابة حملة شديدة بمياه دافقة غزيرة وما هي الا دقائق معدودات حتى امتلأت
الغابة كلها غربها وشرقها ووصل الى المحيط في سد الساعة ولقد لقي الناس كل
شدة في النجاة من خطر الماء اذ هجم والناس غافلون ومن حيث لا يدرون وكثير منهم
في الاجنة ساكنون ثم ما كادت الشمس تغرب حتى دقت طبول النكير ونودي بان هجم وادي
زقرير هجوما عنيفا بسيول عظيمة تجرف ما اتت عليه وما كان العشاء حتى اشتد الخوف
على السدود ووضع عليها الحرس وما مر وهن من الليل حتى فتحت مصارف سد بوساعة
لتصريف الماء الى العيد حتى يخف ضغط الماء على الغابة وسد الشايكية
ثم لما لم يجد ذلك نفعا ولم ينقص من اندفاع الماء الى الغابة بل لم يزل يزداد ارتفاعا
حتى قبيل الفجر - اذن المقيمون على الامر بفتح مصارف الشايكية الغربانية لتخفيف
الضغط على السد لشدة الخوف عليه ففتحت وكان في النية سدها عند وقوف زيادة
الماء في الارتفاع
وما راع الناس الا والمصارف السفلانية تنكسر من ذات نفسها وتنادى الناس لسدها
ولبثوا ساعات يعانون الشدائد ويحتالون لسدها كلما خيبت حيلة ابتدعوا
وسيلة فغلبوا على امرهم واستسلموا للقضاء النازل فامتلأت الشايكية البرانية

الماء

215

فيها الماء بعض طانتيات فاذا سيل ثالث يردها كما كانت فامتلأت الارض ولم يعد
الماء ينقص الا خوطانتين في اليوم والليلة فطال مكثه في الغابة غامرا النخيل والفسيل
واشتد الحر فحمي الماء فبدأت الاشجار والفسائل تموت في وسطه وتيبس وقد كانت
عاصفة السيل هي اولا ازالت من النخيل مئات ومئات ثم انقض بضعف و الغابة على ما هي عليه
مظهر الموت وفيها في النخل الكبير الذي لا تزال جذوعه في الماء وكان مقتضى ما خوذ
اليد والعرف الجاري به العمل ان يطلق كل ما بقي من الماء بعد تلك المدة لتتنفس
ولا تتعفن عروقها فتبقى لكن لما قاسى الناس من شدة الجفاف في السنوات الماضية
مما هو اكبر عليهم ان يرسلوا الماء الى الصحراء العميد الجرداء مع انهم يرون الموت متفشيا
بصورة مريعة في الاشجار والنخيل اما الفسيل فلم يبق منه شيء من اول يوم فعثروا
عن اطلاقه وزادهم ترددا ادعاء اهل الشاكية البرانية انه لا يسوغ اطلاق الماء اليهم
الا اذا طلقوا اول مرة فتسبب في انكسار المصرف فامتلأت الشاكية وبقي الامر على
ذلك ثلاثة اشهر

ما

فلما رأى اهل الرأي والمعرفة من المصلحين تفاقم الخطر وفتورا في الامر عن تلافيه سعوا
بجهدهم فانعقد اجتماع كبير في دار التلاميذ بالمسجد حضره اعضاء حلقة العزابة
واعضاء الجماعة البلدية والقائد والقاضي ونواب عشيرتي مليكة وبنوره وعدد
كبير من سراة القرارة واعيانها فتبا وضوا في الامر وفي كيفية تلافي هذا الخطر اليوم
وبعد اليوم وفي وضع نظام ثابت وقانون صحيح يجري به العمل عندما يحدث مثل هذا
اليوم حتى لا يقع فتور ولا كسل في الاخذ ورد ولا خلاف وشقاق وخصام ونزاع يطول
امدها والخطر يتفاقم ويفتك بالاموال والانفس وبعد تقليب وجوه الرأي لم يجدوا
قانونا احكم ولا اسد ولا ارجح ولا اوفى بغرض حفظ مصلحة كلها وسطها وطرفها مع اتفاق

الفلاحة

القوم من القانون الذي وجدوا العمل به جاريا في القديم وقد وضعه مؤسسو القرارة
بعد نظر وتدبير وميزان كبير ولظهور صلاحه ونفعه وقد جرى به العمل في زمننا مرات
متعددة لذلك اتفقوا على تقرير مواده وتدوينها وامضائها ووضعها موضع التنفيذ
اليوم واعتبارها القانون الوحيد الذي يجري به العمل في المستقبل ولا يجوز خرقه ولا خلافه
ولا نقضه وهذه مواد هذا القانون ومواعيده ١ — مكث الماء في الغابة لا يتجاوز
مطلقا اربعين يوما في الصيف وستين يوما في الربيع والخريف وتسعين يوما في الشتاء
٢ — يجب اطلاق جميع ما في الغابة من ماء عند بلوغ الاجل ولا يسوغ تأخيره ولو يوما
بعد الاجل المذكور في جميع الفصول ٣ — يعتبر السيل الذي سال فيه الوادي لا الذي يرد
الماء في الغابة بلوجاء الوادي في وسط فصل مثلا وامتد الى الذي يليه فان المعتبر
في الحساب هو الاول ٤ — اذا ترادفت السيول وتبع بعضها بعضا اعتبر الحساب
من اول سيل دخل الغابة لكن ما بينها فصرما دام اللاحق يرد على ماء سابق فاذا جاء
لاحق وقد جف ماء الاول ونشف كله فان الامر حينئذ يرجع الى نظر الخبراء والامناء من اهل
الطفوة وانشاء وادركوه بصفة ايام الطفوة بحسب ما يظهر لهم من المصلحة
اذ ذاك ٥ — اذا اقترب الاجل المحدود لاطلاق الماء في كل فصل نظر الخبراء والامناء
فان كان الباقي من الماء قليلا تكفي الشاكية البرانية لامتصاصه وتنشيف الغابة منه
امروا بسد المطالع المعروفة بين الشرقية والغربية ثم اطلقوا الماء الغربية كله الى الشاكية

حتى اذا انقطع جريه وظهرت الارض امروا بسد ما بين الغرب والشرق ثم اطلقوا ماء الغرب
الى الشيخية البرانية ليبقى ما في الشرق مدة قليل ٦ — تكون سدود الاعلى والتدابير كلها
في اواخر الاجال المعينة حتى يكون اطلاق الماء الى الجهتين عند تمام الاجل على راس الاربعين
والستين والتسعين ٧ — عند هجوم السيل وطغيانه او مرة اذا خيف على سد الوساطة
واشتد الخطر فتحت مصارفه واجروا بعد واحد الى جهة العميد حسب ضغط الماء فاذا
امن على السد بوقوف الزيادة او ظهور النقصان سدت لحينها ٨ — اذا اشتد
ضغط الماء على سد الشيخية وخيف عليه وشق الخطر فتحوا مصارفه العليا الى
الشيخية البرانية للتنفيس عليه فاذا ذهب الضغط عليه بوقوف الزيادة في الوساطة
او ظهور النقصان سدت لحينها لتبقى الشيخية البرانية خزانة فارغة لاطلاق الماء
الراكد المتعفن اليها بعد مضي الاجل لانه لا يمكن اطلاقه الا اليها ٩ — لا حق
لاهل الشيخية البرانية من مالك او غارس او حارث في الاعتراض على اطلاق الماء
اليها مطلقا سواء [illegible] او الامر عند تنفيس السد او في اخر الامر عند تنفيس الغابة
من الماء الراكد اذا تم الاجل المحدود فان الشيخية البرانية [illegible] اقتطعها الاوائل
الموسسون من الغابة وفصلوا بينها بسد [illegible] كبير واتخذوا له مصارف عليا وسفلى لغرض
واحد هو تنشيف ماء الغابة اليها اذا كان سكبه فوق القدر المعتاد النافع واصبح
خطرا فتاكا بالنخل والشجر فانه لا يمكن ان يطلق الا اليها لانخفاضها عن الغابة ولولاها
لبقي في الغابة كل ما دخل فيها من الماء ولو غاما كله ملا ولا حيلة لصرفه الى جهة ابدا لهذا
الغرض السامي العمراني قطعوا تلك القطعة عن حوض الغابة وبنوا ذلك السد المنيع
بينهما واحتملوا المتاعب لحراسته واصلاحه ولولا ذلك لتركوا الماء الى السدود الطبيعية
من الجهة الغربية فانها باقية بقاء الدهر يستحيل ان تزيلها سيل ولكنهم لو فعلوا لعرضوا
بانفسهم واموالهم الى خطر كبير فان الماء اذا ركد وتعفن لا يجدون له مصرفا ولا مخرجا
فلله ما احكمهم واسد رايهم ١٠ — لا يسوغ احداث شيء في الشيخية البرانية
مما يودي الى ردمها او يتسبب في تكوم التراب فيها وعليه لا يجوز ان يزاد فيها غرس
ابدا لا شجرة ولا فسيلة في طرف من اطرافها او في وسطها الا ما كان مغروسا من قبل مما اذن
فيه المتقدمون من اطرافها العليا فان ذلك يبقى على ما هو عليه وما مات منها ومنه نساخ
تجديده اما الاحداث فممنوع بتاتا وكذلك يجب على من حرث فيها اذا اتخذ لحرثه سياجا
من الريح اذا حصد زرعه او نزع بقله ان ينزع السياج ويزيله لئلا يتكوم عليه التراب
الذي يكسر ويصير كثيبا على مر الايام ومن تعدى بغرس او ترك سياج فانه يتعرض للعقاب
المستبد والغائد معا ولا يلوم الا نفسه ١١ — مجرى الماء من زقاق الشيخية الغربي الى
المصارف يجب ان يبقى مفتوحا كله لا يبنى فيه شيء ولا توضع عليه قنطرة كبيرة ولا صغيرة
بل يبقى خندقا مفتوحا مكشوفا كله من اوله الى اخره وان اراد ارباب الجنان صرف الماء
من جهة الى جهة اتخذ لذلك خشبة او نحوها توضع وترفع كما يفعل على الازقة ١٢ —
اذا كانت ابار الغابة ملاى بالماء وخزائن الارض عامرة وليس بالغابة حاجة الى الماء
وكانت ارضها كلها عروقة مزروعة حبوبا ثم جاء سيل قبل الحصاد فانه يصرف الى العميد ولا
يترك ان يدخل الغابة ابدا لان ضرره اكبر من نفعه وحاجة الناس الى زروعهم وثمارهم
اشد من حاجتهم الى الماء فلا يطلب الماء الا الثلث [illegible] والازقة التي تكيد ولما نسيل معا
اعظم المشاق واقتصدوا من امراتهم وتحملوا الديون في نبيا [illegible] من خطل الراي ان يترك
[illegible]

المحدودة غربا
بالزقاق المشهور
الذي بينهم وبين
السد مايتان وعشرة
اذرع وهو متجه
من القبلة الى
جهة الشمال [illegible]

الى الذهبه يبنى هذا السد عند ما تنتهي اعمال الحرث والبذر في الغابة استعداد الصرف
ثم يترك كذلك وتفتح المصارف العليا حتى يتم الحصاد فان جاء سيل قبله صرف ثم ينزع
السد عند تمام الحصاد ويبقى الجرع كما كان كما وقع في هذا العام وفي اعوام قبله
حتى تكون الغابة كلها فلنا غنية بمائها مبذورة ارضها ولا ينكر الى الذين يظنون
ان الماء ضائع في كل وقت وعلى اي حال فان منه ما هو ضرر يجب ان يصرف ويدفع
والعاقل من اعطى لكل امر ما يستحقه وليس لكل حالة لبوسها ١٣ــ لا يسوغ ابدا
لاي شخص كان ان يجنر الماء من داخل شيء من السدود الى خارجه او العكس سواء
سد العوساعة او سد الشيحية او سد مكيدا وغيرها وسواء ماء السيل ام ماء
الزجر وسواء كان ذلك بساقية ام بقناة ام بغيرها ولو جصصت او اتخذت
من حديد بل لا يجوز ابدا احداث ثقب او مجرى او منفذ في اي سد من السدود
لا في اعلاه ولا في اسفله فانه سبب النكبات والبلايا وما خرب سد العوساعة
عند جنان بوراس وحدثت تلك الكارثة المشهورة الا بسبب مجرى صغير اتخذ
في السد خرقا للقانون الجاري به العمل منذ قرون وكذلك لولا لطف الله وتنبه
الناس للخطر وتداركه في هذا العام لخرب سد الشيحية لسبب قناة صغيرة اتخذها
فيه بعض من لا خلاق لهم من الانتفاعيين من غير ان يعلم الناس بامرها حتى بدا الماء
يتفجر منها ويجرف ما حولها ومن فعل ذلك سد مجراه لحينه وعوقب عقابا صارما
في المسجد وفي الخارج ومن اراد ان يجنر الماء من جوف السد عند الضرورة فله ذلك بشرط
ان لا يجعر في السد ولو خمس سنتيمات وانما يمر الماء فوق ظهره ويتخذ له حائطين من تراب
١٤ــ من كان له جنان يتصل باحد السدود من داخل او خارج او ارض كذلك فان عليه
وحده اذا اراد حفظ ارضه من ردم السد ان يتخذ مما يليه طابية بجير وجص شديدة متينة
بالكيفية التي يرضاها اعضاء الجماعة البلدية وفي المكان الذي تعينه والا فان البلد تمنع
السد بردمه بالتراب والشعشابة حتى تامن عليه الخطر بالغا ما بلغ في الارتفاع والاتساع
وليس على البلد ابدا في خدمة السد بجير وجص لان منفعتها للاصحاب اللاجنة والارضين
وكل من ملك في نواحي السدود فقد دخل على هذا العرف والشرط الجاري به العمل منذ ابتداء
العمارة ١٥ــ يقوم بامر السدود حراسة وفتحا وسدا وبالنظر في كل ما تقدم من
الامور الامينان الرسميان للبلد في كل زمان مع ثلاثة من اعضاء الجماعة البلدية تعينهم
الجماعة بنفسها عند الحاجة وثلاثة من اعضاء العزابة تعينهم حلقة العزابة كذلك
ويكون امرهم نافذا ولا تجوز معارضتهم في شيء ابدا الا ان تكون مفاهمة وارشاد
ومن عارضهم في شيء اجرى عليه حكم المسجد والقائد معا ولا يلومن الا نفسه ١٦ــ
يدون هذا الاتفاق في دفتر المسجد ويمضيه الجماعتان والقائد والقاضي ثم يسجل
في دفتر المحكمة الشرعية وفي دفتر الجماعة الرسمي تم هذا الاتفاق بدار
التلاميذ بالمسجد ليلة الاثنين ٥ رمضان ١٣٥٦ وفي ٢٩ نفامبر ١٩٣٧ ميلادية

ابن ابراهيم بن الحاج عمر

حمو بن ميوه ابراهيم بن عمر

محمد الحاج ابراهيم

عشعور بن الحاج موسى

[illegible signatures]

وثيقة رقم (13)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

هذا وقد اجتمعت اعضاء القرى السبعة واد ميزاب
غرداية ومليكة وبني يسقن وبنورة - والعطف وبريان والقرارة
اجتمعوا في محل عبد الرحمن الكورتي رحمه الله واتفقنا
بعد ان قرانا الفاتحة على اننا لا نرضوا على ميزابيا
ان يخرج زوجته او بنته او حرمة ميزابية مطلقا
اي يخرجها من ميزاب الى بلدة من سائر البلدان مطلقا
غير احدى القرى السبعة المذكورين فجعلنا ذلك حدا
محدودا وحبطا مشيدا مرصوصا وسدا وثيقا
فمن تعداها فقد تعدى حدود الله ولزمته دعوة
السوء من المذهب وعليه اللعنة والخزي في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة
معشر الاخوان اننا لا نقدر ابطال دعوة الجمهورية
ولا حق لنا ولا طاقة لمعارضتها فان الدولة لا تمنع
من فعل ذلك او اراد ان يفعل ونحن لا نجهل ذلك الا اننا
نحذركم وننذركم ما لا ترضى به المسلمين فان عقوبة ذلك
خسرانا مبينا لان هذا مما يسوءنا عقباه في ديننا
واعراضنا وتشتيت ملتنا وخراب بلادنا ومخالفة اغراضنا
وبدعة في سيرتنا قال صلى الله عليه وسلم ملعون من خالف
المسلمون ولو في شراك نعل والله على ما نقول وكيل انتهى
بتاريخ يوم ١٩ مضت من شوال المبارك عام ١٣٤٦ هجرية
والسلام على من اتبع الهدى واخشى عواقب الردى ولعنة الله على
(من كذب وتولى)

ملحق رقم (14)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قرارات الأمناء حول السواقي بغرداية

اما بعد فقد حضر في الساقية الفوقانية امناء بسجمان وهما السيد بلعديس الحا...
بن موسى والسيد الحاج صالح بن يوسف وامناء الساقية الفوقانية وهما السيد
برنوص بكير بن الحاج اسماعيل والسيد الحاج داود بن الحاج ابراهيم واعيان ال...
الفوقانية الواضعون خطوطهم ايديهم ادناه واتفقوا كلهم بعد المفاوضة
في الكلام على ان يبطلوا كل ساقية لماء حتى جرت في ازقة الساقية ال...
ما خلا الزقاق الجوفي فيه ساقيتان لم يحدث بهما ضرر وبسبب هذا الاتفاق
ما وقع من السواقي من فساد السيل فسادا عظيما في الكوات وفي الطرف ...
وقع هذا الفساد طلب امناء الساقية الفوقانية من امناء بسجمان ان يحضروا و...
معهم هذا الفساد فلما قدموا امناء بسجمان اجتمعوا مع امناء الساقية الفوقانية
وطلعوا ونزلوا مع تلك السواقي فرأوا كلهم ذلك الفساد الواقع في ال...
وفي الطرق واجتمع رأيهم على بطلان السواقي المفسدات للسيل وهذا ما
الاتفاق عليه ومن تعدى بعد الاتفاق يجب عليه الحكم كما هو مرسوم في كر...
بسجمان ومن اراد أن يخدم فوارات في الساقية الفوقانية لماء الحيطان فليطلب
من امناء الساقية ان يحضروا معه وينظروا كيف تكون خدمته ولا يخد...
بغير حضور الامناء كما هو مرسوم ايضا في كراستنا هذه وكراسة بسج...
وقع ما ذكر يوم جمادى الثانية عام 1356 وبه محمد بن احمد
بن صالح بابة بن موسى باباز [ ] بن داود بكير بن الحاج محمد بطليس
بوسعد [ة] حمو بن سليمان [
] صالح بن [ ] بكير بن الحاج ابراهيم عدون بن أحمد حواش قاسم
خطارة عمر بن الحاج قاسم.

مجهول المؤلف: مجهول الكتاب، مخ1، خزانة 53 [illegible]

السيد بومريقة سليمان أمين الساقية التحية لسيل «توزوز» بغابة غرداية.

تابع لملحق رقم (14)

قرارات الأمناء حول السواقي بغرداية

أ —	في الأصل :	((أمناه)) .	والصحيح :	أمينا .
ب —	" :	((ءاخرا)) .	" :	آخر . . .
جـ —	" :	((وبسبب)) .	" :	وسبب .
د —	" :	((أن يحظروا)) .	" :	أن يحضروا .
هـ —	" :	((فلما قدموا أمناء ...))	" :	فلما قدم .
و —	" :	(([illegible])) .	" :	[illegible]لعوا .
ز —	" :	(([illegible])) .	" :	قرأوا .
ح —	" :	((واجتمع)) .	" :	فاجتمع .
ط —	" :	((يجب عليه الحكم))	" :	يجب أن يحاكم .
ى —	" :	((— مفسوخ —)) .		
ك —	" :	((— مفسوخ —)) .		
ل —	" :	((— مفسوخ —)) .		
م —	" :	((— مفسوخ —)) .		

---

1 — ((الساقية)) معناها : المجرى المهيأ بدقة متناهية في غابات النخيل بوادى ميزاب لسقي بساتينها بمقادير معينة عند تهاطل الأمطار فتتجمع فيها أو تمر منها عند قدوم السيل .

2 — ((بسمجان)) : اسم ناحية في أعالي غابات غرداية .

3 — ((ءاخرا)) : أى في آخر هذه الوثيقة .

4 — ((المفاوضة في الكلام)) : أى مناقشة الموضوع و دراسة المشكلة فالبحث عن الحلول المناسبة لها حسب العرف و القوانين و الاتفاقيات و مراعاة المصلحة العامة .

5 — ((لماء حيّ)) : ماء الحي هو ماء الآبار المجلوب منه بواسطة الدواب أو مضخات محركات النفط أو الكهرباء . أما ماء السواقي و السيول فيطلق عليه إسم : ((الغدير)) .

6 — ((أزقة السّاقية)) : أى الطرق المرصصة بالأحجار تشق الغابات فهي عبارة عن مجارى كبيرة رئيسية تتفرع منها كوات كمنافذ للأجنّة ذات مقاييس دقيقة معيّنة يحصل بها كل جنان و تروى بواسطتها كل غابة المقدار اللأزم لها كمثيلاتها دون زيادة أو نقصان حسب مساحة كل منها . و يعبر عنها ب ((قياسات الغدير)) .

7 — ((و [illegible] الاتفاق ....)) : يستقيم المعنى بحذف حرف الباء الأول ، إذ علّة وجود هذا الاتفاق [illegible] فتستقيم الجملة هكذا : ((و سبب هذا الاتّفاق هو

وثيقة رقم (45)

بسم الله الرحمن الرحيم

تعيين عزابة القرارة من يتولى اختتان الصبيان

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد .

نحن جماعة القرارة أعضاء مجلس (أ) البلدي قد اتفقنا اتفاقا كليا على السيد بيوض بن بابه بن (ب) حم بن بابه أوجانه (1) لقبا بأن يقوم باختتان الصبيان على وجه شرعي بغاية جهده حيث كان ولا يعارضه أحد الا من امتنع بولده حيث صح لدينا أنه مدرك تام وثيقة (ج) وعفيف وأنه أمين على صبيان البلد مادام على طهارة وحسن سيرة وعفة والله من الكل بالحفظ والعون والتوفيق .

وقع هذا الاتفاق في القرارات (د) يوم 5 رجب الأصم سنة 1341 أحد وأربعين وثلاثة مائة (هـ) وألف هجرية على صاحبها أفضل التحية .

وهذ (و) خط أيدينا أسفله .

اعمارة بن الحاج بكير — ابراهيم بن الحاج عمر — ابراهيم بن سليمان — بلحاج بن الحاج الناصر — محمد بن الحاج ابراهيم — بلحج (ز) بن الحاج سليمان — وعمارة يوسف بن ابراهيم .

أ —	في الأصل :	مجلس .	الصحيح :	المجلس .
ب —	في الأصل :	بن حم .	" :	ابن حم
ج —	" :	وثيقة .	" :	وثقة .
د —	" :	القرارات .	" :	القرارة .
هـ —	" :	أحد وأربعين وثلاثة مائة .	" :	واحد وأربعين وثلاث مائة .
و —	" :	وهذ .	" :	وهذا .
ز —	" :	بلحج .	" :	بلحاج .
ح —	" :	باختتان	" :	الختن

1 — لقب هذا الشخص المتفق عليه بالاجماع هو : السيد أوجانة بابة ، وهو عضو في حلقة العزابة .

أعضاء المجلس البلدي في هذه الفترة بالذات 1341 هـ / 1941 م يتكون من أعضاء مجلس العشائر .

يعتبر تصرف هذا المجلس قانونيا بالنسبة للحالة المدنية ولكنهم من ناحية أخرى يعطون الصبغة القانونية لما يقرره مجلس العزابة الذي بيده تعيين الشخص الكفء المؤهل .

ملحق رقم (١٥)

شروط المرأة عند عند الزواج

لا يسوغ للـزوج أن يتزوج عليها .

ولا أن يتسرى كذلك .

ولا أن يغيب عنها فوق عامين أو ثلاث .

وأن لا يخرجها من وطنها .

وأن لا يرتكب جريمة الزّنا .

والسرقة .

والقمار .

والقتل .

وشرب الخمر .

وشرب الدخان .

وترك الصلاة .

فإذا ارتكب شيئا من هذه الأمور ، كان حكمها بيدها ولا يضرها الانتظار .

وثيقة رقم (17)

اتفاق منع الحروسة من الطواف في البلـــدة

اتفقت جماعة مسجد الفرارة والغائد والجماعة ببركة الله وحسن عونه على الا تطوف العرائش في البلد وان طافت واحدة فيجرى عليها حكمهم جليلة كانت او حقيرة ودعوة السوء على التي طافت خفية ان كانت بالغة وان لم تبلغ الحلم فيجرى الحكم على اهلها تحجيرا لا ينفصأ [أ] [ ]ب في اويل ج محرم سنة 13.8 د كما وقع التحجير في ذى الحجة سنة 1328.

أ - في الأصل : « لا ينفصد » والصحيح : لا ينفض

ب - « : [ ] بياض يبدو أن الصحيح هكذا : وقع ذلك

ج - « : « في اويل » والصحيح : أوائل.

د - « : « 13.8 » وربما الصحيح لمن أن عدد العشرات صو 3 فيكون : 1338.

وثيقة رقم (18)

اتفاق العزابة مع العرش في شأن الغلي

اتفقت جماعة العزابة مع العرش في شعبان سنة 1338 على
الكرنوسة القديم وصب ماء الوضوء فيه من غير ابطال
مع الا [ ]ب في ان احتاجوا لذلك وعلى تعويض
وان يقوم مقام الاول [ ]د الوضوء منه وان احتاج
له في العمق فلهم ذلك [ ]هـ الشيخ عن ذلك فا

أ - في الأصل «حاس» والصحيح حاسي
ب - « « [ ] وربما الصحيح الأرض
جـ - « « «بن له» والصحيح بد له
د - « « [ ] ربما تستقيم العبارة هكذا في جلب ماء...
هـ - « « [ ] « « « « بعد موافقة

1 - «الحاسي بمعنى البئر ويطلق على التي تحفر في داخل المدينة»



الحمد لله وحده

من طرف سعادة الوالي العام بالولاية الجزائرية الى كافة اهل وادي مزاب السلام عليكم وبعد ايها القوم القاطنون بوادي مزاب لمّا اذعنتم الى طاعتنا واستمسكتم بجنابنا في سنة ١٨٥٣ كنا وعدناكم ان لا نبخل عنكم بحمايتنا القوية المتينة عند ترددكم في امرائنا واقاربكم بعدتنا ووفينا العهد معكم وانكم اعتبرتم جميع ما هو من المنافع الجزيلة في تنظيماتنا العديدة المستفيضة وتصرفاتنا الباهرة المحمودة امّا انتم في مقابلة ذلك الاحسان منا اليكم والالطاف الجمة الامور في ابلادكم واثراتكم بتمامها حتى صرتم مستقلين بتدبيركم امامه على مقتضى نظركم كنتم تهدمون بارادة العادية في قصوركم واجنابكم ما يأتي به صلاحها وارادها السابقة اذا بكم لم تقوموا بمواعدكم حتى بقي وادي مزاب في آخر الاهمال واستمر على ابتدائه لاغراضنا اشنع فسادكم واهراق دمائكم في كل حين واصبحت قصوركم ملجأ لانواع الاشرار المطالبة عليهم محاكمنا واصبحت اسواقكم متجرة لجميع المبيعات بالبلد بل متجرهم بالتنازع الادوات الحربية كل ذلك منكم ونحن لم نقصر معكم في الانذار الاكيدة والنصائح السديدة والنصرة المعنوية المجيدة بمقتضى من الاتصالات الينا امّا تقصر ابايتها او عدم استطاعة واليوم قد استفات بنا جميع من مسه ضرورة من قلة انتدابكم وسوء قولكم فاستلم امورتكم من الحالة المضطربة الى الحالة المنتظمة الشاملة للهدو والاطمينان وان راسمونا موثرين حبل المواصلة الرابط بينكم وبين فرنسة منذ مدة قصدنا في قربكم مساوات مالكم الينا فيما عدنا الا احترام عوائدكم المتواترة بحيث

لا نوظف عليكم اغا ولا قايدا ولا قاضيا من ابناء العرب

بل نترككم على حسب ما توجد عوائدكم ومراتبكم مرتبطين بجماعاتكم فيما يؤول الى تصرفاتكم معلقين بمسائلكم الاباضية وما يرجع الى فصل نوازلكم ونكون نحن معضدين موكدين لحكم رؤسائكم مصغين منتبهين لآراء مشايخكم مهما حكموا بالعدل والانصاف ولاكننا لا نهمل كل من خرج عن الحد وخالف الوجبات مع الحكومة الجمهورية او مع الرعايا فيما يختص بالتصرفات والقضاء بل نضربه بما يصيّره عبرة لاولي الالباب

كتب في اليوم الاول من شهر نوفمبر سنة ١٨٨٢

بامر الواضع طابعه اعلاه دام عزه وعلاه

المخطوطات

— أ —

— أعزام ابراهيم بن صالح ، ت . 1965م :
غصن البان في تاريخ وارجلان، مخ ، نسخه اساوي أيوب ، العطف ، غرداية .

— ب —

— البرادى أبو الفضل قاسم بن ابراهيم:
فهرست كتاب وتاريخ مشايخ وارجلان ، وأريغ، والجريد ، في ق 4—5 هـ .
"مخ" نسخت 27 رجب 1397هـ — 13جويلية 1977م :
مكتبة ابن يوسف محمد بن سليمان ، العطف . غرداية .
— بساح شيناز :
الاباضية والحركة الاصلاحية "تر" أولاد بابهون بكير . نسخة مصورة : مكتبتي الخاصة .
— بومريقة سليمان (معاصر) :
تفصيل الجواب عن تقسيم المياه والسيول بوادى ميزاب ، بدون تاريخ، مكتبتي الخاصة .
— بيوض ابراهيم بن عمر ت 1401هـ — 1981م :
ملخص تاريخ ميزاب "مخ" بدون تاريخ نسخه الشيخ أبو اليقظان ابراهيم سنة 1381هـ
— 1961م : صورته .

— ت —

— توسارت محمد بن سليمان :
نبذة من تاريخ القرارة ، "مخ" مكتبة ابن يوسف محمد بن سليمان العطف ، غرداية .

— د —

— دور منهام :
الذكرى المأوية لتاسيس غرداية ، نسخه ابو اليقظان ابراهيم .

— ر —

— أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي : ت 471هـ — 1078 — 79م :
التحف في الأصول "مخ" المكتبة البارونية حومة الحشان ، جربة ، تونس . نقله الجعبيرى فرحات ، في كتابه ،نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة "المطبعة العصرية ، 1975 ، تونس .

— س —

— اساوى صالح :
المدرسة البولونية واثرها في الدراسات الاباضية : دراسة لنيل المنهجية في البحث العلمي (1398 — 99 هـ/ 1978 — 79م) مكتبتي الخاصة .
— اساوى صالح :
دور العشيرة : "مخ" ، مكتبتي الخاصة .

— ش —

— شريفي عدون بن بلحاج (معاصر) :
اصول الدين ، مكتبتي الخاصة .

— ع —

— أبو عمار عبد الكافي :
سير حلقة العزابة حسب ما حكاه بعض تلاميذ ابي عمار ، حقق الشيخ ونقحها أبو القاسم عبد الحميد .
نظام حلقة العزابة "مخ" : شرح أبي عمار عبد الكافي على نظام أبي عبد الله محمد بن بكر ، نسخه أبو اليقظان .

— ف —

— أبو القاسم بن يحي الفرسطاوي : ق 9هـ — 15م :
سير أهل غرداية "مخ" صورته . القانون الأساسي لحلقة العزابة ، صورته .

— ط —

— أطفيش محمد بن يوسف (القطب) ت 1332هـ — 1914م :
الرسالة الشافية "مخ" نسخها أولاد حاجو موسى بن ناصر . 15 ذو القعدة 1294 هـ .
خزانة اسماوى الطالب عمر . العطف ، غرداية ، الجزائر .

— ل —

— لواب بن سلام بن عمر اللواتي ق 3هـ :
شرائع الدين : "مخ" نسخه مرموري من مكتبة سالم بن يعقوب بجربة ، صورته .

— و —

— الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله ، ق 6 هـ — ق 12م :
سير الوسياني "مخ" ج 1 و 2 ، نسخه الحاج اسعيد محمد بن باحمد ، صورته .

— م —

— مطهرى محمد بن بكير (معاصر) :
المجالس الدينية بوادي ميزاب ، "مخ" مكتبة المؤلف .
— (مجهول المؤلف) :
نبذة تاريخية عن وادي ميزاب ، مكتبة بابانو محمد ، ابن يسجن ، غرداية .
— (مجهول المؤلف) :
كراس المزارات : "مخ" مكتبتي .
— (مجهول المؤلف) :
رسالة غزابة : "مخ" مكتبة الحاج محمد محمد بن عمر العطف ، غرداية .
— (مجهول المؤلف) :
مسائل عن العزابة "مخ" صورته .

— —

— ى —

— أبو اليقظان ابراهيم بن عيسى ت1393هـ — 1973م :

بيانات عن الاباضية ، وواد ى ميزاب ، من الوجهة الدينية والاجتماعية والسياسية
نسخة ، شوال 1370 هـ — 1951 م ، مكتبة أبنائه ، القرارة .

خلاصة تاريخ الاباضية ، نسخه 1381هـ — 1961م :
القرارة ، الجزائر .

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم .
2 ـ أسعد أحمد علي (معاصر) : تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية، ط 1 ، مطبعة الرائد العربي ، بيروت ، 1979 .
3 ـ أمين أحمد : فجر الاسلام ، ط 11 ، 1965 ، شركة الطباعة الفنية المتحدة .
4 ـ باجية صالح : الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى ، ط 1 ، دار بوسلامة للطباعة والنشر 1396هـ ـ 1976م .
5 ـ البرادى أبو القاسم بن ابراهيم الدمرى: ت بعد 792هـ ـ 1390م . الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات ، ط ، الأزهار الرياضية البارونية ، القاهرة 1302 هـ .
6 ـ الباروني سليمان النفوسي : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، القسم الثاني ، مطبعة الأزهار ، القاهرة 1324هـ .
7 ـ الباروني أبو الربيع سليمان: مختصر تاريخ الاباضية مطبعة الارادة، 1357هـ ـ 1938م، تونس.
8 ـ الباروني عبد الله بن يحي : ت 1331 هـ: رسالة سلم العامة والمبتديين الى معرفة أئمة الدين ، مطبعة النجاح مصر ، 1324 هـ .
9 ـ ابن بركة البهلوى : كتاب الجامع ، ج 1 ج 2 ط 2، 1394هـ ـ 1974م دار الفتح .
10 ـ أبو بكر أحمد بن النظار العماني : كتاب الدعائم ، المطبعة الشرقية ومكتبتها ، 1400هـ ـ 1980م ، مسقط ، سلطنة عمان .
11 ـ أبو بكر جابر الجزائرى (معاصر) ، منهاج المسلم ، دار الفكر ، 1396هـ ـ 1976م .
12 ـ بكلي عبد الرحمن بن عمر : ت 1406 هـ ـ 1986 م : فتاوى البكرى، ج 1 ، ج 2 ، ط=1، 1402هـ ـ 1982م . المطبعة العربية "غرداية" . ـ مقدمة على كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني ، تحقيق طلاى ابراهيم ، مطبعة البعث ، قسنطينة . ـ ~~أحاطه~~
ـ حاشية كتاب قواعد الاسلام للجيطالي ج 1 ، ط 1 ، المطبعة العربية 1977 .
13 ـ بيوض ابراهيم والعبرى ابراهيم : أجوبة وفتاوى ، ط 1 ، 1390 هـ ـ 1971 م ، دار الدعوة نالوت ، ليبيا .
14 ـ توفيق المدني أحمد : ت 1403 هـ ـ 1983 م ، كتاب الجزائر ، المطبعة العربية "الجزائر" جغرافية الجزائر المطبعة العربية "الجزائر" 1950 .
15 ـ ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم : 728هـ : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديدة ، ط3، 1404هـ ـ 1984م ، بيروت .
16 ـ الثميني : ضياء الدين عبد العزيز: 1223 هـ . كتاب النيل وشفاء العليل ، تصحيح وتعليق بكلي عبد الرحمن ، ج 1 ، ط 2 ، 1387هـ ـ 1967م . ج 2، ط 2 ، 1388هـ ، 1968م . ج 3 ، ط 2 ـ 1398هـ ـ 1969م .
17 ـ الثميني محمد بن صالح : الورد البسام في رياض الأحكام (منقول عن للثميني عبد العزيز) ، المطبعة التونسية ، 1345هـ ـ تونس .
18 ـ الجيطالي أبو طاهر اسماعيل بن موسى ت 750هـ : كتاب قواعد الاسلام ، تصحيح وتعليق بكلي عبد الرحمن ج 1 ، ج 2 ، المطبعة العربية 1976م غرداية ، الجزائر .

19- جاد المولى محمد أحمد - وآخرون : قصص القرآن مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهـ
سنة 1946م .
20- الجعبيرى، فرحات (معاصر) : نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة ، المطبعة العصرية ، 1975 ، تونس .
21 - أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . دار الكتاب العربي ، ط 1385 هـ - 1965م ، بيروت .
22- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ت ، 853هـ: الاصابة في تمييز الصحابة (باب ج د 1639. (حذيفة) 1647 مج 1 ، ص 316 - 317 ، دار الكتاب العربي بيروت .
23- الحارثي عبد الله: العقود الفضية في أصول الاباضية ، دار اليقظة العربية، سوريا ولبنان، بدون تاريخ ،
24- أبو الحوارى العماني : الدراية وكنز العناية .
25- حوى سعيد (معاصر) : جند الله ثقافة وأخلاقا ، دار الكتب العلمية ، ط3 ،1399هـ/ 1979م .
26- أبو حفص عمرو بن جميع - ت، ق 8هـ - 14 م : مقدمة التوحيد : الشرح الأول الشماخي أبو العباس . الشرح الثاني ، سليمان الثلاتي .
27- ابن الخطيب : لسان الدين : أعمال الاعلام ، دار المكشوف ، 1956 ، بدون مكان .
28- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المغربي : ت 808هـ/ 1405م : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، مج " السادس والسابع . القسم الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1981م .
- المقدمة : مكتبة المثنى ، بدون تاريخ ، بغداد ، العراق .
29- خليفات محمد عوض : النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا، شركة المطابع النموذجية (1982) عمان بالاردن . - التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان (بدون تاريخ ولا مكان) . - الأصول التاريخية للفرقة الاباضية، الجامعة الأردنية عمان ، الأردن .
30- الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب " ج 1 و 2 ، حققه طلاى ابراهيم، مطبعة البعث قسنطينة .
31- درويش بن جمعة بن عمر المحروقي (ت ق 11هـ/ 17م) : الدلائل في اللوازم والوسائل . تحقيق عامر عبد المنعم ، هارون محمد الهادى ، مطابع سجل العرب ، القاهرة .
32- دبوز محمد علي (تاريخ المغرب الكبير) ج 2 ط الأولى ، دار احياء الكتب (1382هـ/ 1963م) . - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ج 1 الطبعة الأولى (1358هـ/ 1965م) ، المطبعة التعاونية (المكان مجهول) .
33- الربيع ابن حبيب "الجامع الصحيح " تصحيح السالمي عبد الله بن حميد ط2 المطبعة السلفية (1349هـ) القاهرة .
34- أبو زكريا : يحي بن أبي بكر (ت 471 هـ) " سير الأئمة واخبارهم" تحقيق وتعليق اسماعيل العربي ، مطبعة أحمد زبانة (1399هـ/ 1979م) الجزائر . -
35- أبو زكريا يحي بن أبي الخير الجناوى "كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه ، تعليق اطفيش أبو إسحاق ابراهيم، مطبعة الفجالة الجديدة بدون تاريخ، مصر.
36 - السالمي نور الدين، (ت 1332 هـ). "تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان" ج 2، ط 5، (1394هـ/

1974م ، دار الطليعة ، الكويت . ـ مشارق أنوار العقول ، تعليق وتصحيح الخليلي احمد
ابن حمد ، ط2 ، 1398هـ / 1978م مطابع العقيدة سلطنة عمان . ـ كتاب شرح طلعة
الشمس على الألفية المسماة بشمس الأصول ، ج 1 ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، بدون تاريخ .
37ـ جواهر النظام في علمي الأديان والأحكام ج 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، تصحيح وتعليق أطفيش:
أبو اسحاق ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1946 . ـ اللمعة المرضية من أشعة الاباضية
ضمن مجموعة ستة كتب . ـ تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج 1 ، ط5 (1394هـ/ 1974م)
بدون مطبعة ولا مكان .
37ـ سالم بن يعقوب (معاصر) تاريخ جزيرة جربة ، دار الجويني ، تونس ، (1406 هـ/ 1986م)
38ـ سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج ، ط5 ، 1402هـ ـ 1982م .
39ـ الشماخي: أبو العباس أحمد بن عبد الواحد ت 928 هـ ـ 1521 ـ 1522م : كتاب
السير ، ط ، حجرية ، سنة 1301 ، القاهرة . ـ حاشية على عقيدة التوحيد ط مع المتن تحقيق
أطفيش أبو اسحاق ابراهيم ، ط2 ، غرداية . ـ
40 ـ الشماخي عامر بن ساكن : متن الديانات ، على كتاب كيبرلي .
41ـ الشرباصي أحمد (معاصر) ، موسوعة أخلاق القرآن ج 3 ، ط1 ، 1401هـ ـ 1984م ،
دار الرائد العربي ، بيروت .
42ـ الصابوني محمد علي (معاصر) : مختصر تفسير بن كثير "مج" 1 ، ط7 ، 1402 هـ ـ 1981
دار القرآن الكريم ، بيروت .
43ـ أطفيش أبو اسحاق : مقدمة التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع .
44ـ أطفيش (القطب) محمد بن يوسف: "شامل الأصل والفرع : تصحيح أبي اسحاق ج 1 المطبعة
السلفية القاهرة . 1318 هـ .
الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص ، تعليق أبي اسحاق ط2 ، (1400هـ/ 1980م) مطبعة
البعث قسنطينة ، الجزائر .
ازالة الاعتراض عن محقي آل اباض : وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان .
ترتيب المعلقات : مطبعة حجرية قسنطينة بدون تاريخ .
الرد على العقبي ضمن مجموعة كتب مطبعة حجرية 1321هـ تونس .
45ـ طاحون أحمد بن محمد : مرشد الدعاة الى الله "دراسة وتطبيق" جدة 1402هـ ، السعود
46ـ طلاى ابراهيم (معاصر) : مزاب بلد كفاح ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1970م .
47ـ عبد الباقي محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر ، ط2 ، 1401هـ/
1981م .
48ـ العقيقي نجيب (معاصر) : المستشرقون مج 1 ، ج 2 ، ج 3 ، 1964 ، القاهرة .
49ـ العسقلاني احمد بن حجر 773هـ/ 852م ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري "مج"
1 " دار المعرفة ، بيروت .
50ـ العربي اسماعيل (معاصر) مقدمة على كتاب كتاب سير الائمة لأبي زكريا يحي بن
أبي بكر ، مطبعة زيانة 1399هـ ـ 1979م ، الجزائر .
51ـ علي يحي معمر : الاباضية بين الفرق الاسلامية : دراسة مركزة حول أصولهم وعقائدهم

الاباضية في موكب التاريخ :
ح الأولى : نشأة المذهب الاباضي ، ط1 ، جمادى2/ 1384هـ/ أكتوبر 1964م
مطابع دار الكتاب العربي مطبعة الاستقلال ، القسم الأول : ربيع 1384 .
ح الثانية: الاباضية في ليبيا : القسم الثاني : ط1، أغسطس 1964 الكبرى
ط1 جمادى الأولى 1385هـ/ سبتمبر 1966 .
ح الثالثة : الاباضية في تونس : دار الثقافة ، بيروت ، لبنان مطبعة سميا .
ح الرابعة: الاباضية في الجزائر : شركة المطابع النموذجية ، ط1 ، (1399هـ/ 1979م) مطبعة الدعوة الاسلامية ، القاهرة .
الاباضية : دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم . المطبعة العربية (1405هـ/ 1985م) غرداية ، الجزائر .
الاباضية بين الفرق الاسلامية :
52ـ القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت621هـ) التذكار في أفضل الأذكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
53ـ القاسمي محمد جمال الدين ، تقديم وتحقيق عاصم بهجت البيطار ، موعظة المؤمنين ، ج 1، ج 2 ، دار النفائس 1401هـ/ 1981م، بيروت .
54ـ القسطلاني : فتح البارى في شرح البخارى . دار الفكر
55ـ ابن القيم الجوزية : (691-751هـ) زاد المعاد في هدي خير العباد
56ـ ابن كثير : الحافظ عماد الدين أبي الفداء 774هـ تفسير القرآن العظيم ط4 ، 1983م، دار الأندلس .
57ـ لقبال موسى ـ دكتورـ (معاصر) : الحسبية المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) ط1 . الجزائر 1971 م
المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، ط1 ، (1969م) مطبعة البعث قسنطينة ، الجزائر .
دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية من تأسيسها الى منتصف القرن 5هـ/ 11م ، مطبعة زبانة ، الجزائر 1979م .
58ـ المبرد : أبو العباس أحمد بن يزيد (ت ق 3هـ) الكامل ==== ج 2 ، القاهرة .
59ـ محمود اسماعيل: "الخوارج في المغرب الاسلامي "مطبعة دار العودة 1976م، بيروت.
60ـ المجذوب عبد العزيز "الصراع المذهبي بافريقيا الى قيام الدولة الزيرية" الدار التونسية للنشر (1395هـ/ 1975م) .
61ـ المراغي : أحمد مصطفى "تفسير المراغي" ج 11 دار احياء التراث العربي ، بيروت .
62ـ مالك بن نبي : ت 1393هـ ـ 1973م ، مشكلة الثقافة، "تر" شاهين عبد الصبور، دار الفكر ، بيروت .
63ـ المطوى : محمد العروسي "الحروب الصليبية في المشرق والمغرب" ط2، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .

64ـ أبو مهدى : عيسى بن اسماعيل رسالة (جواب على سؤال) ضمن مجموعة كتب تحت عنوان الرد على العقبي للقطب ص 107 ـ طبعة حجرية . تونس 1321 هـ .
65ـ ميارة محمد بن أحمد كتاب الدر الثمين والورد المعين في شرح المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين على نظم ابن عاشر أبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي .
66ـ الميلي : مبارك بن محمد الهلالي "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ج 2، مكتبة النهضة الجزائرية 1963 ، مطبعة بدران بيروت .
67ـ مالك بن نبي : ت 1393هـ/ 1973م ، مشكلة الثقافة "تر" شاهين عبد الصبور ، دار الفكر بيروت .
68ـ النورى: حمو محمد عيسى "نبذة من حياة الميزابيين" (الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505م ـ 1962م) ج 1 ، مطبعة داك ايزين ، يناير 1984م .
69ـ النووى: يحي بن شرف الدين (ت676هـ) شرح الأربعين حديثا النووية . دار الكتب العلمية (1402هـ) بيروت . الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
70ـ نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر .
71ـ نووى محمد بن عمر النبتي : كتاب الاخبار: المسمى تنقيح القول الحثيث . ، المطبعة الميرية ـ مكة 1301هـ .
72ـ النووى : متن الأربعين النووية ، 1373هـ/ 1954م .
73ـ هارون محمد الهادى: مطابع سجل العرب 1980 ، القاهرة .
74ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق وشرح : السقا مصطفى ، الانبارى ابراهيم ، شلبي عبد الحفيظ ج 2 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة .

الـدوريات والجـرائـد

- الثميني محمد : مفهوم الشورى والديمقراطية في التاريخ العربي لدى الرستميين والجماعات المحلية بوادى ميزاب بالجنوب الجزائرى - محاضرة ألقاها في المؤتمر البرلماني العربي الثاني بالجزائر (8 مارس 1981) .

- حاجيات عبد الحميد : مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصر الوسيط ، مقال نشر بمجلة ، مجلة التاريخ ، رقم 12 ، النصف الأول من سنة 1982 ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر .

- علي يحي معمر : جواب على جواب . . . حول المذهب الاباضي - ركن ندوتنا ، مجلة "المسلمون" ص ص 28-45 . العدد الرابع - شعبان 1383 هـ - يناير 1964 م .

- فخار ابراهيم : الجماعات الاباضية في شمال افريقيا : بحث نشر في مجلة الثقافة عدد 3 السنة الأولى (1391 هـ/ يوليو 1971م) ط ابن بولعيد الجزائر . - البولونيون و تاريخ المغرب الوسيط ، بحث نشر بمجلة الأصالة ، عدد 14 ، 15 ص45 السنة الثالثة (1393هـ/ 1973م) . ،

- اطفيش أبو اسحاق : رجال الاباضية في صدر الاسلام ، مقال نشر بمجلة الزهراء من 1 ، 1343هـ محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان ، وادى ميزاب ، هيئة حكومته (الحلقة الثانية) بحث نشر بمجلة "المنهاج" ج 5 ، م 1 جمادى الاولى (1344هـ) ص329 .

- ناصر محمد ناصر "معاصر" العلماء لا يموتون : مجلة العصر ، عدد السنة 18 ، ربيع الأول (1402هـ / 1982 م) .

- النامي عمر خليفة : ملامح عن الحركة العلمية في وارجلان وضواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجرى . الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامي المنعقد في وارجلان .

- أبو اليقظان : جريدة الأمة . أبو اليقظان : "وادى ميزاب" العدد 107 ، السنة الثالثة ، 18 جمادى الأولى 1347 هـ 2 نوفمبر 1928 ، الجزائر . أبو اليقظان الحاج ابراهيم : سليمان الباروني باشا في أطوار حياته ج 1 ، المطبعة العربية (1376هـ/ 1956م) الجزائر .

دوائـــر المعـــارف والقواميـــس

- البستاني محمد فؤاد : دائرة المعارف الاسلامية ،مادة الاباضية "مج " الأول القســم الأول ، "مج " الرابع ، (1962) بيروت .

- دائرة المعارف الاسلامية (مادة الاباضية) "مج " الأول القسم الأول .

- ابن منظور "لسان العرب " محمد بن مكرم بن على الأنصارى (ت 711هـ) :
"لسان العرب "مج " 2 /"مج" 11 ، ج 12 طبعة مصورة عن طبعة بولاق . مطابع كوستاتسوس وشركاؤه،مصر ، بدون تاريخ .

- وجدى محمد فريد "دائرة المعارف القرن العشرين" مادة (ابض) مج 1 ،ط 3 ، دار المعرفة : بيروت ، 1971م .

- ليفي دالا فيدا - دائرة المعارف الاسلامية ، مادة "الخوارج " مج رقم 8 ، " تر" الفندى محمد ثابت وآخرون .

الأحاديث الشخصية

- ألجون يحي .
- بابانو محمد .
- بكلي عبد الرحمن .
- بوعروة ثامر .
- بومريقة سليمان .
- بيوض ابراهيم بن عمر .
- الحاج أيوب ابراهيم (القرادى) .
- الحاج اسعيد محمد بن باحمد .
- الزيدى ناصر .
- حموعمي سعيد .
- سالم بن يعقوب .
- اسماوى بكير بن باحمد .
- شريفي عدون بن بلحاج .
- أبو العلا عيسى بن عبد الله .
- سرمورى ناصر .
- مطهرى محمد بن بكير .
- ابن يوسف سليمان .

المراجع الاجنبيـــــة

1 - AMAT Charles : Le M'ZAB et les M'ZABITES , Challamel, Paris, 1888.

2 - BASSET R. : Encyclopédie de l'Islam, (Ghardaïa) , Nouvelle Edition, volume 2, Paris, 1965.

3 - COUVION : Le Kharidjisme Monoghraphie du M'Zab ,Casablanca, 1926 .

4 - CUPERLY Pierre: Aperçus sur l'histoire de l'Ibadisme au M'Zab, 1973 .

5 - GOICHON A.M. : La vie feminine au M'Zab, Librairie Orientaliste, 1927, Paris .

6 - LEWICKI : Encyclopédie de l'Islam, (AL-ABADIA) Nouvelle Edition. vol.3.

7 - LEWICKI : Encyclopédie de l'Islam, (HALKA) Nouvelle Edition vol. 3.

8 - LEWICKI Tadeuz: Etudes Ibadites Nord Africaines; Partie 1, TAS-MIYA . SHUYUCH Gabal Nafusa de Qurahum. contenue dane le " Siyar Al-Masaih" (VI° - XII° . 5) , Warszawa, 1955.

9 - LE HURAUX : Le Sahara,ses oasis, Imprimerie Baconier frères, Imprimeurs Editeurs, Alger, 5 mai 1934.

10 - MERCIER Marcel: La Civilisation urbaine au M'Zab, Alger, Soubiron, 1932.

11 - MERGHOUB Baelhadj : Le Dévelorpement politique en Algéerie, p,38-39 20 juillet 1972, Librairie Aemond Colin.

12 - MELIA Jean : Ghardaïa, bibliotéque Charpentier , imprimerie, A. Mareteux, et L. Pactat, Paris, 1930.

13 - MILLIOT L. : Receuil de délibérations des djemaâ du M'Zab, avec la collaboration de A. Ciacobetti, librairie orient. Paul Geuthner, Paris, 1930. imprimerie Arnault et c...

14 - M'ZAB, documentsAlgériens, service d'information, série monographie, n° 16, (le M'Zab) , 30 aout 19..

فهـرس الأعـــلام

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الاماكن والبلدان

(أ)

(ب)

(ت)

فهـــرس المـــوضـــوعات

فهـرست الخرائط والملاحق والوثائق



لباس العزابي